

النكباء الاصطناعي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية



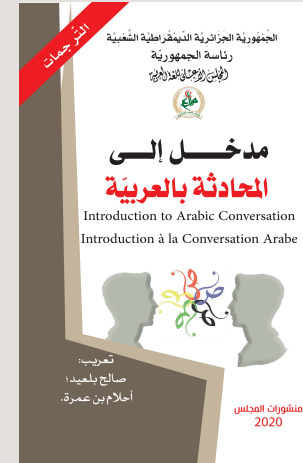
الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي

الهاتفى الوطنى حول:
يومي 19 و 20 فبراير 2020، بمناسبة اليوم
العالمى للغة الأم. المكتبة الوطنية بالحامة.

الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي

الجزء الأول

منشورات المجلس
2020



ISBN : 978-9931-681-47-2



9 789931 681472 >



المجلس الأعلى للغة العربية

52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب. 575، ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف : +213 21 23 07 16/17

التاسوخ : +213 21 23 07 07

الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz

الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ
رئاسَة الجُمهورِيَّةُ
المَجْلِسُ الوَحْدِيُّ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللغويّ

الهاتف الوطنيّ حول:

يوميّ 19 و 20 فبراير 2020، بمناسبة اليوم
العالميّ للغة الأمّ. المكتبة الوطنيّة بالحامة.

الجزء الأوّل

كتاب: الملتقى الوطني
(الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)
الجزء الأول

- إعداد : المجلس الأعلى للغة العربية
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات: 544

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2020
ردمك: 978-9931-681-47-2

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: +213 21 23 07 16/17
الناسوخ: +213 21 23 07 07
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



برنامج المنتدى

اليوم الأول:

الجلسة الافتتاحية

النشيد الوطني

- ◀ كلمة رئيسة المنتدى: أ. سناء رمضان؛
- ◀ كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية: ب. صالح بلعيد؛
- ◀ كلمة شرفية لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: أ.د. عبد الرزاق قسوم؛
- ◀ كلمة شرفية لوزير التربية الوطنية: ب. محمد واجعوط؛
- ◀ كلمة شرفية لوزير الشؤون الدينية والأوقاف: د. يوسف بلمهدي؛

الجلسة العلمية الأولى (10:00 – 11:30)

رئيس الجلسة العلمية: أ. فتحي بوقفطان.

- ❖ أ.د يوسف بن نافلة (الدور الثقافي للكتاتيب في الجزائر وأهميتها في الحفاظ على الهوية الوطنية)؛
- ❖ د. رشيدة بودالية (دور الكتاتيب في بناء الحصيلة اللغوية عند الطفل)؛
- ❖ ط.د مريم ضربان (أثر السطوة النفسية للفضاء الجليل على الانتماء الجمعي لطفل الكتاتيب، قراءة نفس اجتماعية بين الحنين وقوة التلقي اللغوي)؛
- ❖ د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة (دور الكتاتيب في خدمة اللغة العربية والمحافظة على الهوية الإسلامية من خلال شهادات نخبة من كُتّاب وعلماء الجزائر-معالجة تحليلية لرؤى متميزة).
- ❖ د. الباتول عرجون (واقع الكتاتيب في زمن العولمة والتطور التكنولوجي).

الجلسة العلميّة الثّانية (11:30 – 12:45)

رئيسة الجلسة العلميّة: أ. ويزة أعراب.

- ❖ پ. سفيان لوصيف (كتاتيب منطقة عموشة: الإسهام الديني والوطني):
- ❖ ط.د عبد القادر مهدي (الكتاتيب القرآنيّة ودورها في ترسيخ ملكة اللّغة وتعاليم الدين الأساسيّة لدى النّاشئة)؛
- ❖ ط.د موسى وعلي علي (دور محاضرة الشّيخ باسعيد وعلي بغرداية في خدمة القرآن الكريم واللغة العربيّة):
- ❖ د. سعاد عباسي (المدارس القرآنيّة ودور الحضارة من وجهة نظر الأولياء – دراسة مقارنة).

الورشة العلميّة الأولى (10:00 – 12:45)

رئيسة ومقرّرة الورشة العلميّة الأولى: أ. راشدة بوربابة.

- المحاضرون: د. ط.د. سامي عزيزي وعبد الرحيم بوريش + حياة كاسي + د. قدور بن مسعود + د. صليحة بردي + د. عبد القادر بوزياني + د. فاطمة سعدي + د. فيروز بن رمضان + د. سوسن ابرادشة + ط.د مسعودة معنصر + د. مختار قديري + د. نعيمة شلغوم و د. جمعة مصاص + أ.د. نفيسة دويده + د. نورالدين بلعربي + ط.د أم هاني حبيطة + ط.د إيمان بلحداد + ط.د بسمة سيليني و أ. ايمان بوشارب + د. صحرة خميلي.

اليوم الثاني:

الجلسة العلميّة الأولى (09:00 – 10:30)

رئيسة الجلسة العلميّة: أ. زوليخة خراز.

- ❖ أ. سعاد ميس (دور المدارس القرآنيّة في الاكتساب اللّغويّ في المرحلة الفطريّة -دراسة ميدانيّة من منطقة تيارت)؛
- ❖ د. بختة تاحي (دور الزوايا والكتاتيب في تعليم اللغة العربية -"عبد الحميد بن باديس" أنموذجاً-)؛
- ❖ ط.ب مصطفى حاج قويدر (أدبيات الدّرس اللّغويّ في الكتاتيب القرآنيّة بالصحراء الجزائريّة -منطقة توات أنموذجاً)؛
- ❖ ط.د نواره بلقاسم بوزيدة (فاعليّة الكتاتيب القرآنيّة في ترسيخ مبادئ اللغة العربيّة وتنمية الرصيد اللّغوي للطفل دراسة ميدانية بالمدارس القرآنيّة بولاية باتنة_مدرسة أوّل نوفمبر، مدرسة عبد الحميد بن باديس، مدرسة سي عثمان أحمد قايد(الزّاوية) نماذج)؛
- ❖ ط.د أحمد أمين بوعلام الله (إحياء الكتاتيب وعصرنة منهجها).

الجلسة العلمية الثانية (10:30 – 11:45)

رئيس الجلسة العلمية: أ. لحسن بهلول.

- ❖ د. سميرة مرزوقي (دور الكتابيب في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية -دراسة ميدانية مقارنة بين التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتابيب في منطقة (مسيف) بولاية (المسيلة):
- ❖ أ.د. شهرزاد بوشدوب (دور الكتابيب في الارتقاء بالشخصية الوطنية الجزائرية):
- ❖ أ.فتحي بوقفطان و أ. ناجوي سهيلة (دور الكتابيب والزوايا في تعليمية النحو العربي بالجزائر من خلال المنظومات النحوية -ألفية بن مالك أنموذجا):
- ❖ ط.د. مريم محراب (واقع الكتابيب الجزائرية وتحديات العولمة).

الورشة العلمية الثانية (09:00 – 11:45)

رئيسة ومقررة الورشة العلمية الثانية: أ. مريم تواتي.

- المحاضرون: ط.د. جميلة قماز + ط.د. حورية درني + ط.د. سارة مسعوداني + ط.د. سعاد مأمون + ط.د. سمية بن حليلة + ط.د. سهيلة ناجوي + ط.د. سوهة رومي + ط.د. عبد القادر مهدي + ط.د. عبد الناصر درغوم + ط.د. حواء بيطام + ط.د. مريم بن الاحرش + أ.مليكة بوخاري + ط.د. وليد خيتيش + أ.حنيسة كاسجي + ط.د. حيزية كروش + د. هدى عماري + د. محمد بوقاسم وأ. فريزة لعزيزي + د. سعد لخذاري + ط.د. إلهام شافعي + ط.د. عائشة تراس + د. زينب لوت + أ. أسماء بن سليمان.

الجلسة الختامية:

- ◀ كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية؛
- ◀ قراءة تقرير الورشة العلمية الأولى؛
- ◀ قراءة تقرير الورشة العلمية الثانية؛
- ◀ توزيع الشهادات.

الفهرس

الصفحة	العنوان
6 -3	البرنامج
12 -7	الفهرس
14 -13	كلمة رئيسة الملتقى
	أ. سناء رمضان المجلس الأعلى للغة العربية
20 -15	في الرفاه اللغوي
	كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية
22 -21	كلمة ممثل السيد وزير التربية الوطنية
	أ. السعيد بن سالم
44 -23	الدور الثقافى للكتاتيب في الجزائر وأهميتها في الحفاظ على الهوية الوطنية
	أ. د. يوسف بن نافلة جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف
68 -45	دور الكتاتيب في بناء الحصيلة اللغوية عند الطفل
	د. رشيدة بودالية جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة
104 -69	أثر السطوة النفسية للفضاء الجليل على الانتماء الجمعي لطفل الكتاتيب - قراءة نفس اجتماعية بين الحنين وقوة التلقي اللغوي
	داه: مريم ضريان مخبر حقوق الإنسان، جامعة الجزائر 03

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

105 - 142	دور الكتاتيب والمدارس القرآنية في خدمة اللغة العربية والمحافظة على الهوية الإسلامية من خلال شهادات نخبة من كُتّاب وعُلماء الجزائر - معالجة تحليلية لرؤى متميزة- د. محمد سيف الإسلام بوفلاحة جامعة عنابة، الجزائر
143 - 160	واقع الكتاتيب في زمن العولمة والتطور التكنولوجي..... د. عرجون الباتول جامعة الشلف
161 - 186	كتاتيب منطقة عموشة: الإسهام الديني والوطني أ. د. سفيان لوصيف جامعة محمد مين دباغين سطيف
187 - 198	الكتاتيبُ القرآنيَّة ودورها في ترسيخ ملكة اللغة وتعاليم الدين الأساسية لدى الناشئة..... داه. عبد القادر مهدي جامعة الجزائر 02
199 - 218	دور محاضرة الشيخ باسعيد وعلي بغرداية في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية..... أ. موسى وعلي علي جامعة غرداية
219 - 232	المدارس القرآنية ودور الحضارة من وجهة نظر الأولياء -دراسة مقارنة- د. سعد عباسي م. ب. ع. وت. ت. ل. العربية، وحدة البحث تلمسان

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

244 - 233	دور المدارس القرآنية في الاكتساب اللغوي في المرحلة الفطرية - دراسة ميدانية من منطقة تيارت- أ. سعاد ميس جامعة تيارت
260 - 245	دور الزوايا والكتاتيب في تعليم اللغة العربية - "عبد الحميد بن باديس" أنموذجا- د. بختة تاحي جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف
286 - 261	أدبيات الدرس اللغوي في الكتاتيب القرآنية بالصحراء الجزائرية " منطقة توات أنموذجا - داه. حاج قويدر مصطفى جامعة الجزائر1
306 - 287	فاعلية الكتاتيب القرآنية في ترسيخ مبادئ اللغة العربية وتنمية الرصيد اللغوي للطفل دراسة ميدانية بالمدارس القرآنية بولاية باتنة، _مدرسة أول نوفمبر، مدرسة عبد الحميد بن باديس، مدرسة سي عثمان أحمد قايد(الزاوية) نماذج_..... داه. نوارة بلقاسم بوزيدة جامعة جيجل
322 - 307	إحياء الكتاتيب وعصرنة منهجها..... داه: أحمد أمين بوعلام الله جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

348 - 323	دور الكتاتيب في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية - دراسة ميدانية مقارنة بين التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في منطقة (مسيف) بولاية (المسيلة) - د. سميرة مرزوقي جامعة الجزائر 02
364 - 349	دور الكتاتيب في الارتقاء بالشخصية الوطنية الجزائرية..... أ. د. شهرزاد بوشدوب جامعة الجزائر 2
380 - 365	إسهام الكتاتيب في تلقين الأبعاد الدينية واللغوية، وترسيخ سمة الانتماء للناشئة..... أ. بوقفطان فتحي جامعة مولود معمري تيزي- وزو أ. ناجوي سهيلة جامعة محمد بوضياف المسيلة
394 - 381	واقع الكتاتيب الجزائرية وتحديات العولمة..... داه. مريم محراب جامعة الحاج لخضر باتنة 01
416 - 395	جهود جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للنشء من خلال الكتاتيب والمدارس القرآنية، مع اقتراح حلول عصرية لاسترجاع دورها في المجتمع. - دراسة ميدانية لبلدية إيليزي-..... أ. سامي عزيزي، جامعة أدرار داه. عبد الرحيم بوريش، جامعة الجزائر 02

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

438 - 417	دور كتاتيب قرى الاوراس في تعليم اللغة العربية "قرية العامرة ولاية خنشلة انموذجا"..... د. صحرة خميلي جامعة باجي مختار، عنابة
448 - 439	الأنظمة الثقافية ومركزية الكتاتيب في تركيز عامل التأثير والتأثر الاجتماعي الأصيل د. لوت زينب المدرسة العليا للأساتذة، مستغانم
460 - 449	دور حفظ القرآن الكريم في اكتساب الملكة اللغوية لدى أطفال مرحلة التعليم الابتدائي "مقاربة ميدانية السنة الأولى أنموذجا" ... أ. أسماء بن سليمان جامعة يحي فارس بالمدينة
476 - 461	مرونة اللغة العربية بين أصالة الكتاتيب والاستعمال الرقمي..... داه. حياة كاسي جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف
486 - 477	المسار التربوي لجمعية العلماء المسلمين من خلال جهود الكتاتيب وأثرها في تقويم سلوك الطفل الجزائري علما وأدبا..... داه. بن مسعود قدور جامعة ابن خلدون، تيارت
504 - 487	إسهامات الكتاتيب القرآنية في صياغة خطاب الهوية الوطنية..... د. صليحة بردي جامعة خميس مليانة
524 - 505	أهمية الكتاتيب في غرس أسس الدين ومبادئ اللغة العربية..... د. عبد القادر بوزياني جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

536 - 525	أثر المدارس القرآنية في تنمية الملكة اللغوية لدى الطفل "دراسة ميدانية بمدرسة دار الحديث القرآنية تلمسان"..... د. فاطمة سعدي م.ب.ت.ت.ل.ع. وحدة البحث تلمسان
-----------	--

كلمة رئيسة الملتقى

أ. سناء رمضاني
المجلس الأعلى للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

اللغة الأم مستودع شعوري هائل يحمل خصائص الأمة وتصوراتها وعتيدتها وتاريخها، ويبقى تعلم اللغات الأخرى حاسة إضافية ضرورية، مع الحذر أن تلغى حواسه الأصلية أو أن تكون بديلا عنها، وإدراكاً من هيئة الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو التابعة لها لأهمية اللغة الأم؛ فقد خصصت له يوماً في السنة للاحتفال به في الحادي والعشرين من شهر فبراير من كل سنة.

حيث تقوم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) بتنظيم فعاليات لتعزيز التنوع اللغوي والثقافي في العالم، إضافة إلى تشجيع الناس للحفاظ على معرفتهم باللغة الأم حين يتعلمون ويستخدمون أكثر من لغة واحدة.

أدت الكتاتيب القرآنية على مدى عقود طويلة دوراً بارزاً في تربية الأجيال والمحافظة على طابع الهوية الإسلامية واللغة العربية، وهذه المؤسسات التربوية الشرعية لم يقتصر دورها على التلقين والتحفيظ فحسب؛ بل أسهمت في تأديب وتأهيل الطفل والنائسة، قبل المدرسة، وتكوينهم تربوياً، ودينياً وإعدادهم من أجل خوض مختلف مراحل الحياة.

يعد قطاع الكتاتيب في الجزائر متجزراً في تاريخ البلاد، وقد أسهم عبر الزمن في بروز نخبة متميزة من العلماء، نبغوا في الحقل العلمي والمعرفي، وكانوا من المؤسسين للزوايا والمحاضر العلمية، التي ظهرت في بجاية وتلمسان وتيهرت... وهي منارات صناعة التنمية الجزائرية، التي أعملت الفكر في النهوض اللغوي.

يعتبر العلماء أنّ منهجية تحفيظ القرآن الكريم للطفل في هذه المرحلة العمرية يساعد على تقويّم النطق، ويقويّ مخارج الحروف، إضافة إلى قدرة الطفل على الحفظ والاستيعاب في تلك المرحلة.

ومن هنا تأتي أهميّة الكتاتيب نظرا لدورها الفعال في تحفيظ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية.

لقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أنّ حفظ القرآن الكريم في الصّغر يقويّ الذاكرة ويمرّنها على الإلمام بالعلوم، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى التفوق في كافة العلوم؛ لأنّ تلك المرحلة العمرية المهمة والحيوية تستوعب حفظ ملايين الكلمات. ولا يعني هذا أنّ فائدة الكتاتيب انعدمت في الزمن الحاضر، لأنّها وبالذات تعمل على تحفيظ القرآن والأحاديث النبوية والقراءة والكتابة والقيم الاجتماعية والدينية الأساسية، فهي منظومة ضرورية في حياة المجتمع المعاصر، فقد كانت ولا تزال الأداة التي ينتقل بها العلم الديني وبخاصة القرآن الكريم من جيل إلى جيل، وقال العلامة عبد الحميد ابن باديس «أشرفت اللغة العربية على الاضمحلال لولا أنّ تداركتها الكتاتيب وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه».

في الرفاه اللغوي ♥

كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية*

— **الديباجة:** أيها الجمع الكريم، من الضروري بمكان أن نعلمكم بأن هذا الملتقى يُعقد بسبق الزّمن، وكان المفترض أن يكون بتاريخ 21 فبراير بمناسبة اليوم العالمي للغة الأمّ، ونقدّمه لأسباب تقنية ضرورية. وينعقد تحت عنوان (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي) ولقد تمّ اختيار هذا الموضوع لغاية ارتأها المجلس احتفاءً بتلك الفئات الصّغيرة التي تتجه كلّ صباح، أو في أيام العطل المدرسية إلى شيخ الكتاب لأخذ قسط من القرآن/ الحديث النبويّ الشريف/ التّجويد وما يتبع ذلك من تحفيظ القرآن لتمليكهم مخارج الأصوات الصّحيحة؛ لينتقى الطّفل المبادئ الأساس التي تقيه عشرات اللسان ومن ذلك يتحكّم في لغته الأمّ تحكماً جيّداً، وبها يفهم باقي العلوم؛ لأنّ التّعليم لا يكون باللغة الخطأ، ولا تحصل الملكة اللسانية إلاّ باتّباع قوالب اللغة التي تعود في أصلها إلى معين اللغة في أصلها الثّابت هي القواعد، وفي ما هي من المتحرّك الذي يأتي عن طريق التّطور اللغويّ، وهذه سنة كلّ اللغات.

1- في معنى اللغة الأمّ: تنصّ أدبيات المعاجم على أنّ اللغة الأمّ، هي تلك اللغة التي يسمعها الطّفل من الأسرة والمحيط العامّ والمدرسة، وما تقوم به الدّولة من تدريس للغة الرّسمية التي نصّ عليها الدّستور. وأما النسبة للأمّ، فهي الصّورة الغالبة لما يتلاغى به الطّفل في مراحلها عبر محطة أساس هي الأمّ. وهي نسبة افتراضية؛ لأنّ

* الكلمة التي ألقاه رئيس المجلس في الملتقى الوطني الخاصّ (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي) وذلك يومي 19 و 20 فبراير 2020، بمناسبة اليوم العالمي للغة الأمّ. المكتبة الوطنية بالحامة.

اللغة تتطور من مرحلة التلاغي إلى مراحل أخرى تصبح لغة الأدب، فأين مقام الأم عبر تلك المراحل. وهناك فروق بين:

1/1- اللغة الأم: هي لغة جامعة مدرسية دستورية مستعملة لدى أغلب المجتمع.

2/1- لغة أم: هي لغة محلية ضيقة، لا مقام لها في الانتشار، ولا وجود لها في التدريس أو في الأسرة. ولكي يمكن أن تصبح لغة أم اللغة الأم في حال استيفائها الشروط المنصوص عليها في اللغة الأم مثل المازيغية عندنا في الجزائر التي انتقلت من لغة أم إلى اللغة الأم. كما يمكن أن تصبح اللغة الأم لغة أم في حال تجردها من مواصفات اللغة الأم. وعلى العموم فإن اللغة الأم هي الجامعة ولغة الأمة.

2- في معنى الرفاه لغة واصطلاحاً: تنص معاجم اللغة على أنه من كلمة (رفه)

رفه يرفه رفهاً ورفوهاً فهو رافه. رفه عيشه: لان، طاب. رفه صاحبه وبه: رحمه راف به. رفه رفه رفه ورفوهاً: أصاب نعمة وسعة من الرزق. رفه رفاهه، ورفاهية فهو رفيه ورافه. رفه عيشه: اتسع أخصب. رفه الشخص: رفه، أصاب نعمة واسعة من الرزق. رفه اسم/ مصدر. رفه فعل رباعي. رفه/ رفه عن يرفه، ترفهها فهو مرفه، والمفعول مرفه. رفه عنه كربه: خفضه عنه أطرب خاطره نفس عنه. رفه أهله: نعمهم أراحهم. رسم الترفيه: مبلغ محدد يضاف إلى الفاتورة في ملهى ليلي أو مطعم مقابل الترفيه والخدمة. مزرعة الترفيه: مخصصة لركوب الخيل والتخييم وغيرها من التشاطات في الهواء الطلق. الرفاهة والرفاهية والرفهية: رعد الخصب ولين العيش، وكذلك الرفاغية والرفغنية والرفاعة. رفه عيشه، فهو رفيه ورافه وأرفههم الله ورفههم، ورفهنا نرفه رفهاً ورفهاً ورفوهاً. والرفه بالكسر: أقصر السورد وأسرع، وهو أن تشرب الإبل الماء كل يوم وقيل: هو أن ترد كلما أردت. رفهت الإبل، بالفتح، ترفه رفهاً ورفوهاً وأرفهها. الرفاهة والرفاهية والرفهية: رعد الخصب ولين العيش. رفه عيشه، فهو رفيه ورافه ورفهان ومرفه: مستريح منعم. وأرفههم الله تعالى ورفههم ترفهها...

وخلصة التعريف اللغوي في الاصطلاح التالي: من الرفاهية بمعنى الإغداق والنعمة. وعلاقة المصطلح بالرفاه اللغوي؛ يعني حسن استعمال اللغة بإغداق وتمكّن كبيرين في مختلف المواقف والسيّاقات، وبكلّ أريحية مطلوبة. وما يلحق المستعمل من سلوكات لغوية مُصاحبة مثل النشاط والحيوية والخبور، إضافة إلى ما يحمل الاسم من صفات السعادة والطمأنينة وزيادة في محبة الناس.

3- علاقة المصطلح بهذا الملتقى: يروم المجلس الأعلى للغة العربية أن يقترح انشغالا لمن يهّمه الأمر، أنّ دور الكتاتيب يشكّل القدوة اللغوية في حسن إتقان اللغة وكما نعرف أنّ اللغات تُنسب للمُبدعين وللغويين وللمسرحيين وللشعراء، فهم الذين يُبدعون في أساليب اللغة فالنحاة يضعون القواعد وتبقى جامدة ما لم يعمل المُبدع على تجسيد تلك القواعد في استعمالات يقبلها مستعمل اللغة. إنّ اللغة وضع واستعمال، فإذا تعارضَ الوضع مع الاستعمال، فالاستعمالُ أولى. وهنا تقتضي الضرورة اللغوية أن ينسجم واقع منوال اللغة وفق التصوّر الذهني لمنتج الكلام، دون جهد في رفاهة العقل لأنّ منوال النسيج قد سنّ، وعلى الخيوط أن تجري في شبكة المنوال بطواعية عُرْفية اقتضتها طبيعة الاستعمال. وعليه؛ فالرفاه اللغوي هو رفاة فكريّ يوفّره المتكلم عن طريق التعليم وهو الذي يوصله إلى رفاة الرأْي، وهو غير منفصل عن اللغة. ولذا فإنّ الرفاه اللغوي يحتاجه كلّ الناس ليصبحوا مُرفّهين في مداركهم ومعارفهم عندما يستولون على حسن استعمال اللغة الأم/ لغة الأمة التي تكون مجد الرفاهية اللغوية. ولا نعني بالرفاه اللغوي الرأْي الحنيف المنتشّب بأصول القواعد فقط، بل يدخل فيها العدول اللغويّ وما يلحق ذلك من أساليب المجاز ومُتعلّقات الأجناس الأدبية، وماله علاقة بتشكيل فنون القول المُتاحة في ذهن المُبدع. كما يعني الرفاه اللغويّ تلك الحالات التي يقع فيها التصرف اللغويّ بُغية توصيل الرّسالة الكلاميّة بأقلّ جهد وأقصر رسالة؛ وهي حاجة كفاف لا رفاة.

4- من أين يأتي الرفاه اللغوي؟ رأينا أنّ اللغة تبنى في الصّغر، وفي مرحلة تكبير أخذ اللغة بحسب عمر الطّفّل جدّ ضرورية؛ بحيث لا يُحشى ذهنه بما لا يتمشّي

وعمره الزمّنيّ ومن هنا رأينا أنّ الرفاه لا يأتي إلاّ من مرحلة القاعدة، ومع ذلك نطرح الموضوع للبحث ولأهل الميدان للتّباري في من يقدّم لنا وصفة علاجية لحسن تدبير اللغة، وكما رأينا أنّه يكمن في بناء القاعدة اللغوية للطفل من خلال التحاقه بالكتاب كمرحلة استعداد في دروب اللوح والإملاء ويأخذ عن طريقها مناويل اللغة من خلال أجزاء من القرآن الكريم، وما لها علاقة بالتّجويد وما يرتبط بالإملاء والحفظ اللذين يعملان على تكوين الحمولة اللغوية من المسكوكات والمتلازمات والحكم والأمثال، وما يتبع ذلك من الثقافة اللغوية للغة، وبخاصّة اللغة الأمّ؛ وهي لغة الأمة الجامعة. وكلّ هذا يكون عبر مراحل الخصوبة اللغوية التي تتفقّ فيها لغة الطفل وعن طريق ذلك يحصل له الرفاه اللغويّ.

ولقد أبانت الدّراسات الميدانية أنّ المتصدّرين في شهادة البكالوريا من الجماعة الذين يتحكّمون في اللغة بالفعل، ولهم الرفاه اللغويّ؛ وهذا بسبب التحاقهم بالكتاب في مرحلة ما قبل المدرسة، كما أنّ جيل السّنينيات والسّبعينيات أكثر رفاهية لغوية من هذا الجيل، والسبب ذاته إضافة إلى امتلاكهم ناصية الشعر الفصيح في المرحلة الأولى. ولذلك لا يشكو ذلك الجيل من الهزال اللغويّ، ولا نرى الهجئة تطفو على أفواههم، بل استقامت أسنتهم التي برّنتها اللوحة والحفظ والإملاء. ولهذا نرى أنّ مرحلة عدم التّحكّم في اللغات أمر يحتاج إلى تدبير عقلائيّ للخروج من الفقر اللغويّ الذي لم يسلم منه إلاّ مريدي شيخ الكتاب. ومن خلال أمثال هذه النّدوات نعمل على تشخيص الوضع اللغويّ لنقول: إنّ المؤسسات التي تقوم الآن على تحفيظ القرآن والزّوايا، وما يقدّمونه من تجهيز قاعدة الطّفل تحتاج إلى تنسيق تلك الجهود من الجانب التربويّ في أداء تناغميّ ليحصل للطفل الانتقال السّلس من الكتاب إلى المدرسة، ومن التّهجيّ إلى حسن استعمال اللغة، بما لها من مناويل لغوية ونبر وتغنيم ورفع ونصب وجر... ويروم المجلس الأعلى للغة العربية أن يقع التنسيق بين هذه المؤسسات لتحصل تعليمية لغوية يكون فيها الطّفل محلّ اهتمام تربويّ بغرض محو الفجوات اللغوية التي نشهدها اليوم في الفراغ/ التردّي اللغويّ المذهل.

5- في تطوير منظومة الكتاب بها وعلاقة المدرسة: نعتقد أن مجال التعليميّة تستفيد من الدراسات في حقول المعرفة، وتفيد من مجال علم النفس التربويّ، وعلم الاجتماع وما يتبع ذلك من تجارب ناجحة من مثل تخصيص مرحلة القاعدة لمواد دقيقة: اللغة+ الرياضيات+ المنطق، وهي من سنن التحكّم في اللغة، إضافة إلى وصفة الأجداد الناجحة في تعليم الصبيان علوم القرآن كما ورد أثراً عن سماع الأقدمين. هي وصفات نروم الجمع بينها في حاصول قاعديّ أنّه لا مناص من سدّ فجوة الضّعف إلّا بفعاليّة سبك مناويل اللغة العالِيّة، ولا توجد لغة أعلى من فصاحة القرآن؛ وهي التي تبقى عمدة التّواصل الصّحيحة في مختلف المقامات. ونعرف أنّ للقرآن الكريم أثراً لغويّاً متيناً وبقايا إذا أُحكّم في مرحلة القاعدة؛ عبر المسجد/ الزاويّة/ الرّباط/ الكُتاب وهذه المؤسّسات تلعب أدواراً تربويّة تحسينيّة وتربويّة ودينيّة، ولها أثر إيجابيّ في محيطنا، بله الحديث عن مقامها الاجتماعيّ في الحفاظ على الانسجام الجمعيّ والتّوجيه الوطنيّ.

6- وظيفة الكتاتيب: إنّ الكتاتيب في بلدنا من المؤسّسات القديمة في المجتمع الجزائريّ حيث كانت تقوم بدور مهمّ في خدمة النّسق العامّ خلال فترة زمنيّة طويلة ويكمن في تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدّين الإسلاميّ، والمحافظة على الإطار العامّ للشّخصية الوطنيّة وذلك بالحفاظ على أهمّ مقومات البقاء والاستمراريّة للثقافة والشّخصيّة الوطنيّة الجزائريّة ومنعها من الاستيلاء النّقافيّ والنّوبان، إلى جانب ضمان اكتساب المجتمع الحدّ الأدنى من النّقافة العامّة والموحّدة، والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمراريّة مختلف النّظم الاجتماعيّة الأصليّة، كما كانت تقوم بأهمّ وظيفة وهي تعليم اللغة العربيّة التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائريّة. وأمام هذا أليست جديرة بأن تحفز أكثر لتعطي أكثر، وتزيد من دور التناغم بين التّربيّة والانفتاح على المنظومة الاجتماعيّة. علماً أنّ الكتاتيب في وضعها الحاليّ بما لها من وسائل تربويّة بسيطة ومتواضعة من حيث المظهر الخارجيّ، إلّا أنّ الطّريقة التّربويّة التعليميّة فيها

عرفت نجاحاً كبيراً وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحُماة الأصالة وحفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليماً في هذه المؤسسة الدنيّة.

هذه كلمتي باختصار، والعُهد في هذا الملتقى على الباحثين العمل على استكناه بُعد هذا اللقاء العلميّ، والخروج بمُدونة علميّة تُرفع إلى من يُهمّه الأمر، والمجلس هيئة استشاريّة تُنتج الأفكار وتعمل بالقوّة الناعمة الداعمة بفكر متوّر، وعسى أن نكون في خدمة جلالة الملكة (اللغة العربيّة) اللغة الجامعة، لغة الأُمّة، في يومها العالميّ، وهي لغة الحضارة الإنسانيّة، فأنعم به من لغة!

كلمة ممثل السيد وزير التربية الوطنية

أ. السعيد بن سالم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضور الكريم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

تحظى اللغة العربية بمكانة متميزة في منظومتنا التربوية، باعتبارها اللغة الوطنية الرسمية ومكونا رئيسا للهوية الوطنية، ولغة التدريس لكافة المواد التعليمية في المراحل الثلاث، فهي بذلك كفاءة عرضية. ولذلك فإن التحكم فيها هو مفتاح العملية التعليمية/التعلمية، وإرساء الموارد وتنمية الكفاءات التي تمكن المتعلم من هيكلة فكره وتكوين شخصيته، والتواصل بها مشافهة وكتابة في مختلف وضعيات الحياة اليومية.

وأعتقد أن للتعليم القرآني عموما، سواء أكان عبارة عن مدارس قرآنية أم في صورة كتاتيب وزوايا وحلقات مسجدية، دورا هاما في تعليم العربية وترسيخ ملكتها لدى منتسبي هذا النوع من التعليم، وذلك من خلال البيئة الاصطناعية من الانغماس في النص القرآني سماعا وتكرارا وتدبرا وحفظا، مما يساعد على تحسين الرصيد اللغوي للمتعلمين وعلى اكتساب اللغة وإن لم تكن مقصودة عينا، وهو ما تؤكدُه النظرية السلوكية في تعليم وتعلم اللغات، وغيرها من النظريات مثل نظرية تشومسكي العقلية ونظرية الفطرة والممارسة.

وتشكل هذه الظاهرة التعليمية - في منظورنا- حقلًا خصبا لدراسة تعليمية اللغة العربية و طرق التدريس في الجزائر العميقة، القائمة أصلا على التلقين و الحفظ مسلكا ومنهجا بيداغوجيا، نتناوله من زاوية بحثية معاصرة، معتمدين في ذلك على بعض المقولات التربوية و النفسية المستمدة من الدراسات النظرية و التطبيقية

و التي تفسر فعل التدريس الكلاسيكي و أهميته في تنمية كفاءات قاعدية لدى الطفل تحضره لمواصلة دراسته في ظروف أفضل، وتقوي لديه الرغبة في التعلّم والتوق للمعرفة، كما تمكنه من البناء التدريجي لتعلّماته الأساسية في المدرسة. وستعمل وزارة التربية الوطنية على التنسيق والتكامل مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال تشجيع التعليم في المدارس القرآنية والكتاتيب من جهة، وتسعى إلى التعاون مع المجلس الأعلى للغة العربية، من جهة أخرى، قصد الارتقاء بتعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية بكل أطوارها ومستوياتها، وهو ما يتطلّب وقفة مصيرية كبرى؛ تتضافر فيها الجهود من طرف جميع الفاعلين في الحقل التربوي، مختصين وأساتذة ومعلمين لمناقشة وبحث السبل الكفيلة بترقيتها، وجعلها لغة العلم والأدب.

شكرا على حسن الإصغاء.

الدور الثقافي للكتاتيب في الجزائر وأهميتها في الحفاظ على الهوية الوطنية.

أ. د. يوسف بن نافلة
جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

المقدمة: مما لا يختلف فيه اثنان، ولا يتجادل حوله عاقلان أنّ للكتاتيب، والزوايا القرآنية دورا أساسيا في النهوض بالجانب الاجتماعي، والثقافي للأمة، حيث نجد أنّ هذه المؤسسة الدينية السامية قد قامت بدورين عظيمين أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر فقدمت بذلك خيرا كثيرا، وقامت بأعمال جليلة حيث علّمت الجاهل، وحافظت على كتاب الله العزيز، واللغة العربية وصانته الشريعة الإسلامية، وساعدت الفقراء والمعوزين، وأطعمت الجائعين، وأوت العجزة، واستقبلت أبناء السبيل، ومنعت أبناء المسلمين من اللجوء للمحاكم الفرنسية فكانت الكتاتيب، والزوايا هي محاكم المسلمين وملجأ المسلمين المتخاصمين لحلّ المنازعات، وتسوية الخلافات بين المسلمين بالمصالحة، والتسامح، وإعطاء كل ذي حقّ حقه.

إضافة إلى الدور الاجتماعي، والثقافي في أيام الاستبداد الفرنسي القاسية، ولياليه الحالكة الصعبة، وما قامت به الكتاتيب من أعمال البرّ والإحسان، والتربية، والتعليم مما أغلق الأبواب في وجه المبشرين المسيحيين الذين يترصدون الفرص بغية الوصول إلى أغراضهم الدنيئة باسم التعليم، والتطبيب، والإحسان.

أما الغرض من هذه الورقة العلمية فيتمثل في إزالة الشبهة عن كتاتيب، وزوايا القرآن الكريم، والعلم، وتلقين علوم اللغة العربية، والمحافظة على الهوية الوطنية والشخصية السوية للأمة، وكذا ترسيخ قيم الانتماء الحضاري بحق، لا تلك الأوكار العفنة التي سُميت زوايا، وكتاتيب ظلما، وعدوانا، وزورا، وبهتاناً، زوايا البندير والشطحات، والزردات، والمنابر، والضلال، وهدم القيم السامية، والمبادئ النفيسة

وتخريب العقول، والنفوس، ودهاليز اللصوص، تُسلب فيها العقول، وتُقتل فيها الأفكار وتدفن فيها الضمائر، وبذلك دسّوا ومزجوا السّم بالعسل، والدروشة بالتصوّف والإسلام بالجاهلية، والرذيلة بالفضيلة، فاختلطت المفاهيم، وفسدت الطباع والأذواق.

أما الإشكال الذي أروم الإجابة عنه فيتمثل في الآتي:

- ما المهمة الأساسية التي قامت بها الكتاتيب قصد المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية الجزائرية؟

- وما دور الكتاتيب في غرس روح الانتماء للأمة، ودعائم الدين، ومبادئ اللغة العربية؟

- وما الواقع الحالي للكتاتيب في ظل التقانات الحديثة، والرقمنة، والغزو التكنولوجي؟

تعريف الكتاتيب / الزاوية: جاء في موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية) أنّ "الزاوية هي في الأصل ركن البناء، وكانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير، أو على المصلّى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في الشرق، ذلك أنهم يفرقون بينها، وبين المسجد الذي يفوقها شأنًا، وهو يعرف أيضا بالجامع، على أنّ مصطلح (الزاوية) ظلّ محتفظا في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولا من ذلك، إذ هو يطلق على بناء، أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، وهي تشبه الدير، أو المدرسة، وقد ذكر (دوماس) عام 1857م تعريفا جيدا للزاوية المغربية والظاهر أنّ هذا التعريف يتّفق في الجوهر، وما عليه في الوقت الحاضر"¹

ذلك أننا نجد فيها جميع الأشياء الآتية أو الكثير منها: غرفة للصلاة بها محراب ضريحا لأحد المرابطين، أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن الكريم، مكتبا، أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ثم عُرفا مخصّصة لضيوف الزاوية، وللحجاج، والمسافرين، والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة عُرف تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها، ويقول (دوماس):

"أنّ الزاوية (أو الكتاتيب) هي على الجملة مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى"²

على أنه قد طرأ على مصطلح (الزاوية)، وفكرة (الكتاتيب) فيما يظهر تغيير خاص إلى حدّ ما منذ العصور الوسطى في العالم الإسلامي الغربي على الأقل.

أما في المشرق فسرعان ما اكتسب هذا المصطلح معنى محددا فاقترص استعماله على المساجد الأقلّ من ذلك شأنًا، ولم يستعمل مرادفا للمصطلحات الأكثر منه تحديدا مثل الدير، والخانقاه، أو التكية التي تطلق بصفة خاصة على المنشآت الصوفية التي يرد أصلها بصفة عامة إلى التصوف الإسلامي عند الفرس.³

ويرى الأستاذ محمد نسيب أنّ مصطلح (زاوية) أو (كتّاب) يأتي في المغرب حوالي القرن الثالث عشر مرادفا (للرابطة)، أي (الصومعة) التي يعتزل فيها الوالي ويعيش وسط تلاميذه، ومريديه ومع ذلك فإنّ الزاوية أو الرابطة ليست في جميع الأحوال هي (الرباط) وهو منشأة تخدم غرضا آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي جدير بنا في هذه المناسبة أن نشير إلى زاوية ابن مرزوق التلمساني المتوفى عام 781هـ/ 1379م الذي خصّ الفصل الثاني والأربعين من رسالته عن أبي الحسن السلطاني المريني المسماة (المسند الصحيح الحسن) بالكلام عن الزوايا التي شيدها هذا السلطان.

وقد ذكر أنّ (الزاوية) هي ما يعرف في الشرق باسم (الرباط) أو (الخانقاه) ويمكن أن نضيف إلى ذلك أنّ كلمة (رباط) تستعمل أيضا في (مراكز) للدلالة على (المنشأة) التي يوجد فيها النشاط العسكري بصفة خاصة إلى نشر الإسلام بحدّ السيف.⁴ بين المارقين وكان هذا يصدق على (رباطي آسفي)، و(سيدي شيكر)، على وادي تنسيفت، ولاشكّ في أنّ صوامع الزاوية الأولى قد نمت سريعا، ولم تصبح أماكن يفزع إليها الناس هربا من الدنيا فحسب، بل أصبحت أيضا مراكز للحياة الدينية والصوفية، حيث عمل العلماء من غير رجال الدين كان التصوف شغلهم الشاغل على تربيته إلى أذهان الجماهير⁵

والمتمأل في المراكز الثقافية في الجزائر حسب الأستاذ محمد طمار يجد أنّ "حركات علمية قامت في بلادنا كان لها مراكز يأوي إليها الطلاب لكسب الشعر والأدب، والفنّ

والحديث، والفلسفة، ونبغ في هذه الفنون علماء كبار، وأهم هذه المراكز (المسجد)، وقد أسست مساجد في المغرب العربي منها مسجد القيروان، ومسجد الزيتونة، ومسجد تلمسان، ومسجد القرويين، وكانت كلها زاخرة بالعلماء حافلة بالدروس المختلفة. و(الكتاب) أسبق أنواع المعاهد العلمية وجودا في العالم الإسلامي، يتعلم فيه الصبيان القرآن الكريم، ومبادئ القراءة، والكتابة، وبدأ تأسيسه في النصف الأول من القرن الأول وكان عبارة عن خيمة تضرب مع خيام الجيش إذ كان الجند يصحب معه خطباء وشعراء، ومعلميه، وكان الولاية يأتون من الجزيرة العربية مصحوبين بأدباء لإنشاء الرسائل، وتعليم الناس الدين، والفقه، والأدب، فللولاية يرجع الفضل في نشر مبادئ الإسلام، وتوطيد دعائم العروبة.

ونشأ بعد ذلك مركز آخر للتعليم عُرف (بالزاوية)، برامجه أعلى من برامج (الكتاب) وتحتوي الزاوية على جامع، ومكتبة، وغرف لمبيت الطلبة، وصار خطرهما يعظم حتى صارت تقام حولها سوق أسبوعية، وربما قرية، وتكون الأراضي التي حولها وقفا عليها وتقام فيها الصلاة، ويعقد الزواج، ويقع الختان.⁶

"والزوايا أنواع: منها التي لم تبني على ضريح ولي، والتي تبني حول ضريح والزوايا الطرقية كانت عديدة عندنا كالقادرية، والرّحمانية، والدّرقاوية، والعيساوية، والسنوسية والتبجانية، والعروسية، وبها تعلم الطريق الصوفية، وتسمع فيها الأناشيد. والتعليم فيها ما بين التعليم الثانوي، والتعليم الابتدائي. ورجال السياسة يعتمدون على شيخ الزاوية في تفسير الفكر العام لما كان له من نفوذ في المريدين. وكانت الزاوية العسكرية، كالبشرية لأبناء زاوية على عهد الفاطميين، وقد ظهر في القرن الرابع مراكز أكثر أهمية مما تم ذكره هو (المدرسة)، وظهرت أولا بخراسان، ثم أسس الوزير نظام الملك المدارس النظامية. ثم أسس (نور الدين زنكي)، و(صلاح الدين) مدارس بالشام، ومصر غايتها نشر المذهب السني، ومقاومة المذاهب الأخرى. وفي القرن الخامس ظهرت المدارس بالجزائر"⁷

المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية: تذكر الأستاذة مختارية تراري أن (المؤسسات التعليمية والتربوية القديمة شملت كلاً من الكتاتيب، والمساجد، والرباطات والمكتبات العمومية، والخاصة، وقصور الأمراء ودور العلماء، وحتى الذكاكين... الخ. وظهر هذا التعليم في أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام هذا الأخير ببعث عشرة فقهاء أهل علم، وفضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام.⁸

ويمكن تحديد أهم هذه المؤسسات التربوية على النحو الآتي:

1- المساجد: (المسجد) هو مكان للعبادة، ومدرسة لتعليم الناس القرآن الكريم والكتابة وتحفيظهم كتاب الله، وهو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات، فهو مركز إعلامي للإسلام، وملجأ لمن لا ملجأ له.⁹

2- الزوايا: ظهرت المؤسسة نتيجة التخلف، والجهل، وانتشار ظاهرة الزهد عن الدنيا والانشغال بالآخرة، وظهرت الزوايا على نطاق واسع في المدن، والقرى وخاصة في العهد التركي، والزوايا بيت أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف، لقراءة القرآن الكريم، وذكر الله تعالى.

وأهم أعمال الزوايا التربوية، والتعليم، زيادة عن أعمالها الثقافية فإنها كانت مركزاً للغرباء، والفقراء، وملجأ للمجاهدين الفدائيين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضدّ الاحتلال الفرنسي للجزائر.¹⁰

3- الرباط: (الرباط) اسم من رابطة مرابطة إذا لازم ثغر العدو، وأطلق هذا اللفظ أيضاً على بعض التكنات العسكرية التي تقام في الثغور يحرس المجاهدون فيها الحدود الإسلامية، والرباطات هي مراكز تشبه إلى حدّ بعيد الزوايا في وظائفها الاجتماعية والثقافية إلا أن مكان تواجدها يكون قريباً من موقع الأعداء (الحدود). ولا تقتصر الرباطات على مهمة الدفاع عن المواطن، والحفاظ على تراثه الإسلامي بل تقوم أيضاً بوظيفة التعليم.¹¹

4- **الكتاتيب القرآنية:** (الكتاب) بضمّ الكتاب، وتشديد التاء، موضع تعليم الكتاب والجمع (كتاتيب) ويظهر أنّ كلمة (كتاب) يقابلها في مناطق أخرى كلمات (كالمسيد) في الجزائر العاصمة... الخ، الكتاتيب، مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ، وتعليم القرآن الكريم للصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير.

وقال العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الشأن: "إنّ التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار، ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسّر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913م جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار."¹²

ويذكر الإمام محمد بن سحنون المكان الذي يتلقون فيه العلم وهو (الكتاب)، ويقول الإمام في رسالته (آداب المعلمين) عن أبيه سحنون عن الصحابي أنس بن مالك أنه قال: (إذا محت صبية الكتاب تنزّل ربّ العالمين بأرجلهم نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره).

... ولما توسّعت الفتوحات الإسلامية، وسارت جيوش المسلمين، خارج الجزيرة العربية، برزت (الكتاتيب) بصورة واضحة، وتعدّدت في كافة المدن، والعواصم والقرى التي حلّ الفاتحون بها، ولا شكّ في أنّ كثرة الفتوحات، واتّساع رقعة الدّولة الإسلامية، وتحمّس الناس الشديد للقرآن الكريم، قد كان سببا لبروز ظاهرة تعدد وانتشار الكتاتيب القرآنية¹³

ويضيف الإمام محمد بن سحنون قائلا:

(وقد كان للمسلمين الأولين من أهل الحجاز، والشام، والعراق، ومصر فضل كبير في هذه الكتاتيب حينما انتقلوا من المناطق المفتوحة في المشرق، وخراسان والمغرب ليعلموا أولادكم، وأبناء المسلمين من أهل هاتيك الديار، آيات كتاب الله وهكذا وجدت الكتاتيب بكثرة في الكوفة، والفسطاط، والقيروان، ودمشق، والإسكندرية وحلب، وغيرها من العواصم. فقد روي عن غياث بن أبي غياث لما كان طفلا في

الكتاب أن الصحابي سفيان بن وهب كان يزور كتّابهم، ويلطف الأطفال، ويدعو لهم بالفتوح، والبركة).¹⁴

وللصبي سنّ معيّنة يبدأ عندها في دخول الكتاب، وسنّ ينتهي بعدها من التعلّم في ذلك المكان، فالإمام محمد بن سحنون، وكذلك أبو الحسن القابسي لم يحدّد لنا سنّ الدخول، أو عدد السنين التي يقضيها الصبي في التعليم. وقد يستنتج ذلك من خلال ما كتبه . يقول د/ إبراهيم سلامة :

"إنّ الطفل بعد أن يتلقّى التعلّم في المنزل يذهب إلى الكتاب، في السابعة من عمره. والحديث المتّبع عند المسلمين: (علّموا أولادكم الصلاة إذا كانوا بني سبع واضربوهم عليها إذا كانوا بني عشر، ثم ذكر: "كان هذا أغلب، وهناك حالات كان الأطفال يدفعون فيها إلى المعلمين في سنّ الخامسة، والسادسة".¹⁵

ويقول الشيخ محمد بن سحنون: (وينبغي للمعلّم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر) وكذلك قال مالك.¹⁶

وتختلف هذه المساحة من كتاب إلى آخر، وغالبا ما يشتمل (الكتاب) على أربع حجرات واحدة لتعليم الصبيان، والثانية سكن للطلبة الأفاقين، والثالثة للصلاة، والرابعة للمؤونة، والأدوات الضرورية، زد على ذلك أنّ هناك مرافق للوضوء، والوقود والطبخ وغيرها، ومثل هذه الكتاتيب توجد بكثرة بنواحي ندرومة منها كتاب أولاد عباس والحوانات، مسيردة... والتي لا زالت قائمة لحدّ الآن، يمكن للزائر أن يشاهدها عن كتب¹⁷

ويوجد (الكتاب) على العموم، ضمن أحد المنازل بالحي، ملحقا بالمساجد، وكان ببني (الكتاب) شخص احتسابا لمرضاة الله تعالى، أو قد يكتريه معلّم عن صاحبه ليعلم فيه ينقاضها من أولياء التلاميذ، وفيما يخصّ التجهيز، فعادة ما يجلس التلميذ على حصائر مصنوعة من الدّيس، أو على مقاعد خشية هي عبارة عن لوحات من الخشب المتّصل، والمستطيلة الشكل، والتي لا تكاد لا ترتفع إلا بسنتمرات على سطح الأرض. إلّا أنّ متطلبات التطوّر المستمر أدّى إلى تغيير طرأ على الكتاب يتعلّق الأمر

باستخدام مواد البناء الحديثة والتي بدأت تشق طريقها للتأثير بشكل أو بآخر على تخطيط، وبناء الكُتاب¹⁸.

وظيفة الكُتاب: (الكُتاب) مؤسّسة من المؤسّسات القديمة في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة. ويمكن تلخيص أهم أدوار (الكُتاب) في القيام بالوظائف التالية:

- 1- تحفيظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛
- 2- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء، والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛
- 3- ضمان اكتساب المجتمع الحدّ الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء، واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛
- 4- تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية؛
- 5- كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاء إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسية.¹⁹

خصائص التعليم الكُتابي: يميّز التعليم الكُتابي بعدة خصائص تميّزه، عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة ويمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

- 1- إمكانية التعليم الكُتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية، والفقيرة
- 2- شعبية التعليم الكُتابي، معناه أنّ هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛
- 3- التعليم الكُتابي لا يتطلّب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية، من حيث التجهيز والتخطيط؛
- 4- إنّ التعليم الكُتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها
- 5- ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلّم، وهذه الاتجاهات توفّر جواً خالصاً للعمل والفعالية؛

6- إنَّ التعليم الكُتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

7- ارتباط التعليم الكُتابي في نشأته، وتطوُّره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكُتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛

8- إنَّ الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحه، والحبر المحلي، وأدوات المحو... الخ، هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحليّة؛

9- إنَّ الكُتاب مؤسّسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي إلا أنَّ الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل ظهور العلماء الأجلّاء، وحماة وحفظة القرآن الكريم قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية.²⁰

أما عن الطريقة التربوية بالكتاتيب القرآنية فيشير الدكتور رباح تركي إلى الطرق المستعملة بقوله: (..تسود في الزاويا، والمساجد طريقة الحفظ، والتلقين... فالمعلم هو الذي يشرح وهو الذي يحلّل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلّمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات)²¹

وفي هذا الموضوع يشير عبد الرحمن بن خلدون إلى أنّ "أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم، ومسائله..."²² وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أم الكتاتيب هو حلقة الدرس، حيث يجلس المعلم، ويتجمّع حوله مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلم يستند إلى نصّ مكتوب، بل يعتمد هو الآخر على ذاكرته في إلقاء دروسه، وسرعان ما بدأ في استخدام المذكرات حاليا، ومن هذا المنطلق صار الإملاء، والاستملاء أسلوبا له قواعده المحدّدة من طرف المعلمين.²³

وكانت مدّة الدراسة في (الكُتاب) تستمر إلى خمس سنوات تقريبا إلا أنّ نظام التعليم الإسلامي لا يضمن للتلميذ مرحلة متوسطة أو مرحلة سابقة لمرحلة التعليم بالمسجد وعلى التلميذ الراغب بعد تخرّجه من (الكُتاب) الاستمرار في التعليم أن يبحث لنفسه

عن حلقة بالمسجد، أو مقعدا بالمدارس تعده للدراسات المتقدمة غير أنّ أغلب التلاميذ يقع اختيارهم على حرفة أو صنعة.²⁴

الطريقة العلمية السديدة في التعليم بالكتّاب: تذكر الأستاذة مختارية تراري أنّ التلميذ عندما يحضر لأول مرة إلى (الكتّاب) يُقَدَّم (الفُقيهِ) لوحة، ويُسجَل فيها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيسجَل عليها سورة الفاتحة ثم يبدأ المعلم في تلقين التلميذ هذه السورة جملة ليحفظها سماعا بدون تهجين، وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلا يحوها بماء طاهر، ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها في الشمس، أو قرب النار لتتشف، ثم تسطرّ بقلم الرصاص، ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ، بالتلقين وبالسماع، وهكذا صعدا مع المصحف.

أما حروف الهجاء فتبقى مسجّلة في تلك الجهة من اللوحة لمدة أشهر حتى يحفظها التلميذ عن ظهر قلب، يحفظها أولا بأسمائها: ألف، باء، ...ياء، همزة، ثم ينتقل التلميذ إلى نطقها هكذا باللغة العامية: (ألف ما ينطقش)، الباء وحدة من تحت ...الخ ثم ينتقل التلميذ إلى معرفة الحروف، وأشكالها، ومعرفة وجه الشّبه بينها، وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها التلميذ كل يوم، وينطلق بها هكذا: الألف كالعصا، الجيم كالمخطاف، وهكذا حتى آخر حرف.

وبعد هذا كلّه ينتقل التلميذ إلى معرفة كيفية النطق بالحروف، وللطفل سورا من القرآن الكريم، في جهة من اللوح، ثم تأتي مرحلة ثانية تتمثل في كتابة المعلم سطورا من القرآن الكريم من اللوح، وعلى التلميذ أن يمرّ بقلمه الغليظ على ما كتبه المعلم.²⁵ ثم تأتي المرحلة الثالثة يكتب المعلم سطرا، ويتركه فارغا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه معلمه في السطر الأعلى محاكيا إياه، والقصد من هذه المرحلة الأولية يتمثل في تدريب التلميذ على حسن إمساك القلم، والتحكّم فيه صعودا، ونزولا، ومشيا به إلى الأمام وإلى الخلف، ورفعها للتقيط، وهكذا.

أما المرحلة الثالثة: يكتب المعلم سطرا، ويترك سطرا فارغا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه معلمه في السطر الأعلى محاكيا إياه، والقصد من هذه المرحلة الأولية يتمثل في

تدريب التلميذ على حسن إمساك القلم، والتحكّم فيه صعودا ونزولا، ومشيا به إلى الأمام، وإلى الخلف، ورفع له للتقيط، وهكذا.

أما المرحلة الرابعة: فيأتي دور تهجي التلميذ الكلمة التي يملئها عليه المعلم فيعدّد حروفها، ويرجع عند كلّ حرف يريد كتابته إلى حروف الهجاء المرسومة في اللوحة ويسجّل الحرف المعنى بصورته، وحركته، وينقّطه إن كان يحمل نقطة، وهكذا.

ومجمل القول لدى الباحثة مختارية تراري أنّ الطريقة التربوية التعليمية التي كانت متبّعة في الكتاتيب هي قديمة، وجدت مع وجود هذه المؤسسات، وبالرغم من أنّ هذه الطريقة لها ما يعاب عليها إلاّ أنه لا يجب أن ننكر مدى فعاليتها في شتى المجالات الخفية، الاجتماعية، التحفظية، ومحو الأمية.... الخ. والنقد القائل هو أنّ الطريقة المتبّعة في هذه المؤسسات الدينية قد أهملت بصفة كاملة نفسية الطفل من حيث قدراته العقلية واستعداداته، وميولاته لا يجد له الآن مبررا قاطعا في ذلك لأن معظم الكتاتيب الحالية، وخاصة بعد ظهور علم النفس، واستقلاله عن الفلسفة، أصبحت تنظر إلى الطفل على أنه ينفرد بشخصيته التي تميزه عن الآخر، وإن أهملت الحقبة الزمنية القديمة التي عاشتها الكتاتيب نفسية الطفل فذلك عيب العصر كلّه.²⁶

دور الكتاتيب في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية ومبادئ اللغة العربية:

يذكر الأستاذ محمد نسيب أنّ (الكتاتيب، وزوايا القرآن الكريم، والعلم، والتربية في الجزائر المحروسة كانت طيلة قرن وثلاث قرن من الاحتلال الفرنسي، حصنا للثقافة الإسلامية، ومنهلا عذبا للغة العربية، ومدرسة عريقة للتربية الدينية الصحيحة والوطنية العريقة، ومعقلا للمجاهدين الأحرار الذين رفضوا الاستعمار الفرنسي، وما يحمل من فساد.

ولقد كانت هذه الكتاتيب والزوايا البسيطة روافد المدارس الحرّة في الجزائر وتزوّد المعاهد، والجامعات الإسلامية في المغرب والمشرق كالجامع الأخضر بقسنطينة وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، والجامع الأزهر الشريف بمصر فبعض

هؤلاء الطلبة الذين تحتضنهم هذه المعاهد، والجامعات الإسلامية أبناء الزوايا والكتاتيب القرآنية التي بعثت فيهم الروح الإسلامية، والغيرة الوطنية، والهوية العريقة الصحيحة. وفي هذه الزوايا والكتاتيب نشأ، وترعرع هؤلاء المصلحون المجاهدون أمثال الأمير عبد القادر، والشيخ بلحدّاد، والشيخ بوعمامة، والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ العربي التبسي، والشيخ المبارك الميلي والشيخ أرزقي الشرفاوي، والشيخ المولود الحافظي، والشيخ الفضيل السورتلاني والشيخ السعيد أبهلول، وكلهم أبناء الكتاتيب، والزوايا، وأمثالهم كثيرون.

لقد كانت هذه الزوايا محطّ الرّحال لطلبة القرآن الكريم، واللغة العربية، والعلوم الإسلامية، وكانت ملجأ للفقراء، والمساكين، تأوى الغرباء، والعجزة، وتطعم الجائعين وأبناء السبيل، هذه الكاتيب والزوايا المعروفة في الجزائر هي كتاتيب القرآن واللغة العربية، والعلوم الدينية، وبعد احتلال الفرنسيين للجزائر خطّط الاستعمار الفرنسي لإفساد العقول، وتدمير النفوس، وتخريب العقائد، وتشويه كلّ مظهر إسلامي وإخراص كلّ لسان عربي، حتى لا يعبر عن شعور الأمة، وآلامها، وكبت غضبها ونزع أحاسيسها الدينية، والقومية، والوطنية، وفصلها عن ماضيها، وتراثها وحضارتها ويجعلها أمة بلا أصول، ولا جذور، فتتعرّض للهزات العنيفة، والتيارات الجارفة، بل أن الاحتلال الفرنسي لم يكتف بهذا، ولم يقنع، فراح ينشئ مراكز التبشير في القرى والمدن لتغيير هذه الأمة، وتحويلها من الإسلام إلى المسيحية، ومن الإيمان، واليقين إلى الشك، والذبذبة ... ولكن المبشرين فشلوا في مهمتهم، ولم يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم الدنيئة لأن القلوب تحصّنت بالإيمان، فلم يجدوا إليها سبيلا، ولا منفذا، وكلما حاولوا الاقتراب منها أحرقتهم الأشعة النورانية التي أودعها الله تعالى في تلك القلوب المؤمنة الطاهرة الصادقة فيئس الاستعمار الفرنسي من تحويل هذه الأمة، والوصول إلى أغراضه، مادامت زوايا القرآن الكريم تحتضن أبناء الأمة والقرآن العظيم يتلا فيها صباح مساء، والجبال تردد صداه على مسامع الناس في كلّ لحظة، وتيقن الاحتلال أنّ الأمة لن تضلّ، ولن تزيغ ما دامت تسمع القرآن يتلا في بيوتها، ويحفظ في صدور

أبنائها، وشيوخها، وأطفالها نقيًا لم تمتدّ إليه يد التغيير والتحريف كما فعل بالتوراة والإنجيل . أما القرآن العظيم فلم يقدر أحد أن يحرف آية من آياته، أو يغيّر حرفا من حروفه، مادام يحفظ في الصدور شكلا، ومضمونا، والله سبحانه وتعالى وعدنا بحفظه حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر الآية 9.

تلك هي معجزة الإسلام الخالدة، وعظمة هذا الدين الحنيف الذي حطّم الأصنام وحرّر العقول من الجهل، والخرافات، والأوهام، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور.²⁷

أما عن موقف الاحتلال الفرنسي من مقومات الأمة فقد (وقف حائرا حيث وجد الأبواب مغلقة في وجهه، والطرق مسدودة أمامه لم يجد منفذا يتسرّب منه إلى داخل الأمة المعتمنة بالقرآن الكريم، المتمسكة بالإسلام، ففكّر كعادته في ضرب كتاتيب وزوايا القرآن، والثقافة الإسلامية، وعمل على طمسها، وتشويه سمعتها ثم القضاء عليها بطرق الحيل، والفساد، والمكر، والخداع، فاستولى أولا على أموال الأوقاف (الأحباس)، وقطع عنها موارد الرزق، وجمع المساعدات ظنا منه أنه بهذه الطريقة سيقضي عليها بلا شك، بل لم يكتف بهذا العمل المخزي للإنساني فعمد إلى التشويه والتزييف، والمغالطة، فراح يحرّض، ويشجّع ذوي النفوس الخبيثة، والضامير الميتة والهمم الساقطة في القرى، والمدن يسمونها (الزوايا) أي زوايا البندير والزرادي، زوايا المناكر، والضلالات، والبدع... حتى تختفي زوايا القرآن وكتاتيب العلم، وتبرز زوايا الشعوذة، والدروشة، والبندير، والزرادي، فينقلص دور الكتاتيب القرآنية، والمعارف العلمية، وتتشابه الأعمال، وتختلط الأمور كما يختلط الماء باللبن فيوهموا الناس ويضللوا العقول حتى يصبح معظمهم لا يفرقون بين زوايا وكتاتيب القرآن، والعلم وزوايا الشعوذة، والدروشة، والوعدات، والبندير..فهؤلاء المغفلون تراهم يسبحون في عالم الخيال، والأوهام، ويتخبطون في ظلمات الجهل، رؤوسهم محشوة بالبعج والخرافات، والأكاذيب، فهم لا يفرقون بين عالم، ودجال، ومصالح، وفساد، ناصح

وغشاش، فإذا المشعوذ المحتال أصبح صنما يقدّس، فخضعت له الرقاب وانحنت له الرؤوس، وانقادت له النفوس، واستجاب له العباد .

أما العالم المصلح المجاهد الذي يوقظ النيام، ويدعو للإيمان، والعمل والعلم والإصلاح، وتحرير العقول من الخرافات، والأوهام، وترك عبادة القبور والأشجار عن الدجالين، والمشعوذين، وترك استشارة الكهّان، والدرائش، والسحرة فكلّ هذه الأعمال أعمال الجاهلية، وسلوك الجاهلين، فهذه الأعمال الجاهلية لا تزيد الأمة إلاّ ضلالاً وعمى، بكلّ من تحرر من الجهل، وخرج من الجاهلية، وتبرأ من سلوك الجاهليين اعتبروه كافراً ملحداً، ومشوّشاً، يريد إزعاجهم، وإفلاقهم، وإفساد حياتهم وتنغيص عيشتهم لأن هؤلاء الدجالين المحترفين المحتالين لا يعيشون إلاّ حيث الغفلة والجهل، والسذاجة، فهم أشبه بالجرائم التي لا تعيش إلاّ في الأجسام السقيمة العليلة الهزيلة التي لا قوة لها، ولا مناعة .

ولذا نرى هذه الطائفة في كلّ زمان، ومكان تحارب العلماء المصلحين وتحاول قتلهم، وطردهم من البلاد، حتى لا يفسدوا عنها حياة الزردات، والوعدات حياة الخمول والبدع، والمنكرات...كانت هذه العوامل سبب الجمود، والتوقّف عن التقدّم.²⁸

الكتاتيب والشخصية الوطنية: لا جرم أنّ هذه المدارس الشعبية، والمعاهد الإسلامية البسيطة المتواضعة²⁹ قد استطاعت أن تحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة، واستطاع هذا التعليم البسيط في شكله، ومظهره في أسلوبه، ومنهجه، القوي في روحه الغني في محتواه السليم في جوهره أن ينجح، لأنه لم يفقد فاعليته، ولم تبرد حرارته رغم المكائد والمحن، والعزلة، والإبعاد، وتجريده من جميع الوسائل حتى الضروريات منها.

لقد استطاع تعليم الألواح، والحصير أن يؤثّر في الأرواح، ويُغيّر النفوس، ويصقل العقول، ويُبهرّ القلوب، فيصنع رجالاً صادقين، مصلحين، مجاهدين أعادوا الثقة إلى النفوس، وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الثقة التي فقدها، أو سلبت منهم، وطوبى للذي يستطيع أن يعيد الثقة إلى النفوس، ويعيد الحياة إلى الأمة، فعودة الثقة كعودة الروح

للجسد أو عودة الربيع للطبيعة بعد عواصف الشتاء، فلا حياة للمسلمين، لا قوة ولا حضارة، ولا نهضة، ولا انطلاق إلا بنبقة النفس والإيمان بقدرتها، والاعتماد عليها³⁰ مجمل القول أنّ الكتاتيب القرآنية، والزوايا، والمساجد، والمدارس الحرّة في الجزائر قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وتقوية الشخصية الوطنية والمحافظة على القرآن الكريم، واللغة العربية الجليّة، والعلوم الإسلامية، فوقفت في وجه الكفر والإلحاد، والإلماج، والفرنسية، وكل العادات، والأخلاق الأجنبية، المخالفة لحياتنا الاجتماعية، وقيمتنا الدينية حتى يبقى المجتمع سليما معافى من الأمراض النفسية والاجتماعية التي تنتسب إليه عن طريق التعليم، والاحتكاك، كل ما يحمله الاستعمار من ثقافة، وحضارة، ونظم، وسلوك، وعادات رفضها الشعب الجزائري لأنه يعتبرها شراً وفسادا فلم يأخذ منها شيئا، لهذا نرى أنّ نظرة من يتهمون هذه المؤسسات الدينية بالجمود، والانغلاق كانت سطحية، وتفكيرهم كان قاصرا فلو تعمقوا، وحلّلوا عرفوا الحقيقة، وفهموا معنى الانغلاق...³¹

وهذه المؤسسات هي: المساجد، والزوايا، والكتاتيب القرآنية، والمدارس الحرّة المنتشرة في قرانا، ومدننا، في جبالنا، وصحرائنا، وهي مؤسسات قامت على أكتاف المؤمنين المصلحين، المخلصين، المجاهدين من أبناء هذا الشعب المسلم الذي يحمل إرادة التحدي، والرفض.

وكيف يعقل أن ننسى هذه المؤسسات الشعبية، وتعليمها الديني، والوطني وجهادها الطويل، ونضالها المرير، فلولاها ما صمدت الجزائر في وجه الاحتلال البغيض قرنا واثنتين وثلاثين سنة من الصراع مع تلك الأفعى التي تنفث سمومها في جسم الأمة وتحاول ابتلاعها في كل لحظة.

إنّ زوايا التعليم، والكتاتيب القرآنية كانت عقبة أمام الاحتلال الفرنسي، وجدارا في وجه التبشير، والتنصير، والتجسس، والنقرس... تصدت للغزو العقائدي، والفكري والثقافي، وكل ما يحمله الاستبداد لبلادنا، لا بالقوة، بل بالعدي، والاعتزاز بالنفس

وكرهية أشياء الاحتلال، والنفور منها، لأن الاستبداد شرّ، وكلّ ما يأتي من الاستبداد فهو شرّ يجب رفضه، والابتعاد عنه.

فكان أهمّ ما قامت به الزوايا، والكتاتيب المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وأسس اللغة العربية ودعائمها، وكذا المحافظة على القرآن الكريم، وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة، ورسمًا، وتلاوة، وتجويدًا حتى لا تمتدّ إليه يد التحريف، والتغيير، ويتلا صباح مساء في المساجد، والبيوت فرادى، وجماعات وبذلك قطع الطريق أمام أعداء الله، وأعداء الوطن والإسلام، والمسلمين فوقفوا أمام هذه القراع، عاجزين فاشلين لأن الله تعالى تكفّل بحفظه.³²

نستنتج مما سبق أنّ الكتاتيب كانت دائمًا حجر عثرة، وعقبة أمام الاحتلال الفرنسي، وحصنًا حصينا، وجدارًا حديديًا في وجه التبشير، والتنصير، وطمس الهوية الوطنية، التي كانت قائمة على ثلاث دعائم الإسلام، والعروبة، والمزيغية، فلولًا لتلك المؤسسات الشعبية لا سيما الكتاتيب ما صمدت الجزائر المحروسة في وجه الاحتلال الفرنسي البغيض قرنا واثنتين وثلاثين سنة من الكفاح، والصراع مع الاستبداد البغيض. وقد تخوّف الاحتلال الفرنسي أيضًا من التعليم الديني، واللغة العربية

الخاتمة: في نهاية هذه الورقة العلمية أصل إلى جملة من النتائج يمكن تحديدها على النحو الآتي:

1- الزاوية أو الكتاب هي في الأصل ركن البناء، وكانت في بداية الأمر تُطلق على الصومعة التي يسكنها الراهب المسيحي، ثم أُطلقت على المسجد الصغير أو على المصلّى، ولا يزال للمصطلح هذا المعنى عند معشر المسلمين في الشرق، ذلك أنهم يفرقون بينها، وبين المسجد الذي يفوقها شأنًا.

2- من الثابت في العقول، والقائم في النفوس أنّ كتاتيب القرآن، وزوايا العلم والتربية في الجزائر طيلة قرن، وثلاث قرن من الاحتلال الفرنسي حصنًا للثقافة الإسلامية، ومنهلا عذابًا، وموردا صافيا للغة العربية، ومدرسة للتربية الدينية

والوطنية، ومعقلا للمجاهدين، الأحرار الذين رفضوا الاحتلال، وما يحمله من عُين وفساد، وظلم، واستبداد.

3- لقد كان للكتاتيب دور فعّال في غرس روح الانتماء للأمة الجزائرية العزيزة ودعائم الدين، ومبادئ اللغة العربية التي كانت دون منازع لغة القرآن الكريم وبذلك تحققت عزّة الأمة، ورفاهية الوطن، وتم طرد الاحتلال من بلادنا شرّ طردة وانهزم شرّ هزيمة بفضل نية المخلصين لهذا الوطن الحبيب.

4- الكتاب مؤسسة من المؤسسات القديمة في الأمة الجزائرية حيث كانت تقوم بوظيفة هامة، ورسالة نبيلة، في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة، ولعلّ أهم أدوار الكتاب تمثل في تحفيظ القرآن الكريم، والمحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية الجزائرية، وذلك بالذود عن أهم مقومات البقاء، والاستمرارية للثقافة والشخصية الجزائرية، والهوية الوطنية، مع وجوب تعليم اللغة العربية التي تعدّ إحدى ثوابت الأمة الجزائرية، وبالتالي تحصين المجتمع من الاستيلاء الحضاري للاحتلال الفرنسي لبلادنا.

5- من خصائص التعليم في الكتاتيب، الوزوايا القرآنية إمكانية التعليم الكتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بمن فيها الطبقة الغنية، والفقيرة، وشعبية التعليم الكتابي معناه أن هذا التعليم مرتبط أشد الارتباط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي.

6- إنّ الكتاتيب، وزوايا العلم في الجزائر كانت حصون القرآن الكريم، ومعقل الإسلام، ومناهل اللغة العربية طيلة أيام الاحتلال الفرنسي البغيض، الأيام التي مُنع فيها الحرف العربي من الظهور في شوارعنا، وعلى متاجرنا بل حتى العربية من الظهور في شوارعنا بل حتى أسماءنا، وأسماء مدننا فرنست، وقد فرنسوا كلّ شيء.

مكتبة البحث:

- 1- زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر دمشق، سوريا، دار الفكر الجزائر المرادية، مطبعة النخلة بوزريعة، الجزائر، دون تاريخ الطبع.
- 2- كتاب آداب المعلمين، محمد بن سحنون، تقديم وتحقيق ومقارن: د/ محمود عبد المولى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سلسلة ذخائر المغرب العربي الطبعة الثانية 1981.
- 3- تاريخ الأدب الجزائري، محمد طمار، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة الجزائر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
- 4- المغرب العربي تاريخه وثقافته، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
- 5- صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي تأليف: نور الدين عبد القادر (1385-1965) نشر كلية الآداب الجزائرية.
- 6- الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى سنة 1977، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
- 7- أزمة التعليم المعاصر نظرة إسلامية، زغلول راغب محمد النجار، مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الأولى 1980.
- 8- التربية ومتطلباتها، بوفلجة غياب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984.
- 9- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، رابح تركي الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- 10- التعليم القومي والشخصية الوطنية، رابح تركي، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى.
- 11- المقدمة لابن خلدون، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الرابعة 1426هـ-2005م.
- 12- المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات، د/ عبد القادر فضيل، تقديم الأستاذ عبد الحميد مهري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية 1434هـ-2013م.
- 13- اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، د/ عبد القادر فضيل، تقديم: د/ العربي ولد خليفة دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية 1436هـ-2015م.

- 14- من أعلام الإصلاح في الجزائر، أ/محمد الحسن فضلاء، دار هومة بوزريعة الجزائر 2000.
- 15- مشايخ خالدون وعلماء عاملون، محمد بن اسماعيلي، مطبعة الكاهنة الدويرة الجزائر الطبعة الثانية 1420هـ/1999م.
- 16- بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائري وتونس وليبيا، عبد الجليل التميمي منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني تونس، مطبعة الإتحاد العام التونسي، جوان 1985م.
- 17- تاريخ الجزائر الثقافي، د/أبو القاسم سعد الله، دار البصائر الجزائر.

الهوامش والإحالات:

- ¹- ينظر: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر دمشق، دار الفكر الجزائر ص27
- ²- عن دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر ص331-333
- ³- ينظر: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر، دمشق، دار الفكر الجزائر ص28.
- ⁴- ذلك رأي المستشرقين على اختلاف مدارسهم، فالإسلام نشر بالإقناع، والسلوك الفاضل والأخلاق السامية للدعاة
- ⁵- زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، ص28.
- ⁶- ينظر: تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمار، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م، ص19.
- ⁷- ينظر: تاريخ الأدب الجزائري، محمد طمار، ص19-20.
- ⁸- ينظر المقال (التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة) مجلة إنسانيات، مختارية تراري، 14-15 / 2001، ص 57-66.
- زغلول راغب محمد النجار، أزمة التعليم المعاصر نظرة إسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت ط1 1980م، ص176.⁹
- ¹⁰- عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة، ديوان المطبوعات الجامعية 1983م، ص80.
- ¹¹- بوفلجة غياب، التربية ومتطلباتها، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص 27.
- ¹²- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، د/ رابح تركي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص79.
- ¹³- ينظر: كتاب آداب المعلمين، محمد بن سحنون، تقديم وتحقيق مقارن د/ محمود عبد المولى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1981م، ص61-62.
- ¹⁴- ينظر كتاب آداب المعلمين، محمد بن سحنون، ص63.
- ¹⁵- دائرة المعارف الإسلامية (النص الفرنسي) : 411/3. ينظر تفاصيل عن تطور الكتاتيب في عهد بني أمية، وبني العباس في كتب (التربية والتعليم في الإسلام، للدكتور طلس ص66-93 .
- ¹⁶- كتاب (آداب المعلمين)، محمد بن سحنون، ص63، وينظر: كتاب (التربية في الإسلام) د/ الأهواني، طبعة 1968، ص 59.

- 17- عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900-1977 مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1980، ص19-20 .
- 18- التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة مختارية تراري، مجلة إنسانيات 14-15 / 2001/ ص57-66 .
- 19- زايد مصطفى، المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة، الجزائر، المجلة الثقافية، العدد93 وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، 1986م ص129.
- 20- ينظر المقال الإلكتروني (التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر)، مختارية تراري، مجلة إنسانيات، ص57-66.
- 21- تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص236.
- 22- المقدمة، لابن خلدون، مطبعة محمد عاطف، جمهورية مصر العربية، بدون تاريخ الطبع ص416.
- 23- السمعاني، كتاب الإملاء والاستملاء، حرره ماركس فايز، 19582.
- 24- ينظر مقال الأستاذة مختارية تراري، مجلة إنسانيات، 14-15 / 2001، ص57-66.
- 25- عبد الرحمن ابن أحمد التيجاني، المرجع السابق، ص37-38.
- 26- مختارية تراري، المقال الإلكتروني السابق، ص57-66، مجلة إنسانيات، العدد14-15 / 2001. <http://journal.openedition.org/insaniyat/9664> .
- 27- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر دمشق -سورية، دار الفكر الجزائر ص33-34.
- 28- المرجع نفسه ص35-36.
- 29- كانت هذه المؤسسات الإسلامية تؤدي رسالتها في ضعف إلا أنها حافظت على تراث هذه الأمة من التلاشي والانقراض، ومكنت بعض أبنائها أن يكونوا رُسل النهضة، والحضارة العربية الإسلامية الحديثة .
- 30- زوايا العلم والقرآن في الجزائر، محمد نسيب، ص44-45 .
- 31- المرجع نفسه ص46.
- 32- المرجع نفسه ص49-50.

دور الكتاتيب في بناء الحصيلة اللغوية عند الطفل

د. رشيدة بودالية

جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة

تمهيد: إن محاولة جمع الأسباب التي أدت إلى ضعف الحصيلة اللغوية عند النشء لا يمكن حصرها، ولكن يمكن معرفة نتائجها، والمتمثلة بصفة جلية؛ في عدم امتلاكهم الألفاظ المناسبة، والصيغ الملائمة، والتركيب والأساليب الفصيحة التي تساعدهم على امتلاك القدرة على التعبير الطليق، والكلام السلس بالعربية الفصيحة.

إن ضالة محصول الطفل من مفردات اللغة، وصيغها، وتركيبها؛ ليس مردّه إلى قلة المصادر التي يستقي منها حصيلته اللغوية، ولكن مردّه إلى عدم توجيهه التوجيه الصحيح للارتواء منها، ولنا أن نشير -هنا- إلى أرقى مصدر يمكن الأخذ منه اللغة الراقية في جميع مستوياتها، وهو: القرآن الكريم.

لقد أثبتت الدراسات أنه باستطاعة الطفل؛ امتلاك اللغة منذ ميلاده إلى سن الثانية عشرة من عمره، وأنه يمكنه استعمالها استعمالا صحيحا، وتوظيفها توظيفا راقيا، ولا يقتصر الأمر على بناء المحصول اللغوي، وإنما يتجاوز به إلى بناء شخصية ناجحة لها القوة على إظهار قدراتها الفكرية والإبداعية، ولا وجود لحصيلة لغوية، وسلاسة تعبيرية إلا بكم واف من الألفاظ، وهذا يحصل بالقراءة، والحفظ، والممارسة منذ الصغر، فهل للكتاتيب القدرة على بناء الحصيلة اللغوية عند الطفل؟ كيف يمكن للكتاتيب أن تطور استراتيجيتها التعليمية لتكون محطة إقبال للنائشة؟ ما هي السبل الممكنة لإقناع الأسرة -

قبل الطفل - بضرورة إلحاق الأبناء بالكتاتيب بدلا من روضة الأطفال؟ كيف يمكن للكتاتيب أن تكسر بعض آراء علم النفس الغربية التي تدعو إلى اللعب بدلا من الحفظ؟ إشكاليات عديدة تطرح في هذا الموضوع، تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن المهمّ منها، لترسيخ فكرة مفادها: ضرورة العودة إلى الكتاتيب، وجعلها البداية الأولية

للتعليم عامة، ولبناء الحصيلة اللغوية خاصة، ولتمكين الفرد من وضع تصور حضاري لمجتمعه.

الكلمات المفتاحية: دور الكتاتيب - الحصيلة اللغوية - القدرات الفكرية.

مفهوم الحصيلة اللغوية¹: الحديث عن الحصيلة اللغوية وكيفية بنائها، مرتبط بالاكتساب اللغوي، الذي تهتم به الدراسات اللسانية الحديثة، والذي يدرس في إطار علم النفس اللغوي، وتتمثل اهتماماته في اكتساب اللغة، وإنتاج الكلام، وفهمه. ومما لا شك فيه أن الوظيفة الأساسية للغة «هي التعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات، أو وسيلة لتوصيل الأفكار (...)» يقول (هنري سوي H.Sweet): إن اللغة هي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في الكلمات...² فهي بذلك وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل في حياتهم، والحصول عليها متوقف على إتقان أصواتها وكسب كلماتها.

ويعتبر علماء النفس اللغوي؛ الحصيلة اللغوية هي: عدد الكلمات التي يحفظها المتعلم ويعرف معانيها، لهذا جاء في مفهومها الاصطلاحي أنها تعني «المقدرة اللغوية على امتلاك المرء عددا أكبر من الألفاظ ومعانيها، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين (...)»، وتتضمن عدة مهارات، هي: التواصل، الكتابة، الفهم التكري، تحصيل المعرفة، امتلاك الثقافة، تحقيق الهوية الوطنية...³

لا ترتبط الحصيلة اللغوية بما يمكن أن يمتلكه الفرد من ألفاظ، أو مقدرة على الكلام وإنما تشمل مجالات أوسع: كامتلاك تلك الشخصية القوية التي تمكنه من التواصل مع الآخرين، والقدرة على الفهم والكتابة والقراءة، فيكون له رصيد معرفي وتتوسع ثقافته وبالتالي تتحقق هويته الوطنية التي لا تهزها ريح مهما كانت عاتية.

شروط الحصيلة اللغوية

1 - قراءة النصوص الفصيحة وحفظها: يتم بواسطة مزولة الفصاحة قراءة وكتابة وكلاما، وبالحرص على بناء اكتساب اللغة، وتمييزها، والمثابرة على الرقع من المستوى اللغوي، وقد نوّه إلى ذلك (بجبي بن خالد) ناصحا ولده: «اكتبوا أحسن ما

تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وحدثوا بأحسن ما تحفظون، وخذوا من كل شيء طرفاً، فإنه من جهل شيئاً عداه.⁴ هي نصيحة تلخص مدى ضرورة انتقاء ما هو أجود من اللغة؛ حتى يتمكن الطفل من استعمالها في تعبيره أثناء حديثه، أو كتابته، ولا يستقيم لسان الإنسان بأعذب الكلام إلا إذا ثابر على القراءة، وحرص على مطالعة أمات الكتب التي تحتوي جواهر اللغة التي نطق بها العرب قديماً وحديثاً.

بهذا الحرص على التعلّم والقراءة؛ تتطور لغة الطفل، من خلال اكتساب مفردات عديدة، وجمل كثيرة؛ تمكّنه من التّواصل دون خوف من مواجهة الآخر؛ ويمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أنه إذا عمل كل فرد في المجتمع العربيّ على تطوير لغته وجعلها فصيحة، باتباع تقنية قراءة النصوص الجيدة وحفظها؛ فإنهم سيعيدون للغة العربية مجدها الحضاريّ، ومكانتها الرفيعة، وفي هذا يقول (عبد الكريم اليافي): «وتعود العربية في العصر الحاضر تنبؤاً مكانتها شيئاً فشيئاً بين غمار اللغات، إذ تبرز معالم المجتمع العربيّ الواسع ناصعة كقرص الشمس من وراء ظلام الاستعمار الذي غشي أرضه، وحجب سماءه، ونهب خيراته، ومزق أوصاله، وعاق حركة الحياة الأصيلة فيه ولا سيما أنّ وطن ذلك المجتمع أوسع الأوطان رقعة إذ يؤلف عشر مساحة المعمورة.⁵ القراءة ظاهرة حضارية وعادة اجتماعية، وقد أكد القرآن الكريم على أهميتها في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق: الآية: 01] وفيها «دعوة للقراءة؛ قراءة كل شيء (...) ونحن العرب أمة خلقت لتقرأ، وهذه قمة الحداثة؛ ظهرت إرهاباتها منذ أربعة عشر قرناً في أعظم متن عرفته البشرية.»⁶ وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝۱ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝۲ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝۳ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝۴﴾ [الرحمن: 1 - 2 - 3 - 4]، دلالة على أنّ الوجود الحقّ يتمثل في القراءة والتعلّم ابتداءً، وفي هذا تكريم للإنسان. وتعتبر القراءة في عالمنا المعاصر أهمّ وسيلة للتواصل؛ لأنها تعدّ الإنسان للحياة المؤثرة المتجددة، وقد سئل (فولتير Volter): «من سيقود البشر؟» فأجاب: «الذين يعرفون كيف يقرؤون وكيف يكتبون.»⁷

تتزايد أهمية القراءة في عالم يشهد التقدّم التكنولوجي والتفجّر المعرفي، ويكاد يحتلّ فيه الكمبيوتر والشبكة مكان الصدارة⁸، وبالرغم من تعدّد مصادر المعلومات في وسائل الاتصال الحديثة، والوسائل التكنولوجية، «إلا أنّ القراءة لم تفقد مكانتها، ولم يتراجع دورها في عملية التعلّم والتعليم؛ بل ازداد دورها وازدادت أهميتها وتطوّرها ومع البحوث والدراسات التربوية؛ ازدادت أهداف القراءة ووظائفها؛ إذ أصبح الاستيعاب بمختلف مستوياته هدفا رئيسا من أهداف القراءة، ذلك أنّ استيعاب المقروء يجعل الفرد مندمجا بالنصّ متفاعلا معه.»⁹ ولأنّ نشاط القراءة والإقبال عليه معيار يقاس به رقيّ المجتمعات؛ لأنّه وسيلة المرء لمواكبة التطور، ويرى الفيلسوف الإنجليزي (فرنسيس بيكون Francis Bécan) «أنّ القراءة تصنع الإنسان الكامل، وإذا ما بحث الفرد في حياة المتفوقين في تاريخ البشرية؛ لوجدناهم قرؤوا في طفولتهم وفي شبابهم؛ فأحسّنا ما قرؤوه فهما وتمثّلا؛ ثمّ أضافوا إليه من بنات أفكارهم؛ فحقّقوا الأصالة والإبداع.»¹⁰

والقراءة أمام معلّم كفاء هي من أنجع الطرق على الأداء الحسن والصحيح، هذا بالإضافة إلى ما يقوم به المعلّم من تصويب وتوجيه وإرشاد؛ دون أن نبالغ في القول: إنّ القراءة الكثيرة معناه اكتساب ثروة لغوية طائلة من المفردات والتراكيب، وتجويد لأسلوب الكتابة، وتنقيف للفرد.

2- تنمية المهارات اللغوية وتوظيفها في قراءة القرآن الكريم: تلنقي مهارات اللّغة الأربع، وتتكامل في اكتساب تطوير اللّغة عند المتعلّم لها فالفرد حين يستخدم أيّا منها فإنّه يوظّف الأخرى بشكل مباشر أو غير مباشر، لأنّ هذه المهارات مرتبطة بالرسالة اللغوية، «ويؤكّد الاتجاه الوظيفي في تعليم اللّغة على تكامل مهاراتها، وإيراز وحدتها والاستفادة من علاقة مهاراتها وارتباطها، وتوظيف ما اكتسبه المتعلّم على اختلاف المراحل التعليمية في تنميتها؛ وصولا إلى تحقيق الغاية المنشودة من تعليمها، وهي استخدام اللّغة بفاعلية قراءة وكتابة، تحدّثا واستماعا.»¹¹ وبما أنّ اللّغة متكاملة وظيفيا فإنّ مهاراتها تكون متداخلة ومتربطة؛ بحيث تتأثر فيما بينها تأثرا متبادلا؛ فلا تحدّث

دون استماع، ولا قراءة دون استماع أو تحدّث أو كتابة ولا كتابة دون قراءة أو استماع أو تحدّث.

العلاقة بين التحدّث والاستماع واضحة، فمن أراد أن يوصل رسالة للآخر، يجب أن يكون كلامه صحيحا مقبولا بعد أن يكون قد تدبّره عقله وتقبّله فكره؛ ثمّ يعرضه على السامعين الذين عليهم الاستماع إلى رسالة المتحدث إن أرادوا فهم حديثه والاستماع ينطلّب تركيزا لفهم معاني الأفكار الملقاة، وقد يؤدّي الفهم إلى الانفعال مع الرسالة الكلامية، وردّ فعل يبدو فيه التآثر لما استمع إليه.

والعلاقة بين التحدّث والقراءة أيضا متكاملة؛ «لأنّ القراءة ما هي إلا حديث بين القارئ والكاتب، وحديث مع النفس، وترجمة لمعاني الرموز التي نطق عليها حروفا أو كتابة؛ فالقارئ إنّما يستمع لصوته -داخلياً أو خارجياً- وهو يمرّ بناظريه على تلك الرسوم التي ترمز في غايتها إلى الأصوات البشرية.»¹² وإذا كان فهم الكلام لدى المتلقّي يشترط أن يكون الحديث صحيحا في النطق والتركيب؛ فإنّ الفهم الصّحيح لما يقرأ لا يتأتّى إلا إذا كانت القراءة صحيحة، ولكي تصحّ القراءة لا بدّ أن تكون الكتابة صحيحة، كما أنّ الحديث لا يكون مفهوما إذا لم ينطق صحيحا.

بالإضافة إلى ما يكسبه المتحدث لحديثه من طلاوة، وسلاسة القول، وإجلاء للمعنى وذلك بتغيم صوته وتباين نبراته، لهذا يمثّل الكلام أكثر المهارات مرونة وطواعية للبشر، هذه المرونة قد تكون موهبة من الله تعالى، وقد تكتسب بالتّربة والمران، فمهارة التحدّث هي «فطرية تبدأ مع بداية العمر، وتستمرّ وتتطور إلى نهايته، هذه الخاصية تتعدّم تماما بالنسبة لمهارتي القراءة والكتابة اللّتين تحتاجان إلى تعليم وتعلّم وتدريب وتستحيلان على الإنسان دون ذلك.»¹³

يقدم (كمال بشر) في هذا الموقف طريقة لكسب القراءة الجيدة للنصوص اللغوية وذلك بـ «الاستماع إلى النماذج الصّحيحة التي من شأنها إيصالهم إلى صفوف العارفين باللغة، وأن يحاولوا دون ملل أو كلل، وقد يصيب المتدرب مرّة ويخطئ أخرى في هذه القراءة الجهريّة؛ ولكن لا بأس عليه أن يعاود المحاولة.»¹⁴ إنّ الهدف من معرفة التّكامل

بين المهارات اللغوية؛ هو كيفية تطبيقها لتعليم الأجيال القرآن الكريم وحفظه؛ دون الوقوع في أخطاء أثناء كتابته، أو قراءته من مصحف، أو استرجاعه حفظاً أثناء الصلاة مثلاً، أو إدراك من يقع في الخطأ فيه أثناء الاستماع إليه. لهذا وجبت كتابته كتابة صحيحة مضبوطة؛ حتى وإن اقتضى الأمر إضافة ما يساعد على تطوير كتابته وتحسينها بحسب مقتضى الضرورة الملحة على ذلك، ولا بدّ من ضبط مهارة القراءة بحسب مفهومها الأصلي المتمثل في القراءة القرآنية، ولكن يتم الأمر بالتدرج مع المبتدئين من متعلّمي القرآن الكريم؛ بحيث تبدأ بالقراءة البسيطة المتمثلة في فك رموز الحروف، ومعرفة كيفية نطقها مفردة ثم مركبة.

3- تشجيع الأسرة على إلحاق الأبناء بالكتّاب: قال الرسول - ﷺ - «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»¹⁵ وفي رواية أخرى «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»¹⁶ إنها سنة محمدية؛ تدعو إلى إلزامية تعلم القرآن الكريم، وتعليمه، وأيسر السبل إلى ذلك: هو تحفيظ الأبناء القرآن الكريم منذ الصغر، ليرسخ في ذاكرتهم، ويثبت في صدورهم فقد قيل: «التعلم في الصغر كالنقش على الحجر».

غير أنّ الملاحظ على المجتمع الإسلامي قاطباً، والمجتمع الجزائري خاصة؛ انشغال الناس بأمر دنياهم، ونسيان أمور دينهم، فهم قليلو الفاعلية في المشاركة في تفعيل حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتحفيز الأبناء إلى الالتحاق بها. وذلك راجع لأسباب عديدة أهمها:

1 - لقد أشارت (سهير السكري)¹⁷ في مقابلة أجرتها معها قناة (Nile TV) المصرية، يوم 27 مارس 2017م، دار موضوعها حول: ضعف اللغة العربية في البلاد العربية على الرغم من انتشار المدارس بأنواعها، مقارنة بين زمننا وزمن الأمية والكتاتيب.

أوضحت أنّ سبب اهتمامها بالموضوع؛ راجع إلى ما وجدته من فرق شاسع بين الأطفال في العالم العربي، وأطفال العالم الغربي من حيث الحصيلة اللغوية، وقد أرجعت السبب إلى أنّ الطفل في الدول العربية - منذ ولادته إلى سن المدرسة - يتكلم العامية التي يكتسبها من البيت/الأسرة. وأثبتت في دراسات لها أنّ العامية لا تتجاوز حصيلتها

ثلاثة آلاف كلمة، وهي بذلك محدودة، وتحدّد - أيضا - مساحة التفكير والإبداع والتّصوّر عند الطّفل، الذي يتحقّق باللّغة.

بينما يدخل الطّفل في العالم الغربيّ المدارس التّحضيرية، وعمره ثلاث سنوات بحصيلة لغوية تصل إلى ست عشرة ألف كلمة، وهي معلومة صادمة أصابت الخبيرة بالرّعب والقلق والفضول، وقد استدلّت على ما تقول إلى كتاب عنوانه: (Militant Islam) ترجمته إلى العربية - : (الإسلام الثّوري)¹⁸، لكتابه: (غودفري جينسون G.H. Jason) «يبين الكتاب حجم الجهود المبذولة في القرن التاسع عشر ميلاديّ؛ من أجل القضاء على فكرة الدّولة الإسلاميّة، فبدأ المفكّرون بدراسة أسباب قوّة الفرد المسلم ولاحظوا أنّ الطّفل المسلم؛ الذي يدرس في الكتاتيب؛ يبدأ حفظ القرآن، وبعد ذلك ألفيّة ابن مالك، وذلك كلّه قبل سنّ الثّانية عشرة، فخلّصوا إلى أنّه يكتسب مخزونا لغويّا هائلا قبل أن يرتقي بالتّعلّم، حيث إنّ مفردات القرآن غير المكرّرة تبلغ حوالي سبع عشرة ألف وخمسائة (17500) كلمة، وهي تؤسّس لفهم كلّ مفردات اللّغة العربيّة التي تصل إلى أكثر من اثنتي عشرة مليون كلمة، أيّ ما يعادل عشرين ضعفا لأوسع اللّغات الأوربيّة وهي الإنجليزيّة»¹⁹

بعد ستّ سنوات؛ يصبح الطّفل حافظا للقرآن الكريم، ودارسا لألف بيت من ألفيّة (ابن مالك)، والتي تحتوي على كلّ قواعد اللّغة العربيّة الفصيحة، والنتيجة هي: وجود أطفال يبلغون من العمر سبع أو ثماني سنوات لديهم ملكة لغوية جيّارة، تفوق خمسين ألف كلمة، وهي نتيجة توصل إليها ابن خلدون قبلا، يقول: «وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع، يكون الاستعمال من بعده، ثمّ إجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقتة من الكلام؛ ترتقي الملكة الحاصلة؛ لأنّ الطّبع إنّما ينسج على منوالها، وتتمو قوى الملكة بتغذيتها»²⁰

في حين أنّ المؤامرة الغربيّة؛ تدعو إلى إلحاق الطّفل في هذا السنّ المميّزة بقوّة الحفظ؛ إلى دور الحضانة للعب، متحجّجين بنظريّات علم النفس التي أوجدوها لضرب الأمة الإسلاميّة في أصولها، مدّعين أنّ الطّفل في هذه المرحلة العمريّة في حاجة إلى

اللعب فقط، وأنَّ إحاقه بالكتاتيب؛ معناه الإصابة بالعقد النفسية والتخلف الفكري والتجبر، والإصابة بالانطوائية، لأنه لم يأخذ كفايته من اللعب والاستمتاع لأنَّ الكتاتيب - بأكاديبهم وزعمهم الهدام - تؤدِّي إلى شحن ذهن الطفل بالحفظ وعندما يدخل المدرسة ينفر من التعلُّم.

رسمت الدول الاستعمارية مخططها الجهني في القضاء على اللغة العربية في عقر دارها، ويتمثل في ضرب الفرد المسلم في لغته، التي تكسبه صلاحية وشخصية قوية، فقد لجأت فرنسا إلى إلغاء الكتاتيب في الدول التي استعمرتها، أما إنكلترا فقد كانت على دراية شديدة بقوة تشبث المصريين بالدين، الذي اخترعوه منذ 3500 سنة قبل الميلاد فلو أصدرت الحكومة الإنجليزية قرارا بإلغاء الكتاتيب، وعدم تحفيظ القرآن الكريم، فإنهم سيثورون عليها، فلجأت إلى استراتيجية ما أسموه: "موت القرآن" وذلك بالإساءة إليه عن طريق إنشاء مدارس لأبناء العائلات الغنية والمتوسطة، ويتم فيها تعليم اللغات الأجنبية، ولكن بمناهج أضعف مستوى من المناهج التي تطبق في مدارس إنكلترا للحفاظ على لغة الأسياد، والتفاوت الطبقي بين الإنجليز والمصريين.

وأنشأوا لتنفيذ ذلك؛ المدارس الحديثة، وطعموها بالنظريات النفسية التي تدعو إلى ترك الطفل يلعب، ويمارس ما يشاء من الألعاب، لأنَّ عمره ست سنوات لا يسمح له بالدراسة فقط، وأشاعوا بين العائلات الميسورة أنه لا يجب إدخال الطفل إلى الكتاتيب حتى لا يبقى حبيس جدرانها، وإيما من الواجب تركه يلعب في فصح البيوت والحدائق والشوارع، ثم المدارس، فكانت:

النتيجة الأولى: أن ضاعت منه أهم فترة في حياته يتعلَّم فيها اللغة، والمتمثلة في: من الميلاد إلى سنَّ الثاني عشر من العمر، يترك الطفل دون تعلُّم حقيقي.

النتيجة الثانية: أنه عندما يدخل إلى المدرسة يجد اختلافا بين ما تعلَّمه في البيت من لغة عامية، وبين ما سيتعلَّمه في المدرسة من لغة فصيحة.

النتيجة الثالثة: تصبح اللغة العربية الفصيحة لغة أجنبية بالنسبة للطفل العربي²¹.

النتيجة الرابعة: نجاح الاستعمار في إضاعة الفترة التي يتعلَّم اللغة العربية الفصحى

وضاع منه أهم أمر وهو: الخمسون ألف كلمة التي سيكتسبها من حفظ القرآن الكريم، وضاعت منه أهم قواعد اللغة العربية التي كان سيتعلمها بتعلم ألفية ابن مالك²².

انسافت المجتمعات الإسلامية وراء المخطط الاستعماري؛ فلم تعد تشيد الكتاتيب التي تمثل منبعا للاكتساب اللغوي، حتى بعد استقلالها (إلا ما ندر)، ويفضل الأغلبية الساقطة تسجيل أبنائهم في دور الحضانة، حيث يقضي الطفل طوال نهاره في اللهو واللعب والنوم والأكل والشرب، ففرغت روحه، وخلا ذهنه من حصيلة لغوية، يؤدي اكتسابها إلى قدرة لغوية، وحصانة اجتماعية، وعندما يلتحق الطفل في المرحلة الابتدائية بالمدرسة؛ لا يتعلم اللغة العربية الأصلية، التي وجدت في القرآن الكريم والحديث الشريف، والأدب العربي؛ شعره ونثره، وإنما يتلقى لغة مهلهلة، بمناهج مسطحة وضعيفة، فيحفظ كلمات بسيطة؛ تركب في جمل سهلة؛ تقترب من العامية²³، فلا تنتظر بذلك أن يكون لدينا جيل يملك حصيلة لغوية قوية.

2 - المستوى التعليمي المتدني لبعض الأولياء، أي الأمية التي استفحل انتشارها في البلدان العربية، وذلك لأسباب تاريخية وسياسية معروفة للعام والخاص، وهؤلاء يرون أن مستقبل أبنائهم مرهون بنجاحهم في المدارس، وليس في الكتاتيب، مما يجعلهم لا يفكرون البتة في إلحاقهم إلى الكتاب، وحفظ القرآن الكريم.

4 - نظرة بعض الأولياء الخاطئة تجاه الكتاتيب، والمتمثلة في اعتبارها أماكن للتخلف، وأنها مانع لمواصلة أبنائهم التعلم بشكل طبيعي، وهي فكرة استعمارية مستوحاة من شدة تأثرهم بنظريات علم النفس الوافدة على العالم العربي، وأخذها بحذافيرها دون تمحيص، حتى يؤخذ منها ما هو مفيد، ويترك ما لا يفيد.

5 - نشأة بعض الأولياء نشأة أجنبية، مما جعلهم ينظرون إلى الكتاب نظرة كره وازدراء، واتهامها بالقصور، متأثرين - دائما - بما تشبّعوا بها من تربيّة، وتعلم من البلدان الأجنبية.

6 - انشغال الناس بأمور العيش، والجري وراء كسب القوت اليومي، نظرا للظروف المعيشية الصعبة التي تعاني منها العديد من الأسر العربية، وهذا يؤدي إلى إهمال

الجانب التعليمي القرآني للأبناء، ولا يمنحهم الحال حتى مجرد التفكير في توجيه الأبناء إلى الكتاب.

كل هذه الأسباب وغيرها كثير؛ تقف عائقا وراء إلحاق الأولياء بأبناءهم للكتاب ليحفظوا القرآن الكريم من جهة، وليتعلموا اللغة العربية من جهة ثانية. ولكن على رغم سوداوية الوضع؛ إلا أنه هناك دائما بصيصا من الأمل ساطعا؛ ينير للأمة الطريق السليم، ويرسم أهدافها المنشودة، بل ويضعها على السكة الصحيحة، والمتمثلة في نهوض فئة من أبناء الأمة، زرع الله تعالى في قلوبهم الخير، والغيرة على الدين والعباد.

يعمل هؤلاء الأفراد جاهدين على نشر الوعي داخل الأسرة "بين الآباء والأمهات" وغرس فكرة مفادها "ضرورة إلحاق الأبناء "نكورا وإناثا" إلى دور الكتاب"، سواء في مرحلة ما قبل التمدرس، أو في أوقات الفراغ أثناء التمدرس، وعلى الرغم من وجود عقبات؛ تمنعهم من أداء هذه المهمة النبيلة، وتسعى إلى تثبيط العزيمة لديهم، إلا أنهم يسعون بكل ما أوتوا من إصرار إلى توعية المجتمع إلى فائدة حفظ القرآن الكريم على الأفراد الصغار، والأسرة، والدولة، والدين، والدينيا.

وإذا تساءلنا: كيف يتم ذلك؟ فإن الإجابة تكون بضرورة إشراك جهات عديدة في إعادة تحسين فكرة العملية التربوية القرآنية، التي شوّه صورتها الغربيون في نظر المجتمعات الإسلامية، وذلك بواسطة:

-أئمة المساجد، بتفعيل فكرة التربية القرآنية في خطبهم ودروسهم، وتبيان مدى أهميتها بالنسبة للطفل، لتنمية قدراته اللغوية.

-فتح صفحات في الشبابة، يُشرَحُ فيها للأولياء مدى النفع الذي تجنيه الأسرة من وراء إلحاق الأبناء بالكتاب.

-إشراك وسائل الإعلام بمختلف أنواعها (المرئية والمسموعة والمكتوبة) في هذا العمل التوعوي، سواء بالحملات الإشهارية، أم بخصص تلفزيونية وإذاعية؛ يشارك فيها المتخصصون في هذا المجال، لنشر الفكرة على أوسع نطاق، والتأثير في الجماهير المتابعة لها.

-إصاق ملصقات في الشوارع والأماكن العموميّة والحافلات، تحمل صوراً جذابة لدور الكتاب، وتكتب عليها بلغة سهلة عربيّة كانت أو أجنبيّة، قصد إيصال الرّسالة للمتلقيّ المعنيّ بالأمر.

-عقد ندوات توعيّة في المؤسّسات التّربويّة مع المتدرّسين لتحفيزهم إلى التّسجيل في الكتاب في أوقات الفراغ أو العطل، بدل اللّجوء إلى فضاءات المقاهي، أو نوادي التّسلية واللّعب.

-تضافر جهود قاطني منطقة/ تجمّع سكانيّ واحد على تأسيس/إنشاء فضاءات/ أماكن، وجعلها بمثابة كتاب يلتحق به أبناء الحيّ الواحد، فيكون غير بعيد عن مقرّ سكناهم، ولتخفيف عن المساجد ضغط القيام بالعملية التّربويّة القرآنيّة وحدها.

-جلب معلّمي القرآن الكريم للكتاب التّابعة للأحياء، ويشترك جميع سكان الحيّ في دفع أجرته التي تكفل له العيش الكريم، لأنّه سينتعب في تعليم الأبناء القرآن وتحفيظه، بل وسيعمل على تعليمهم تعاليم الدّين من صلاة، وأخلاق حميدة، ومعاملات حسنة، أيّ سيكون عوناً للأسرة في تنشئة الأبناء تنشئة إسلاميّة.

-اجتهاد الأسرة خاصّة الآباء والأمّهات إلى تعلّم القرآن أو قراءته في البيت بإشراك الأطفال، والقيام معهم بحلقات الذّكر والدّعاء حتّى يتعودوا عليها، وتبدو لهم فرضاً دينيّاً لا بدّ من القيام به، مثله مثل أداء الصلّوات في أوقاتها، أو إخراج الزّكاة والصدقات وغيرها من الفرائض الدّينيّة الواجب أدائها.

-مشاركة الجامعات في نشر فكرة أهميّة التّربيّة القرآنيّة بين الطّلبة، المقبلين على التّخرّج إلى الميدان، ليسهموا بدورهم في نشر الوعي، ولم لا العمل فيه، والعمل على انتشاره، في كلّ شبر من وطننا الغالي، ويتمّ ذلك بتنظيم الجامعات للندوات والملتقيات التي يسهم في إثرائها الباحثون في مختلف التّخصّصات، سواء بتقديم آرائهم حول كفيّة توسيع هذا العمل التّربويّ الدّينيّ، أو بإعطاء حلول ناجعة؛ تسهّل على المكفّين تطبيقها في ساحة الواقع.

رفع هذا الانشغال إلى أعلى هيئة سياسية في الدولة، كوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ووزارة التربية، ووزارة التعليم العالي، ووزارة التضامن ليسهم الجميع في تفعيل العملية، وإعطائها اهتماما بالغا؛ لأنه «مشروع حضاري، وديني؛ يتحقق بتضافر جهود طرفين: جهود الطبقة السياسية الواعية، وجهود المجتمع المدني، وما يؤمنان به من قيم، وسلوك قويم، وأخلاق رفيعة.»²⁴

دور الكتاتيب في تنمية اللغة العربية عند الطفل

- تنمية المهارات اللغوية (القراءة - التحدث - الكتابة - الاستماع)، بحيث يستقيم اللسان بواسطة مهارة القراءة، التي يوظفها في قراءته لكتاب الله العزيز، ويتقن مهارة التحدث بإتقان مخارج الأصوات من مواضعها الصحيحة، وأدائها بصفات الصوتية والتي تمثل أسس الترتيل القرآني، ويكتسب مهارة الاستماع عندما يقرأ عليه معلمه القرآن، لكي يتمكن هو أيضا من القراءة الجيدة. وعملية تنمية المهارات اللغوية؛ تنصف أثناء حفظه للقرآن بصفتي التكامل والتداخل، اللتين «تتيران لمعلم العربية، ومتعلمها الطريق لتحقيق مهارة اللغة العربية، فيعرف بذلك السبيل الموصلة إلى إتقانها، والبعد عن معوقاتها وعقباتها، إذ يمكن بمعرفتها اختيار وسيلة تجمع بين إتقان مهارات متعددة ومتنوعة.»²⁵

- إثراء الرصيد اللغوي بتنمية مخزونه المفرداتي، فيكسب ثروة طائلة من الكلمات والتي تفوق كما أثبتت الدراسات اللسانية خمسين ألف كلمة، وباكتنسابه لهذا الرصيد الوافر من الألفاظ، ثم التراكيب، وكذا الأساليب اللغوية الفصيحة من القرآن الكريم؛ فإن ذلك كله يمكنه من تفهم أي نص من النصوص الأخرى، سواء ما يجده في التراث العربي أم الإسلامي، أم مستجدات العصر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يكتسب قدرة لغوية معينة على الفهم والتحليل والتقويم، لما قد يتعرض له من ظواهر لغوية.

- باكتساب مهارة الكلام وتنميتها، يستطيع مواجهة الآخرين من دون خوف أو خجل ويمكن أن يكتسب بهذه المهارة القدرة على الخطابة والإقناع.

-تثنية الطفل على الكلام الفصيح، ولا يقتصر الكلام الفصيح على المدرسة بل يوظفه في الشارع، وأثناء اللقاءات الرسمية، وفي الحوارات الصحفية مثلا.
-فصاحة اللسان، فيكتسب القدرة على النطق بأعذب الكلام، وأفصح الألفاظ ورقي البيان، لأنه تعلم ذلك من أرقى مصدر للفصاحة العربية، فتصبح فصاحته شديدة الانتظام، وقريبة من فصاحة الكبار، ويبدأ في إدراك مدلولات الكلمات، وما تعنيه من معاني مختلفة، ويبدأ في تحصيل الكلمات والمصطلحات التي تواضعت عليها الجماعة اللغوية، ومن ثم يصبح ناطقا جيدا مع العام والخاص²⁶.

-التأدب في الحديث والابتعاد على سوء الكلام وفحشه، والكل يلاحظ قلة الآداب في الكلام المنقضية في أوساط الأطفال والشباب، وهم يلعبون، أو يتخاصمون، وحتى وهم يمازحون بعضهم بعضا لا يتأدبون في الكلام، وأصبح إدخال السيئ من الكلام من العادات التي يتباهون بها في نقاشاتهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وفي تجمعاتهم لمشاهدة تظاهرة رياضية، وفي حراكهم للمطالبة بالتغييرات الاجتماعية والسياسية، وفي كل مكان إلا وتصدمك الكلمات النابية، وتخرق طبلة أذنك.

- أثر القرآن الكريم في بناء الحصيلة اللغوية والفكرية

أ - اعتبار التعلم في الكتاب أصل التعلم: يؤثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل العلمي للطفل، وقد أثبتت التجارب الواقعية؛ أنّ حفاظ القرآن الكريم من المتفوقين في العلم، وفي جميع المواد الدراسية، بل إنّ ذلك يساعدهم على الاستيعاب السريع للمواد المتنوعة، مقارنة بأقرانهم الذين لم يحفظوا القرآن الكريم، فهو أساس التعلم، لأنّ «تعلم الولدان القرآن (...)» صار أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده؛ لأنّ السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه تكون حال ما.²⁷ هكذا جعل المسلمون الأوائل تعليم الصغار للقرآن الكريم؛ شعارا من شعائر الدين، يرسخ في قلوبهم؛ رسوخ الإيمان والعقيدة، وجعلوه المطية إلى تحصيل بقية العلوم، لأنهم أدركوا الدور الكبير التي تقوم به الكتاتيب في تكوين القوة العقلية والفكرية للطفل منذ صغره.

يجب أن لا يشتغل حفظة القرآن الكريم بالحفظ فقط، ولكن لا بدّ «أن يجمعوا معه جوانب المعرفة الأخرى من الفهم والتّحليل والتّركيب والتّقويم، فإنّ تحقيق التّوازن بين هذه الجوانب؛ يعدّ مطلباً من مطالب تحصيل العلوم، وهذا الذي سار عليه العلماء وتتبّه له الأذكياء النبلاء.»²⁸

سنركّز في هذا المقام على التّحصيل اللّغويّ، فحفظ القرآن الكريم، وتعلّمه، وقراءته باستمرار؛ يؤثّر على القدرة القرائيّة، وذلك بتنميّة مهارة القراءة الجهريّة، كما يطور مهارة الكتابة، وله أثره البالغ في امتلاك مخزون مفرداتيّ يستعين به الفرد في تعبيره وفي كتاباته، وفي تواصله مع الآخرين.

لا يدرك الكثيرون في مجتمعنا - اليوم - القيمة اللّغويّة في القرآن الكريم، والحديث الشّريف، والشّعر العربيّ، بل يعتقدون أنّ مفردات هذه النّصوص المذكورة صعب امتلاكها، والأصعب منه فهم معانيها، في حين «جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التّأليف؛ مضمناً أصحّ المعاني، حتّى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه.»²⁹

ب - تعلّم مبادئ التّرتيل والتّمرّس فيه: خير ما يمكن أن ينميّ المقدرة اللّغوية عند الطّفل هو القرآن الكريم، بسماعه وتلاوته، وتجويده، وفهمه، وتدبّر معانيه، وحفظه وبهذا يمكن اعتبار الكتاب واحداً من خيرة المعينات على ترتيل القرآن الكريم؛ بفعل التّكرار المعتمد كطريقة تعليميّة لتلقين أيّ التّنزيل الحكيم، وحفظها، والتّكرار هو الآخر تقنية إجرائيّة؛ مساعدة على المتابعة، والتلاوة، والفهم، يقول ابن خلدون: «إنّه لا بدّ من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللّسان العربيّ، وعلى قدر جودة المحفوظ، وطبقته في جنسه وكثرته من قلّته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه الحافظ.»³⁰ إذاً فالكتاتيب تجمع بين عمليّات شتى؛ تساعد الطّفل على تحصيل اللّغة، بالتّكرار المؤدّي إلى الحفظ، وبالحفظ يحقّق القراءة المرثلة التي تعتبر أمراً إلهياً؛ لا بدّ من تطبيقه ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة

المزمل: الآية: 04]

فسر المفسرون الترتيل بأنه: «إذا تمهلت في الكلام، وأحسنت تأليفه، (...) وأنه ممّا لا بدّ منه للقارئ، وأنه لمّا أمره بصلاة الليل بترتيل القرآن؛ حتّى يتمكّن خاطر من التأمّل في حقائق تلك الآيات ودقائقها (...) فظهر أنّ المقصود من الترتيل إنّما هو حضور القلب وكمال المعرفة.»⁽³¹⁾ فالغاية من الترتيل هي الفهم والمعرفة، ليتدبّر القارئ المعنى، أمّا الكيفية فإنّها تتحقّق بالصوت الإنسانيّ أثناء أداء الترتيل، وهو أيضا التّمكّن في القراءة، وذلك بإتقان القارئ للقرآن الكريم عن طريق «تصحيح إخراج كلّ حرف من مخرجه (...)»، وتوفية كلّ حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يُعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالا يصير ذلك له طبعاً وسليقة.⁽³²⁾ وهذا لا يتمّ إلاّ بتفكيك الحروف، أيّ بقراءة القرآن حرفاً حرفاً؛ مع التركيز على مخارج الحروف وصفاتها.

ولكنّ النطق السليم أثناء الترتيل؛ لا يتوقّف عند أداء الحروف حقّها في المخرج والصفة فقط، وإنّما يقتضي الأمر إتقانها سليمة صحيحة، وهي مركّبة إلى بعضها البعض، وهو ما وضّحه (ابن الجزريّ) قائلاً: «فإذا أحكم القارئ النطق بكلّ حرف على حده، مؤفّ حقّه؛ فليعمل نفسه بإحكامه حالة الترتيب؛ لأنّه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد وذلك ظاهر، (...) فمن أحكم صحّة اللفظ حالة التركيب؛ حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب.»³³ فالأداء لا يكون صحيحاً إلاّ بمعرفة توصيل الحروف بعضها ببعض، ممّا يدلّ على أنّ الترتيل هو عبارة عن نشاط صوتيّ يتشكّل من توالي الأصوات وفق مخارجها وصفاتها في نظام متنسق.

إذا؛ الترتيل مفاده التأمّن في القراءة مع تفصيل الكلام عن بعضه البعض، وأن يحترم المرتل شروط التجويد والتقويم، وتحسين الصوت؛ ولذا على القارئ تحسين الصوت سليقة بالشكل الذي خلقه الله عليه، من غير تكلف لألحان تخرجه عن طبعه، والنهيّ عن الغناء بالقرآن الكريم، والنطق بالكلمات القرآنية نطقاً سليماً من حيث اللّغة، وتبيين مخارج الحروف وصفاتها، وضبط حركاتها؛ حتّى لا يُخرّجها عن معناها مع الوضوح

والبيان، وقراءة الآيات القرآنية وفق الأحكام المتلقاة عن النبي ﷺ كما نقلت إلينا متواترة وقد وردت في كتب علوم التجويد.

يكون التلقي على المشايخ، فالتلقي عن أهل الأداء هو الركن الأساسي فيه؛ مراعيين في ذلك الأوجه الأدائية الدقيقة، فميزان القرآن الكريم ميزان دقيق، ولذلك قالوا: لا يؤخذ القرآن من مصحفٍ، أي قرأ القرآن وتلقاه من المصحف، ولم يتلقه عن شيخ، ولا يؤخذ العلم من صحفي³⁴، أي الذي أخذ العلم من الكتب، ولم يقرأه على العلماء³⁵.

يحقق ترتيل القرآن الكريم بالكيفية التي تواترت عن الرسول ﷺ تنفيذ الأمر الإلهي واستقامة اللسان، أو ما يعرف بالضبط الصرفي والنحوي، لأن القراءة المرتلة بدون أخطاء لغوية؛ هو امتلاك القدرة على الإعراب، التي فقدت بسبب استعمال العمية بكثرة والترتيل مع الحفظ يجعلان الطفل ينطق أواخر الكلمات صحيحة بتلقائية تامة حتى وإن لم يكن يعرف القاعدة النحوية أو الصرفية.

خاتمة: يمكن اعتبار خاتمة البحث؛ مجموعة من التوصيات التي نأمل تحقيقها في مجتمعنا، ومع الأبناء، حتى نعيد للكتاب دوره المنوط به، والمتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، وإجادة قراءته قراءة مرتلة، دون خطأ أو لحن:

- الاهتمام بالطفل قصد تأسيس شخصيته تأسيساً أصيلاً، بإحاقه بالكتاب، حتى يتسنى له حفظ القرآن الكريم، وبناء الحصيلة اللغوية، وتنشئته تنشئة إسلامية؛

- لا يجب أن يقتصر عمل معلمي الكتاب على تحفيظ الطفل فقط، بل الاهتمام بتحسين خطه في الكتابة، وتصويب أخطائه في القراءة، وتقويم لسانه عند التحدث وتعليمه مبادئ حسن الاستماع أثناء تلقي أي علم؛

- تنمية قدرات الطفل، ومهاراته اللغوية وغيرها، بحثه على توظيف الفهم والتحليل والتحقيق، حتى يُعمل فكره في مختلف العلوم والمعارف التي يتلقاها فيما بعد في مراحل التعليم؛

- إذا أردنا تنمية المهارات الأربع عند الطفل؛ لا بدّ من تحفيظه القرآن الكريم في صغره في الكتاتيب، واستمرار عملية التحفيظ في المراحل التعليمية اللاحقة، وتكون

- بشكل إجباري، وذلك بجعلها مادة من موادّ اللغة العربيّة أو التربيّة الإسلاميّة في برنامج التّعليم، مضافة إلى بقية الموادّ المدرسيّة؛
- أن تبقى الكتاتيب على وسائل التّحفيظ البسيطة التي ورثها عن الأجداد، من لوحة خشبيّة، ومداد الصّمغ، ومادّة الصّلصال، لأنّ التّجارب الميدانيّة؛ أثبتت سهولة الحفظ بهذه الوسائل وسرعتها، أكثر من الحفظ من المصاحف، أو اللّوحات العصريّة
- أن ينهض المجتمع برمته بمختلف وسائله، وشرائحه لاسترجاع قيمة الكتاب وأهمّيّتها في الحياة اليوميّة؛
- أن نجعل من الكتاب معينا على تكوين أفراد صالحين، يعملون على بناء الأمّة وتطويرها في جميع المجالات.

- قائمة المصادر والمراجع

أ - الكتب:

1. إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.
2. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاريّ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2000م.
3. أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ، شرح ما يقع فيه التّصحيح والتّحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مطبعة: مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ط1 1383هـ - 1963م.
4. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، دار ابن كثير، دمشق ط1 1423هـ - 2002م.
5. الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقيّ الشهير بابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر، إشراف وتصحيح ومراجعة: عليّ محمد الضّباع، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان د ط، دت.
6. محمود السّعران، اللّغة والمجتمع: رأي ومنهج، بنغازيّ، المطبعة الأهلّيّة، ب ط 1958م.
7. حاتم حسين البصيص، تنمية مهارات القراءة والكتابة: استراتيجيّات متعدّدة للتّدرّيس والتّقويم، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، دمشق، د ط، 2011م.
8. راتب قاسم عاشور، محمد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللّغة العربيّة، بين النّظرية والتّطبيق، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة، عمّان، ط2، 2007م.
9. شارف مزاريّ، جماليّة النّثقيّ في القرآن الكريم، أربيّة الإيقاع الإعجازيّ نموذجاً اتّحاد كتّاب العرب، دمشق، د ط، 2009م.
10. طه عليّ حسين النّليميّ، سعاد عبد الكريم الوائليّ، اتّجاهات حديثة في تدريس اللّغة العربيّة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالميّ، الأردن، ط1، 2009م.
11. عبد الكريم اليافي، دراسات فنّيّة في الأدب العربيّ، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1 1416هـ - 1996م.

12. عبد الله عليّ مصطفى، مهارات اللّغة العربيّة، دار الميسرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة عمّان، الأردن، ط2، 1427هـ - 2007م.
13. علم التّين أبو الحسن بن محمّد السّخاويّ، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: مروان المعطيّة، ومحسن حرابة، دار المأمون للتّراث، بيروت، ط1، 1997م.
14. كمال محمّد بشر، فنّ الكلام، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2002م.
15. محمّد بن ناصر العجميّ، آل القاسميّ ونبوغهم في العلم والتّحصيل، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م.
16. وليّ التّين عبد الرّحمن محمّد ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمّد التّرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ - 2004م.

ب - المقالات:

17. أحمد زياد محبك، مقالات في الأدب والمجتمع والحياة، نوافذ وشرفات، دار الثّريا حلب، السّنة الخامسة والعشرون، العدد: 1266، الأسبوع الأبيّ: 08-10-2011م.
18. أحمد زياد محبك ابن مصطفى، الحاسوب وتنميّة القدرة اللّغويّة عند الطّفل، المؤتمر السّتويّ السّادس، 2007م.
19. رشيدة بودالية، العتبات النّصيّة: قراءة في رواية حضرة الجنرال لكمال قروور، مجلّة قضايا الأدب، السّنة الأولى، العدد الأوّل، ديسمبر 2016م.

ج - الأترييت:

20. سمير مسلم الذّاد، نظريّة المؤامرة في أوسع صورها، تاريخ النّشر: 18 أفريل 2016م، منتدى دنيا الوطن.
21. عبد الله محمّد بن عيسى مسلميّ، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللّغويّة.
22. منتديات التّربيّة الإسلاميّة، ملخّص لكتاب (الإسلام الثّوريّ)، جنين، بتاريخ: 20 جانفي 2016م.

الإحالات:

- 1 - ورد في لسان العرب قوله: «الحاصل من كل شيء: ما بقي، وثبت، وذهب ما سواه يكون من الحساب والأعمال ونحوها، حصل الشيء حصولاً وتحصيلاً: تميّز ما يحصل والاسم الحصيلاً (...) والحصائل: البقايا، الواحدة: حصيلة، وقد حصلت الشيء تحصيلاً (...) وتحصيل الشيء: تجميع.» - ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت 2000م، مادة: حصل.
- 2 - د. محمود السّعران، اللّغة والمجتمع - رأي ومنهج -، ط2، الإسكندرية 1963م، ص: 11.
- 3 - د. أحمد زياد محبك ابن مصطفى، الحاسوب وتميّة القدرة اللّغويّة عند الطّفل، المؤتمّر السنويّ السّادس، 2007م، ص: 01.
- 4 - محمّد بن ناصر العجمي، آل القاسميّ ونبوغهم في العلم والتّحصيل، دار البشائر الإسلاميّة بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م، ص: 224.
- 5 - د. عبد الكريم اليافي، دراسات فنّيّة في الأدب العربيّ، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1 1416هـ - 1996م، ص: 24.
- 6 - شارف مزارّي، جماليّة النّلقّي في القرآن الكريم، أدبيّة الإيقاع الإعجازيّ نموذجاً، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، د ط، 2009م، ص: 139.
- 7 - ينظر: د. أحمد زياد محبك، مقالات في الأدب والمجتمع والحياة، نوافذ وشرفات، دار الثّريا، حلب، السّنة الخامسة والعشرون، العدد: 1266، الأسبوع الأدبيّ: 08-10-2011م، ص: 10.
- 8 - ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
- 9 - ينظر: د. راتب قاسم عاشور، ود. محمّد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللّغة العربيّة بين النّظرية والتّطبيق، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة، عمّان، ط2، 2007م، ص: 63.
- 10 - د. طه عليّ حسين الدّليمي، دة. سعاد عبد الكريم الوائليّ، اتّجاهات حديثة في تدريس اللّغة العربيّة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالميّ، الأردن، ط1، 2009م، ص: ج.
- 11 - د. حاتم حسين البصيص، تنميّة مهارات القراءة والكتابة: استراتيجيّات متعدّدة للتّدريس والتّقويم، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، دمشق، د ط، 2011م، ص: 19 - 20.
- 12 - د. عبد الله عليّ مصطفى، مهارات اللّغة العربيّة، دار الميسرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة عمّان، الأردن، ط2، 1427هـ - 2007م، ص: 43.
- 13 - المرجع نفسه، ص: 65.
- 14 - فنّ الكلام، ص: 64 بتصرّف.

- 15 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق ط 1423هـ - 2002م، كتاب: فضائل القرآن، ص: 1284.
- 16 - المرجع نفسه، الصّحة نفسها.
- 17 - خبيرة اللّغويّات، أمريكيّة، من أصل عربيّ، عملت أكثر من أربعين عامًا أستاذة في اللّسانيّات في جامعة جورج تاون، ومترجمة في هيئة الأمم المتّحدة.
- 18 - وُضِعَ الكتاب عامَ 1979م، إبان اندلاع الثّورة الإسلاميّة في إيران، ونجاحها، ومن نتائجها الانقلاب الاستيراتيغيّ داخليًا وإقليميًا ودوليًا (...)، ومنع الكتاب من التّوزيع لفترة استمرّت ثلاثين سنة؛ خوفا من أن يُنبّه العرب والمسلمين إلى سرّ قوتهم وضعفهم. - د. سمير مسلم الدا، نظريّة المؤامرة في أوسع صورها، مقال نشر على صفحات الأنترنت: 18 أبريل 2016م، منتدى دنيا الوطن.
- 19 - ملخّص لكتاب (الإسلام الثّوري) منشور على صفحات الأنترنت، منتديات التّربيّة الإسلاميّة، جنين، بتاريخ: 20 جانفي 2016م.
- 20 - وليّ الدّين عبد الرّحمن محمد ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ج2، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ - 2004م، ص: 406.
- 21 - قدّمت خبيرة اللّغويّات مثلا: من ذلك أنّ الأمّ تقول لابنها: "ارم الكاغط في البوبال." وعندما يلتحق بالمدرسة تقول له المعلّمة: "ضع الورقة في سلّة المهملات." فيجد الطّفل نفسه أمام كلمة "ضَع" لا يستخدمها، وكلمة "ورقة" لا يستطيع نطقها، وكلمة "قمامة" لا يعرفها، فتصبح كلمات أجنبيّة بالنّسبة إليه.
- 22 - ينظر الحوار كاملا للخبيرة اللّغويّة سهير السّكريّ في قناة Nile TV منشور على صفحات Youtube.
- 23 - يمكن الاستدلال على ذلك من خلال نصّ عنوانه: الوعد هو الوعد: «عدت إلى الدار أكاد أظير فرحا، لقد حصلت على أعلى معدّل في القسم، وما كنت أتوق إليها أكثر، هو أن يرى والدي نتيجتي، فقد وعدني بلعبة لطالما حلمت بها، فكأما مررت أمام واجهة المحلّ، أخال نفسي أحمل تلك الدّمية، أغيّر لها ملابسها الجميلة، وأعتني بشعرها الطّويل وأجيبها إذا خاطبتني ولعلّ من بين ما زاد في حماسي، وإقبالي على العمل الدّراسيّ هو أملي في الحصول عليها.» - بن الصّيد بورني سراب وزملاؤه، اللّغة العربيّة من التّعليم الابتدائيّ، الدّيون الوطنيّ للمطبوعات المدرسيّة، 2017م - 2018م، ص: 14. المتخصّص للنّصّ يجده غير ملائم من جميع النّواحي

وليس لغويًا فقط، والأكثر من ذلك فهو يترجم سلوكيات طفلة/أنتى وأحلامها، فأين موقع الطفل/الذكر منه؟ والأكد أنه يستحي أن يقرأه قراءة جهريّة أمام زملائه؛ إن طلب منه ذلك، فمثل هذه النصوص؛ ضيّعت الأخلاق وميّعت اللّغة، والملاحظ أيضا ربط التّفوق الدّراسي للمتعلّمين بالحصول على هدية "دميّة" فهنا تضيق لأفق الطّفل، فبدلا من أن نغرس في نفسه حبّ طلب العلم كما أرادته التّربيّة الإسلاميّة الأصيلة، نربطه بهدية بسيطة، قد يتضاعف ثمنها مع مرور الوقت ولا يقدر الأولياء على تحقيقها لأبنائهم، فيحصل تصادم/ شرخ/ فجوة في العلاقة بين الأولياء والأبناء، في حين أنّ تراثنا العربيّ زاخر بالنّصوص التي تدعو إلى الوفاء بالوعد، كصفة نبيلة يجب أن يتحلّى بها الفرد المسلم، من ذلك ما قرأته في كتاب: قصص العرب، ج1 إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م، ص: 61. موسوعة من جزأين تشمل قصص العرب التّراثيّة، ونواديرهم، وطرائفهم في العصر الجاهليّ والإسلاميّ.

24 - أة. رشيدة بودالية، العتبات النّصيّة: قراءة في رواية حضرة الجنرال لكمال قرور، مجلّة

قضايا الأدب، السّنة الأولى، العدد الأوّل، ديسمبر 2016م، ص: 57.

25 - د. عبد الله محمّد بن عيسى مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللّغويّة ص: 07، مقال منشور على صفحات الأنترنت.

26 - ينظر: د. محمود السّعران، اللّغة والمجتمع: رأي ومنهج، بنغازي، المطبعة الأهليّة، ب ط 1958م، ص: 54.

27 - مقدّمة ابن خلدون، ج2، ص: 353.

28 - عبد الله مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللّغويّة، ص: 05.

29 - عبد الله مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللّغويّة، ص: 02.

30 - مقدّمة ابن خلدون، ج2، ص: 406.

31 - الإمام محمّد الرّازي فخر الدّين ابن العلامّة ضياء الدّين عمر، تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1301هـ - 1981م، ج 30، ص: 173 - 174.

32 - الحافظ أبو الخير محمّد بن محمّد الدّمشقيّ الشّهير بابن الجزري، النّشر في القراءات العشر إشراف وتصحيح ومراجعة: عليّ محمّد الضّباع، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان د ط، د ت ج 01، ص: 214 - 215.

33 - المرجع نفسه، الصّححة نفسها.

34- معنى قولهم الصَّحْفِيّ، والتَّصْحِيفُ؛ فقد قال الخليل: «إِنَّ الصَّحْفِيَّ الَّذِي يَرُوي الخَطَّأَ على قِراءة الصَّحْفِ بأَشْباه الحروف، وقال غيره: أضل هذا أن قوما كانوا أخذوا العلم من الصَّحْفِ من غير أن يَلْقُوا فيه العلماء؛ فكان يقع فيما يروونه التَّغْيِيرُ؛ فيقال عنده: قد صحَّقوا، أي رَدَّوه عن الصَّحْفِ، وهم مُصَحِّفُونَ، والمصدر: التَّصْحِيفُ.» - أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، شرح ما يقع فيه التَّصْحِيفُ والتَّحْرِيفُ، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1383هـ - 1963م ص: 13. (كتاب على شكل pdf للقراءة عبر شبكة الانترنت، غير قابل للتحميل.)

35- ينظر: علم الدين أبو الحسن بن محمد السَّخَاوِيّ، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: مروان المعطيّة، ومحسن حرابة، دار المأمون للتراث، بيروت، ط1، 1997م، ج 02، ص: 54.

أثر السطوة النفسية للفضاء الجليل على الانتماء الجمعي لطفل الكتاتيب قراءة نفس اجتماعية بين الحنين وقوة التلقي اللغوي

د.ه: مريم ضربان

مخبر حقوق الإنسان، جامعة الجزائر 03

المخلص: تتلبس الكتاتيب والزوايا والمساجد وغيرها من الأفضية المقدسة الجليّة حالة سطوة لدى قاصديها، وقاطنيها ومرتاديها، طبقا للدراسات التي تجمع علم نفس الفضاء أو هالة العبق والجليل sublime/AURA في المجال بين (أورنو وبيامين فلتسر) Adorno and Benjamin walter، إلى إيكلوجيا الاتصال عند أبراهام مولز Abraham Moles، ثم عند إدوارد هول Edward T. Hall الذي اهتم بتأثير الفضاء على مورفولوجيا التواصل، مروراً بدراسات (هاربرت ميد) Harbert Mead حول الحب والمرحلة الوجدانية لتكون الهوية لدى الطفل، وهي نفسها الدراسات التي يتعامل على ضوءها علم نفس النمو، لدى هذه المرحلة الحساسة من عمر الأطفال في دراسات (وينيكوت) Winnicot التي تمنح لهذه المرحلة قوة التكون والبناء العاطفي نظراً لارتباطها بعوامل الجمعية وروحها، وهو الحال عند (غوستاف لوبون) Gustave Le Bon من خلال "روح الاجتماع"، على غرار المشاركة في محو الألواح الخشبية بالطين "الصصال" وانتظار الدور للحفظ والفرحة "المقدسة"¹ بالمنافسة، هذا الانتماء اللعبي والطفولي يرسخ جملة من التفاعلات تنتقل من حالة التأثير إلى التلقي عبر الإدراكات النفسية ومن بينها تعلم اللغة وتنشيط قيمة القرآن في النفسية قبل الوعي لتنتقل في مرحلة عمرية أعتى إلى الوعي في شكل رفاه لغوي عبر الحنين فتعكس الوسيلة وتبقى الغاية فالعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

الكلمات المفتاحية: السطوة النفسية، الفضاء الجليل، التنقي اللغوي، طفل الكتاب
الانتماء الجمعي، الحنين.

Abstract: This research paper aims to highlight the value dimension of the scared/holy spaces such as The Coranian schools/koutab , the zawya and the mosques where spaces provide a state of supremacy and Spiritual power among Those present there As a relational case, according to the studies that combine between the socio-psychology's space impact which is named sublime / AURA (Adorno and Benjamin walter), To the communication ecology of Abraham Moles, And Edward T. Hall who linked the effect of space on communication morphology to (Harbert Mead) studies in which he presented the model of identity's emotional stage through love As a basic stage in bringing up a child's identity, these studies that deal with Developmental psychology steps ,this sensitive age led (Winnicot) to present a scientific studies that give this stage the power of formation and emotional construction due to its relation with the factors of spirit association ,As expressed by (Gustave Le Bon) through collective/group spirit , Similar to participating in erasing Wooden plank Clay material (salsal) and waiting for the turn to memorize the Qur'an and the "holy" joy in competition. This playful and childish affiliation establishes a number of interactions that move from a state of influence to receiving through psychological perceptions, among which is learning the language and stabilizing the value of the Qur'an in the psyche mechanism before consciousness, to move in a higher age In a form of linguistic **richness/** reception through nostalgia feelings , so The purpose remains and the means varies as the proverb/wisdom says **Science in childhood is like engraving on stone.**

Key words: Psychological AURA, Holy space, linguistic reception, koutab child, collective affiliation, nostalgia

مقدمة: تحظى المساجد والكتاتيب والزوايا بقدسية روحية كأفضية ومخابئ أنثروبولوجية مرتبطة برمزية العبادة وطقوسها الدينية الإسلامية في التمثل الروحي للمسلم، وقد سعت الجزائر كبلد إسلامي إلى منح حظوة الاهتمام بهذه الأفضية نظرا لبعدها الهوياتي عبر التاريخ في الحفاظ على أصالة الهوية الوطنية الجزائرية بثلاثيتها

الإسلام/ العروبة/ الأمازيغية" من المسخ والانسلاخ والتتصير وغيرها من غايات التشويه التي كان المستعمر الفرنسي يسعى إلى استئصالها في المجتمع الجزائري في وقت الاستعمار، وحمائتها الآن من **عولمة القيم** وهشاشة الروابط التي تحدثها التقانة إلى العلاقات السائلة على حد توصيف السوسيولوجي زيجمونت باومان Zygmunt Bauman.

ولأن الأمن المجتمعي ومنه الأمن القيمي والروحي يعمل على الحفاظ على خصوصية المجتمع بترائه وعاداته وقيمه وتقاليده ولغته من الانتهاك، فإن هذه البنى الأثروبولوجية شكلت حجر الزاوية في تنشئة المسلم اجتماعيا من مراحل **طفولته الأولى** على قيم الإسلام ولغته العربية، وقد عمدت الدراسة التي بين أيدينا إلى توصيف العلاقة الارتباطية بين الهالة والسطورة القدسية لفضاء **الكتاب/الجيل**، بالرباط الاجتماعي كمجال للضبط القيمي والرمزي للطفل في مرحلة بناء اللبنة الأولى لهويته الوجدانية " **بناء المعنى** " ، مما يشكل معنى ودلالة لل**فضاء الانتقالي** لديه من الأسرة إلى المدرسة، هذا التوسط المكاني تمت دراسته علميا من خلال **شبكة ملاحظة** بين المسجد والمدرسة² وتوصيف مستوى **الرفاه اللغوي** الذي ولدته مرحلة الانتماء الجمعي للكتاتيب، بما تحتويه من ممارسات حميمية لسيكولوجية الطفل "الفرح/ اللعب/ الأنا" في توليد **رفاه لغوي** متجل في حالة استيعاب وتلقي لغويين، في مراحل الدراسة الأولى إلى مستوى **القاموس الخالص** لكل المتوارث منه عبر حالات الحنين *nostalgia* ، ومما لا شك فيه من المنظور السوسيولوجي، أن الكتاتيب مركز من مراكز التنشئة الاجتماعية والروحية التي تولد الرساميل الروحية واللغوية المتجلية في **فخار قاموس موظفها**، ومن قدسيتها وقيمتها في ترويض المسلم روحيا يتأتى بعد آخر هو معرفة الأثر النفسي للعلوم الأربعة "علم الفلسفة بإستطيقته" علم الاجتماع بأفضيته علم النفس بتجاسره بين الطفل والحنين، وعلم التواصل بلغته ومنه طرح الإشكالية البحثية التالية:

• ما هي الآثار النفس اجتماعية للكتاتيب بسطوتها وعلاقات الانتماء الجمعية فيها

على التلقي اللغوي للطفل الجزائري؟

ومنه طرح التساؤلات التالية:

- 1- ما هو مفهوم الهالة المقدسة للفضاء من منظور فلسفة وعلم نفس اجتماع الأفضية؟
- 2- ما هو البعد الروحي والهوياتي للكتاتيب الجزائرية في المخيال الأنثروبولوجي للجزائر؟
- 3- ما العلاقة بين الفضاء الانتقالي للطفل والهوية الوجدانية لتلقي القيم والسلوكات؟
- 4- هل يلعب الانتماء الجمعي والحنين دورا في تشكيل رفاه لغوي لدى الطفل وما تلاه من مراحل عمرية؟

ولإجابة على هذه التساؤلات نقسم الورقة البحثية إلى المحاور التالية:

- السطوة النفسية للفضاءات الجليئة، جينالوجيا المفهوم
 - الكتاتيب والمساجد والزوايا، قراءة في النسق الروحي والهوياتي
 - الهوية الوجدانية للطفل، نحو مفهوم جودة الهوية
 - أثر الجمعية على التلقي اللغوي للطفل
 - الحنين وتشكيل القاموس الفاره - قراءة في شبكة الملاحظة
- تشكل هذه المحاور العامة منظومة التفاصيل المعرفية العلائقية للورقة البحثية خاصة وأن الجمع بين متغيراتها يتطلب استدعاء تحاقليا بين أكثر من تخصص معرفي.

✓ السطوة النفسية للفضاءات الجليئة، جينالوجيا المفهوم

إن الانسلاخ عن الفضاء/المكان/ المجال يولد أزمة اغتراب مكاني ورمزي، ففي معرض نظرية الحتمية القيمية يناقش الدكتور (عزي عبد الرحمن) أزمة الأمكنة الموازية للمكان الواقعي، ممثلة في الأرض وبنائها ومعانيها، التي تسبب أزمة تفكك أنثروبولوجي عن المعنى الرمزي للمكان من خلال تشظي العلاقة القيمية مع الأرض حيث تتحول الأرض إلى مكان معياري تخيب فيه عناصر التفاعل الحضاري والتقافي والقداسة والتاريخ، بفعل تخيب قيم الانتساب والفائدة من الأرض لصالح تسويق أمكنة رومانسية

وافتراضية تمثل مجال جذب مقارنة بالمكان المحلي³، هذه الخلفية القدسية للمكان التي وإن اختصها الدكتور (عزي عبد الرحمن) بالإعلام والاتصال إلى أنها تتأسلت فكريا من الفلسفة التي تحدثت عن زوال معنى **الهالة أو العبق Aura** الذي يلزم أصالة الشيء وتفرده في الزمان والمكان وعدم تكراره ونسخه، ومن هذا التصور تجلى أثر الألواح الرقمية وكل ما هو تقاني على ممارساتنا وعلاقاتنا بالأشياء وأفقدنا قداستها وسحرها splendeur، وهو ما يسمى بالعبق فمع تزايد الارتباط بهذه الوسائل والأزمة والأمكنة الافتراضية والبديلة، وفي ظل الإفراط في استخدام هذه التقنيات والوسائل الإعلامية وأمكنتها تظهرت أزمة **اغتراب عن المكان الحقيقي** والتعلق بهذا الفضاء الذي تغيب فيه الخصوصية المكانية مبتعدا عن التصور الفيزيقي للمكان إلى تصور رمزي له⁴.

مرجعية العبق فلسفيا : يطرح العبق معناه الرمزي والحسي من خلال الهالة المصاحبة للفضاء بعناصره الزمانية والمكانية، حيث يتأزم معنى الأصالة بالاستستخاخ التقاني والتكرار المؤذي لهيبة وهالة الشيء في حضرة تفرده في الزمان والمكان التي يعبر عنها (بنيامين والتر Benjamin walter) **فلتر بالهالة أو العبق Aura**، لأنها تخرجه من مجاله الخاص وتزرع موروثه الثقافي، وتفرغ العنصر التقليدي منه خاصة في الأعمال التي تعيد التاريخ الثقافي وخلق قيم جديدة فرضتها طبيعة التقنية⁵، إن العبق كظاهرة متفردة بقيام مسافة تفصل بينهما وبين الشيء مهما قصرت، وهو ما يمنح هالة القداسة والهيبة، وبفعل التفرد جعلت من بنيامين يدخل حالة حنين للماضي وللموروث الفني والجمالي الذي جرى إيداعه في زمان ومكان محددين عبر التاريخ، ضمن هذا السياق يرى "ثيودور أدورنو Thedor W. Adorno" أن بنيامين وصف ظاهرة العبق بصورة حنينية "توستالجية"⁶

وبقترب مفهوم العبق من مفهوم الجليل sublime، وبين الجميل والجميل، الذي تحدث عنه "كانط E. Kant" معرفا الجميل بالعمل الفني علائقيا بالجلال المنبثق من الشعور بالطبيعة وحالات طقوسية وشعائرية دينية يمنحها الفضاء المقدس، والعبق عند بنيامين هو الظاهرة المتفردة التي تخلق بيننا مسافة، إذ يتفاعل كتمية لشعور الإدراك

الحسي المعاصر، وعليه تجد القيمة الفنية المتفردة للعمل الفني الأصيل أساسها في الطقوس المصاحبة لنشأته والتي تمثل قيمته الوجودية⁷.

أما **السطوة المكاتية إعلاميا**، فتمظهر في معرض تخصصي إيكولوجيا الاتصال وأنثروبولوجيته، حيث يطرح (أبراهام مولز) بفكرة مفادها أن إيكولوجيا الاتصال هي علم التفاعلات بين كائنات مختلفة داخل حقل ما، فكائنات الاتصال espèces de communication القريبة أو البعيدة، المندثرة أو المسجلة، اللسبية أو السمعية المعروفة أو المجهولة، هي كائنات تتفاعل وتؤثر في بعضها البعض ضمن الفضاء المغلق الذي تشكله الساعات الأربع والعشرون من الحياة اليومية، أو الفضاء الاجتماعي للكرة الأرضية، وتشمل فرعين:

- فئة الفرد: يهتم بصيغ التفاعل الاتصالي للفرد ضمن فضاء الوقت وفضاء المكان أي المسافة المقطوعة ضمن حيز جغرافي ما.
- التعاقد بين الأفراد: أي تفعيل الحيز العقلاني والتحكم الذهني من خلال قوة وكثافة حضور الرسائل وتخزينها في فضاء الذاكرة⁸.

معهد **بالو ألتو Palo Alto** أو المجتمع الخفي هو الآخر اهتم بمنطق الاتصال ووضعيات التفاعل، فماهية الاتصال المستوحاة من المقاربة النسقية عند هذه المدرسة تكمن في سيرورات علائقية وتفاعلية (بين مكونات الاتصال وما ينشأ بينها من علاقات)، فكل سلوك بشري يملك قيمة اتصالية (العلاقات التي تتوزع وتتداخل بطريقة تبادلية كنظام واسع للاتصال) يشمل السياق الأفقي (تعاقد الرسائل) والسياس العمودي (العلاقة بين الأجزاء والنسق)، وعليه يتجلى معنى الاتصال في السوسولوجيا الوظيفية كأداء وسلوك يدمج: "الكلمة- الحركة- النظرة والمسافة الفاصلة بين الأفراد"، وقد أعطت المدرسة اهتمامها للحركة "الكينيزيك kinésique" واستخدام الحيز المكاني في العلاقات بين الأفراد "بروكسيميك proxémique" أي طرائق السلوك ضمن سياق ما⁹.

في كتابه **(اللغة الصامتة the silent language)** عنون هال إدوارد إحدى جزئيات كتابه بـ **"المكان يتكلم"** واعتبر أن المكان يتقولنا ويملكنا في حظة الاستتطاق الكامل

لتفاعلاتنا وسلوكياتنا، فالمشاعر الملمح إليها بالتعامل مع المكان تعزى غالبا إلى شيء آخر، فالمكان يتواصل حسب وعينا وإدراكنا للمكان الذي يختلف من ثقافة لأخرى فالجراً، الخوف الغضب وغيرها من الأهواء هي منعكسات شرطية بافلوفية -نسبة إلى بافلوف- لسطوة للمكان، وفق ما أسماه بالكنة المكاتية¹⁰.

كما عزز إدوار هال أطروحته باستخدام الحيز المكاني والاهتمام بالفضاءات الحميمية للأفراد كرهان سوسبيولوجي، ومفاد نظريته يكمن في تعددية اللغات والرموز أي "اللغات الصامتة" والخاصة بكل ثقافة، وتشمل: اللغات الزمنية، لغات الفضاء والمكان، لغات التملك المادي، لغات نماذج الصداقة، لغات التفاوض والاتفاق، هذه اللغات الشكلية هي مصدر التصادم الثقافي وسوء الفهم بين الأشخاص الذين لا يتقاسمون ولا يصفون على القواعد المنظمة للفضاء أو مسألة إدارة الوقت نفس الدلالات الرمزية"¹¹.

وإسقاطا على الأفضية المقدسة وعملا بإشكالية الملتقى التي تطرح طبيعة علاقة العولمة بالهوية ومركزاتها، مما يولد ظاهرة إشكالية بين تداخل المحلي بالخصوصي بالعالمي والعام، وهنا قد يتم اللجوء إلى مراكز التنشئة الاجتماعية الدينية والمخابئ الأثنروبولوجية لحماية الهوية من الانزلاق والاختلاط في متغير اللغة وسموها¹² فبينة الفضاء المقدس في الرؤية الدينية الإسلامية تقوم على ثنائية المجرّد والمحمسوس، لأن جلب المطلق السماوي إلى المحدود الأرضي مكنّ الإنسان المتدين من اقتطاع المكان والزمان ضمن طقوس محددة سلفا، فتجلي المقدس ضرورة حياتية أوجدها الإنسان المتدين لتحقيق الاتصال مع الله ليعيش حالة قدسية، بهدف طلب المغفرة مباشرة من الله الحاضر بشكل مكثف في ذاته الجوانية و"بيته"، فبينة المقدس الإسلامي تنتقل لتشمل الفضاء المقدس في مكانه كالكعبة والمسجد وغيرها، إلى الزمن المقدس "وقت الصلاة رمضان" كأوقات مقطّعة من الزمن الطبيعي من خلالها يعيش المسلم حالة اتصال رباني ظرفي في انتظار زمن الخلد.¹³

ويقر قبل العلم، الدين الإسلامي برهبة الفضاءات فيقول الرحمن في محكم تنزيله : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ سورة آل عمران الآية (97)، وهي إشارة واضحة لربط الأمن كحالة روحية وجودية متعالية بالدخول إلى مكان ما هي مكة المكرمة، وكذلك في الآية الكريمة من سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾ (99)¹⁴ حيث ارتبط هنا الأمن بالمكان وبالعلاقات وترانيتها "يوسف الملك" عليه السلام، على نحو علائقي بالتعدي.

ومن باب هوية الفضاء وفضاء الهوية نلاحظ أن العلاقات الاجتماعية تتعكس رمزياً على الفضاء، فتجتمع أو ترتحل بالمعاني ليصبح فضاء اجتماعياً/ مهاباً حسب منطقها الخاص سياقياً¹⁵، ومن هنا تتجلى رهبة المساجد مساهمة في تشكيل ما يسمى "بالفضاء العمومي الإيماني" وتفعيل نشاط الاقتصاد الأخلاقي داخل الوطن فالترانتيات الممنوحة لها كخصوصية قدسية تميزها عن جملة القوانين التي تنظم باقي المؤسسات المدنية¹⁶ هذه الحالة الجلية أو سطوتها لها معناها النفسي في علم النفس التجريبي، الذي يركز على العلاقة بين المنبه الاستجابة في منطلق الإثارة، إذ تلعب الشروط المكانية والبعد عن المثير ومكانه وكبره الظاهر والمطلق والشروط الزمنية وسباق التفاعل دورها في تكوين مفهوم الإثارة خاصة لدى الطفل.¹⁷

وهنا تختلف أبعاد إدراك المكان بين الطفل والراشد، فحالة إدراك التوافق بين الفضاء والتجربة الاتصالية، قائمة على فلسفة معينة، فالراشدون في الاتصال يفكرون أنهم بصدد بعث للمعلومة من نقطة إلى أخرى، في حين يعتقد الصغار أنهم إذا استطاعوا التحدث إلى أحد فيجب أن يتواجدوا في ذات المكان، أي يستند مفهوم الإنسان للمكان على المقدرة الاتصالية، ويحدد المكان قبل المعلومة المتوافرة آنياً لشخصين في حالة

اتصال، هذا يعني أن الفضاء ليس المسافة التي يقفز الاتصال فوقها ويمحوها وإنما المكان الذي يبينه الاتصال ويحطمه فالإتصال بيني الفضاء¹⁸.

وهنا قدمت كما قلنا سابقا دراسات الأنثروبولوجي الأمريكي إيوارد هال البعد السلوكي للمكان وتأثيره، إذ يؤدي التواصل غير اللفظي الكثير من المعاني والدلالات التي يعجز اللسان عن إيصالها وإيضاحها في الكثير من الحالات، وهذا ما يفسر لجوعنا إلى الإيماءات والحركات والإشارات كلما واجهتنا صعوبات، وذلك بشكل قد لا يكون إراديا خلال تواصلنا مع الغير، بل قد تكون إشاراتنا وحركاتنا وإيماءاتنا أهم مما نود قوله، ولهذا فإن للتواصل غير اللفظي أهمية بالغة في حياتنا اليومية لكونه يعزز لغة الكلام، ويدعمها بل قد يفوقها بلاغة وفصاحة في كثير من الحالات، حيث يقول "هال" "إن ما يقوم به الناس يكون في غالب الأحيان أكثر أهمية مما يقولون" فلسلوكيات الإنسان معان ودلالات قد لا نغيرها اهتماما في العادة، إلا أن تأثيراتها على العملية التواصلية تكون عميقة للغاية، كما أن ردة الفعل إزاءها تختلف باختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية وكذا بحسب الظروف الزمانية والمكانية¹⁹.

وقد استخدم (ابن خلدون) تعبير الفضاء بالمعنى الاجتماعي للمكان، حيث جاء في كتاب العمران البشري "إن مساحة البيت هو المسجد، كان فضاء الطائفين) وعالجت الفلسفة اليونانية مفهوم الفضاء كوعاء يضم عناصر ترتبط بعضها بعلاقة مكانية وزمانية، واعتبر أرسطو الفضاء امتدادا ينتظم في بنية معينة. وفي مرحلة لاحقة، تمّ التمييز بين الموضع أو الحيز كوجود مادي للمكان Lieu وبين الفضاء Espace أي الفراغ الذي يحيط بالعناصر المادية، وقد تطور مفهوم الفضاء مع تطور العلوم الدقيقة الرياضيات والعلوم الإنسانية والاجتماعية التي أولت عناية لعلاقة الإنسان بالمكان كتجسيد للعلاقات الاجتماعية: فضاء العمل (المعمل)، فضاء الحياة اليومية (المنزل) فضاء النزهة (الحديقة) فضاء العبادة (المسجد أو الكنيسة)،²⁰ إلا أن مفهوم المكان بالمعنى الاجتماعي لا ينحصر في البعد الفيزيائي/المادي، بل يشمل أبعادا أخرى اجتماعية وسيكولوجية. وبهذا فإن المكان هو ذلك المجال الذي يشكل إطارا مناسباً

للإنسان الذي يشغله، أي ذلك الذي يشعر المرء فيه بالألفة والمتعة، ذلك أن الناس يميلون عادة إلى اختيار الأماكن التي توفر لهم الراحة والأمن والإحساس بالجمال، ويرى بعض الدارسين أن الإحساس بالجمال الطبيعي هو الذي دفع القدامى إلى اختيار المواقع المناسبة للسكن، وهذا ما يفسر في رأي دارسين آخرين ارتباط الناس بالأماكن التي يسهل استكشافها وتذكرها، أو الأماكن التي عاشوا فيها لفترة طويلة والتي يعرفون مداخلها ومخارجها²¹.

وتختلف قيمة الأماكن والمجالات باختلاف المجتمعات والثقافات، فالمكان باعتباره مفهوما مجردا هو أيضا عبارة عن بنية تتحرك فيها التمثلات، وتتداخل فيها المستويات المادية والرمزية والطوقسية أي الثقافية عموما، حيث نجد أمكنة مقدسة أكثر من أخرى ومن هنا نحتاج إلى تفكيك سوسيوأنتروبولوجي حتى نستوعب المعاني المادية والرمزية للأماكن، لكن قبل ذلك لا بد أن نشير إلى أن المقدس الديني مختلف باختلاف المجتمعات ومن هنا لا بد أن نقوم بتمييز بين الدين الشعبي والدين المعياري وبين الدين والتدين، بين أيضا النص الأصلي والتأويل بين المدارس والممارسة²².

من خلال هذا المحور نستنتج أن الكنة المكانية وعلاقتها الفضاء تشكل معناها النفسي على مرتادها وعيا بالنسبة للكبار وإحساسا بالنسبة للصغار، خاصة وإن ارتبط بمخيال ديني فإن دلالتها على المعنى الوجودي للمسلم وتشتته تكون أكبر لجعل التلقي يقوى ويسمو، وهنا تتجلى العلاقة بين السطوة والفضاء والنمو اللغوي.

✓ **الكتاتيب والمساجد والزوايا، قراءة في النسق الروحي والهويتي:** الكتاتيب جمع كتاب، وهو مكان للتعليم الأساسي، كان يقام _ غالبًا _ بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشريعة والعربية والتاريخ والرياضيات، وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم، وانطلق العمل بفكرة إنشاء الكتاتيب في وقت مبكر في تاريخ الإسلام، وذلك في السنة الثانية من الهجرة النبوية ونشوء الدولة الإسلامية، وهذا ما توضحه الرواية المشهورة التي فحواها: " أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لا مال لهم، أن يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة فيخلى

سبيله²³ وقال عليه أفضل الصلاة والسلام "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" صحيح البخاري.

المقصود بالكتاب أو الكتاتيب "المدارس" المخصصة لحفظ القرآن، والتي غالباً ما تكون ملحقة بأحد المساجد، وهي عبارة عن قاعات صغيرة كثيراً ما يقصدها للتعلم أطفال لهم أعمار متفاوتة يجلسون على الأرض، أمام معلمهم الشيخ أو الطالب ويقرأون القرآن بهدف حفظه إما من المصحف أو لوحة خشبية، وغالباً ما يكتب الطفل على اللوحة سورة بأكملها أو عدة آيات من القرآن الكريم، ثم يكرر قراءتها حتى يحفظها عن ظهر قلب، ثم يستظهر ما حفظه أمام شيخه (معلمه) الذي يؤشر له بالحفظ وإذا وافق الشيخ على الحفظ ذهب الطفل (التلميذ) ومعه لوحه "بالطين الصالح" استعداداً لحفظ آيات أخرى، هكذا يتم الحفظ والتحفيظ، حيث تحدث منافسة بين الأطفال في الحفظ وينفخون في ذلك حسب استعداداتهم وظروفهم النفسية والاجتماعية²⁴.

إن طقسة اللوحة والصلصال والاجتماع الطفولي في الكتاتيب تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل وهو فعل جماعي يسمح ويشترك في قوة الرباط الاجتماعي مما يمنح رمزية اللحمية²⁵، والطقس هو الجانب العملي للظاهرة الدينية مثل تلاوة القرآن والطقوس الاحتفالية بالعيد التي ترسخ الروابط الاجتماعية، والشيء الذي يضيف على الطقوس صفة القداسة هو التكرار، التي يمنحها التقدير والاحترام وانتمائها لقوى عظيمة فوق طبيعية، وفي الإسلام تتجلى رهبة القداسة لارتباطها بـ"الله" جل جلاله، كما أن الطقس حالة تشاركية لها ثلاث وظائف:

- وظيفة وجدانية تعيد التوازن النفسي لممارسها؛
- وظيفة اتصالية بها تعرف الهوية الدينية للمجتمع الذي يمارسها؛
- وظيفة سلوكية تحدد السلوك الجيد من السيئ، والحرام من الحلال، والخير من الشر حسب معياريتها²⁶ فكما تمسك الفرد بتعاليمه الدينية زاد مستوى صحته النفسية وهو التيار الايجابي للتدين حسبما بينه فرانكل فيكتور ويونغ²⁷.

وتعتبر الكتاتيب فضاء انتقاليا واللوحة موضوعا انتقاليا للطفل، هذا الإسقاط السياقي contextualization لنظرية الذات الإيكولوجية والأفضية الانتقالية المستوحى من توصيف المختص (وينيكوت) في علم نفس النمو، إذ يطرح مفهوم الذات الإيكولوجية والبيئة الحاضنة التي سنفصل فيها فيما بعد، فبعد تواجد ذات "الأم" في فضاء الأسرة ينبغي أن تنشأ نظرية انتقالية جديدة في مرحلة نموّ الطفل، وذلك كجزء من حركة صاعدة تسعى لإزاحة نموذج الذات المعزولة والمحدودة نحو رؤية أخرى/انتقالية لذات شفافة غير مرتبطة فقط مع الذوات البشرية الأخرى هي ذات الأشياء والأفضية الجديدة مع الكائنات والسيرورات الحية كلّها، تأخذ هذه النظرية في حسابها أن **الطفل لا يولد في سياق اجتماعي فقط، بل وفي سياق إيكولوجي أيضا**؛ كما ينبغي لها أيضا أن تقر بأن للطفل، منذ لحظات حياته الأولى، انتباها ليس للمسة البشرية فحسب، بل وللمسة النسيم على جلده ولتغيرات الضوء واللون والحرارة والصوت وغيرها من المتغيرات²⁸.

ومن هذا المنطلق تولد علاقة مع المكان والرائحة "الصلصال" والتعارف الثاني للذات بعد الهوية العتيقة، وفي هذا الصدد، وفي ترجمة للبروفيسور كمال بومنير حول الفنون التشكيلية الجزائرية وصف البروفيسور الحالة الشعورية للفنان محمد خدة من خلال نص للمختص مصطفى بوعامة، وعلاقة (خدة) بالكتاتيب والصلصال واللوحة قائلا "لقد تأثرت حياته وأعماله كلها بالثقافة الوطنية التي كانت سائدة قبل وبعد الاستقلال. كان فنّانا عصاميا، ومعلوم أنّ محمد خدة كان قد ارتاد المدرسة القرآنية منذ طفولته المبكرة، حيث تعلم الأبجدية العربية ومبادئ اللغة الفصحى. وقد أعجب حينئذ كثيرا بالأصوات الساحرة المنبعثة من القراءة الجماعية للأطفال للقرآن الكريم، وهذا على الرغم من عدم فهمهم لمعانيه ومقاصده. ولا شك أنّ هؤلاء الأطفال كانوا مسحورين بموسيقى هذا النص وإيقاعه الموزون. ولطالما كان "محمد خدة" يتذكر كيف كان يطلي لوحته الخشبية بالطين، التي كان يكتب عليها الآيات القرآنية التي كان يملئها عليها الطالب (معلم القرآن)، وعلى غرار صانع الفخار الذي يعجن الطين لإعطائه الشكل المرغوب فيه كان خدة يستخدمه أيضا قصد إيداع الأشكال لأنه كان يرسم في الوقت الذي كان يكتب

أيضا، وما من شك أنه كان يدرك جيدا بأن الحرف العربي يتضمن زيادة على وظيفته الرمزية- جمالا تصويريا أصيلا. لذلك ليس غريبا أن يكون هذا الفن كالحرف المتميز الذي يقيم علاقة طبيعية بين المادة وسمو العقل أو رفعة الروح. لقد أدرك محمد خدة - حينما كان يدرس في المدرسة القرآنية-أهمية القوة التشكيلية للرمز حينما تعامل مع شكل ومضمون الإبداع الفني بلا كلل ولا ملل²⁹، وهنا تشكلت هويته الفنية من مرجعية دينية في شكل رفاه جمالي تشكيلي.

كما أن الزاوية شملت معنى الكتاتيب في وقت مضى كمجمعات سكنية لها قبب وليس لها مآذن، وبها غرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الإسلامية، وأخرى عبارة عن مساكن للطلبة كما توجد بها أماكن لطهي الطعام وتخزين المواد لغذائية وهي مقصد الجميع من طلبة العلم (فقه، نحو، بلاغة) كما يقصدها المريدون والأخوان للاستفادة من شيوخها حيث يقرأون القرآن الكريم بطريقة جماعية ويرددون بعض الأذكار³⁰.

و المسلم أكثر من غيره ملزم بالتعلم لأن أول ما نزل في محكم التنزيل قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك". كما أن السنة النبوية الشريفة تحث على طلب العلم ولو كان في الصين، حيث كان في وقت الاستعمار وبقي حفظ القرآن الكريم منتشرا بين أبناء الجزائر، وإذا انتهى الطالب من حفظ القرآن الكريم ينتقل إلى زاوية أو مدرسة قرآنية مختصة في تعليم الفقه المالكي، وقواعد اللغة العربية وكذا المنطق، وإذا جننا إلى تعليم الطلبة فإن التعليم يتم بطريقة مجانية، اللهم إلا بعض الصدقات يوجد بها الأهالي على شيخ المدرسة القرآنية، كما أن أهل الحي ينكفون بإطعام الطلبة المسافرين الذين يوفر لهم شيخ المدرسة القرآنية أو الزاوية المأوى، أما الجانب البيداغوجي فإنه من الأدوات الشائعة الاستعمال نجد "اللوحة" وهي أداة تخص كل طالب حيث يكتب الطالب في البداية الحروف الأبجدية ثم ينتقل إلى قصار السور يخط مع ذلك أي شيء حيث ينقطع لحفظ القرآن الكريم إلى غاية الانتهاء منه³¹.

كما نجد تفاوتاً كبيراً في المعدل العمري للطلبة، حيث نجد منهم من تجاوز سن 30 سنة ومنهم من عمر لا يتجاوز 15 عاماً، ومرد ذلك أن دخول الطلبة إلى الجامع/المسجد أو الزاوية لا يقتصر بسن معين ويتقيد بفصل محدد من فصول السنة الدراسية بل لكل طالب الحق في الالتحاق بالمدرسة القرآنية أو الزاوية متى شاء³² وهذا السرد العمري للالتحاق جعل المدارس القرآنية أو الكتاتيب يتم تصنيفها إلى أصناف:

-مدارس قرآنية خاصة بأبناء الحي: كثيرة العدد في المناطق الداخلية مهمتها تعليم مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم، يديرها شيخ في الغالب يكون حافظاً للقرآن الكريم وغير متفقه أو متفقه يؤمها طلبة يتجاوز سنهم 12 سنة في الغالب ولا توفر المأوى ولا غذاء للطلبة إلا من التواصل الرمزي لأهل الطلبة بالماعون "صدقة الطعام".

-مدارس قرآنية خاصة بالطلبة المسافرين: وهي أقل من الأولى عدداً يؤمها طلبة من مختلف الجهات حيث يتراوح عددهم بين 25 إلى 30 طالب يفوق معدلهم العمري 20 سنة يديرها شيوخ حافظ للقرآن الكريم³³.

-مدارس قرآنية تابعة لبنية المسجد / أو للزاوية: في ختام هذا المحور نجد أن الموروث المعنوي أو الروحي الذي تظهر ملامحه في قداسة الممارسات والتقاليد إما قداسة وراثية أو مكتسبة³⁴، متولدة من العاطفة الدينية المرتبطة بالأفضية، باعتبار العاطفة الدينية مجموعة من التأثيرات والعواطف والرغائب ذات طابع خاص تشمل الخضوع والخوف والسلام واللانهاية، هذا الخلط الشعوري كاف لينير تقسيماً على سبيل الخوف الديني المرتبط بالعدل الإلهي والحب الديني والرعدة الدينية المرتبطة بالهزة الجسمية في المساء وفي أزمنة وأمكنة معينة ولحظة حرج أو ضيق معين والفرح الديني.. إلخ من التقسيمات³⁵.

✓ **الهوية الوجدانية للطفل، نحو مفهوم جودة الهوية:** في علم نفس النمو وفي مرحلة الطفولة الثانية من 3 سنوات إلى 6 سنوات، تبدأ هذه المرحلة بما يسمى بنمو الحس الحركي وقدرة الطفل على اللعب والنمو الانفعالي الاجتماعي بإنشاء علاقات

حديثاً مع أطفال آخرين، وهنا تبدأ مرحلة النمو اللغوي التي تحتاجها حالة الانفتاح الحديث للاجتماع ونفسيتهما بتقبل استيعاب نحو 2000 مفردة، حيث يبدأ النمو العقلي في إبراز مظاهر على غرار ممارسة اللعب الرمزي والإيهامي، وتزداد حصيلته اللغوية من خلال عنصر الإدراك البصري لأنه للتو تنمو لديه حالة الفصل بين الزمان والمكان والذات والموضوع المنطلقة من أنه، فهو يفكر من مركزية ذاته أما من 6 إلى 12 سنة تبدأ **حصيلة النمو اللغوي** تزداد بنحو 5000 مفردة³⁶.

وعودة إلى (وينيكوت دونالد وودز) Winnicott Donald Woods فنجده استخدم مفهومي الموضوع الانتقالي والفضاء الانتقالي ليشير إلى أن الطفل خلال المرحلة المبكرة لنموه يستخدم إصبعه ثم يوجهه نحو شيء خاص بعينه (دمية أو كرة أو أي شيء آخر، ما يمكن الاصطلاح عليه بـ "الموضوع الانتقالي بالنسبة للطفل، وعليه نجد أن الإنسان منذ الولادة وهو يواجه مشكلة العلاقة بين ما هو مدرك ذاتياً، وبين ما هو مدرك موضوعياً، فالمساحة الوسيطة للخبرات *l'aire intermédiaire d'expérience* التي تقع بين الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية للطفل هي التي تمثل "الفضاء الانتقالي" وكي يتمكن الطفل من تأسيس علاقة بينه من العالم، فإنه من الضروري وجود هذا الفضاء الانتقالي، وحسب Winnicott دائماً فإن اللعب أو حيز اللعب يخلق "مساحة انتقالية" لتجربة الذات، والآخرين والعالم الفيزيائي، ويؤكد Winnicott أن وظيفة هذه المواضيع هي السماح للطفل من اجتياز مرحلة انتقالية؛ وبالفعل فالطفل سينتقل من حالة اتحاد مع أمه إلى حالة يكون فيها في علاقة معها باعتبارها شيئاً خارجياً ومنفصلاً. وعليه، فإن الموضوع الانتقالي في هذه الوضعية هو الذي يسمح بتحمّل سيرورة الانفصال، وهكذا يظهر بين الطفل وأمّه "فضاء كامن" (*espace potentiel*)، يتطور تدريجياً إلى فضاء لعب (*playing*) ثم فضاء ثقافة³⁷.

وقد صاغ د.و. وينيكوت D.W. Winnicott، الباحث البريطاني في العلاقات مع الأشياء، مفهوم «الظواهر الانتقالية» *transitional phenomena*، هذه العلاقة البينية (الطفل/العالم) ضمنية في كثير من نظريات النمو تصور نظرية مارغريت ماهرل نمو

الطفل كسيرورة من الانفصال والتفردن، والهدف هو تشكُّل الذات المستقلة المقيدة (التي يصل الطفل إليها، إذا كان سليماً معافى، في حدود عمر ثلاث سنوات ونصف). (ولاسيما توظيف المعنى الذاتي في الظواهر الموضوعية، تلك المساحة المبهمة للخبرة حيث لا توجد هناك «أنا» ولا «لا-أنا»، بل تداخلُ دينامي بين الذات وبين شيء آخر في العالم. يقر وينيكوت أن قدرة البشر الإبداعية والثقافية والروحية تتطور عن قدرة الطفل، خصوصاً في سنواته المبكرة، على إضفاء معنى على الأشياء غير الحية. يختبر الطفل أولى هذه الظواهر في سياق علاقة الرعاية المبكرة التي يحاط بها، ثمَّ يوسِّع مدى هذه الخبرة إلى الخارج، ومن المؤكد أن **إبتهاج جسم الطفل** وحواسه بالخارج يشكُّل نوعاً من الدليل على مفهوم الذات الإيكولوجية، لا ينكر أي امرئ يراقب طفلاً وليداً يكتشف العالم من حوله وجود هذه المسرَّة في داخله. مع ذلك، إذا ما أخذنا وجهة نظر كثير من الباحثين ذوي التوجه التحليلي فسوف نقول إن هذا الاستكشاف هو من قبيل «التصعيد» sublimation، أي بحث الطفل عن جسم الأم. وفي شكلها الأشد اختزالية، تنسب النظرية التحليلية خبرات التماهي والاندماج والتداخل والخوف كلها إلى الخبرة قبل الكلامية في مرحلة الحضانة الأمومية³⁸.

ويقترح دانييل شتينر، في دراساته التجريبية على المواليد الجُدد، أنه يوجد في كلِّ شخص ما يدعوه «الذات-النواة» core self، الذات التي تتألف من مشاعر وتنصف بقابلية الاستيقاظ بواسطة الإدراكات الحسية للصوت والإيقاع والضوء. وبما أن (شتينر) لا يرى أن هذه الوضعية تحتاج إلى التخطي أو إلى أن تُترك وراعنا، فهو يقترح أن هذه الأرومة من المشاعر هي بمثابة بطانة مركزية تلتف حولها حلقات النمو اللاحق وأن هذه الذات-النواة تنصف بإمكان الوصول إلى باقي الشخصية إبان حياة المرء. وهنا يكمن تصور هام لسيرورة النمو على أنها لا تتخذ مجراها في عالم العلاقات الاجتماعية حصراً³⁹. من هنا تم الاهتمام بفعل القراءة في هذه المرحلة المبهجة لتنمي الجانب اللغوي للطفل وهنا يقول البروفيسور صالح بلعيد في معرض العلاقة بين الطفل والكتاب في الكتاب الموسوم بمناسبة وكلمة في جزئه الثاني: "القراءة تنمي الجانب اللغوي

والسماع للقراءة لدى الطفل يزيد في توسيع المعارف لديه وتجعله يتعرف على مصطلحات لغوية مختلفة ومسكوكات العلوم المجتابة، وبهما يحفظ مختلف المناويل اللغوية، وتجري اللغة في فمه بصورة عفوية ويدخلها في قاموسه بصورة فطرية ويستنكرها في مختلف المناسبات ويتواصل بها في مختلف المقامات وفي أحوال الخطاب وعلى مقتضى الحال وموسيقى المنوال⁴⁰.

إن الرواد الدينيين ومحبي العنصر الإنساني الراغبين في توجيه أي شعب نحو حياة سوية هائلة تتسم بهدوء حقيقي ينبهونهم دوماً إلى ضرورة الاهتمام بتربية الأطفال ويقدمون لهم الوصايا اللازمة في هذا الصدد، وقد جاء عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، والأئمة الأطهار روايات وأحاديث ثمينة تدل على أهمية هذه المرحلة من وجهة نظر التنشئة الإسلامية، حيث نجد حديثاً من الإمام علي بن أبي طالب يقول: من لم يعلم في الصغر لم يتقدم في الكبر⁴¹ إذ ينبغي تحسيس الطفل بأنه ينتمي لشيء أكبر من نفسه، بمعنى أنه ينتمي لأسرة ودين وأمة ومسجد وثقافة وفريق وجماعة.. ويشعر مع هذا الإحساس بالاعتزاز بانتمائه (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).⁴² لصناعة قاموس إنساني خالص للطفل محاكاة للذخيرة اللغوية إنسانيا في العقل البشري على غرار مشروع الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح كبنك للنصوص يستدعي توظيفه تقانيا⁴³.

الهوية الأولية للطفل في نسق العلاقات العاطفية والوجدانية، تبنى من مرجعية نفسانية مع 'دونالد وينيكوت D.winnicott⁴⁴ ومع السوسولوجي الرمزي جورج هيربرت ميد Georges Herbert Mead الذي أسس لمعناها الاجتماعي، حيث استخلص هذا الأخير وظيفية التفاعلية الاجتماعية، من بينها الحب أو الهوية الوجدانية للطفل عبر الحب بين الجماعات الأولية، ذات الروابط الوجدانية الانجذابية والتعاطفية الحرة ومن بينها الأسرة وهي لبنة التنشئة الاجتماعية مع الآخر⁴⁵، لتتولد من اكتمالها الفردي حالة الثقة بالذات

La confiance en soi ، فليس للهوية مكان وإن كانت فيه إلا الوطن، وليس لها زمن وإن كانت فيه إلا التاريخ، إذ تتولد الهوية في مكان الميلاد وتمتد في بقعة مكان الذكريات لذلك كتب أبو حيان التوحيدي الحنين إلى الأوطان، فقد بكى الرسول عليه الصلاة

والسلام ليلة الهجرة وهو يغادر مكة أحب الأوطان إليه، وعاد إليها بعد الفتح إذ لا هجرة بعد الفتح، ثم تتولد الذاتية المشتركة أو التذاتوية inter-subjectivity من علاقة الداخل بالخارج، حيث تصبح الأوطان أقطارا وأمصارا، والقوم وطن أكبر عماده اللسان وليس الدين والتاريخ، بمعنى التواصل مع الماضي، وهنا تبرز الدوائر الثلاث المتداخلة للهوية " الوطن واللسان والثقافة "46.

وهوية الطفل اللغوية والوجدانية أمر صعب لأنها تخدم تمثلات الأم ورغبتها في تصور أبنائها وشكل حياتهم، حيث تتشكل الذات عند (لاكان Lacan) قبل ولادتها في خطاب الوالدين: فالطفل قبل أن يأتي إلى العالم يكون قد فكر فيه وتكلم عنه، إنه موجود في رغبات أبويه، وهو ما يمنحه نوعا من الوجود السابق عليه، إن الذات لا يمكن أن توجد إلا من خلال حالة "تمثل"47، إذ اهتم أ. ه إريكسون E.H.erikson بالهوية الفردية والهوية بالانتماء إلى الجماعة في مرحلة المراهقة إذ يزداد اهتمام الفرد بفردانيته والإحساس بها في ذروة المراهقة48 إريكسون الذي أخرج حلقة الهوية من المنظور الفرويدي في كتابه "الطفولة والمجتمع" إلى دور التفاعلات الاجتماعية في بناء الشخصية49. يتعلق الأمر في شتى مظهرات التفاعلات والتواشجات المحيلة إلى مفهوم التعلق نفسيا والانصهار في الذات الواحدة والعودة إلى الأم، فحسب (كارل غوستاف يونغ) هذا ما يسمى **بالهوية العتيقة** كحالة لامتزاج والتحام الجنين بأمه وهي حالة التبعية الفيزيوية عاطفية للأم، في وقت تكون الأم في حالة رهان يوتوبي يرهن مستقبلها الأمومي بالمحيط الاجتماعي بخروجه من بطنها إلى حيز الوجود50.

فالطفولة مرحلة تتميز بالمرونة وقابلية الطفل للتشكيل، ولذلك يتأثر **الطفل بالثقافة** التي يعيش فيها لأنه يعيش فترة الاتجاه الإيجابي نحو العالم الخارجي، وفترة التساؤل وحب الاستطلاع والإقبال على المعرفة واستكشاف البيئة، والتكيف الثقافي الذي يجعله يمتص طرق التفكير والتعبير عن مشاعره ورغباته، وهو يكتسب معظم السمات الثقافية لشخصيته كالدين والعادات واللغة والاتجاهات وأولها **حب المطالعة** وللوالدين دور كبير في تنمية فضول الميول نحو المطالعة51، بتهيئة الوسط الاجتماعي والبيوت بالكتب

والمكتبات وما شابهها يكون الوسط آمينا⁵²، ومنه يتولد التباين بين الأطفال خاصة وأنها مرحلة تستمر مع المدرسة، وعليه للمعلم دور كبير في تشجيع التلميذ على المطالعة حتى تصبح عادة تلقائية لديه، أما التدريس في القرآن فيدل على القراءة والحفظ مجتمعة وبقراءة الكتاب العزيز وحفظه وفهم معانيه يقول الزحيلي في توصيف حفظ كتاب الله " **لقد سهلناه للحفظ، وسهلنا لفظه للنطق، ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس**"⁵³.

✓ **أثر الجمعية على التلقي اللغوي للطفل:** يعتبر تعليم القرآن الكريم عن طريق التحفيظ كالدعوة للتمسك به، وبالصلاة التي تقوم عليها الزوايا والمساجد والكتاتيب كبعد ديني تعمل الزاوية على ترسيخها بالتحفيظ، حيث يجلسون في حلقات يترأسهم الشيخ ويزودهم في شكل حلقات بالقرآن والحديث والعلوم الدينية⁵⁴، وخاصة منها تحضير المتعلم إلى تكوين **رفاه لغوي** عماده اللغة العربية، فاللغة عبقرية الإنسان واللسان عبقرية اللغة، وللمفردات العربية عبقريتها وبلاغتها المثيرة على العقول والقلوب، فهي تهذب اللسان والروح والجوارح وقد كان سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام أفصح العرب بلا تكلف في القول ولا تزيين بل لا يتجاوز حدود إيلاخ المعنى الذي يريد بأسلوب غاية في الروعة حيث يتضمن الحكمة والبلاغة في آن واحد، فقد أوتي **جوامع الكلم** التي تعني **الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ونزه عن التكلف**، فلم يسمع الناس قط أعم نفعاً ولا أعظم لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه وأقواله عليه الصلاة والسلام⁵⁵، كما تعد الكتب وما يشتمها مجهودا مهما لإعادة بناء حياة الناس لاسيما إن كانت مرتبطة **بمرحلة الطفولة**، لأن تعرض الطفل للكتب في هذه المرحلة هو مفتاح تكوين شخصيته مستقبلا باعتباره استثمار ذو قيمة رمزية مقدسة⁵⁶.

ولأن للعربية خصائص نوعية تعود إلى ميراثها السامي⁵⁷، تأتي أهميتها لما لها من قدسية ومكانة خاصة عند المسلمين، كونها لغة القرآن الكريم ولغة الدين وعلى هذا الأساس فإن الحفاظ على حمايتها والعمل على انتشارها وازدهارها، والتمكين لها ليس عملا تربويا تعليميا فقط ولا نشاطا ثقافيا أدبيا ولا وظيفة وزارية ولا مؤسسية، بل هو

عمل من صميم الدفاع عن مقومات وخصوصيا الشخصية العربية⁵⁸، فإن الذي يحظى بها يكون قد كون رأسمالا لغويا يقول فيه المنظر الفرنسي "بيار بورديو P.Bourdieu" أنه التحكم في آليات تشكل الأسعار اللغوية وقدرتها على تكوين فائض القيمة النوعي لصالح صاحبها/ بلدها القائمة على تقنين تلك الأسعار، إن أي عملية تفاعل وتواصل لغوي بين المتعاملين بها هي ترجمة للأسواق الصغرى للتداول اللغوي، وهنا يطرح معنى السوق اللغوية الألسنية أو ما يسمى بالهايبيتوس Habitus الألسني والحالة السياقية المجتمعية وقيم اللغة عند ناطقيها في وطنها، أما الرأسمال الروحي والديني فهو اقتصاد الفرد مع الله والتجارة في مجال العبادة والدين والإحسان وفعل الخير⁵⁹، وهنا يتحصل الطفل على رساميل لغوية من بعدها الديني.

ولكي يحظى بها يحتاج إلى أسس الروح الجمعية، وهنا يفرق غوستاف لوبون G. Le Bon بين علم النفس الاجتماعي psychologie sociale وعلم النفس الجماعي psychologie collective فالأول يدرس علاقة الفرد بالمجتمع وعمليات الدمج السلوكي بينهما لجعل الفرد كائنا اجتماعيا، أما الثاني فهو فرع من الأول ويدرس الحالة الساحرة والجانبية التي تكونها الجماعة على الفرد بمجرد انتمائه إليها وتصرفاتها وسلوكياتها كوحدة⁶⁰، وتطور الوعي الجماعي وروح الجماعة هو ما يتبعه عادة ازدياد في اعتماد أفراد الجماعة على بعضهم البعض ونماذج سلوكياتهم هذا التكيف المتبادل يحولهم إلى كيان وظيفي متكامل⁶¹. وعند الطفل لن تولد حالة التلقي سلوكيا وفي أطره الجمعية إلا من خلال اللعب فكما يقول فرويد إن عكس اللعب ليس الجد بل الواقع إذ أنه "الواقع الفرعي" كنشاط ترفيهي بنني ومعنوي صحي⁶².

وكما تقر المدرسة السلوكية le behaviorisme من أمثال واطسن watson وسكينر skinner في تفسيرهم للتعلم والتلقي اللغوي، وفق قانون المثير والاستجابة باعتبار اللغة نمطا من أنماط السلوك، ويتعزز السلوك اللفظي للطفل بمن يحيط به بالابتسام والانتباه والمخاطبة، وهو اكتساب خاضع في سيرورته إلى مبدأ النمو داخل البيئة كاليات والمدرسة/الكتاب، كما تقوى أيضا سلسلة الأفكار والاستنتاجات بوجود المراكز العصبية

في الدماغ التي تقوم على النمو اللغوي، إضافة إلى القدرات اللغوية التي تجعل الطفل يميز بين الأشياء ويحتفظ في ذهنه بالصور والمقارنة وهنا يمكن التمييز⁶³.
وهنا يجب التفريق بين الفهم القرائي والاستيعاب القرائي، هذا الأخير الذي يعرف أنه تفكير قصدي تستثيره المادة المكتوبة، والاهتمام الرئيس للقارئ يكون منصبا على تضيق الفجوة بين المعرفة السابقة التي لديه وبين معلومات النص، أما الفهم القرائي فهو المهارة العامة اللازمة لاكتساب المعرفة واستجابة للغة المكتوبة ينتج اكتساب المعلومة والمعرفة⁶⁴.

ومن بين آليات اكتساب المعرفة اللغوية، حالة **التسميع الشفهي** في علم النفس التربوي بما هي لعبة أداء أنوار يجب أن يدركها القائم بالتدريس فهي تضع التلميذ/الطفل أمام علاقات ونفسيات متعددة، أما العلاقات فهي علاقته بنفسه وبالمعلم / الشيخ وبزملائه في الصف/الكتاب، وهنا يدرك مناخه هل هناك غرباء؟ هل التسميع مفاجئ؟ أو تم التحضير له؟ للعبة الإعجاب أمام غيره والتحضير لعلاقات العدوانية والعداوية فيخرج من الصمت والجمود إلى سلوكات شفوية/لسانية وجسدية⁶⁵.

إذ يرتبط اكتشاف الطفل للعالم ومعرفته به في السنوات الأولى من حياته بنشاطاته النفسية المحركة فيدرج حينئذ استيعابه للكلام وإمكانيات التفكير والقراءة والتحرك ضمن المجالات واكتشاف ضيق المحيط وتشنجات الأطر الذهنية للزمان والمكان، فكل أطر المكان والزمان التي تشكلت تدريجيا عبر **النشاط الطفولي** مرتبطة بمنطق مدروس على صعيد الأمكنة وتدرج الأزمنة، تؤدي بالطفل إلى إدراك أن الأماكن مرتبطة بنظام معين فيما بينها، مختلفة ولكن مقاربة وأن هناك مسافات، إذ لا يمكن أن نتواجد في مكان وآخر في نفس الوقت⁶⁶. ومن مرجعية القدرة على الاستيعاب في الطفولة وعلاقتها بإدراك الأمكنة، يتم تشييد الحضور الاجتماعي عبر ثلاث عمليات أساسية متتالية أولا إنتاج النظام الاجتماعي، ثم التوضع أي جعل النظام والمنتج الإنساني مستقلا عن الأفراد كموضوع بذاته ذو وجود خاص، وفي الأخير **الاستماج** وهنا تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية في ربط الأفراد بالعالم الذي عملوا على بنائه ويسمح نموذج

البناء الاجتماعي بإضاعة الروابط الوثيقة الموجودة بين التفاعلات الاجتماعية وبناء أو تكوين الهوية، حالما يتكيف الأفراد يذكرون صافي الفائدة والمنفعة من التكيف وهذا التفسير يقع في مجال علم النفس الذي يتعامل مع إدراك الفائدة وتأثيرها على السلوك⁶⁷ وتتضمن عملية التنشئة الاجتماعية جانبين :

• أولاً التنشئة الاجتماعية الأولية: وتتم على مستوى مرحلة الطفولة بوضع الطفل في اتصال مع أشخاص آخرين يمثلون بالنسبة له العالم الخارجي، يكونون له بمثابة وسطاء مع العالم الخارجي، وبتكرار هذه الاتصالات تتغير الأنا لدى الطفل وهنا نخلص لنتيجة أن الطفل ليس سوى مرآة للسلوكيات التي واجهته وموجهة نحوه، وهنا يتكون مخزون المعرفة مما يسمح بجعل بعض الأفعال المتكررة أوتوماتيكية وآلية وعندما يدرك الطفل الآخر المعمم تكون عملية التنشئة الأولية قد انتهت إذ يصبح الفرد عضوا لا يتجزأ من المجتمع الذي طور له ذاتا خاصة soi propre.

• التنشئة الاجتماعية الثانوية la socialisation secondaire : تسمح هذه المرحلة بوجود خصوصية ما للفرد عبر وجوده داخل مؤسسة معينة، وبفعل هذه العملية يتشكل لدى الفرد لغة أو مفردات خاصة vocabulaire وكذا مخزون معرفي جديد مثلا دور العبادة أو فضاء العمل، وبالنسبة (لهاربرت ميد) يعي الفرد أنه ونفسه عبر التواصل مع الآخرين، وهنا تبنى الهوية ويتصرف ويتفاعل الفرد بطريقة مختلفة حسب السياق الذي هو فيه، بحيث أنه يقدم ذاتا مختلفة تكون متكيفة مع هذا السياق مجموع هذه الذوات الاجتماعية تشكل ذات الشخص يعني هويته وهي التي يحضر من خلالها الفرد في مختلف الفضاءات التفاعلية⁶⁸.

هذا الإدراك الشعوري بالفرحة واللعب والموضوع الانتقالي والفضاء الانتقالي المقدس يجعل الطفل ينغمس مع اللغة وجوها الجمعي لتتكون لديه ملكة لغوية وقدرة ومهارة تواصلية، فبالعودة إلى الاهتمام بمشروع الانغماس اللغوي تتحدث الدكتورة (فاطمة صغير ووهيبة وهيب) عن ملكة الحفظ كآلية من آليات الانغماس اللغوي مؤكدة على توفير البيئة اللغوية والثقافية للغة الهدف والاتصال بها مباشرة⁶⁹، كما أن الاستماع

والنكرار والحفظ والتطبيق والممارسة مرتبطة بعمر الطفولة، فالطفل يبدأ بتمييز الألوان والحركات والأجسام من خلال التعرف على مصدر الصوت، وقد دلت التجارب أن اللغة تكتسب بادئ الأمر من البيئة المحيطة بالطفل فهي ما توجهه توجيهها سليماً لذا ينصح بتوفير الجو اللغوي الصافي في المراحل الأولى من التنشئة الاجتماعية⁷⁰.

ووقفاً عند معنى الرفاه اللغوي، وفي إطار الكلمة التي ألقاها البروفيسور صالح بلعيد في أصبوحة الملتقى، وتم توزيعه بين الحاضرين لنجده يتناول زبدة الملتقى من خلال شرحه لمفاهيم المتغيرات التي تجمع بين اللغة الأم والكتاتيب والرفاه اللغوي والمدرسة، نجده يعرفه كالآتي: "الرفاهية بمعنى الإغداق والنعمة، وعلاقة المصطلح بالرفاه اللغوي، يعني حسن استعمال اللغة بإغداق وتمكن كبيرين في مختلف المواقف والسيقات، وبكل أريحية مطلوبة، وما يلحق المستعمل من سلوكيات لغوية مصاحبة مثل النشاط والحيوية والحبور، إضافة إلى ما يحمل الاسم من صفات السعادة والطمأنينة وزيادة في محبة الناس، وعن علاقته بالملتقى يقول: "أن دور الكتاتيب يشكل القدوة اللغوية في حسن إتقان اللغة واستعمالها، حتى يترفه مستعملوها في مداركهم ومعارفهم عندما يستولون على حسن استعمال اللغة الأم التي تكون مجد الرفاهية اللغوية، والتي تتأتى بدورها من القرآن الكريم وما يرتبط به من الإملاء والحفظ والتجويد ودورها في تكوين حمولة لغوية لدى الطفل"⁷¹

ويتأسس معنى الرفاه اللغوي فيما أقره عبد القاهر الجرجاني وعيسى الرماني بأن الملكة اللغوية فصاحة بلاغة وبيان يصنعها النص القرآني والحديث النبوي الشريف ويقره ببوره العلامة ابن خلدون عن الملكة اللسانية قائلاً "وتعلم مما قرّناه في هذا الباب، أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبيهم، فينسج عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"، وهنا يستفيد المتعلم من ثلاث نقاط:

1- حصول الملكة اللسانية مرتبط بكثرة الحفظ؛

2- يساعد الحفظ على بناء تصور وتراكيب سليمة؛

3- تصبح هذه القوالب عادة لدى المتكلم يمكنه الإبداع على منوالها بشكل تلقائي لأن المتكلم ينتقل من المحاكاة إلى الأداء الذي هو فردي⁷²، فيتكون قاموسه الخاص، فابن خلدون يقول: "قوجه التعليم لمن يبتغي الملكة اللغوية ويورم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف..⁷³، هذا الرفاه الذي يسعى إلى تكوين ذخيرة وترسانة لغوية لدى الناطق تعبر عن الوظيفة التواصلية للغة لأن أولوية التعبير عن المقصود هي عين التحقيق لجانبها التواصلية باعتبارها ملكة تواصلية la compétence communicative فالملكة اللسانية واللغوية تساعد الدارس في تحصيل ملكة علمية.⁷⁴

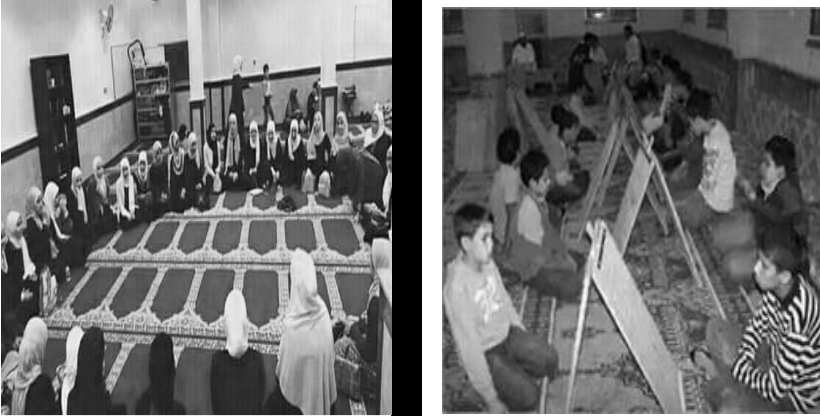
فالعربية كما يقول (غوستاف لوبون) تمكنت من التغلب على سائر اللغات وتسلمت مشعل نقل العلوم والفنون والآداب مما حمل معظم الشعوب على اعتمادها في شتى حقول المعرفة، فتأكدت بذلك مرونتها في استقبال المنجز العلمي والفكري الإنساني من جهة، وقدرتها على استيعابه وإثرائه بما يحفظ مكانتها وسيادتها العلمية دون أن تفقد شخصيتها ولا هويتها⁷⁵.

فالمؤسسات الدينية في الجزائر وكبلد إسلامي يحتل المسجد فيها صدارة المؤسسات الدينية نظرا لأدواره الجلية⁷⁶، التي تقترن فيها ومن خلالها القيمة الرمزية للاهتمام باللغة العربية، لتقدم المجالس العليا في الجزائر على غرار المجلس الأعلى للغة العربية دورا فائرا في موضوع كالرفاه اللغوي وعلاقته بالكتاتيب، بما للمجلس من مكانة حضارية مرموقة محليا جهويا ودوليا، بالنظر إلى الوظيفة الحضارية السامية الموكلة له دستوريا وتتجلى في خدمة اللغة العربية، والسعي إلى تطويرها بالطرق العلمية الناجعة⁷⁷، وفي معرض الاهتمام بتلقي المضمون الثقافي، تلقي المدرسة الإعلامية والاتصالية الضوء على أن تلقى منتج ما يأخذ أبعادا رمزية، فإلى جانب الإمكانيات المادية فالذهاب إلى فضاءات هذه المضامين على غرار المسرح والكتاب وغيرها يعتبر في حد ذاته فعلا خالصا ثقافيا كان أو طقوسيا⁷⁸.

✓ **الحنين وتشكيل القاموس الفاره: قراءة في شبكة الملاحظة:** إن العبق كما أسلفنا الشرح ظاهرة **حنينية** "نوستالجية"، فإن الحنين هو مفهوم معقد يحتاج إلى توضيح. بناءً على الأبحاث التي أجراها Greimas (2002) على دراسة طولية نوعية، تقدم تحليلاً فوضوياً للحنين إلى الماضي. يكشف الفحص المتعمق لخطاب المجيبين عن نوعين من الحنين: الحنين إلى الماضي "والحنين لفترة طويلة من وجوده (الطفولة، المراهقة إلخ)، إنه إدراك شبه سيميائي يشمل بعدي "الاستمرارية" *continuité* و"التوقف *discontinuité*، وحتى نهاية القرن السابع عشر ظهرت كلمة "الحنين إلى الماضي" لأول مرة في المفردات الطبية، وإن كانت قد وردت دلاليًا بمعنى "الحنين إلى الوطن" و"الرغبة في العودة إلى الوطن"، تم اعتبار هذا المصطلح في البداية من منظور سريري/ طبي نفسي بمعنى لاتيني مكون من مقطعين *nostos = retour* العودة / *algos = douleur*⁷⁹، فالهوية العتيقة تطرح فكرة توسيع مجال الاشتغال في المجتمعات المعاصرة لأنها تعني أن الكل يتوقف على الكل، وهنا يبرز دور الحنين في تكوين ذخيرة لغوية من منطق العقل الإنساني الحنين في عمق الفلسفة تجلى في أعمال (شيلينغ) في فلسفة الطبيعة وتركز على سياق الأصرة الوطيدة بين الإنسان والطبيعة والآخرين من خلال معرفة الغير والتقصي المتواصل لمنطق داخلي يخرج من صلب هذا العالم نفسه بتجليات متعددة ويتماهي في جوهره مع الوحدة الوجودية⁸⁰.

ومن خلال المقابلات التي قمت بها لمست حالة حنين من الكبار وفق ما يسمى بـ **نوستالوجيا القيم** أي الحنين إلى القيم التي سادت سابقاً من كتاتيب الحي والصلصال وهو إحساس مؤلم ومؤسف مرتبط بالماضي اتجاه نمط حياة معين، وقد يكون فردياً جماعياً، قومياً وإنسانياً وكونياً، فنوستالوجيا القيم هي شوق إلى وضعية معيشة مضت (قيم)، وحين يعبر الفرد عن حنينه إلى فترات من ماضيه المعيش فهذا أمر عادي وسلوك طبيعي، والاستدلال بنوستالوجيا القيم هو اعتراف في حد ذاته بتغير قيم معينة أو زوالها ايجابية كانت أم سلبية⁸¹ ويطرح مبدأ سوسولوجيا الذاكرة أن الديني في الذاكرة ماض وممارسة طقوسية تقوم بإدارة الذاكرة كما يذهب روجيه باستيد R.Bastide أن

الممارسة الطقوسية تستجيب إلى حاجة جماعية يديمها الماضي وخاضعة للتكرار ورافضة للتغيير من باب المحافظة حتى لا تفوض منطق الطقس الراسخ⁸².



التحليل الكيفي للمقابلة: من خلال الباحثة الموازية الأستاذة المكونة فطيمة بن ناعة بمدرسة الشهيد بن يطو إبراهيم بعين الحجل ولاية المسيلة التي قامت بمقابلة على مجموعة بؤرية FOCUS GROUP مع تلاميذها مكونة من 10 بنات و 12 ذكور وتعتبر هذه التقنية البحثية الكيفية كافية لتحصيل ما يسمى ببناء المعنى من خلال النقاش أو تداعي النقاش :

- وجدت أن التلاميذ عند سؤالهم عن أساليب التلقين في المسجد: أجابوا أنها تتم بطريقة التحفيظ والتسميع الشفهي ثم إعادة التلاوة.
- توافد دوري للتسجيل في كتاتيب المساجد في المنطقة.
- لمسنا حالة الفرح في التسابق للإجابة بما يخص الطرح، وتفصيل اللعب والمنافسة والأنس بالأتراب لحظة الذهاب للكتاتيب.
- عدد الذكور أقل من عدد البنات الدارسات في المسجد، في الحواضر الصغرى في حين يزداد في كتاتيب الأحياء الشعبية.

• الكتاتيب الشعبية أو كتاتيب الأحياء/الوقف لازلت تستخدم اللوحة والصلصال مثل كتاب **الحاج الحسين** بشارع الشهيد بن يطو ابراهيم والعقيد لظفي بمنطقة عين الحجل ولاية المسيلة.

• وفي سؤالنا للأستاذة المكونة عن مستوى تحصيلهم الدراسي، أجابت المعلمة أن العينة التي تدرس في المسجد القرآن تتجاوز المقرر إلى **سورة عيس** باعتبار أن المدرسة تحفظهم طيلة خمس سنوات، أي مرحلة الابتدائية، ما يقارب الحزب الواحد **نحو سورة الأعلى**.

• وعن نباهتهم، تجيب المعلمة المكونة أن لديهم سرعة للتقي، يمتازون بالذكاء وبتوظيف اللفظ القرآني وبترسنة لفظية أعلى من حاجتهم اللغوية باعتبارهم في السنة الأولى ابتدائي.

• وهنا نجد أن مقابلتنا توصلت إلى نفس نتائج دراسة علمية ميدانية انطلقت من علاقة حالة اكتساب لدى الأطفال للمقدرة اللغوية وتعلم القراءة والكتابة" بالكتاتيب وهذا ما حققناه من خلال إجابات التلاميذ بالمدرسة القرآنية، إضافة إلى مطابقة دراستنا لفرضية الباحثة التي تمثلت في تنمية القيم الأخلاقية والتربوية وهذا ما بيّن لنا أن المدارس القرآنية تطمح دائما إلى آفاق جديدة في المستقبل، وهذا ما أدى بها إلى رواج كبير في المجتمع ما دفع الأولياء الإقبال عليها بكثرة مما جعلها ذات طابع حديث ونشيط في يومنا هذا في ظل التغيرات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع .⁸³

• أما مسجد الأمير عبد القادر ومن خلال المقابلة التي قام بها الباحث الموازي **محمد بن ناعة** مع معلم القرآن في المسجد، وجدنا أن هناك فترة زمنية لاحترام وقت المسجد، على عكس مدراس تعليم القرآن في الأحياء أين تتجلى خصوصية الطابع الرمزي الشعبي والتطوع لأجل الأجر من أوقات مختلفة وممارسات رمزية للتواصل عبر "المعروف" أو صدقة الطعام في حال التنافس بين أطفال الحي على أن يتم تكريمهم على مستوى المسجد في ليلة المولد النبوي الشريف وفي ليلة القدر 27 من رمضان.

• إن الكتاتيب تعتبر فضاء انتقاليا في المناطق المحافظة فهو فضاء لإفراغ الطاقة التي يفقدها الطفل في النشاطات اللاصفية، وفي ظل غياب الملهي وأمكنة التنزه الموجودة في الحواضر الشمالية أين زرنا مسجد الأبيار " الخفاء الراشدين " وجدنا أن الطفل يتعلم باللوحه العصرية وهنا تمت عصرنة الكتاتيب لتوائم التطور التقني..

• حالة التنافس لأجل الهدية في رمضان أو الجائزة ليلة القدر، واحترام السياق الخوف، العقاب، وتشجيع الوالدين أبناءهم على حفظ القرآن وهو ما يفسر طلاقة في اللغة العربية لدى مناطق الجنوب، ويقف في فترة المرافقة هذا الاهتمام لأنه يتأسس لديه اهتمام موازي العلوم الدنيوية.

• الحفظ من الكتاب والتلقين والاستماع والتكرار الجماعي وتحفيظ أحكام التجويد هو ما يتم في المساجد حسبما أجاب به الأطفال المبحوثين، أن هناك لعب خلسة مما له دور في تكوين عالم فرعي للأحقية الطفولية لتحصيل المعلومة، ويرافقه الخوف رهبة للمكان.

• **وعن الحنين والتلقي اللغوي** وفي مقابلة أجرتها الباحثة مع مختاري فاتح أستاذ على مستوى الإعلام والاتصال سبق وأن حفظ القرآن مما يقارب 40 حزبا في عمر الطفولة وانقطع بعد السفر، يتذكر الأستاذ الشكل والرائحة المتعلقة بالفضاء، وأدواته الانتقالية المرتبطة عنده بمعنى الزهد والورع الذي يتركز في المساجد السننية لأن لديها بعد ديني قرآني ذكر في القرآن وهو مرتبط بحالة السلام التي وجدها النبي عليه الصلاة والسلام بغار حراء أين تنلبسه سطوة الفضاء للتعلم، وهو الحال عند مقابلتنا للطالب في علوم الإعلام والاتصال **سراج بلال** الذي حفظ 60 حزبا والأربعين النووية بين الكتاب والمسجد، ولا يزال يستذكرها مع شيخه في المسجد درءا للنسيان، لأن **القرآن سريع الحفظ سريع النسيان**.

خاتمة: من خلال ما سبق تقديمه في هذه الورقة العلمية تجلى واضحا أثر القرآن في مرحلة الصغر على تكوين تحصيل لغوي للطفل في مراحل مستقبلية من حياته تجنبه نقص اللفظ من خلال ترسانة لغوية يفرضها فعل الحفظ والقراءة، وهو ما تقدمه

الدراسات المتطورة الآن في أن هناك علاقة بين الذاكرة البصرية وطاقات الاستيعاب وتوظيف الرأسمال الألسني واللفظي للقرآن في قاموس الطفل اللساني بما يقيه الأخطاء اللغوية، النحوية والإملائية ويفتح شهية استيعاب لغات أخرى تشكل في حصيلتها رفاها لغويا أسهمت فيه الفضاءات والمراحل الانتقالية، وأهواء الحنين كتوليفة شعورية في ترسيخ معنى القيمة الروحية ودلالاتها في سلوكياته من الآداب الإسلامية، والجلي أن حاجتها ماسة الآن نظرا لطغيان ثقافة الواقع الافتراضي والتكنولوجيا التي صارت تلغي معنى العبق كالألواح الإلكترونية والابتعاد عن الفضاء المقدس وانسلاخ القيم بفعل العولمة، فتبقى هذه الفضاءات مهدا للتنشئة وحفظ الأمن المجتمعي والروحي والقيمي مؤكدة على الحكمة الفائلة التي انطلقنا منها : " العلم في الصغر كالنقش على الحجر".

الإحالات:

- ¹ انثروبولوجيا المقدس والمدنس عند ايميل دوركايم
- ² مدرسة الشهيد بن يطو ابراهيم ومسجد الأمير عبد القادر، وكتاتيب دائرة عين الحجل بولاية المسيلة، وذلك عبر باحثة موازية" أستاذة مكونة في المدرسة الابتدائية" الأستاذة فطيمة بن ناعة وباحث موازي "عضو فرع الرشد في الكشافة الإسلامية، بن ناعمة محمد، والباحثة التي تقوم بالدراسة.
- ³ غوثي عطاالله، الاغتراب القيمي والمخيال الإعلامي، قراءة في تأثيرات وسائل الإعلام، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد الثامن السداسي الثاني 2016، الجزائر، ص 92
- ⁴ نفس المرجع، ص 95
- ⁵ رمضان بسطاويسي أحمد، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، أدورنو نموذجاً، دار مجد لبنان، 1998، 111-112
- ⁶ كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، دار كنوز الحكمة، الجزائر 2012، ص 65
- ⁷ نفس المرجع، ص 114
- ⁸ أرمان وميشال ماتلار، (ترجمة) نصر الدين العياضي، الصادق رابح، تاريخ نظريات الاتصال ط3، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005 ص 77
- ⁹ نفس المرجع، ص ص 79-80
- ¹⁰ إدوارد تي هال، (ترجمة) لميس فؤاد يحيى، اللغة الصامتة، الأهلية للنشر والتوزيع الأردن 2007، ص ص 212-213-214
- ¹¹ أرمان وميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 81
- ¹² فرفار العياشي، المخابئ الأثروبولوجية ، التصوف أتموجاً، https://www.b-sociology.com/2019/06/blog-post_78.html يوم الاطلاع 2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34
- ¹³ كريمة بوزيدي، بنية الفضاء المقدس، في الإسلام، الكعبة نموذجاً، يوم الاطلاع 2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34.
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=177424&r=0>
- ¹⁴ سورة يوسف، المصحف الشريف، ص 247.

- ¹⁵بوزيدة عبد الرحمن، **المركزية في المجال الاجتماعي وعلاقتها بالهوية والأثوميا**، مجلة دفاتر علم الاجتماع، العدد 11 جوان 2014، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا جامعة الجزائر 02 الجزائر، ص 11
- ¹⁶مروفل مختار، **المساجد، الفضاءات المؤسسات والممارسات**، مجلة دفاتر علم الاجتماع، العدد 11 جوان 2014 قسم علم الاجتماع والديموغرافيا جامعة الجزائر 02 الجزائر، ص 101-103
- ¹⁷بول فريس (ترجمة) مورييس شربل، ميشال أبي فاضل، **علم النفس التجريبي**، ط2 منشورات عويدات، بيروت 1983، ص 61
- ¹⁸فريال مهنا، **علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية**، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان 2002 ص 472
- ¹⁹صلاح الدين أركيبي، **الزمان والمكان من منظور سوسيو-أنثروبولوجي**: إدوارد هول نموذجاً <http://www.aranthropos.com>، يوم الاطلاع 2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34
- ²⁰مخولف بوكروخ، **الفضاء العمومي وفضاء المدينة**، الفضاء العمومي ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي، التشظي وإعادة قراءة المفهوم، ملتقى دولي، مخبر استخدامات و تلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، جامعة الجزائر 03، جامعة أحمد بن بلة وهران1، 2017، ص 200
- ²¹ نفس المرجع، ص 201
- ²²مرسيا اياد، **المقدس والمدنس**، <http://www.sooqkaz.com/index>، يوم الاطلاع 2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34
- ²³حسن عبد الغني أبو غدة، **وقف الكتاتيب، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية 1430هـ - 2009 م**، ص، 201
- ²⁴عمارة كريمة، **عباس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي**، دراسة ميدانية المدرسة لقرآنية بمدينة مستغانم، رسالة ماستر، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2017، ص 08
- ²⁵لغزس سوهيلة، **الأبعاد الاجتماعية والنفسية للطقوس، الطقوس الدينية نمودجا**، مجلة فكر ومجتمع، العدد 14 أكتوبر 2012، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 09
- ²⁶نفس المرجع، ص ص 10-14
- ²⁷شبلي اراهيم، **سيكولوجية التدين، واستخدامه في البرامج الإرشادية النفسية**، مجلة فكر ومجتمع، العدد 14 أكتوبر 2012، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص 28

²⁸انيتا باروز، الذات الإيكولوجية في مرحلة الطفولة
يوم الاطلاع http://www.maaber.org/issue_march08/depth_psychology1.htm

2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34

²⁹ مصطفى بوعامة (ترجمة) كمال بومنير: الفنون التشكيلية الجزائرية، من 1962 إلى يومنا هذا، نظرة إجمالية (ج3)، النص الأصلي **Les arts plastiques algériens, de 1962 à aujourd'hui, Vue synoptique**, p 12
<https://www.facebook.com/boumenir.kamal/posts/4067964373221588>، ساعة

الاطلاع 18:11 يوم الاطلاع 2020/02/12

³⁰ خالد بلعربي، دور طلبة الزوايا والمدارس القرانية خلال الثورة 1954-1962 بالمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، رسالة ماجستير، 2007، معهد التاريخ، ملحقة بني مسوس، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، الجزائر، ص 04

³¹ نفس المرجع، ص 03

³² نفس المرجع، ص 03

³³ نفس المرجع، ص ص 06-07

³⁴ سي فضيل منى، الولي والمقدس في الموروث الروحي بالجزائر، سيدي نايل نموذج مجلة دفاتر علم الاجتماع العدد 09 جويلية 2013، جامعة الجزائر 02 قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، الجزائر، ص ص 254-255

يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني: الطوطمية، اليهودية النصرانية الإسلام، دار الفارابي ANEP، الجزائر، 2003، ص ص 141-142

³⁶ علي فاتح الهنداوي، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، <https://dreams-new.org>

يوم الاطلاع 2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34

³⁷ سعيد لوصيف، الفضاء العمومي: شبكات التواصل الاجتماعي وهيمن النسق الاجتماعي التقليدي، الفضاء العمومي ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي، التنظي وإعادة قراءة المفهوم ملتقى دولي، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، جامعة الجزائر 03، جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، 2017، ص 195

³⁸انيتا باروز، الذات الإيكولوجية في مرحلة الطفولة

http://www.maaber.org/issue_march08/depth_psychology1.htm

- ³⁹انيتا باروز، الذات الإيكولوجية في مرحلة الطفولة
http://www.maaber.org/issue_march08/depth_psychology1.htm
- ⁴⁰صالح بلعيد، *الطفل والكتاب، مناسبة وكلمة، الجزء الثاني*، المجلس الأعلى للغة العربية منشورات المجلس، 2018، ص42
- ⁴¹ناظم باهنر، *تعليم المفاهيم الدينية في ضوء علم نفس النمو*، دار الهادي، بيروت 2005 ص 16
- ⁴²مصطفى ابو سعد، الشعور بالانتماء، <http://www.saaaid.net/tarbiah/261.htm> يوم الاطلاع 2020/01/25 ساعة الاطلاع 19:34
- ⁴³بوخاري خيرة، مشروع الذخيرة اللغوية لدى العلامة عبد الرحمن حاج صالح، الجهود اللغوية لدى الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، أعمال ملتقى وطني منشورات المجلس 2018، ص 407
- ⁴⁴كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فراتكفورت، من ماكس هوركايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص106
- ⁴⁵جاءت عند جورج هاربرت ميد بالآخر ذي الدلالة Autrui significatif أما الآخر المعمم فهو Autrui généralisé
- ⁴⁶حسن حنفي، الهوية والاعتراب في الوعي العربي، مجلة تبين، المجلد الأول، صيف 2016 ص 15
- ⁴⁷إلزا غودار، (ترجمة) سعيد بنكراد، أنا أوسلفي إذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2019، ص 85
- ⁴⁸محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار وعلاقتها بالهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية، موفم للنشر الجزائر 2016، ص 119
- ⁴⁹كاترين هالبيرن وآخرون، ترجمة: ابراهيم صحراوي، الهوية(ات)ة.. الفرد، الجماعة المجتمع، دار التنوير، الجزائر، 2015، ص 19
- ⁵⁰عبد الله زارو، سلطان العشق مساهمة في سوسيولوجيا التعلق، دار الكتب العلمية بيروت 2011، ص 182
- ⁵¹بهية بطاوي، دور الأسرة والمدرسة في تشجيع الطفل على المطالعة، مجلة فكر ومجتمع العدد 21 تموز 2014، دار طاكسيج كوم، الجزائر، ص ص 371-372
- ⁵²نفس المرجع، ص 376

- ⁵³دهكو محمد، مبدأ تدريس العلوم بالعربية في ضوء القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية العدد 44
2019، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 302
- ⁵⁴أحمد زردومي، مسعي أحمد محمد الصالح، الزوايا ببين الماضي ومتطلبات المعاصرة قراءة
في بعض مظاهر التحديث لدى بعض زوايا الطرق الصوفية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية
والاجتماعية، العدد 02، ص 257
- ⁵⁵آمال عميرات، الاتصال اللفظي وغير اللفظي في مجال الإعلام والاتصال في بعده التعليمي
التربوي، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد 25 السداسي الثاني 2013
الجزائر، ص 258
- ⁵⁶نفس المرجع، ص 259
- ⁵⁷رمزي منير بعلبكي، هوية الفصحى، بحث في التصنيف والخصائص، مجلة تبين المجلد
الأول، صيف 2016، ص 36
- ⁵⁸الصادق حاجي، أهمية التعليم وأثر مساهمته في ازدهار اللغة العربية، أعمال الملتقى الوطني
ازدهار اللغة العربية، الآليات والتحديات يومي 19-20 أفريل 2017، المجلس الأعلى للغة
العربية، منشورات المجلس، 2017، الجزائر، ص 380
- ⁵⁹جميل حمداوي، بيبير بورديو وأسئلة علم الاجتماع، سلسلة البحث الأكاديمي، المغرب 2018
ص ص 54-64
- ⁶⁰غوستاف لوبون، (ترجمة) هاشم صلاح، سيكولوجية الجماهير، دار الساقى، بيروت 2016
ص ص 07-08
- ⁶¹عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات
الوحدة العربية، بيروت، 2017، ص 64
- ⁶²قاصد مراد، صناعة ألعاب الفيديو واقتصادها: النشأة التطور والخصائص، المجلة الجزائرية
للاتصال، العدد 24 السداسي الثاني 2015، ص 221
- ⁶³أحمد دواح، نورية بن عدي، أهمية الانغماس اللغوي في ضوء الملكة التواصلية عند ابن
خلدون والحاج صالح، ملتقى الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، المجلس الأعلى للغة
العربية، أعمال الملتقى الوطني منشورات، المجلس 2018، الجزائر، ص ص 304-305

- ⁶⁴العطوي سليمة، الفهم القرآني للنص المكتوب ونماذج، واستراتيجيات تعلمه، مجلة دفاتر علم الاجتماع العدد 09 جويلية 2013، جامعة الجزائر 02 قسم علم الاجتماع والديموغرافيا الجزائر، ص 93
- ⁶⁵غاستون ميلاريه (ترجمة) رباب العابد، علم النفس التربوي، دار مجد، بيروت 2009 ص 142-143
- ⁶⁶نفس المرجع، ص ص 71-72-73
- ⁶⁷بوشلاغم زينب، تناول مفهوم الحضور الاجتماعي في دراسة الميديا الجديدة، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، العدد 11 السداسي الثاني 2017، الجزائر، ص 290
- ⁶⁸، نفس المرجع، ص 286-287
- ⁶⁹فاطمة صغير وهيبة وهيب، آليات الانغماس اللغوي وفعاليتها في تعلم اللغة العربية ملكة الحفظ نمودجا، ملتقى الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، المجلس الأعلى للغة العربية أعمال الملتقى الوطني، منشورات المجلس 2018، الجزائر، ص 49
- ⁷⁰نفس المرجع، ص 51
- ⁷¹صالح بلعيد، في الرفاه اللغوي، كلمة ألقاها رئيس المجلس الأعلى للغة العربية صبيحة ملتقى الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي، يومي 19-20 فيفري 2020، بمناسبة اليوم العالمي للغة الأم، المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، ص 03-04
- ⁷²نفس المرجع، ص 56-57
- ⁷³هاشمي لباس، دور التخاطب بالفصحى في المدرسة وأقره في تنمية الملكة اللغوية لدى المتعلم، ملتقى الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال الملتقى الوطني، منشورات المجلس 2018، الجزائر، ص 320
- ⁷⁴أحمد دواح، مرجع سبق ذكره، ص 301
- ⁷⁵فاطمة صغير، وهيبة وهيب، مرجع سبق ذكره، ص 64
- ⁷⁶نعيمة رشيد، دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تعزيز مبادئ المواطنة اللغوية _ المواطنة اللغوية ودورها في تعزيز سبل التعايش السلمي بين اللغات الوطنية في الجزائر، أعمال ملتقى وطني 26-27 جوان 2019 منشورات المجلس، 2019 الجزائر، ص 532

⁷⁷ يوسف وسطاني ، عينات من وسائل المجلس الأعلى للغة العربية في تطوير العربية جهود المجلس الأعلى للغة العربية في تطوير اللغة العربية ، أعمال ندوة ، منشورات المجلس ، 2019 ، الجزائر ، ص 224

⁷⁸ مخلوف بوكروح ، التلقي في الثقافة والإعلام، مقامات للنشر والتوزيع ، الجزائر 2011 ص 69

⁷⁹ Aurélie KESSOUSLA NOSTALGIE : UNE GRILLE DE LECTURE SEMIOTIQUE
Communication au 6ème Congrès sur les Tendances du Marketing en Europe
Paris, 26-27 Janvier 2007.P 02-01

⁸⁰ عبد الله زارو ، مرجع سبق ذكره ، ص 183

⁸¹ قرناني ياسين ، فرقاني أمنية مواقع التواصل الاجتماعي ونوستالجيا القيم في المجتمع الجزائري ، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، المجلد 10 العدد 3 ، جامعة زيان عاشور الجلفة ، ص 04

⁸² عبد الغني عماد ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 93-94

⁸³ عمارة كريمة ، عباس صافية ، مرجع سبق ذكره ، ص 64

دور الكتاتيب والمدارس القرآنية في خدمة اللغة العربية والمحافظة على الهوية الإسلامية من خلال شهادات نخبة من كتاب وعلماء الجزائر - معالجة تحليلية لرؤى متميزة -

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة

جامعة عنابة، الجزائر

مهاده: إن الدور الذي نهضت به الكتاتيب القرآنية فيما عرفته (الجزائر) من تحولات على مدى مراحل مختلفة عبر تاريخها البعيد والقريب، و من ألوان التحوّل الثقافي وأنماط التفاعل الحضاري، دورٌ ذو أهمية بالغة وشأن عظيم، والبحث في دور الكتاتيب في خدمة اللغة العربية وغرس روح الانتماء للأمة، والمحافظة على الهوية الإسلامية يكتسي أهمية بالغة، ويُغري بالدراسة والبحث، نظراً للدور العظيم الذي اضطلعت به الكتاتيب القرآنية في تربية الناشئة على مدى عقود طويلة، عرفت خلالها الجزائر جملة من الأحداث الجسام، والأرزاء والمحن المتتالية، ويعود الفضل الأكبر في نجاح دور الكتاتيب إلى صلتها الوشيحة ببيئة التلاميذ و ثقافتهم وعدم تنكرها لمقومات الأمة التي ينتسبون إليها، والأرض التي يحيون على أديمها حيث سعت إلى تأصيل التلاميذ في محيطهم وبيئتهم، فحبيت إليهم القرآن الكريم واللغة العربية، وعلمتهم كيف يستخلصون العبرة من التاريخ من أجل بث الوعي بالحاضر وخلق حالة من التسلح الذاتي لمواجهة مصيرهم، كما علمتهم خصائص (البلاد الجزائرية) التي ينتمون إليها، وأبرزت لهم كفاح شعبهم وبطولاته، وكشفت النقاب عن مسيرة زعمائهم، و حياة أبطالهم، وذلك بغرض تنشئتهم على الاعتزاز بأمتهم، وتعويدهم على إتقان لغتهم العربية ومحبتها، من أجل تأهيلهم إلى إدراك شتى القيم المقدسة ومعرفة معنى الروح والإيمان بالدين الإسلامي، وتعاليمه السمحة

ومقاصده السامية. ومن المسلم به أن التعليم القرآني من خلال الكتاتيب كان مُنتشراً قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة: (1830م)، وكان جميع الجزائريين تقريباً يُحسنون القراءة والكتابة، بيد أن طرائق التدريس لم تتطور بشكل كبير وظلت تقليدية، وكانت أقل وحدة للتعليم الابتدائي هي الكُتّاب (جمع كتاتيب) أو المكتب كما يسمى أحياناً، وفي العاصمة على سبيل المثال كان يُطلق عليه اسم (مسيد)، الذي يبدو أنه محرف من تصغير كلمة (مسجد)، وقد كان الكُتّاب يُخصص لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، ويتشكل من حجرة أو دكان في الأصل، أو جناح في مسجد معد للغرض المذكور، وفي بعض الحالات كان يتم الاكتفاء بفتح غرفة في منزل تُجعل كُتّاباً للأطفال، فالكُتّاب مؤسسة تربوية إسلامية عريقة وقديمة، عرفتها المُجتمعات الإسلامية، وقد انتشرت في شتى الكور والأصقاع من البلاد الإسلامية وقد ظهرت الحاجة إليها للقيام بدور متميز لتعليم الصبية الصغار، وكان الكُتّاب يرمي إلى تحفيظ القرآن الكريم، ومبادئ الفقه، إضافة إلى تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وكثيراً ما يكون بجوار المسجد ويشرف عليه إمامه، ويصرف عليه من المصاريف التي تجمع للمسجد، وقد عرفت الكتاتيب انتشاراً واسعاً جداً في جميع الأحياء، ومنها الذي كان يحمل اسم الحي الذي ينتمي إليه، مثل: مكتب(الشماعين) ومكتب (سوق القندقية)، ومسيد (القيصرية) وبعضها كان يحمل اسم (الزاوية) أو (الشارع)، مثل: كتاب زاوية (الجامع الكبير). وليس يخفى أن هناك مجموعة من الأفراد والجمعيات الخاصة بذلوا مجهودات كبيرة في نشر التعليم العربي (الحر) فظهرت مجموعة من الكتاتيب والمدارس مثل: مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، وذلك ابتداءً من عام: 1913 إلى عام 1940م ومدرسة الشبيبة الإسلامية العربية التي تأسست في حدود عام: 1927م من قبل جماعة من رجال العاصمة في حي (باب الجديد) في (العاصمة)، ثم نقلت بعد سنوات إلى حي الثعالي. ومما لاشك فيه أن الإدارة الفرنسية بعد احتلال (الجزائر) ضيّقت أشد التضييق على المدارس القرآنية والعربية، بسبب علمها بالدور

الكبير الذي تؤدبه في بث الروح الوطنية، وتربية الأجيال، والمحافظة على طابع الهوية الإسلامية، واللغة العربية، ولذلك فقد شنت حرباً شعواء ضد المؤسسات التربوية الشرعية، حتى تجعل من اللغة الفرنسية مع مرور الزمن لغة التعامل الرسمي، ولغة التعليم والتكوين والتخاطب، بعد أن حولتها إلى لغة الإدارة، من أجل الوصول بالمضمون الفكري للجزائريين إلى مرحلة قابلة للتفكك والصيغة والتشكيل وفق الأنموذج الفرنسي الاستعماري، فاللغة وعاء الفكر وهي تعكس روح المجتمع وتُعبّر عن واقع الشعب الناطق بها، وتُبرز نفسيته وعقليته، وطبعه، ومُناخه الاجتماعي والتاريخي، ولذلك فقد نجحت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في إيجاد جيل جزائري متأثر بالثقافة الفرنسية، واتجه نحو الغرب في ثقافته ولذلك ألفينا بعض العناصر من هذا الجيل أدارت ظهرها للعربية، وللإسلام، وللوطن وهذا ما جعل العلامة (ابن باديس) يُصرح أمام إدارة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة قائلاً: «كان أبناؤنا من قبل يذهبون إلى المدارس الأجنبية التي لا تُعطيهم غالباً من العلم إلا الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفاسف، حتى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين لدينهم ولغتهم وقوميتهم وقد يُنكرونها...»⁽¹⁾. كما نبه خلال عدة مناسبات دينية وثقافية إلى أن اللغة العربية قد أشرفت على الاضمحلال لولا أن تداركتها الكتاتيب وأخذت بيدها وانتشلتها من الحضيض الذي وصلت إليه، ومن هنا ندرك الدور الكبير الذي اضطلعت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية والمحافظة على الهوية الإسلامية من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها علماء الجمعية في الحفاظ على روح الانتماء للأمة الجزائرية، والوقوف سداً منيعاً ضد مخططات الاستعمار الفرنسي للقضاء على الدين الإسلامي، واللغة العربية، فالفضل الكبير في توعية الشعب الجزائري يعود للجهود الجبارة التي بذلها علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فوفق ما جاء في منشور لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين نُشر في جريدة البصائر عدد: (160) الصادرة في (07 أبريل 1939م) ما يلي : « إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها وأعمالها

جزائرية في مدارها وأوضاعها، علمية في مبدئها وغايتها، أسست لغرض شريف تستدعيه ضرورة هذا الوطن وطبيعة أهله، ويستلزمه تاريخهم الممتد في القدم إلى قرون وأجيال، وهذا الغرض هو تعليم الدين ولغة العرب التي هي لسانه المعبر عن حقائقه للكبار في المساجد التي هي بيوت الله وللصغار في المدارس على وفق أنظمة لا تصادم قانونا جاريا ولا تتراح نظاما ما رسميا ولا تضر مصلحة أحد، ولا تسيء إلى سمعته فجميع أعمالها دائرة على الدين، والدين عقيدة، اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايته وعلى التعليم والتعليم مهنة، اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها وإكبار أهلها»⁽²⁾. وطبقا لشعارها: الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا وهي المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فقد ناضلت جمعية العلماء نضالا صامدا لا هوادة فيه، ضد كل ما يمس أحد مقومات الشخصية الجزائرية من قريب أو بعيد، ولذلك حاربت حربا لا هوادة فيها الأمور التالية: التنصير، والفرنسية، والتجنيس، والاندماج في فرنسا. ففرنسا معروفة بمكائدها تجاه الجزائريين، وتجاه الثقافة العربية الإسلامية، فهي لم تقف عن حد تجريد الإنسان الجزائري من أرضه، ومسح شخصيته فقط، بل عملت على إفساد العقول والقلوب بشكل تخريبي، وقد اتضح هذا الأمر من خلال مجموعة من العناصر التي ركزت عليها بشكل كبير، وفي مقدمتها القضاء على المراكز الثقافية من خلال إغلاق العديد من المساجد، والمدارس القرآنية كونها كانت تُشكل المنبع الرئيس لتشكيل ثقافة الناشئة والكبار، وغرس روح الانتماء للأمة الجزائرية، وتنمية دوافع الشهامة والاعتزاز في نفوس الجزائريين الصغار، ولذلك فقد تم تحويل الزوايا التي لم تخرب إلى أوكار تدين بالولاء، مع الاقتصار فقط على حفظ القرآن الكريم، وهذا ما اعترف به مجموعة كبيرة من المستشرقين الفرنسيين، حيث كتب أحدهم سنة: (1908م) معترفاً بالأعمال التخريبية التي قامت بها فرنسا: «إن المساجد والزوايا مقتصرة على تعليم القرآن الذي يحفظه التلميذ عن ظهر قلب. أما المدارس التي يستطيع التلميذ أن يتعلم فيها مواد أخرى فعددها محصور جداً، ويبدو أن هذا العدد يتناقص باستمرار»⁽³⁾. فالاستعمار الفرنسي

كان عازماً على مسخ الشخصية الجزائرية بقطعها عن دينها القويم وعروبتهما القيمة، وماضيها المجيد. ذلك أن فرنسا كانت تخشى من هؤلاء المعلمين (والمتعلمين)، وترى أن القرآن هو المنبه الأعظم لشعور المواطنين. وقد قررت القضاء عليه عندما صرح أحد النواب في البرلمان الفرنسي بأن: «القرآن يُحرض المسلمين على إلحاق الضرر بفرنسا، والإساءة للفرنسيين».

دور الكتاتيب والمدارس القرآنية في خدمة اللغة العربية والمحافظة على الهوية الإسلامية من خلال شهادات نخبة من كتّاب وعلماء الجزائر:

يُجمع الدارسون على أن اللغة العربية اعتبرت من لدن الفرنسيين لغة أجنبية غريبة عن أبناء الجزائر، واعتبروا لغتهم الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة السيادة وهذا يعد موقفاً واضحاً ضد الدين الإسلامي الحنيف، نظراً للارتباط الوثيق بين اللغة العربية لغة القرآن الكريم والإسلام، فهي لغة الحضارة التي كُتبت بها تراث الدولة الإسلامية، ومن جهة أخرى فجميع القرارات المعادية للغة العربية كانت تُبرز مواقف سياسية بينة ضد العهد العثماني، الذي كانت فيه العربية لغة البلاد الإدارية والقضائية والتعليمية باستثناء الجهاز المركزي بالعاصمة (الجزائر)، حيث كان الخلط بين العربية والتركية، في حين أن إدارة الأقاليم والأوطان والجماعات والمدارس والمحاكم كانت كلها باللغة العربية، وهكذا فإن إقرار اللغة الفرنسية لغة رسمية كان نفيًا واضحاً لما عداها، مما يؤكد السيادة المطلقة لفرنسا، وضرب الدين الإسلامي ولغته وحضارته في الصميم⁽⁴⁾. ويتساءل في هذا الصدد شيخ المؤرخين الجزائريين العلامة (أبو القاسم سعد الله) هل أن الفرنسيين لم يُدرّسوا اللغة العربية الفصحى؟ ويجب بأنهم قد فعلوا ذلك، كونهم اعتبروها لغة ضرورية لبلادهم من الناحية السياسية والتجارية والعلمية ونشروا منها نصوصاً عديدة، وترجموا من تراثها الكثير ولاسيما منهم فئة المستشرقين، كما استعانوا بمجموعة من أبناء الجزائر، كما عاشت اللغة العربية الفصحى أيضاً في المدارس الرسمية الثلاث التي بدأت تعمل سنة: (1850م)، وكان هدفها تخريج القضاة المسلمين، لأن الإدارة الفرنسية تحتاجهم

وكان في عاصمة كل إقليم مدرسة (تلمسان للغرب، والعاصمة للوسط، وقسنطينة للشرق) وقد مرت هذه المدارس بمراحل من حيث البرمجة: مرحلة التعريب الكامل ومرحلة الفرنسية الجزئية التي انطلقت سنة: 1876م، ثم مرحلة ازدواجية البرنامج (العربي/الفرنسي)، وكانت الدراسة بالفرنسية في سائر المواد الفرنسية، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الإدارة وطرائق التعليم كانت أيضاً فرنسية، ولذلك فقد أضحت اللغة العربية الفصحى غريبة حتى في المدارس الرسمية⁽⁵⁾. ويُنبه شيخ المؤرخين الجزائريين إلى أن اللغة العربية الفصحى ظلت تقاوم في بعض الزوايا التي سُمح لها بالنشاط التعليمي، مثل: (زوايا زاووة)، و(زوايا الهامل)، و(زوايا طولقة)، ويرى أن المساجد الرسمية كانت قد حافظت على الفصحى إلى حد كبير، وذلك من جهتين: «الجهة الأولى هي الخطب الدينية، فهي على بساطتها وسذاجتها كانت بالعربية الفصحى ومن ثمة تأتي العلاقة بين العربية والدين، مما جعل بعض الفرنسيين يُشبهه العربية باللاتينية في الكنائس ويحكم بأنها لغة ميتة كاللاتينية أيضاً. والجهة الثانية هي بعض الدروس التي رخص بها الفرنسيون، وقد كانت الدروس في أول الأمر مُقتصرة على جمهور محدود...ولكن المدرسين كانوا باستثناء عدد منهم يستعملون اللغة القريبة من الفصحى بحكم النصوص التي ينقلون عنها، وبسبب تأثرهم بالمدرسة (الرسمية) التي تخرجوا منها»⁽⁶⁾.

لقد لعبت الكتاتيب والزوايا دوراً متميزاً جداً في مجال المقاومة الثقافية، حيث يقول العلامة (سعد الله) وهو بصدد إيضاح الاتجاهات الفكرية والثقافية للحركة الوطنية: «وكانت بعض المؤسسات الدينية-الزوايا- قد لعبت دوراً إيجابياً في مرحلة ردود الفعل...، وكانت هذه المؤسسات خلال القرن الماضي هي ما بقي للجزائر من نظم قديمة قائمة. فقد انحلت عرى الدولة والجيش، وتفككت أوصال الفئات الاجتماعية بالحروب والهجرة، وشلت وظائف المسجد والكتاتيب، وصودرت الأوقاف، ولكن الزوايا ظلت قائمة، خصوصاً في الأرياف، تؤدي دورها الديني والتعليمي والعسكري أيضاً، وبكفي أن نذكر في هذا المجال أهم فروع الزاوية

الرحمانية والقادرية»⁽⁷⁾. ويُنْبَه شيخ المؤرخين الجزائريين إلى أنه بعد أن أحل المستعمر الفرنسي مؤسساته الثقافية محل المؤسسات الثقافية الوطنية، غير أن تلك المؤسسات لم تعوض الجزائريين ما فقدوه في مؤسساتهم الثقافية الوطنية، و كل ذلك لم يمنع الجزائريين من تعويض ما فقدوه ثقافياً، حيث إنهم بعد العهود الأولى من المقاومة المسلحة وتمزيق الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإنسان الجزائري، عاد الجزائريون إلى وسائلهم القديمة باللجوء إلى الكتاتيب والزوايا التي وإن لم تمنحهم علماً نافعاً في الدنيا، فإنها أشبعت نهمهم الروحي وظلت تربطهم بماضيهم التليد، كما أعطتهم سلاحاً قوياً في استمرار عملية المقاومة والوقوف ضد ذوبان الشخصية الوطنية وانصهارها في شخصية المُستعمر، كما أن بعض الدارسين قد يحكمون على طرائق التعليم القرآني في الكتاتيب التقليدية والزوايا بالتخلف والتأخر عن مسابرة العصر، ولكنه كان نوعاً من التعليم المقاوم الذي أسهم في المحافظة على اللُّغة العربية، فقد كان ينهض على أنه كان يمثل أساس أيديولوجية وطنية تقوم على رفض وجود المستعمر الفرنسي المتعطرس والمضطهد لحقوق أصحاب الأرض الأصليين من أبناء الجزائر، وقد اتضح هذا التعليم الأيديولوجي الوطني في إنشاء المدارس الحرة التي شرع فيها أولاً بعض الأفراد المحسنين مثل: (مدرسة الشبيبة)، و(مدرسة الفلاح)، ثم تبنيتها لاحقاً شتى الهيئات الوطنية، ولعل أبرزها: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ إنشائها وحزب الشعب الجزائري في عهده الأخير، وقد كانت تلك المدارس تنهض على كواهل ثلة من المعلمين الذين شغفوا بالإصلاح الإسلامي وتخرج جلهم من: (جامع الزيتونة)، و(القرويين بفاس)، وبعضهم من (الأزهر الشريف)، كما أن الأسفار والكتب المدروسة في تلك الكتاتيب كان معظمها مؤلفاً في (المشرق العربي)، أو هي أصلاً كتب التراث العربي الإسلامي، أو أنها من الكتب المتأثرة بتيار الفكر القومي الذي أخذ في الظهور بالمشرق⁽⁸⁾.

لقد أدت المدارس الدينية دوراً كبيراً في خدمة اللُّغة العربية والحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي، وهي تعد امتداداً للعهد العثماني، والجدير بالذكر أن التعليم كان

مُنْتَشراً في كامل أنحاء القطر الجزائري، وكان جميع الجزائريين قبل الاحتلال الفرنسي يُحسنون القراءة والكتابة، غير أن طرائق التدريس لم تتطور وظلت تقليدية ولكنها حافظت على اللغة العربية وخدمتها، وكان التعليم يقوم على ثلاث مراحل رئيسية: التعليم الابتدائي وفيه يدخل التلميذ ما بين الرابعة والسادسة، وينطلق في حفظ القرآن الكريم تحت إشراف معلمين يتم انتقاؤهم من قبل سكان الحي أو القرية وتدفع أجورهم مما تدره أملاك الأحماس، أو من قبل الأولياء أنفسهم⁽⁹⁾. وقد عرفت المدارس الابتدائية انتشاراً مذهباً، وكثرت بشكل كبير بحيث لا يكاد يخلو منها حي من الأحياء في المدن، ولا قرية من القرى في الأرياف، فقسطنطينة وحدها عند دخول المحتل الفرنسي يوجد بها ما يزيد عن ثمانين مدرسة ابتدائية، أما (تلمسان) فقد كانت تتميز بوفرة كبيرة في المدارس، أما (الجزائر العاصمة) فقد كان بها حوالي مائة مدرسة بين ابتدائية وغيرها عند دخول الفرنسيين، وقد كانت في (بجاية) و(وهران) و(معسكر) و(عنابة) مدارس كثيرة، مما جعل جميع الذين زاروا (الجزائر) خلال الوجود العثماني بها ينبهون من كثرة المدارس فيها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان⁽¹⁰⁾. أما التعليم الثانوي فقد كان يتم في (المساجد)، وفيه يتلقى الطالب مختلف مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والميراث والحساب، وقد كانت في مدينة (تلمسان) خمس مدارس ثانوية وعالية أشاد بها أيما إشادة الرحالة والكتّاب المغربي الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، ومن أبرز المدارس في غير العواصم: (مدرسة الخنقة)، و(مدرسة مازونة)، وقد كانت الأولى يشد لها الرحال من قبل طلبة (الزيبان) و(وادي سوف)، و(الأوراس)، وحتى (قسطنطينة) و(عنابة)، أما مدرسة (مازونة) فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية من البلاد، وقد كان لها نظام راسخ، وعُرفت بمجموعة من التقاليد المتينة التي استمدتها من صلتها بالتعليم في (تلمسان) و(الأندلس) و(المغرب الأقصى)، في حين أن التعليم العالي لم يكن يصل إليه إلا الطلبة المتفوقون، وقد كان ينطلق التخصص في شتى فروع العلوم الشرعية من تفسير وفقه وحديث وغيره، وقد أشار (فانتور ديبارادي) في القرن

الثامن عشر (18م) إلى وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة (الجزائر) وحدها وكانت دروس جوامعها تضاهي، بل تفوق أحياناً شتى الجوامع في العالم الإسلامي نظراً لتنوع الدراسات فيها، وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي⁽¹¹⁾. لقد عرف العهد العثماني انتشاراً كبيراً للتعليم، وهذا ما شهد به الجنرال (بيدو) الذي درس مسيرة التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، ثم كتب تقريراً نوه فيه بانتشار التعليم في الجزائر العثمانية، وكان الجنرال (بيدو) صريحاً كل الصراحة حين وجد أن الفرنسيين قضوا على التعليم الذي كان سائداً قبل الاحتلال بضم أوقافه إلى أملاك الدولة وتدجين رجال الدين وتشريد الطلبة، وبالنظر إلى التعليم من حيث (الكم)، فإنه كان شائعاً عند أغلب المواطنين، فالحقيقة التي يجب إقرارها أن انتشار القراءة والكتابة هو الذي بهر الفرنسيين حين درسوا ولاحظوا أن التعليم في (الجزائر) كان أكثر انتشاراً فيها منه في بلادهم فرنسا، ويُنبه العلامة (أبو القاسم سعد الله) إلى أنه يجب الاعتراف أن (نوع) التعليم عندنا وعندهم كان مختلفاً، فبينما كان كثرة المتعلمين عندنا لا يستعملون علمهم إلا في مجالات محدودة، أغلبها دينية وأدبية كان الأوروبيون يستعملون علمهم في الحياة العملية والتطبيقية، فهم رغم قلة عددهم علماء في العلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والهندسة وكانوا يمتلكون صناعة متطورة، ولهم اقتصاد منظم وجيش مُجهز بأسلحة جديدة فتاكة، ومطابع وصحف، ونظام سياسي يسير نحو الديمقراطية، أما طريقة التعليم وبرنامجه ومراحله فقد كانت في بعض المناطق تسير بأن الطفل يرسل إلى الكتاب القرآني في مدة قد تزيد أو تنقص عن (سبع سنوات)، وفي هذه السن (حوالي 12 سنة) يشرع في العمل مع عائلته وأهله حسب نوع العمل الذي يمارسونه، وقد كان بعض الأطفال يتوجهون إلى (الزوايا) التي قد تكون بعيدة عن المدينة التي يقطنون بها، مما يجعلهم يفارقون أهلهم، فيتعلمون فيها مجاناً مبادئ علوم شتى ذات مستوى مناسب لسنهم مدة تزيد أو تنقص عن (سبع سنوات) أخرى، وفيها يتمكن التلميذ من إتقان حفظ القرآن الكريم وتعلم شتى علومه: (الحديث، والتفسير، والرسم، وأسباب

النزول، وجمع المصحف...)، كما يتعلم كذلك الفقه وأصول الدين والعقيدة والفلسفة والمنطق، فضلاً عن علوم العربية كالصرف والبلاغة والنحو والعروض والأدب والإنشاء، وبعد أن يفرغ التلميذ من هذه المرحلة وينتهي تتغير وضعيته ويصبح التلميذ (طالباً)، ولذلك يغدو باستطاعته مساعدة شيوخه في تعليم من هم أصغر منه⁽¹²⁾. ومن أبرز الملاحظات والرؤى العميقة التي تتصل بدور المدارس القرآنية والكتاتيب في خدمة اللغة العربية إبان العهد العثماني، وهي تتصل في بعض جوانبها بالتعليم بصورة خاصة في ظل الوجود العثماني، تلك الرؤى التي قدمها العلامة (أبو القاسم سعد الله) الذي يُبهِ إلى مجموعة من الحقائق، وهي أن التعليم كان مُنتشراً ومجانياً وخصوصاً، بيد أنه ليس تعليماً وظيفياً، فهو أقرب إلى التبرك منه إلى سلاح الحياة، وخدمة الدين والعلم بمفهومه الواسع، فقد كانت الأوقاف مصدراً لغذاء العلماء والطلبة وصيانة المؤسسات الدينية والعلمية، ومن بين أبرز النتائج التي يُنبه إليها (شيخ المؤرخين الجزائريين)، والتي ترتبت على وضع التعليم في العهد العثماني أن جهل الحُكام وعدم ارتباطهم بالمجتمع وثقافته، أدى إلى عدم تقديرهم للعلم والعلماء بل إنهم ربما كانوا يخشون هؤلاء ويتقون غضبهم، وربما كانوا يفرحون بهجرتهم إلى خارج الوطن، إضافة إلى أن غياب المركزية العلمية أو المرجعية، أدى كذلك إلى عدم تقدير المجتمع لمكانة العالم، فهو عندهم مجرد (طالب) سلطة (قضاء أو إفتاء أو منصب مدرس في جامع كبير...)، وليس مثقفاً منتجاً ومحافظةً على هوية شعب بأكمله، كما أن غربة الحكام أدت إلى عدم تعلقهم وارتباطهم الثقافي (المذهبي واللغوي والفكري)، فارتباطهم بالمجتمع كان ارتباطاً دينياً عثمانياً (أي: الولاء للإسلام وللسلطان...)، ويضاف إلى هذا الأمر أن ضعف التعليم ومحليته والتوقع الثقافي جميع هذه العوامل أدت إلى شيوع الأدب الشعبي الذي أسهم بدوره في جعل الثقافة تتخذ الشكل المحلي لا الوطني، فكانت (الجزائر) في عهد العثمانيين تعيش على مجموعة من الثقافات، رغم أن التعليم كان في شتى المستويات يُقدم باللُّغة العربية كما كان كذلك القضاء والإفتاء والإنتاج الأدبي

والفقه، فالأدب الفصيح والراقي والمفهوم لدى جميع المثقفين محلياً وعربياً وإسلامياً كان قليلاً، لأن منتجيه كانوا بمثابة الصناع المهرة والعملة الصعبة نادرين في سوق الثقافة والأدب. والحقيقة هي أن الفرنسيين كانوا قساة على الحكم العثماني لعدة أسباب، فإذا كان العثمانيون تركوا التعليم لأبناء الجزائر، فالاحتلال الفرنسي جعل التجهيل سياسة يتبعها بدقة من أجل إفساد وتخريب الثقافة الجزائرية، وتحطيم اللغة العربية، وجعلها غريبة في عُقر دارها⁽¹³⁾، فموقف الفرنسيين من الثقافة الوطنية كان موقفاً واضحاً، ذلك أنهم منذ اللحظات الأولى للاحتلال أخذوا في هدم المساجد والكتاتيب وبعض الزوايا التي كانت تقوم بنشر التعليم، وكانت تُدرس اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، وقد كان يتخرج منها المفتون والقضاة والمدرسون والفقهاء والعلماء. وكانت أبرز الدعاوي التي استندوا إليها في ذلك على أنواع مختلفة، فهذا (المسجد) يُوشك على الانهيار وهذا (الكتاب) غير صحي، وهذه (الزاوية) تعوق مد الطرق العامة...إلخ، وحتى تتم الحلقة حول الثقافة الوطنية استحوذ الفرنسيون على الأوقاف الإسلامية، بما في ذلك أملاك الحرمين وسبل الخيرات، وحولوها إلى أملاك الدولة، كما أخضعوا كل الشؤون الدينية إلى حُكامهم وإدارتهم، حيث إن تعيين رجال الدين، وتحديد المواسم الشرعية ورخص التدريس كلها أضحت تحت سيطرتهم ومن اختصاصهم، ويضاف إلى هذا الأمر وضع بعض علمائهم لتسيير المكتبات الخاصة، ومكتبات الزوايا والمساجد فعلى سبيل المثال أن (مكتبة الأمير عبد القادر) وقعت في أيدي الفرنسيين بعد حادثة (الزمالة)، و(مكتبة الفكون) و(باش تارزي بقسنطية)، ومكتبات مساجد (تلمسان) و(معسكر)، ومكتبات الخاصة بالعاصمة بعد أن حكموا بنفي أصحابها، مثل: (حمدان خوجة)، و(ابن العنابي)، و(ابن الكبابي)، وغيرهم من علماء المدرسة التقليدية⁽¹⁴⁾. لقد كانت اللغة العربية هي الأكثر انتشاراً حين وقع الاحتلال الفرنسي للجزائر، فهي لغة التعليم في المدارس والزوايا والمساجد، وهي اللغة الأدبية التي تكتب بها البحوث، وتؤلف بها الكتب، وهي أداة التعامل في (المحاكم الشرعية) والمراسلات الرسمية، وقد كانت

توثق بها عقود الأوقاف والمواريث، كما تكتب بها محاضر المداولات الإدارية والمنازعات في كل أنحاء القطر، وهي كذلك لغة الأدباء والخطباء، والمعروف أن الحروف العربية هي التي كانت مُستخدمة سواء في اللهجات الدارجة، أو باللغة العثمانية⁽¹⁵⁾. لقد كانت هناك جملة من الكتاتيب والمدارس القرآنية في الجزائر التي أدت دوراً عظيماً في خدمة اللغة العربية، حيث إن هناك ثلثة من الأفراد والجمعيات الخاصة بذلوا جهوداً مهمة جداً في نشر التعليم العربي (الحر) خلال مرحلة وجود الاستعمار الفرنسي، ومن أبرزهم الرجل الخبير (محمد خطاب الفرقاني) الذي قدم خدمات جليلة للثورة الجزائرية، ولجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والذي كان الشيخ العلامة (محمد البشير الإبراهيمي) يُثني عليه أيما ثناء في مقالاته بجريدة البصائر، ويصفه بالرجل المنقطع النظير البار بأمنته ووطنه، ويؤكد على أنه نابغة من نوابغ المحسنين من طراز خاص يقل وجوده في الأمم، وكان يُطلق عليه الشاعر الكبير (مفدي زكريا) اسم بطل الفلاحة إمام المحسنين، وقد كتب عدة قصائد يثني فيها على جهوده وأعماله الإنسانية والخيرية التي قدمها للثورة الجزائرية، وقد أعجب العلامة (محمد البشير الإبراهيمي) أيما إعجاب بجهوده في خدمة الكتاتيب والمدارس القرآنية و اللغة العربية من خلال دعمه للمدارس الحرة التي كانت تُدرّسها، وقد شكره عدة مرات نظير جهوده في دعم الكتاتيب القرآنية التي لعبت دوراً منقطع النظير في الرفاه اللغوي، حيث نلفيه (العلامة محمد البشير الإبراهيمي) يُبرز جهود هذا الرجل المحسن (محمد خطاب الفرقاني) في مجموعة من المقالات التي كتبها في جريدة (البصائر)، من بينها ما كتبه يوم: (29 أوت 1947م)، بعنوان: (محمد خطاب الفرقاني)، يقول: «هذا الرجل من أبناء الجزائر الذين رفعوا رأس الجزائر ومن أبناء هذا الشمال الذين أوسعوه براً وتكرمة وجعلوا من مالهم ومواهبهم وسائل لغرس الأخوة بين أبنائه، ولم يعيشوا لأنفسهم بل عاشوا لإخوانهم وأوطانهم وما أقل هذا الصنف من الرجال فينا ويا للأسف... ولد السيد محمد خطاب في جبال (الميلية) الشماء، ونشأ بين صخورها الصماء، وفتح عينيه على آثار من الشمم والهمم والعزة

والكرم، وعلى عاصمة في الحياة امتاز بها أبناء الجبال، فكان لذلك كله في حياته وتكوينه أثر غير قليل، ثم هاجر إلى المغرب سنة أربع وعشرين ميلادية بعد هجرة أخيه الأديب الكاتب الأستاذ (رابح الفرقاني) المترجم الحر بفاس، واتخذ الأخوان من المغرب وطناً ثانياً لهما وكونا بكرم أخلاقهما ولطف شمانلهما مكانة ممتازة بين أهله. والسيد محمد خطاب عصامي النفس عربي النزعة لا يسير في الحياة إلا على وحي الفطرة وهداية الاستعداد ومسايرة القومية، لذلك اختار الفلاحة حرفة فجح فيها وبارك الله في أعماله، فتأثّل منها ثروة عريضة رأى من شكر الله عليها أن يفيء بجزء منها على المشاريع العلمية النافعة لوطنه الكبير وللسيد محمد خطاب في مبراته العلمية ومكارمه رأي هو فيه نسيح وحده، فهو يرى تمام المكرمة وكمالها أن تكون على يد جمعية العلماء، وله في جمعية العلماء اعتقاد مصمم وله بها صلة وثيقة الأسباب تمتد أوائلها إلى أوائل الحركة التعليمية بقسنطينة وله ولأخيه الأديب علائق متينة مرعية بإمام النهضة المرحوم عبد الحميد بن باديس وكان لهما في حياته اشتراك مالي سنوي مقرر في كل مشاريع جمعية العلماء المسلمين من جرائدها إلى صندوق الطلبة إلى مدرسة التربية والتعليم. وفي السنة الماضية قرر السيد محمد خطاب مبرتين ماليتين يدفعهما مساهمة على يد جمعية العلماء: أولاهما تصرف في ترقية التعليم بمدارس الجمعية وقدرها نصف مليون فرنك وقد أدخلت الجمعية هذا المبلغ في العام الماضي في شراء المركز بإذن من صاحب المبرة، والثانية تصرفها الجمعية باجتهادها في مصلحة الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة وقدرها مائة ألف فرنك، وقد اكرتت بها جمعية العلماء في العام الماضي مركزاً لجمعية الطلبة. وللسيد محمد خطاب ميزة ثالثة خاصة بمسقط رأسه (الميلية) وهي مدرسة خطاب إحدى المدارس التي تديرها جمعية العلماء، بناها بماله منذ سنوات ورأى الآن أنها لا تكفي أبناء القرية، ففوض إلى جمعية العلماء أن تتولى توسيعها أو تجديدها من ماله الخاص بالغة ما بلغت النفقات....»⁽¹⁶⁾. وفي سنة: (1949م)، كتب العلامة (محمد البشير الإبراهيمي) يثني على دوره في خدمة اللغة العربية ودعم الكتاتيب القرآنية

والإسهام في تعليم اللغة العربية وبث روح الانتماء للأمة الجزائرية، فنجده يقول في مقال نُشر في (العدد:86) من جريدة البصائر سنة: (1949م): «...ولأخينا خطاب في إحسانه إلى التعليم فلسفة دقيقة تزيد في قيمته وهي أنه لا يضع إحسانه إلا حيث يعتقد أنه يفيد وينفع، ولا يضعه إلا في الأيدي التي تحسن تصريحه، احتياطاً للإحسان أن يضيع في غير مفيد للأمة، لأن لكل عمل ظواهر تغرّ، ودجلة يستغلون، ولكل صاف من الحق، مكدرات من الباطل، وهو يرى -مصيباً- أن حركة جمعية العلماء هي أصدق الحركات القائمة بهذا الوطن. وأن رجالها هم أخلص الرجال العاملين لخير الوطن. وأن مبدأها هو أثبت المبادئ النابتة بهذا الوطن؛ لذلك أثار -من سنوات- أن تكون مبرّاته المالية للعلم والتعليم على يدها؛ فنذر مبلغاً من المال يدفعه مساهمة لرئيس جمعية العلماء؛ وهو يوزعه -بالاتفاق مع المحسن الكريم- على أقرب وجوه التعليم إلى النفع، وقد كانت المبرة في هذه السنة مضاعفة، وكان النفع بها مضاعفاً، نال منها معهد ابن باديس مائتا ألف فرنك ومدرتي تونس لسكن الطلبة مائة وتسعون ألف فرنك، ومدرسة خطاب بالميلية (مسقط رأس المحسن) مائتا ألف فرنك، ونال جمعية بعثات جمعية العلماء إلى تونس مائة ألف فرنك وصلتها على أقساط، ومدرسة الفلاح بوهران خمسون ألف فرنك، ومدرسة الأمير عبد القادر بمعسكر خمسون ألف فرنك، وجريدة البصائر مائة ألف فرنك... وقد طلب هذا المحسن الكبير من رئيس جمعية العلماء أن يضع له قائمة جديدة بالمشاريع التي تدخل في المبرة للسنة المقبلة، فوقع الاتفاق بينهما على المشاريع الآتية: مدرسة الفلاح بوهران، مدرسة (الأمير عبد القادر الناشئة بمعسكر)، (مدرسة قنزات) مدرسة وجامع حيّ (سانت أوجين) بالجزائر، مدرسة وجامع حي (بلكور) بالجزائر وسينال كل مشروع حظه من المبرة... ولا يفوتنا تسجيل منقبة جديدة للأخ خطاب فقد جرى -أيام زيارته لنا بالجزائر في الشهر الماضي- ذكر (مدرسة ندرومة) العظيمة التي شيدت في هذه السنة بمساعي رئيس جمعية العلماء، وجهزت منها خمسة أقسام، والعزائم معقودة على تشييد عشرة أقسام أخرى في السنتين الآتيتين.

فذكر رئيس الجمعية داراً ملاصقة للمدرسة، يملكها رجلٌ ندرومي مقيم في (المغرب)، تصلح أن تضاف إلى المدرسة وتخصص للبنات. فهزّت الأريحية هذا المُحسن الأصيل، وتعهد أن يشتريها من صاحبها - وهو صديقه - ويدفع ثمنها من ماله، ويهبها للمدرسة، مشاركة لأهل ندرومة الكرام فيما بنوا للعلم وشادوا⁽¹⁷⁾. والجدير بالذكر أن الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تنبّه إلى جهود المحسنين في دعم الكتاتيب والمدارس القرآنية والأعمال الإنسانية بصورة عامة قليلة جداً، فيجب التنويه بمن خدموا اللغة العربية بإنشاء الكتاتيب والمدارس⁽¹⁸⁾. فهناك عدد من الأفراد والجمعيات الخاصة التي قدمت تضحيات كبيرة في نشر التعليم العربي (الحر) وخدمة اللغة العربية والمحافظة على الهوية الإسلامية، ومن بين هذه المدارس والكتاتيب التي أسست من قبل جمعيات حرة: (مدرسة الشبيبة الإسلامية) التي أسسها جماعة من رجال العاصمة في حدود سنة: (1927م)، وهي مدرسة عربية في حي باب الجديد بالعاصمة، ثم نقلت بعد عدة أعوام من إنشائها إلى حي الثعالب، وقد تولى إدارتها العالم (عمر بن قدور)، كما شارك في إدارتها والتدريس بها ثلثة من أئمة رجالات الأدب والفكر، من بينهم: (مصطفى حافظ)، و(يحيى جعفري)، والشاعر (الهادي السنوسي)، و(محمد العيد آل خليفة)، والمؤرخ (عبد الرحمن الجيلالي)⁽¹⁹⁾ و(باعزيز بن عمر)، و(جلول بدوي)، و(فرحات الدراجي) وغيرهم، وقد اتسمت باحتوائها على ستة أقسام، وهي تعمل بالنهار لتعليم الأطفال الصغار، وفي الليل تخصص لتعليم الكبار، وينطلق اليوم الدراسي فيها من الثامنة صباحاً وينتهي في التاسعة مساءً، وقد لعب هذه المدرسة دوراً متميزاً جداً في خدمة اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وعرس روح الانتماء للأمة، وحفظ أسس الدين⁽²⁰⁾، حيث يقول الباحث (رابح تركي) عن الدور الكبير الذي أدته في غرس روح الانتماء والحفاظ على الهوية الإسلامية: «وبعد سنوات قلائل أصبح لها نفوذ أدبي وروحي على سكان العاصمة والسبب في ذلك هو أنها كانت تقيم حفلات مدرسية ثقافية بقصد نشر الوعي القومي والدعوة للفكرة الوطنية بين سكان العاصمة

تُقدم فيها تمثيلات وروايات، وقصائد شعرية، وأناشيد وطنية، ومحاورات باللغة العربية من طرف تلاميذها وأساتذتها مما كان له أوقع الأثر في نفوس المواطنين فيجذبهم نحو التعليم العربي، والثقافة العربية، وصادرت مدرسة (الشبيبة الإسلامية) بهذا النشاط الثقافي الهام قدوة لعدد كبير من المدارس أنشئت غرارها، وسالكت سلوكها في نشر التعليم العربي، وبتت الفكرة الوطنية، والقيام بنشاط ثقافي متعدد الجوانب. وقد استمرت مدرسة (الشبيبة الإسلامية) تؤدي رسالتها التربوية بكفاءة ونشاط كبيرين نحو خمسة عشر عاماً، وبعد تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام: (1931م) أصبح التعاون وثيقاً بين جمعية الشبيبة وبين جمعية العلماء في نشر التعليم العربي والإصلاح الديني والاجتماعي بين الجزائريين... وكان نشاطها موجهاً كله إلى نشر التعليم العربي الحر، وبتت الوعي القومي واليقظة الفكرية في تلاميذها والمتريدين على دروسها. لذلك أزعجت سلطات الاحتلال فبدأت تحاول تخريبها من الداخل»⁽²¹⁾. وقد نبه الأستاذ (أحمد توفيق المدني) لدى وصفه لمدرسة الشبيبة الإسلامية و للكتاتيب القرآنية والمدارس في الجزائر إلى عدة نقاط مهمة، حيث يقول: «كان التعليم العربي في عاصمة الجزائر قاصراً على الكتاتيب القرآنية، وبعض المساجد، ولا يخفى أن طريقة التعليم بها كانت عقيمة جداً، فلما اضمحلت تلك الكتاتيب أصبح التعليم الابتدائي العربي قاصراً على مدرستين من مدارس الحكومة في العاصمة، إلا أن حظه فيهما قليل جداً يكاد يكون معدوماً، ففكر بعض أولي الفضل في تأسيس مدارس شعبية عربية تؤوي جمعاً من الصبيان المتشردين الذين لا يجدون في المدارس مقاعد لهم... ثم قامت جمعية الشبيبة الإسلامية فكان عملها جماعياً متواصلاً مُنظماً وأسست مدرسة إسلامية عربية تقرئ النشء على الطرق الحديثة وأقبل الشعب على تأييدها بما ضمن لها الحياة والتقدم فكان مجلس إدارتها تحت رئاسة الوطني الصادق الغيور (محمد علي دمراجي) وبعضوية ثلة من شباب الأمة العامل الناهض، يوالي جهوده في سبيل المدرسة وما يعود عليها بالخير والفلاح، والأمة تلبى نداءه، وتجيب دعواه، حتى أصبحت

المدرسة تجمع في مقاعدها أكثر من مائتي تلميذ لولاها لكانوا من زمرة ما سحي الأحمية وأشقياء الشوارع»⁽²²⁾. ومن بين المدارس المتميزة في (الجزائر العاصمة) (مدرسة السلام) التي تأسست في حوالي عام: (1929م) في حي (باب الجديد بالقصبة)، وقد تكاثفت هذه المدرسة مع (مدرسة الشيبية الإسلامية) في خدمة اللغة العربية، وغرس روح الانتماء للأمة، ونشر التعليم العربي بين أبناء سكان (العاصمة)، وقد واصلت مدرسة (السلام) في النهوض بعبء نشر التعليم العربي الحر، وبث الاعتزاز باللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية وقد قامت إلى جانبها مجموعة من المدارس الشعبية بعد تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة: (1931م)، وقد كانت إدارة المدرسة تحت إشراف السيد (عمر إسماعيل)، وقد قام السيد (مصطفى حافظ) وهو أحد خريجي المدرسة الثعالبية الرسمية بالعاصمة بتأسيس (المدرسة العربية القرآنية) في حدود عام: (1929م)⁽²³⁾. وفي مدينة (قسنطينة)⁽²⁴⁾ وضواحيها هناك مجموعة كبيرة من الكتاتيب القرآنية التابعة إلى المساجد، أو اللصيقة بها، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن بناء المساجد في مدينة (قسنطينة) انطلق مع استقرار الإسلام بها، ويعود إلى زمن الفتح الأول، في أوائل (النصف الثاني من القرن الأول الهجري)، حيث ذكر المؤرخ اللبني أن المسلمين دخلوا مدينة (قسنطينة) صلحاً في أيام الأمير عقبة بن نافع الفهري القرشي ومن أبرز مساجد مدينة قسنطينة: (الجامع الكبير القسنطيني)، وهو المسجد المعروف باسم (الجامع الكبير)، ويقع (ببطحاء السويقة) في (شارع الشهيد العربي بن مهدي) ويبدو أنه قد بني في عهد (يحيى الأمير الحمادي الأخير) و«بيت الصلاة بالجامع الكبير يكاد يكون شكله مربعاً، ويبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي 22.33م والجنوبي الغربي 22.30م، والشمال الشرقي 22.2م، أما الشمالي الغربي فهو الأصغر طولاً، حيث يقدر ب: 20.60م، كما يتميز منبر الجامع الكبير المصنوع من الخشب، بأنه يقع على يمين المحراب، ويتكون من سبع درجات، وله باب مزين بقوس مزينة بزخارف نباتية، وفي مؤخرة المنبر نجد مسند على شكل قوس نصف

دائري عليه كتابة متميزة بالخط الكوفي جاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد)، كما يحتوي الجامع الكبير على مجموعة من النوافذ، والتي يقدر عددها بتسعة، وللجامع أربعة أبواب خشبية مفتوحة في الجدار الفاصل بين بيت الصلاة والصحن...»⁽²⁵⁾. ومن بين العلماء الذين درسوا بالجامع الكبير (محمد بن عيسى البوزيدي)، والشيخ العلامة (عبد القادر المجاوي)، و(محمد المكي البوطالي) وغيرهم. ولا يمكن للمتحدث عن مساجد مدينة قسنطينة أن يُغفل الحديث عن (الجامع الكتاني)، وهو يقع بالجهة الشمالية من المدينة، أسفل القصبه ويجاوره سوق الجمعة ويعرف كذلك بسوق العصر، ويظهر أنه قد أخذ تسميته من الطريق التي تعرف باسم طريق الكتاني، وهو يتميز (الجامع الكتاني)، بشكله المستطيل، ويتكون من طابقين ويظهر من واجهاته الثلاث: الشرقية، والغربية والجنوبية، وقد وُضع منبره الرخامي سنة: (1204م)، ولمحرا به قوس نصف دائري ويظهر أن الجامع الكتاني تعرض لتغيرات عديدة مست جوانب مختلفة منه. أما الجامع الأخضر، فهو يقع بوسط المدينة بالقرب من منطقة رحبة الصوف، وهو يطل على الشارع من ناحية الغرب ويُعرف باسم (شارع سيدي لخضر)، منذ زمن الاستعمار الفرنسي، وقد أطلق عليه اسم (الجامع الأخضر) نسبة للشيخ (سيدي لخضر)، الذي كان أول عالم في المسجد ومحرا به يعود إلى عهد الدولة العثمانية وهو عبارة عن شكل قوس عرضها: (1.38م، وجوفها 42سم)، وهو ما يزال محافظاً على أصالته، ولم تمسه تغييرات كثيرة⁽²⁶⁾، ومن العلماء الذين تولوا التدريس بالجامع الأخضر عبد القادر الراشدي القسنطيني، المتوفى سنة: 1194هـ، والعلامة الشيخ (عبد الحميد بن باديس). ومن المساجد العريقة بمدينة (قسنطينة) جامع سوق الغزل، أو (جامع حسن باي) كما يطلق عليه البعض، وهو يقع شرق قصر (أحمد باي)، إلى الغرب من شارع ديدوش مراد الذي كان يُعرف في زمن الاستعمار الفرنسي بشارع كرمان، يُطل المسجد «على ساحة شوشان عبد الباقي من الناحية الشمالية، ومن الغرب على نهج بودشيش بلقاسم، وتذهب بعض الدراسات إلى أنه بني من قبل الباي بوكمية، وليس الحاج

عباس، ولجامع سوق الغزل (حسن باي) عدة واجهات، الواجهة الغربية، إضافة إلى الواجهتين الشرقية والجنوبية، ويمتاز مسجد سوق الغزل بعناصر الدعم الموجودة به وبمحرابه، وبقبابه، ويتميز أيضاً بمنبره، وبأبائه، وزخرفة جدرانه، ويبلغ طول المنبر (3.34م، وارتفاعه 2.78م وعرضه 0.96م)، فهو مصلع من الخشب المنقوش ويحتوي على 11 درجة يساوي عرضها 26سم، وارتفاعها 18سم»⁽²⁷⁾

ومن العلماء الذين كانوا يدرسون به: (مصطفى العجمي القسنطيني)، توفي عام: 1240هـ-1826م، و(محمد سالم بن طبال)، توفي عام: 1251هـ-1835م والشيخ (الطاهر الجبلي)، والشيخ (بوجمعة جعلاب). ومن مساجد قسنطينة المتميزة إضافة إلى المساجد المذكورة سلفاً، (مسجد سيدي قموش)، الذي كان من أملاك العلامة الجليل (عبد الحميد بن باديس)، ويبدو أن تاريخ نشأته يرجع إلى القرن التاسع الهجري) حسبما هو مكتوب على شاهد قبر موجود داخل المسجد، و(مسجد سيدي بومعزة) الذي يقع في نهج العلامة (عبد الحميد بن باديس)، رقم: 26، و(جامع سيدي عفان)، الذي يقع بنهج مورلان بالحي العربي العتيق، و(جامع سيدي محمد بن ميمون)، و(جامع سيدي بوغناية)، و(جامع السيدة حفصة)، و(جامع سيدي مغرف) الذي يوجد بنهج عبد الله باي، و(جامع سيدي راشد) الذي يقع أسفل قنطرة سيدي راشد بالحي العربي العتيق، وهو من أقدم مساجد مدينة قسنطينة، و(جامع سيدي النزار)، وهو يقع بحي الحدادين، نهج كومبرقم: 107، وغيرها من المساجد الكثيرة والتميزة بمدينة قسنطينة. ومن بين المدارس المتميزة جداً في التعليم بمدينة قسنطينة المدرسة الملحقة بمسجد (سيدي الكتاني) البديع، والتي بها ضريح أحمد الله والتي يذكر الباحث والمؤرخ (أحمد توفيق المدني)، وهو بصدد إبراز جهود صالح ازميرلي باي قسنطينة الكبير أنه أنشأ للتعليم الإسلامي مدرسة بجوار مسجد سيدي الأخضر سنة: 1203هـ-1792م، وقد أخذت تلك المدرسة لها نظاماً بديعاً أعجب به مجموعة من الباحثين الغربيين، لعل أبرزهم الباحث الفرنسي (مسيو بسات) في كتابه: (قسنطينة تحت حكم البايات)، حيث وصف نظامها بأنه نظام لو قابلناه بنظام

المدارس العليا الفرنسية في ذلك العصر لما كان دونه، وقد وصفها (أحمد توفيق المدني) بقوله: «تشمل المدرسة مسجداً وخمس غرف منها غرفة للمدرس، وأربعة غرف للطلبة، ومبنى وبيت لوضع الأدياش. الطلبة الذين يُجاورون بالمدرسة ثمانية يختصر كل اثنين منهما بغرفة. يقف على المدرسة وكيل مكلف بمدخلها ومصاريها وبواب لمباشرة أعمال التنظيف وإيقاد مصابيح المسجد. أجرة المدرسة ثلاثون ريالاً في السنة، وأجرة الوكيل 8 ريالاً، وأجرة البواب 7 ريالاً، ولكل طالب من الطلبة 6 ريالاً. على المدرس أن يقرئ ثلاثة أوقات في اليوم: الوقت الأول من الصباح إلى الساعة: 11، والثاني من الزوال إلى صلاة العصر، والثالث بعد العصر إلى الغروب. على كل طالب أن يتلو أربعة أحزاب من القرآن الكريم كل يوم: حزبان بعد صلاة الصباح وحزبان بعد صلاة العصر، وبعد التلاوة تقرأ الفاتحة والدعاء لمؤسس المدرسة. لا يقبل مجاوراً في المدرسة إلا من كان حافظ القرآن الكريم، ولا يشترط فيه أن يكون مالكيّاً أو حنفيّاً ولا أن يكون من سكان المدينة والبادية، إنما يشترط أن يكون أعزب وأن ينام باستمرار في المدرسة، ولا يسمح له بالخروج إلا لضرورة. للمجاور أيام راحة بين 20 و30 يوماً في السنة فإن تغيب بعدها بدون عذر أعطي مكانه لطالب آخر يقع انتخابه...»⁽²⁸⁾ ويذكر الباحث الأكاديمي الدكتور (عمار بوحوش) في شهادته عن الكتاتيب والمدارس القرآنية التي كانت متوفرة في منطقة الشمال القسنطيني (منطقة الميلية)، والتي وردت في كتابه الموسوم ب: (المسار الأكاديمي للأستاذ عمار بوحوش من قرية «أزيار» بالميلية إلى جامعة ميزوري الأمريكية)، عن منطقة الشمال القسنطيني (الميلية) قائلاً: «منذ ولادتي يوم: 17 ديسمبر 1938م بقرية (أزيار) دوار تمنجر، بلدية (الميلية)، إلى غاية استقلال الجزائر يوم: 5 جويلية 1962م لم تكن هناك مدرسة ابتدائية في هذه القرية المعزولة في جبال الميلية، وفي الجزء المقابل لقرية (أزيار) توجد مدرسة ابتدائية في (المحارقة) وهي تبعد عن قريتي بحوالي خمسة أو ستة كيلومترات، ومن الصعب التنقل إليها ولم أسمع في حياتي أن أحد أبناء قريتي توجه إلى مدرسة (المحارقة) وزاول دراسته

الابتدائية هناك وعليه فالطريق مسدود في وجه كل أطفال القرية... غير أن بعض الناس المقيمين بالقرية كانوا يبعثون بأبنائهم إلى تعلم القرآن الكريم على يد شيخ كان يسمى (الشيخ حمو)، واسمه بالكامل هو (حمو بوذن). وعندما كبر في السن وتخلّى عن مهمته جاء بعده (الشيخ لخضر) وهو الشيخ الذي تتلمذت على يده في الفترة الممتدة من: 1946م إلى غاية: 1951م... لعل الشيء الذي كان يثير انتباهي أننا كنا نتعلم في مدرسة حفظ القرآن مجاناً ولا ندفع أي ثمن للشيخ الأخضر حمدود. والسؤال المطروح هنا، كيف كان يكسب هذا الشيخ رزقه ويغذي عائلته؟ وبعد مدة قصيرة لاحظت أنه يتعين علينا أن نقوم بحملات فصلية لجمع التبرعات لشيخنا، أي أننا في فصل جني الزيتون نحمل يافطات ونطلب فيها من السكان التبرع بالزيت لشيخنا، ثم إن الأفراد الذين عندهم تجارة رابحة يتبرعون له بنصيب من ثروتهم، إنني أتذكر أننا كنا ننشد أناشيد نحفظها وننادي بها عند التوجه إلى كل ناحية من نواحي قريتنا وفي شهر رمضان الكريم نتلو القرآن، وعندما نختمه تجمع التبرعات للمعلم الأول بالقرية»⁽²⁹⁾.

كما درس الدكتور (عمار بوحوش) في مدرسة (محمد خطاب) المعروفة بخدمتها للغة العربية وتعليمها لمبادئ الدين الإسلامي في منطقة الشمال القسنطيني في منطقة (الميلية)، حيث نلّفه يشير إلى هذه المرحلة بقوله: «بعد التميز في المدرسة القرآنية وحفظ القرآن فيها تقرر توجيهي إلى مواصلة الدراسة بمدرسة (محمد خطاب) بمدينة الميلية التي كانت أهلة بالسكان مقارنة بالقرية... لقد كان (محمد خطاب) الممول الرئيسي للمدرسة وهو جزائري ينتمي إلى دوار (بني فرقان)، ولكن فرنسا نفتته من الجزائر ويعيش في (المغرب الأقصى)، لقد اُكترى واشترى منزلاً كبيراً وحوله إلى مدرسة لتعليم التلاميذ، وسكن للتلاميذ الذين كانوا يأتون من الشرق والغرب لمواصلة التعليم بها... وفي هذه المدرسة بدأنا نتعلم الحساب والصرف واللغة العربية وبعبارة أخرى في مدرسة محمد خطاب بدأنا ندخل عصر التعليم الحديث... إن نجاحنا في مدرسة محمد خطاب بالميلية سهل لنا الانتقال

إلى معهد عبد الحميد بن باديس حيث تمّ تسجيلنا بالسنة الأولى متوسط، وفي هذا المعهد تعرفنا على كبار أساتذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...»⁽³⁰⁾. وقد تتلمذ الدكتور عمار بوحوش في مدرسة محمد خطاب بالميلية⁽³¹⁾ على يد الشيخ العلامة الكبير (محمد الصالح بن عتيق) ابن الميلية، والمعروف بخدمته للكتاتيب والمدارس القرآنية، وهو تلميذ العلامة ابن باديس، وعضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصاحب كتاب: (أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر)، وقد وصفه الدكتور (عمار بوحوش) بالمجاهد الكبير والعالم الجليل، وقد خدم العلامة (ابن عتيق) اللغة العربية خدمة كبيرة من خلال تدريسه في مختلف المدارس والكتاتيب القرآنية، وقد وُلد سنة: 1903م، في بلدة (العقّة)، قُرب (الميلية) بالشمال القسنطيني، تربى في أحضانها، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم بكتّابها، ولما بلغ من العمر ثلاثة عشر عاما، غادر قريته إلى قرية مجاورة لها، برفقة والده الذي عمل معلما فيها وكان محمد الصالح يُساعد أباه في تعليم الأطفال حين يكثر عددهم، فعاقه ذلك عن الاشتغال لنفسه، لمدة سنتين تقريبا ذاق خلالها مع أفراد أسرته بعض السعادة والهناء النسبي، لكن الأجل المحتوم لم يمهل أباه، فتوفي أثناء الحرب العالمية الأولى، وترك صبيا يتراوح عمره بين (15 و16) عاما، وقد «تضاعفت النكبة بموت الوالدة بعد وفاة الوالد بمدة تقل عن العام..»⁽³²⁾. وبعد (ستة أشهر) من وفاة الوالدة هاجر قريته، في رحلة شاقة في طلب العلم والمعرفة وكانت البداية من زاوية (الشيخ بورصاص)، ثم زاوية (الشيخ الزواوي) لكن أمه خاب في الزاويتين وخاصة في الزاوية الثانية، بسبب ما وجده فيها من بدع، وخرافات، وشعوذة ومنكرات، ذكرها في كتابه: «أحداث ومواقف»، وكانت المحطة الثالثة (زاوية الشيخ بن زقوطة بوادي العثمانية) التي مكث فيها سنة، ثم انتقل إلى (ميلة)، وهناك فتحت له آفاق جديدة، فألى جانب حفظ القرآن الكريم، كان يستمع إلى دروس ليلية في التوحيد ومبادئ الفقه والعربية، كان يُلقبها الشيخ محمد بن الظريف (الميلي)، ثم انتفع بالدراسة على الشيخ (مبارك ميلي) الذي عاد من (تونس)، و شرع في إلقاء دروس

في الإصلاح، لكن الشيخ مبارك انتقل إلى (قسنطينة) للعمل إلى جانب الشيخ (عبد الحميد بن باديس)، فتبعه الشيخ (ابن عتيق) إلى قسنطينة، و تتلمذ على الشيخ (عبد الحميد بن باديس) في (الجامع الأخضر)، و تأثر به تأثراً بالغا، و درس على يديه قواعد اللغة العربية، و الفقه بأصوله وفروعه، و تلقى عليه دراسة التاريخ والتوحيد وغيرها، وفي سنة: (1927م)، سافر إلى تونس، و التحق بجامع (الزيتونة)، حيث درس به دراسته الثانوية و تتلمذ هناك على عدد من العلماء، أمثال: (الشيخ محمد بن القاضي) و (الشيخ محمد عبد العزيز جعيط)، و (الشيخ الطيب سيالة)، و (الشيخ معاوية التميمي)، و (الشيخ عثمان بن الخوجة)، و سواهم⁽³³⁾. و يذكر الباحث الدكتور (سعد بوفلاقة) لدى تقديمه لكتاب الشيخ العلامة (محمد الصالح بن عتيق) الموسوم ب: (أحداث و مواقف في مجال الدعوة الإصلاحية و الحركة الوطنية بالجزائر) أنه قد تأثر بهؤلاء الأساتذة، و ذكر فضلهم في كتابه المذكور، و أثناء وجوده (بتونس) وجد نفسه في وسط يختلف كثيرا عن الوسط الذي كان فيه في الجزائر رقيقا و حضارة، لقد عرف هناك، المنظمات السياسية، و الأحزاب الوطنية، و النوادي الأدبية و سمع من السياسيين و الوطنيين، و الأدباء خطبا و محاضرات، و قرأ الكثير من الصحف و المجلات العربية فكان ذلك عاملا أساسيا في اتجاهه، زيادة على ما كان تلقاه من شيخه الإمام (عبد الحميد بن باديس) في (الجامع الأخضر بقسنطينة) الذي يرجع إليه الفضل في اتجاهه أيضا. وفي (سنة: 1351هـ الموافق: 1932م) حصل على شهادة "التطويح العالمية" بميزة حسن، و عاد إلى الجزائر مع طائفة من الناجحين الذين خصهم الشيخ (عبد الحميد بن باديس) باستقبال حار، و أقام لهم حفلا رائعا في مدينة (قسنطينة)، و بعد الترحيب بهم، و تهنئتهم بالنجاح، وجه لهم نصائح و أهاب بهم إلى القيام بالدعوة الإصلاحية في (الجزائر)، و نوه بأسماء الذين فازوا في امتحان شهادة (التطويح) لهذه و السنة، و نشر أسماءهم في مجلة (الشهاب)، تحت عنوان "تجوم الجزائر" تشجيعا لهم و تعريفاً للأمة بهم. كانت هذه المرحلة الأولى من حياته رحمه الله و طيب ثراه، أما المرحلة الثانية من حياته فقد بدأت (عام: 1932م بالميلادية) حيث كلفه الشيخ (عبد

الحميد بن باديس) بمهمة الوعظ والإرشاد وتعليم الأطفال اللغة العربية؛ وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف؛ ومحاربة البدع والخرافات تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و مكث في الميلية إلى غاية (سنة: 1934م) واستطاع خلال هذه المدة أن يؤسس بها جمعية؛ ومدرسة للتربية و التعليم؛ بالرغم من عرقلة المشروع من قبل الطرقية، و الإدارة الاستعمارية. وفي (سنة: 1934م) عينه الشيخ الإمام (ابن باديس) إماماً للمسجد الكبير بقلعة بني عباس؛ (ولاية سطيف) حالياً؛ للقيام بوظيفة الإمامة وبدروس الوعظ والإرشاد، ثم انتدبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (سنة: 1937م) رفقة طائفة من العلماء بقيادة الشيخ الفضيل الورتلاني للسفر إلى (باريس) والقيام بنشاطات دينية وتربوية في أوساط العمال وتأسيس نواد ثقافية بعدة جهات من فرنسا، وخاصة بالعاصمة باريس؛ التي بلغ عدد النوادي بها ستة؛ كانت تقدم فيها الدروس والمحاضرات؛ وكان الإقبال عليها مشجعاً وأصبح الكثير من العمال يترددون عليها، ويتعلمون فيها تعليماً منظماً في مراحل التعليم الابتدائي؛ والمتوسط؛ والثانوي ويتلقون على الخصوص مادة التاريخ؛ و السيرة النبوية؛ والرياضيات؛ وغيرها، وفي عام: 1938م عاد من فرنسا إلى الجزائر؛ وفي السنة نفسها عينه الإمام ابن باديس في مدينة برج بوعرييج للعمل بمدرستها؛ ولكن إقامته بالبرج لم تطل. وعاد إلى مسقط رأسه (الميلية)؛ للمرة الثانية لمواصلة عمله في حقل الإصلاح والتربية والتعليم؛ غير أن السلطات الاستعمارية (الحاكم)؛ ضاقت به ذرعاً؛ ورفضت تسليمه الرخصة لفتح (مدرسة)؛⁽³⁴⁾. وقال الحاكم: « إن المسمى هيدوك -وهو لقبه الرسمي- أحد المشوشين الكبار؛ كلما حل بالميلية؛ تحركت العناصر المعادية لفرنسا فأبعاده عنها أمر ضروري»⁽³⁵⁾.

وفي (عام: 1944م) ذهب العلامة (محمد الصالح بن عتيق) إلى مدينة تيهرت (تيارت) بغرض تأسيس جمعية محلية؛ وفتح مدرسة في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر ثم يعود إلى عمله بالميلية؛ ولكن أهل تيهرت تمسكوا به؛ فمكث هناك إلى غاية سنة: 1949م.

وفي فاتح أكتوبر 1949 م حل بمدينة سكيكدة، قادماً إليها من مدينة تيهرت ليؤسس مدرسة الإرشاد؛ ويتولى إدارتها؛ وواصل نشاطه بها إلى سنة: 1950م. وفي السنة نفسها عاد إلى المليية ليدبر فرع معهد ابن باديس الذي افتتحه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ وليشرف على المدرسة الابتدائية؛ والمدارس الأخرى المنتشرة بدائرة المليية⁽³⁶⁾. «وسار التعليم بالفرع سيراً منظماً؛ وعين له أساتذة؛ وكان عدد الطلبة فيه يزيد عن المائة؛ وجمعهم جاؤوا من بعيد ومن العمالات الثلاث»⁽³⁷⁾.

هذه المدرسة «التي اشتراها المصلح الكبير محمد خطاب رحمه الله؛ وتبرع بالإتفاق عليها؛ وعلى طلبتها الداخليين؛ وأجرة الأساتذة؛ واقترح أن تكون فرعا لمعهد عبد الحميد بن باديس (بقسنطينة)؛ فوافق على ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله واستمر هناك إلى عام: 1954م، حيث عينه الشيخ العربي التبسي رحمه الله في مدينة البليدة، على أن يقوم فيها شهر رمضان فقط، لكن أهل البليدة تمسكوا به كما وقع في تيارت، وهناك أظهر نشاطا كبيرا، حيث ضم حركة التعليم كلها تحت لواء جمعية العلماء، وأسس مسجد بوعرفة»⁽³⁸⁾. أما كتابه القيم والمعنون ب: (أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر)، فهو يروي «أحداثا (دينية وثقافية؛ ووطنية)؛ وقعت في الوطن الجزائري؛ قد عاشها المؤلف بكل حواسه وشاهدها؛ وشارك في معظمها؛ مشاركة فعالة؛ وشرب من مرها حتى الثمالة... كما يُسجل مواقف بطولية؛ لرجال نجباء أنجبتهم الجزائر؛ وترعرعوا في أحضانها. ويضم أكثر من شخصية لمشاهير رجال الإصلاح الوطنية، التي كان لها الأثر الطيب في النهضة؛ جمعها خدمة للتاريخ؛ وقد أجاد في عمله هذا وأفاد...»⁽³⁹⁾. وقد تحدث الشيخ العلامة (ابن عتيق) عن حياته التي قضاها في خدمة العلم والنضال من أجل النهضة والحرية والاستقلال؛ منذ طفولته؛ وإلى آخر لحظة في حياته؛ وبين فيه جوانب من مسيرته العلمية؛ وجهوده الإصلاحية والتربوية؛ وفيه تحدث عن الشيخ مبارك المليي (1898-1945م)؛ وعلاقته بالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي اكتشف نجابته

مما جعله يهتم بشأنه؛ ويعدّه للعمل الذي كان يسعى للقيام به؛ فأشار عليه أن يلتحق بتونس للدراسة بجامعة (الزيتونة)؛ ولما رجع من تونس قصد ميلّة؛ ثم انتقل إلى (قسنطينة) للعمل مع الشيخ ابن باديس؛ ثم انتقل إلى الأغواط؛ وهناك حط رحاله؛ وفتح مدرسة للتعليم؛ مع القيام بدروس الوعظ والإرشاد؛ في المدينة؛ وفي الجهات المجاورة لها؛ وكان لعمله هذا صدى واسع الأثر. ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين سنة: 1931م؛ عُين عضواً فيها؛ وساندت إليه أمانة المال؛ فقام بهذه المهمة أحسن قيام.

من مؤلفاته: كتابه الشهير: «تاريخ الجزائر» الذي نوه به الأمير (شكيب أرسلان) وكتابه أيضاً: «رسالة الشرك ومظاهره». توفي سنة: 1945م رحمه الله. ثم عاد ليحدثنا عن مسيرة دراسته؛ حين انتقل إلى قسنطينة؛ وتلمذه على الشيخ (ابن باديس)؛ ثم عن هجرته إلى (تونس) لطلب العلم وعودته إلى الجزائر وغيرها من القضايا⁽⁴⁰⁾. التي تتعلق برحلته الشاقة في سبيل الإصلاح؛ والتربية والتعليم والتحرير⁽⁴¹⁾. ومن بين العلماء والأدباء الذين ذكرهم الباحث عمار بوحوش في كتابه المعنون ب: (المسار الأكاديمي للأستاذ عمار بوحوش من قرية «أزيار» بالميلية إلى جامعة ميزوري الأمريكية)، والذين درسوا في الكتاتيب والمدارس القرآنية بمنطقة الشمال القسنطيني التي كانت تخدم اللغة العربية العلامة الشيخ (أحمد حماني)⁽⁴²⁾ والأبيب الدكتور (أبو العيد دودو)⁽⁴³⁾. ومن أبرز الكتاتيب التي كانت منتشرة بمنطقة الشمال القسنطيني كتاتيب منطقة: (بوالبلوط) قرب الميلية بالشمال القسنطيني ومدارسها القرآنية التي درس بها مجموعة من الأدباء والمتقنين الجزائريين، وقد درّس فيها مجموعة من الشيوخ من بينهم: الشيخ الإمام الطاهر بن العابد الذي يصفه تلميذه الدكتور سعد بوقلاقة⁽⁴⁴⁾. بأنه: «الإمام الشيخ الطاهر بن العابد، ولد سنة: 1917م ببلدة بوالبلوط قرب الميلية بالشمال القسنطيني، بدأ تعليمه في الكتاب بمسقط رأسه فحفظ القرآن الكريم، وهو في سن مبكرة، ولكنه لم تسعفه الظروف في إتمام دراسته بسبب تعنت الاستعمار الفرنسي الغاشم، فلم يحصل على شهادات ولكنه كان عصامياً فحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية، وبعض العلوم الإسلامية. وقد انضم

الشيخ الإمام الطاهر بن العابد إلى أسرة معلمي القرآن الكريم في الكتاتيب مُبَكَّراً لتعليم الصبيان، وانتقل أثناء ذلك إلى عدة مناطق فعمل في منطقة (بو البلوط) لعدة سنوات، وكنتُ أحد تلامذته في الخمسينيات من القرن المنصرم فهو شبيخي ومعلمي الأول الذي تعلمتُ على يده الحروف الأبجدية، والقرآن الكريم وفي أثناء الثورة التحريرية الكبرى (54-1962م) هَدَّم الفرنسيون كُتَّابنا (مدرستنا) فانقلنا إلى منطقة الباراد (سُفح جبل مُغَطى بأشجار البلوط، والزيتون قرب بو البلوط) وأصبحنا ندرس في العراء تحت أشجار البلوط، وأشجار الزيتون نجلس القرفصاء ونفترش نبات السرخس، مع عدم وجود أية وسيلة من الوسائل الضرورية للتربية والتعليم كالكراريس، والأقلام، والطاولات، والكراسي، وهلم جراً. لقد كنا نحن التلاميذ (لقداشة كما يسمينا العامة) نكتب في ألواح خشبية تصنع من الأشجار الغابية بالمنطقة، أمَّا الأقلام فتصنع من نبات القصب، وكان سيدي الطاهر، رحمه الله وطيب ثراه، هو الذي يتولى صناعة هذه الأقلام بيديه الكريمتين، ويُقدمها لتلامذته مجاناً، وخاصة التلاميذ الجدد، وأما الحبر فيصنع من صمغ أشجار البلوط فإذا أصمغت الشجرة أي: خرج منها الصمغ، أخذناه، وذوبناه، وأضفنا إليه قليلاً من الصوف، أو القطن ليصبح لونه أسود، ووضعناه في قنينة صغيرة، وكتبنا به على الألواح. ولكن عيون الاستعمار الفرنسي لم تتم، وكانت تلاحقنا، و تنقصى أخبارنا حتى عندما التجأنا إلى أدغال بو البلوط، وذلك بوساطة الطائرات الحربية، فكان سيدي الطاهر حين يسمع أزيز الطائرات من بعيد ينزع عمامته، ويطلب منا الانبطاح، والتمويه فنضع أعصان الأشجار فوق رؤوسنا حتى لا نكتشفنا طائرات العدو، وكنا ننقل من مكان إلى مكان هروباً من بطش جنود الاستعمار الفرنسي... وطائراته... ولم يكن الشيخ الطاهر يُعلم أبناء بلدة بو البلوط فحسب، بل كان يعلم أيضاً أطفال المدارس المجاورة لها (كغار احنش-جقارف-ولغديورة، ولقيبة) وغيرها... ولم يتوقف عن تعليم القرآن الكريم، إلا في السنوات الأخيرة من الثورة التحريرية، عندما اشتد الخناق على المنطقة، التي حاصرتها قوات شال، بمساعدة

قوات حلف الأطلسي الناتو، وحُشر السكان في محتشدات، وأُجبروا على الإقامة في أكواخ خشبية مسقوفة بالقش والديس، ولم يبق في الجبال إلا المجاهدون الأشاوس في وضعية صعبة جداً ولكنهم صبروا، وصابروا، فانتصروا. ومنعت فرنسا منعاً باتاً تعليم القرآن الكريم للأسباب المذكورة سلفاً... وطبقت قوانين جائرة على سكان محتشد (بوالبلوط) لا تختلف في شيء عن قوانين محاكم التفتيش بإسبانية في القرن السادس عشر الميلادي، منها: منع صلاة الجمعة، والجماعة، ومنع تعليم القرآن الكريم، ومنع تعليم اللغة العربية، وسواها من القوانين الجائرة... وما أن بزغ فجر الاستقلال حتى عاد الشيخ الطاهر إلى تعليم القرآن الكريم كعادته في بو البلوط، ثم في غار أحنش⁽⁴⁵⁾. ومن بين الزوايا المعروفة في مدينة قسنطينة، والتي كانت تقوم بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، والدروس العلمية: (زاوية سيدي عبد المؤمن): وهي تقع في شارع ملاح السعيد، وتفتح على سوقة باب الجابية بأحد الشوارع الرئيسية التي تربط بين الجابية وباب القنطرة خلال العهد العثماني، وقد ذكر عدد غير قليل من الباحثين أن من جددها هو السيد صالح خوجة بن مصطفى، وهو صهر إحدى حفيدات السيد عبد المؤمن الذي هو من أسس الزاوية. وزاوية النجارين(حنصالة): وهي زاوية تقع في نهج رواق السعيد رقم:19، تتوسط الطريق الرابط بين الجامع الكبير، ورحبة الصوف وأصل تسميتها زاوية حنصالة، أو زاوية النجارين، وشكلها مستطيل، وهي تمتد عمودياً على جدار القبلة، وبها محراب، رُمم عدة مرات، وفيها يتم تعليم القرآن الكريم للأطفال إلى غاية أيامنا هذه. وزاوية الفقون: توجد هذه الزاوية العريقة بحي الخرازين وتعرف عند أهل قسنطينة باسم الزاوية التجانية الفوقانية، أو العلوية، وقد عرفت باسم الفقون بسبب وجود قبر العلامة الشيخ عبد الكريم الفقون. وزاوية ابن باش تارزي: تتفتح هذه الزاوية على شارع رئيسي يربط بين سوق التجار، ورحبة الصوف، وباب القنطرة، وهو يعرف حالياً باسم شارع الإخوة عرفة، وموقعها بالتحديد في حومة الشارع من حي باب القنطرة، وهي تتكون من مدخل رئيسي، يقع وسط الجدار الغربي، ويفتح على

صحن حوله رواق من ثلاث جهات. وزاوية بن رضوان: موقعها في حي البرادعيين، وقد اتخذت في السابق مقراً للمحكمة الإباضية. وزاوية نعمان: وقد كانت تحتوي على مجموعة من المقابر، وواضح من اسمها أن مؤسسها هو البايع محمد نعمان الذي حكم قسنطينة من (سنة:1226 إلى غاية عام:1229هـ، 1811-1813م)، وقد هدمت من قبل الاستعمار الفرنسي، وأقيمت على أنقاضها دار للإسعاف الصحي. وزاوية التلمساني: وتقع في نهج قسطنطين، وقد استولى عليها الجيش الفرنسي بعد احتلال الجزائر، وظلت تابعة إلى فرقة الهندسة العسكرية، وبعد استقلال الجزائر أعيدت إلى أصلها، وأصبحت مدرسة قرآنية نظامية عصرية⁽⁴⁶⁾. ومن أهم المدارس الشرعية التي ذكرها الباحث (كمال غربي) في كتابه: «المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية»: مدرسة سيدي لخضر، والمدرسة الكتانية، التي تحدث الأستاذ كمال غربي عن مراحل تأسيسها: المرحلة الأولى من (سنة:1776م إلى سنة:1837م)، حيث تأسست من قبل صالح باي، والمرحلة الثانية من (سنة:1837م إلى سنة:1907م)، والمرحلة الثالثة من (سنة:1946م إلى سنة:1962م). إضافة إلى معهد العلامة (عبد الحميد بن باديس)، الذي هو في الأصل دار منسوبة إلى أسرة معروفة بعراققتها، وهي أسرة الشيخ الفقون المعروفة بأعلامها في العلم والأدب، وأول مدير لمعهد العلامة (ابن باديس) هو الشيخ العلامة المعروف (العربي التبسي) وبعده جاء الشيخ محمد خير الدين أحد رواد النهضة العلمية، والإصلاحية في الجزائر، وبعده تولى إدارته العلامة أحمد حماني، ومن أشهر أساتذة المعهد الباديسي (الشيخ نعيم النعيمي)، والمفكر (الأستاذ سليمان الصيد) والعلامة (عبد الرحمن شيبان)، والأديب الشهيد (أحمد رضا حوحو)، والشيخ الشهيد (محمد العدوي)، وغيرهم. ومن المدارس الشرعية المتميزة في مدينة قسنطينة جمعية النور للمحافظة على القرآن الكريم، وغيرها من المدارس. ومن بين الزوايا المتميزة جداً في خدمة اللغة العربية وتعليم مبادئ الدين الإسلامي في منطقة الشمال القسنطيني: (زاوية الشيخ الحسين) ببلدية (سيدي خليفة) التابعة حالياً لولاية (ميلة) وهي

واحدة من الزوايا العتيقة في الجزائر، وقد لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على الثقافة الإسلامية والعربية منذ تأسيسها على يد الشيخ الحسين في نهاية القرن الثامن عشر (نحو سنة 1795م) في عهد الحكم العثماني للجزائر، وهو الذي بنى جامع الزاوية، ثم أكمل بناء الصومعة وترميم الجامع فيما بعد أولاده وأحفاده، فالصومعة التي تحوي بوصلة لتحديد الاتجاهات، بنيت سنة: (1845 م)، كما هو مسجل في النقش الموجود فوقها وعائلة الشيخ الحسين تنتمي إلى الأدراسة الذين حكموا (المغرب الأقصى) والجهة الغربية من المغرب الأوسط (الجزائر) بين سنتي: (172-375هـ)، وكانت تسكن (عين تموشنت) بالغرب الجزائري ومنها انتقلت إلى (قسنطينة)، ثم إلى بني زياد، ومنها إلى بني قشة، وأخيراً استقرت في (سيدي خليفة) في نهاية القرن الثامن عشر (18)، ومنذ تأسيس الزاوية، وهي تقوم بتدريس اللغة العربية والقرآن الكريم وعلومه وفقه السنة. ولم يكن شيوخ الزاوية يؤمنون بالطرق الصوفية التي كانت منتشرة في الجزائر وقتئذ، والدراسة في الزاوية مجاناً مع مجانية الإقامة أيضاً (المبيت والأكل...) بالنسبة للطلبة الذين يقطنون في أماكن بعيدة.... كما كان بالزاوية ملجأ للعجزة وقاعات للضيوف الذين كانوا يتوافدون على الزاوية من مختلف الكور والأصقاع، إذ كانت الزاوية قبلة العلماء والطلاب يأتونها من كل فج عميق، إما للدراسة، أو للاتصال بشيوخها الكبار للتشاور معهم في شؤون الإسلام والمسلمين ومنهم: الشيخ (عبد الحميد بن باديس) الذي كثيراً ما يزور الزاوية ويمكث فيها و(البشير الإبراهيمي)، و(العربي التبسي) وغيرهم.... ونذكر من شيوخها الكبار الذين كانوا يُدرسون علوم القرآن والفقه والحديث، الشيخ الحسين مؤسس الزاوية، والشيخ (عبد القادر المجاوي)، والشيخ (حمدان بن لونيبي) (شيخ ابن باديس)، و(الشيخ بلقاسم)...، و(الشيخ محمد الفتحي) وغيرهم كثير... ومن هذه العائلة الكريمة الشيخ عباس بن الشيخ الحسين إمام مسجد باريس المتوفى في أواخر الثمانينيات من القرن المنصرم (47).

خاتمة: لقد أدى رجال التعليم القرآني دوراً عظيماً في تأديب وتهذيب الأطفال وإرشادهم إلى ضرورة الجمع بين ثورة العقل الخلاق وحرارة العاطفة البناءة وتوجيههم إلى أن الإيمان علم وعمل، وأن قيمة الإنسان فيما يحسنه، وفي مدى خدمته لسواه من الأنام عن طريق ضم جهوده إلى جهود أمثاله في وطنه (الجزائر) وذلك تحقيقاً لمجد الإنسان، وإسهاماً في بناء وطن جديد لا وجود فيه للظلم والقهر والاستعمار والشر والعنصرية، وقد هدفت الكتاتيب القرآنية إلى توجيه التلاميذ إلى هذه القيم وفقاً لما ينسجم مع أعمارهم، ويتناسب مع سنهم، وذلك حتى لا يستوعبوا المعلومات المجردة فحسب، بل يتفاعلوا كذلك مع الروح التي يسعى المعلم والمربي إلى بثها في نفوسهم الغضة وإشاعتها في بيئتهم التعليمية والاجتماعية، كما وقفوا الموقف اللازم في سعيهم الحثيث للمحافظة على طابع الهوية الإسلامية، والتفوا جميعاً حول المبادئ الرئيسية التي تتصل بالتكوين التربوي، والديني، الذي ينبثق من مبادئ الشعب الجزائري، الذي أنشأ الكتاتيب القرآنية وضحي في سبيلها بكل نفيس وثمانين من أجل وضع حد للنزعة الفرنسية الاستعمارية، وإيقاف المسخ وتشويه تاريخ الحضارة الجزائرية في المدارس الاستعمارية الفرنسية، التي كانت تبتث السموم في أذهان الأطفال، وكانت ترمي إلى أن تفرض على البلاد ثقافة أجنبية لغة وروحاً بشتى الوسائل والمكائد والحيل، ولذا فقد كانت الكتاتيب القرآنية المنارة التي استبشر الشعب بها، وغدت مرآة تتعكس عليها طموحات الشعب الجزائري وآماله كونها الحريصة الأمانة على مبادئه وقيمه وهويته. إن جميع الوثائق المتوفرة تؤكد على أن التيار الاستعماري الذي جنم على الجزائر بعد سنة 1830م كان تياراً تخريبياً، حيث إن همه الرئيس كان إفساد الثقافة الجزائرية التي ازدهرت في ظل الوجود العثماني في الجزائر، حيث إن الثقافة المنقولة بالرواية كانت تتألف من شروح المصنفات، ومن الحواشي على الشروح، وقد ظلت ثقافة وطنية أصيلة ورصيد تلك الثقافة هو أنها كانت تأخذ قوتها من التراث القومي، وتستخدم اللغة القومية للتعبير عن ذاتها، ولم يكن ينقصها -حتى تستعيد نشاطها وتفتح على العالم من حولها وتسير في دروب التطور

والتجدد - سوى التيار الذي يبعث فيها الحياة والهزة التي تنقدها من الموت بيد أن فرنسا قضت على الثقافة الجزائرية عندما قطعت عنها جميع الروافد التي كان من شأنها أن تهض بها وتنميها وتغذيها، وبذلك منعتها من مواكبة التاريخ، وهذه تعد جناية نكراء، فالحضارة آل الأمر بها إلى الانحطاط بدل التقدم، نتيجة الاستعمار الفرنسي كما عبر عن هذا الأمر (إيمي سيزير)، وقد كان هدف الاستعمار أن يوهم أبناء الجزائر بأن التراث الثقافي لم يندثر نتيجة الهدم والتخريب، بل اضمحل من تلقاء نفسه بصورة طبيعية، ومن المعروف أن الاستعمار الأوروبي له مهارات كبيرة في تشويه الحقائق وتضليل العقول، وبت الأكاذيب، وكان غرضه يرمي إلى تكوين نخبة مزيفة من المثقفين تكون بعيدة عن الجماهير الشعبية، إضافة إلى تشويه الصورة الراسخة في الأذهان عن ماضي الجزائر، والتبجح بأن الاستعمار يقوم بنشر رسالة الحضارة ولذلك فقد شرع مباشرة بعد أن احتل الجزائر يلقن الناس في المدرسة الفرنسية عادات جديدة في السلوك والذوق والتفكير، وقد صرح كثير من أصحاب النظريات الخاصة في التعليم الاستعماري بأن أفضل وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا وجعلهم أكثر ولاءً وإخلاصاً في خدمتهم لمشاريعنا، هو أن نقوم بتثنية أبناء الأهالي منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدينا، فالمقصود إذن باختصار هو أن تفتح المدارس لكي تتكيف عقول أبناء الشعب الجزائري حسبما يريد الاستعمار الفرنسي⁽⁴⁸⁾. فتحطيم المعنويات التي يتمتع بها الشعب الجزائري كان هدفاً أساسياً، وقد تجلّى الأمر بوضوح في القضاء على الثقافة الوطنية، ونشر التعليم الفرنسي مكانها، واستبدال التعليم العربي بالتعليم الفرنسي فالهدف بين وهو أن يتحول المجتمع الجزائري تحولاً كلياً إلى خادم لمصالح المستعمر ولذلك كانت سياسة الاندماج، ولكن الكتاتيب كان لها الفضل الأكبر في تدارك الأمر عندما أشرفت اللغة العربية على الاضمحلال كما عبر عن هذا الأمر العلامة ابن باديس.

الهوامش والمراجع:

- (1) حمزة بوكوشة: عبد الحميد بن باديس في ذكراه، مجلة المعرفة، العدد العاشر، السنة الأولى شهر أفريل 1964م، ص: 20.
- (2) ينظر: جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عدد: 160 الصادر في 07 أبريل 1939 م.
- (3) د. أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972م منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص: 15.
- (4) د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، منشورات مؤسسة دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص: 140.
- (5) د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص: 142.
- (6) د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص: 142.
- (7) د. أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988م ص: 25.
- (8) د. أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، ص: 26 وما بعدها.
- (9) د. محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص: 48. ود. صالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، الجزء الأول، منشورات دار أيدكوم للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013م، ص: 518.
- (10) د. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ط: 01، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص: 274. ود. صالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، الجزء الأول ص: 519.
- (11) د. صالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، الجزء الأول، ص: 520 وما بعدها.
- (12) د. أبو القاسم سعد الله: حصاد الخريف، منشورات دار عالم المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط: 01، 1432هـ-2011م، ص: 122 وما بعدها.
- (13) د. أبو القاسم سعد الله: حصاد الخريف، ص: 125 وما بعدها.

- (14) د. أبو القاسم سعد الله: أفكار جامعة، ص: 61.
- (15) د. أبو القاسم سعد الله: حصاد الخريف، ص: 194.
- (16) محمد البشير الإبراهيمي: محمد خطاب الفرقاني، جريدة البصائر: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد: 4- السنة الأولى من السلسلة الثانية- 29 أوت 1947م نقلاً عن آثار محمد البشير الإبراهيمي، ط: 01، الجزء الثالث، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م، ص: 17 وما بعدها.
- (17) محمد البشير الإبراهيمي: محمد خطاب، جريدة البصائر: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد: 86، 1949م، نقلاً عن: عيون البصائر: مجموع المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر الخاصة، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د، ت ص: 662 وما بعدها.
- (18) قليلة هي الدراسات والأبحاث التي تناولت قضايا الأعمال الخيرية والإنسانية أثناء ثورة التحرير الجزائرية المظفرة، ومن بينها كتاب: «الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير الجزائرية 1954-1962» للدكتور فاروق بن عطية.
- (19) ولد عبد الرحمن الجيلالي بحي بولو عين بالجزائر العاصمة سنة: 1908م، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس على عدة شيوخ في المساجد والزوايا، وتلقى فيها مبادئ اللغة العربية وعلم الفقه، وعلوم الشريعة، وعلم الكلام، وقد تتلمذ عبد الرحمن الجيلالي على عدد من كبار العلماء الجزائريين الذين يعدون من وجوه النهضة الجزائرية في ذلك الزمن حصل الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عبر مسيرته على العديد من الجوائز والتكريمات، من بينها: جائزة الجزائر الأدبية الكبرى سنة: 1960م، كما كرمه رئيس الجمهورية الجزائرية الأسبق الشاذلي بن جديد سنة: 1987م، ومنحه شهادة اعتراف وتقدير لجهوده العلمية الكبيرة، وخدماته الجليلة التي قدمها للثقافة العربية والإسلامية.
- (20) ينظر: د. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص: 233.
- (21) د. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص: 234.
- (22) أحمد توفيق المدني: تقويم المنصور، نقلاً عن: د. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص: 235-236.
- (23) د. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص: 234.

(24) لمدينة قسنطينة مكانة خاصة في تاريخ الجزائر، فقد كانت «عاصمة سياسية، وثقافية وإدارية لمملكة نوميديا في القديم، وعاصمة إقليمية في العصر الوسيط، وهي الوظيفة نفسها التي احتفظت بها في العصرين الحديث والمعاصر، فإن دراسة المدينة هي دراسة صعبة وعسيرة، وذلك لأن مصادرها مصادر نادرة، وغير مباشرة، والأخبار عنها أخبار مقتضبة ومختصرة، يغلب عليها السياق العارض، والغموض في كثير من الأحيان، وهذا ما يجعل الدارس يميل إلى الافتراضات والتخمينات في معالجة تاريخ قسنطينة، لأن مصادرها ووثائقها، وحتى آثارها الصماء، تكاد تكون منعدمة...» (ينظر: د. عبد العزيز فيلالتي ومحمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة-دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية-، منشورات دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط: 1: 1404هـ-1984م، ص: 10).

(25) كمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في إطار تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011م، ص: 94.

(26) كمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية ، ص: 110.

(27) المرجع نفسه، ص: 123.

(28) أحمد توفيق المدني: محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، الجزء العاشر ، من آثار الأستاذ أحمد توفيق المدني، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، منشورات عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، 2010م، ص: 173 وما بعدها.

(29) د.عمار بوحوش: المسار الأكاديمي للأستاذ عمار بوحوش من قرية (زيار) إلى جامعة ميزوري الأمريكية، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 2019م، ص: 25-26.

(30) د.عمار بوحوش: المسار الأكاديمي للأستاذ عمار بوحوش من قرية (زيار) إلى جامعة ميزوري الأمريكية، ص: 26-27.

(31) تقع مدينة الميلية في الشمال القسنطيني؛ بالجزائر؛ وتعد همزة وصل بين عدة مدن رئيسية مثل: جيجل (غربا)؛ والقفل وسكيكدة (شرقا)؛ وميلة وقسنطينة (جنوبا)؛ والبحر الأبيض المتوسط (شمالا)؛ فهو لا يبعد عنها إلا بحوالي 7 كلم...

(32) محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب؛ الجزائر، ص: 33.

(33) ينظر مقدمة الدكتور سعد بوفلاقة لكتاب: الشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات مؤسسة بونة

- للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1436هـ/2015م، ص:13، وينظر كتاب: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص:70.
- (34) ينظر مقدمة الدكتور سعد بوفلاقة لكتاب: الشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص:13 وما بعدها.
- (35) محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص:98.
- (36) مقدمة الدكتور سعد بوفلاقة لكتاب: الشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص:17.
- (37) أحمد حماني: ابن باديس والثورة؛ مقال منشور في مجلة الرسالة؛ التي تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، العدد: 4 ربيع الأول؛ 1401 هـ؛ ص:29.
- (38) رابع تواتي: الشيخ محمد الصالح بن عتيق؛ رحلة شاقة في سبيل الإصلاح والتحرير؛ مقال منشور في إحدى الصحف الجزائرية (حصلت على قصاصة من جريدة تحتوي على المقال المذكور؛ دون ذكر اسم الجريدة؛ ولا تاريخ صدورها)؛ وفيه تلخيص جيد لحياة ابن عتيق من خلال كتابه أحداث ومواقف... وقد استعنا به. وأنظر أيضاً: محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص:102 وما بعدها.
- (39) محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، تقديم الكتاب بقلم: الأستاذ أحمد بري، ص:12-13.
- (40) مقدمة الدكتور سعد بوفلاقة لكتاب: الشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص:22.
- (41) الجدير بالذكر أن العلامة مبارك الميلي يعود أصله إلى قبيلة أولاد مبارك العربية الهلالية وقد ولد سنة: 1898م، قرب قرية الميلية، ثم انتقل إلى بلدة ميله، فحفظ بها القرآن الكريم، وزاول دروسه الأولى بهذه البلدة، ثم التحق بدروس العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة، ثم أرسل في بعثة طلابية إلى جامع الزيتونة بتونس، وبعد أن حصل على شهادة التطويح بتونس عاد إلى الجزائر، واشتغل في تعليم القرآن الكريم من خلال مساعدته لأستاذه العلامة ابن باديس بمدينة قسنطينة، وفي سنة: 1927م انتقل إلى مدينة الأعواط، وعمل بها مدرساً، ومُربياً، ومرشداً، وفي عام: 1933م انتقل إلى بوسعادة، وقرر بعد ذلك أن يستقر في بلدة ميله التي واصل بها نشاطه العلمي، والتربوي، وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة: 1940

م خلفه في التدريس، والتعليم، والإشراف التربوي، وواصل نشاطاته على الرغم من اشتداد المرض عليه إلى أن وافته المنية سنة:1945م.
(42) العلامة الشيخ أحمد حماني من مواليد سنة:1915م بمنطقة تمنجرت القريبة من دائرة الميلية ، والتابعة لولاية جيجل، حيث تلقى بها المبادئ الأولية في العلوم والفقه، وحفظ القرآن الكريم وفي سنة:1931م التحق بسلك طلبة الإمام عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر وسيدي قموش بقسنطينة، وبعد ثلاث سنوات ارتحل إلى تونس رفقة الشيخين محمد ميهوبي ومحمد ملياني ونهل من مدارسها كالمدرسة الخلدونية، وجامع الزيتونة، وبعد ذلك اشتغل بالتعليم، وعمل بمجلة الشهاب وجريدة البصائر، واعتقل سنة:1957م وزج به الاستعمار في غياهب السجون ، وعقب الاستقلال عمل مفتشاً عاماً للغة العربية ، ودرّس بكلية الآداب بجامعة الجزائر ، وتولّى رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى سنة:1973م، وقد ترك الشيخ مجموعة من الآثار منها المطبوعة والمخطوطة، نذكر منها:«صراع بين البدعة والسنة»، «فتاوى الشيخ أحمد حماني: استشارات شرعية ومباحث فقهية».

(43) ولد الدكتور دودو سنة:1934م، بقرية تمنجر بولاية جيجل التي تقع شرق العاصمة الجزائرية، وتلقى تعليمه الأول بالمدرسة القرآنية بقريته، ثم بمدينة قسنطينة، وبعد ذلك التحق بمعهد العلامة عبد الحميد بن باديس ودرس على يد مجموعة من كبار العلماء الجزائريين وفي سنة:1951م انتقل إلى تونس، وبعدها بسنة سافر إلى بغداد، والتحق بقسم اللغة العربية، وتخرج منه سنة:1956م حاملاً شهادة الإجازة في الأدب العربي، وانتقل في السنة نفسها إلى النمسا ودرس بقسم الدراسات الشرقية، وقدم رسالة عن الشاعر والمؤرخ ابن نظيف الحموي ونال بها شهادة الدكتوراه سنة:1961م. وفي سنة:1969م عاد إلى الجزائر والتحق بقسم اللغة العربية وآدابها، حيث كان يُدرس عدة مواد مثل: الأدب المقارن ونظرية الأدب والآداب القديمة، و من أهم أعماله القصصية:«بحيرة الزيتون»، و«دار الثلاثة» و«الطعام والعيون» و من أعماله المسرحية مسرحية «التراب»، و «البشير»، و من دراساته نذكر:«الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان»، و«دراسات أدبية مقارنة» و«كتب وشخصيات»، و من أهم الأعمال التي قام بترجمتها مسرحية: «حديقة الحب» للوركا ومسرحية«الضيف الحجري» لبوشكين، وكتاب:«الأمير عبد القادر»لكارل يوهان بيرنت وكتاب:«ما هي العولمة؟» لألرييش بك، وكتاب:«العمل الفني اللغوي»لفولفغانغ كايزر و«القط والفأر» لغونتر غراس ، وغيرها من الأعمال العالمية المتميزة.

(44) ولد الدكتور سعد بوفلاحة ببلدة (بو البْلوط) ، قرب الميلية بالشمال القسنطيني، الجزائر تربي في أحضانها ، و حفظ ما تيسر من القرآن الكريم في كتاتيبها، وتعلم فيها مبادئ العربية، ثم واصل دراسته متقللاً بين عنابة، و قسنطينة، وفاس بالمغرب الأقصى. حصل على شهادة العالمية (الماجستير) سنة: 1987 م، والعالمية العالية (دكتوراه الدولة) تخصص: أدب عربي قديم سنة: 1998 م بإشراف مشترك بين جامعة الجزائر وكلية الآداب بفاس بالمغرب الأقصى. يعمل حالياً أستاذاً بجامعة عنابة، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها سابقاً. عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، وعضو اللجنة الوطنية للتعريب في الجزائر، وقد أسس مجلة بونة للبحوث والدراسات سنة: 2004م، وكان رئيس تحريرها وما يزال، كما كرم عدة مرات خارج الوطن. ومن مؤلفاته: النرجسية في شعر نزار قباني ودراسات أخرى، والشعر النسوي الأندلسي: أغراضه وخصائصه الفنية، وفي سيمياء الشعر العربي القديم ودراسات أخرى، ودراسات في الأدب الجاهلي، وشعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي وشعر الصحابة ، دراسة موضوعية فنية ، والشعريات العربية (المفاهيم والأنواع والأنماط) ودراسات في أدب المغرب العربي، وولادة بنت المستنكي: الأميرة الشاعرة، وليلى الأخيالية: أميرة شاعرات العرب. وقد نشر عشرات الدراسات والمقالات الأدبية والتربوية والنقدية في الصحف والمجلات الوطنية، والدولية منذ مطلع السبعينيات، وشارك في العديد من المؤتمرات الدولية والوطنية.

(45) د.سعد بوفلاحة: الشيخ الإمام الطاهر بن العابد في ذمة الله، مجلة بونة للبحوث والدراسات مجلة دورية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات التراثية والأدبية واللغوية العدد: 17، ربيع الأول 1433هـ/يناير (ق.نفي) 2012م، شعبان 1433هـ/يونيو (ق.وان) 2012م، ص: 8-9.

(46) كمال عربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، ص: 169 وما بعدها.

(47) د.سعد بوفلاحة: مخطوطات زاوية الشيخ الحسين تنتظر الباحثين، دراسة منشورة في كتاب: النرجسية في شعر نزار قباني ودراسات أخرى، الطبعة الأولى، 1515هـ-1994م ص: 161.

(48) د.أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972م ص: 16.

وما بعدها.

واقع الكتاتيب في زمن العولمة والتطور التكنولوجي

د. عرجون الباتول

جامعة الشلف

التعليم هو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها حضارات الشعوب، وللمدارس القرآنية أهمية ومكانة عظيمة، ودور تربوي وتعليمي كبير ينبع من أهمية ومكانة القرآن الكريم فهو كتاب الله الخالد والمصدر الأول للتشريع ودستور الأمة إلى يوم القيامة.

ولقد كان للكتاتيب القرآنية أعظم الأثر في التاريخ الإسلامي ولا زالت إلى اليوم تحافظ على لغة أبنائنا في زمن العولمة والتطور التكنولوجي. فأصبحت مدارس القرآن الكريم ضرورة شرعية وتربوية في المجتمع، لأنها توازن الميادين التربوية الأخرى كالأُسرة والمدرسة... في تهذيب النشء وتربيته وتركيبته وحمايته من أسباب الانحراف.

ومن هنا كان لابد للجهات المعنية من معاينة واقع المدارس القرآنية أو الكتاتيب في هذا الزمن، حيث جاء هذا المتلقي الوطني من طرف المجلس الأعلى للغة العربية الموسوم بـ: "الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي" نظرا لأهمية الكتاتيب ودورها في حفظ الناشئة ورفاههم الديني واللغوي وحمايتهم من أنواع العنف والانحلال الأخلاقي والضياع في زمن أصبح فيه العالم قرية صغيرة، ولما تضمن هذا المتلقي عدة محاور تَوَظَّر الإجابة على الإشكالية المطروحة، فقد وقع اختيارنا على المحور الخامس: الواقع الحالي للكتاتيب ومصيرها في ظل الغزو التكنولوجي، من خلال إعداد مداخلة موسومة بـ: "واقع الكتاتيب في زمن العولمة والتطور التكنولوجي".

حيث سنحاول الإجابة على إشكاليات هامة منها:

- هل استطاعت الكتاتيب القرآنية كأولى مؤسسة تعليمية المحافظة على طابع الهوية الإسلامية واللغة العربية في ظل الغزو الثقافي والتجريبي الذي اجتاح البلدان العربية والإسلامية كتحديات مخيفة؟

- وإلى أي مدى استطاعت مواجهة هذه التحديات؟

- كيف يمكننا تدارك ضعف الكتاتيب في هذا الزمن، أو ماهي الخطط والتوصيات التي نخرج بها بعد تدارس وضعية التعليم والتعلم خاصة في ظل تجارب إصلاح منظومة التربية والتعليم؟.

نعين في بداية هذه الورقة البحثية المفاهيم المصطلحية المتعلقة بموضوعنا فعلية نجاح كل معرفة ترتبط بدراسة مصطلحاتها من مختلف الزوايا، مما ساعد في وضع إطار مرجعي للتعامل مع مشكلة البحث، فالمعرفة بيئة تتكاثف فيها الدلالات وتتوالد وتتفاقم، تحت تأثير الحاجة.

وهناك أهمية لذكر المصطلحات وتعريفها إجرائيا في خطة البحث بسبب كثرة المدلولات والتعريفات الإجرائية المحتملة للمصطلح الواحد ونتيجة لعدم اتفاق المختصين على معنى وملول دون غيره.

ما يجعلنا في هذا المقام نعد إلى تحديد مختلف المفاهيم المصطلحية المتعلقة ببحثنا غير أننا سنحددها بإيجاز:

أولاً: تحديد المصطلحات:

1- العولمة:

1-1: مفهوم العولمة: لقد ذاع استخدام العولمة على نطاق واسع منذ تسعينيات القرن العشرين لعلاقته الوطيدة بالمتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية... العميقة التي يشهدها عالم اليوم. والتي فرضت نفسها على الساحة الدولية ثم انتقلت إلى الساحة العربية وبآثارها المخيفة على الدول النامية في المجالات المختلفة وفرضت علينا تحديات يتحتم علينا أن نواجهها بسرعة وفعالية لكي نلحق بركب الدول المتقدمة.

والعولمة مصطلح حديث النشأة يعود أصله إلى الكلمة الإنجليزية "Global" وتعنى عالميا أو دوليا أو كرويا، أما المصطلح الإنجليزي (Globalization) فيترجم إلى الكوكبة أو الكونية أو العولمة.

إن الذي يعاين هذا المصطلح بجلاء يجد أنه يحمل معنى الهيمنة والسيطرة على مقدرات الشعوب وعلى ثقافتنا وأصالتنا فكريا ونفسيا وتربويا. يقول عنها عبد الصبور

شاهين عضو مجمع اللغة العربية" فأما العولمة مصدرا فقد جاءت توليدا من كلمة عالم ونفترض لها فعلا هو عالم، يعولم، عولمة بطريقة التوليد القياسي... وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل¹. فأصبح تحليل كلمة العولمة بالمعنى اللغوي يعني تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. كما يجب أن نعرف العولمة تعريفا شاملا مانعا يغير من المهمات الصعبة لغموض مفهومه من جهة ولاختلافات وجهة الباحثين التي تتراوح بين تعريف العولمة على أنها ظاهرة اقتصادية أو تعريفها على أنها هيمنة أمريكية وثورية تكنولوجية واجتماعية.

1-2: الفرق بين العولمة والعالمية: يتوجب علينا أن نتوقف قليلا لنفرق بين

العالمية والعولمة ذلك أن الأولى "العالمية":

هي انفتاح على العالم، وإثراء للفكر، تبادل المعرفة مع الاعتراف بالآخر دون فقدان الهوية الذاتية، والدين الإسلامي يحثنا على العالمية فيخاطب جميع البشر لأنه صالح لكل زمان ومكان. فهو لا يعرف الإقليمية أو القومية أو الجنس جاء لجميع الفئات والطبقات لهذا تجد الخطاب القرآني موجها لجميع الناس وليس لفئة خاصة حيث يقول الله سبحانه وتعالى في كثر من الآيات القرآنية: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾².

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾³.

وقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁴.

وعليه فمن طبيعة ديننا الكريم الانفتاح ومسايرة الركب الحضاري وأما إقصاء الإسلام عن عالميته وعدم زجه في كثير من حقول الحياة بالرغم من المحافظة على قداسته، فيرجع لعدم فهم طبيعة هذا الدين وسبب من أسباب تخلفنا وعدم قدرتنا على مواكبه الركب الحضاري.

أما "العولمة" فهي انسلاخ عن قيم ومبادئ وتقاليد عادات الأمة وإلغاء شخصيتها وكيانها وذوبانها في الآخر، فالعولمة تنفذ من خلال رغبات الأفراد والجماعات بحيث تقضي على الخصوصيات تدريجياً من غير صراع إيديولوجي، فهي تقوم على تكريس إيديولوجيا "الفردية المستسلمة" وهو اعتقاد المرء في أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه، فنقوم بإلغاء كل ما هو جماعي ليبقى لا "الإطار العولمي" هو وحده الموجود، وتنتشر النزعة الأنانية وطمس الروح الجماعية وتعمل على تكريس الحياد وهو التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية وهي بهذا تقوم بوهم غياب الصراع الحضاري أي التطبيع والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري وبالتالي يحدث فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة أو لغة أو دين إنها عالم المؤسسات والشبكات⁵.

إن مصطلح العولمة منشؤه غربي وطبيعته غريبة، والقصد منه تعميم فكره وثقافته ومنتوجاته على العالم، فهي ليست نتيجة تفاعلات حضارية غربية وشرقية، قد انصهرت في بوتقة واحدة بل هي سيطرة قطب واحد على العالم ينشر فكره وثقافته ولغته ودينه.

فالتحدي الذي تواجهه البشرية في هذا الزمن هو كيفية إدارة العولمة وتحويلها إلى قوة إيجابية يستفيد منها كل سكان الأرض، فتسعى الدول المتقدمة من خلال العولمة إلى تحقيق الغزو الثقافي والفكري واللغوي وفرض ثقافات الدول الكبرى على ثقافات الدول النامية، ومنها الدول العربية بقصد إلغاء خصوصيتها الثقافية وجعلها في إطار مفهوم التبعية، مما جعل الأمة الإسلامية اليوم تواجه الكثير من التحديات والعقبات التي تحاول أن تدفع بها بعيداً عن أداء دورها في العطاء القيمي والثقافي وتحول دون تحقيق رسالتها الخالدة ومشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية والإسلامية والعربية.

2- مصطلح الهوية:

1-2: التعريف اللغوي للهوية: نصطدم في التعريف اللغوي للهوية بثلاث كلمات

متشابهة:

أ- هَوَى: أي أحب والهوى بالقصد هو العشق ويكون في الخير والشر.

والهوى، المهوى: استهوته الشياطين أي ذهبت بهواه وعقله وجيرته.

ب: هَوَى الشيء بمعنى سقط: وهو فلان سقط من علو إلى أسفل، هو يقال للبحر

العميق "الهوية" من هوى.

ج: الهوية من هُوَ: "أي حقيقة الأشياء أو الأشخاص بصفاتهم الذاتية ومنه تسمية

بطاقة التعريف" بالهوية.

2-2: **التعريف الاصطلاحي للهوية:** هي السمات التي تميز شيئاً عن غيره أو

شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها، كل منها يحمل عدة عناصر في هويته.

ويستخدم مصطلح الهوية لوصف مفهوم الشخص والتعبير عن فرديته وعلاقته مع

الجماعات كالهوية الوطنية أو الهوية الثقافية.

والهوية مأخوذة من "هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته، وهوية الشيء هي ثوابته

التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما

بقيت الذات على قيد الحياة.

"إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها

الحضارية". وإذا توافقت هوية الفرد مع مجتمعه كان الأمن والراحة والإحساس

بالانتماء، وإذا تصادمت الهويات، كانت الأزمة والاعتراب.

ولا شك أن مقومات الهوية هي العناصر التي تجتمع عليها الأمة بمختلف أقطارها

نذكر منها:

2-3: **المقوم الأول:**

العقيدة أو الدين وما توفره من رؤية للوجود.

2-3-1: **المقوم الثاني:**

اللغة واللسان.

2-3-2: **المقوم الثالث:**

التراث الثقافي الطويل المدى.

2-3-3: المقوم الرابع: الشعب والجغرافيا التي يسكنها، فمن الصعب وجود هوية نطاق جغرافي.

نتوقف قليلا عند هذه المقومات والتي يحتاجها موضوع هذه الدراسة حيث سنركز على المقوم الأول والثاني.

- **العقيدة الإسلامية والهوية:** إن العقيدة الإسلامية من أهم مكونات الهوية، وهي تجمع بين التصديق والاعتقاد بالله سبحانه وتعالى المقرون بالعمل والسلوك، حيث تعنى الهوية الإسلامية "الإيمان والتصديق بعقيدة الأمة الإسلامية مع الاعتزاز بالانتماء الوجداني إليها، واحترام قيمها الحضارية الثقافية وإظهار الشعائر الإسلامية مع الاعتزاز والتمسك بها، إضافة إلى الشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية. ومن الخصائص المميزة للهوية الإسلامية⁶:

أ- **هوية العقيدة:** بحيث ينضوي تحتها كل مسلم أيا كان مكانه أو شكله أو لغته فأهل الإسلام مميزاتهم الخاصة، والتي تجعلهم كلهم تحت مسمى واحد "هو" المسلمين".

ب- **أنها لازمة لكل مسلم:**

وهنا نقصد أنه لا يجوز للمسلم الخروج عنها، فهي فرض لازم.

ج- **أنها متميزة عما عداها:**

يعطي هذا التميز لكل قوم مقومات بقائهم، ويحفظ عليهم ثقافتهم وإيديولوجياتهم فلا يذوبون في غيرهم، ولذا شمل هذا التغيير كل جوانب الحياة: العقائدية، اللباس الهيئية الحياة العملية...

د- **استوعاب كل حياة المسلم وكل مظاهر شخصيته:**

فهي تامة الموضوع محددة المعالم، تحدد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفه ووظيفته وغايته في الحياة.

ه- **كما أنها مصدر العزة والكرامة.**

و- **ترتبط بين أبنائها برباط وثيق.**

وهنا يكون الولاء للمحبة بين أصحابها وتربط بينهم برباط الأخوة والمحبة والنصرة والمولاة، فهم جسد واحد.

الهوية ولغتنا العربية: إن اللغة العربية بشكل عام هي وسيلة اتصال البشر بعضهم ببعض، وهذا التعريف يكتسب صفة العمومية، وأما إذا ما أردنا تعريف اللغة العربية فيمكننا القول "بأنها وسيلة اتصال بين الناطقين بها تربطهم بتراثهم، وتربط وشائج التواصل بينهم في الفكر والمشاعر والأحاسيس". لقد ارتبط مفهوم الهوية منذ ظهوره بمصطلح اللغة فاللغة كانت ولا تزال أبرز علامات الوجود وأهم مظاهر التعبير عن الجماعة، وإن النظر إلى اللغة في علاقتها بالهوية يتجاوز كونها أداة تواصل بين أفراد الجماعة إلى النظر إليها باعتبارها رمزا من رموز الجماعة، تشارك في تحديدها وتعريفها، وأداة توحيد ومحافظة على الجماعة واستمرارها وهو ما يوضحه رمزي بعلبكي قائلا: "اللغة منظورا كائن إيجابي وفاعل في إعادة إنتاج ذات الهوية وتطويرها أو على العكس من ذلك تدهورها وتحللها، إضافة إلى كونها أحد أركانها وأبحاثها الكبرى"⁷

وتعتبر الهوية العربية من أقوى الهويات اللغوية قديما وحديثا، ومن عوامل قوة الهوية اللغوية العربية⁸:

أ- **الإسلام:** لقد كان الإسلام ولا يزال أهم عناصر الهوية العربية و أقوى محددات الهوية الشخصية والاجتماعية لمعظم المسلمين وارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي باعتبارها لغة القرآن الكريم، فالعلاقة بين اللغة العربية والقرآن الكريم جدلية تقوم على توفير العربية المعرفة اللغوية لفهم كتاب الإسلام المقدس الذي يتولى بدوره الحفاظ على تلك اللغة من الاندثار.

ب- **المكانة الإقليمية والعالمية:** تتمتع اللغة العربية بقيمة وطنية وإقليمية كبيرة فهي اللغة الرسمية لجميع البلدان العربية، ولغة التعليم الأولى، وهذا ما يزيد من قيمتها الوطنية في نطاقها الجغرافي، وهي لغة إقليمية في جنوب آسيا وشمال إفريقيا ولغة ثانية لكثير من الدول الإسلامية.

وعلى المستوى العالمي تحظى اللغة العربية بمكانة راقية، فهي إحدى اللغات العالمية الكبرى رغم ما تمر به اليوم، وهي إحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة ومكانتها العالمية في تزايد مستمر.

ج- القوة الديموغرافية: تتمتع اللغة العربية بقوة ديموغرافية كبيرة، فاللسان العربي هو اللغة القومية لما يزيد على 350 مليوناً، وهو يمثل إلى جانب ذلك مرجعية اعتبارية لأكثر من مليار مسلم غير عربي يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية.

د- التوحيد: إن اللغة العربية في شكلها الفصيح هي لغة موحدة لأزيد من عشرين دولة، يمكن أن تسهل التواصل بينهم والتبادل الفكري والثقافي، علاوة على توحيدها لأنماط التفكير، وأنماط الحياة والبلد الواحد.

وبهذا نكون قد حاولنا تقديم مفهوم مركز لأهم المصطلحات المتعلقة بهذا الموضوع "العولمة، الهوية، العالم... بحيث وضحنا كيف أن العولمة تهدف في الجانب اللغوي إلى تهديد اللغة العربية وإقصائها أي "إقصاء لهويتنا العربية الإسلامية" من على الرقعة الجغرافية التي يعيش عليها العرب الناطقون بها، وذلك بإحلال لغة جديدة على عالمهم وديناهم، فقد استخدمت هذه الدول -الغربية- نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري لفرض املاءات على الدول العربية تقيد تغيير مناهجها، وفق الأسس العولمية لتلك البلاد، ومن بين ما تضمنت هذه التغييرات التقليل من حصص اللغة العربية والدين الإسلامي في المناهج الدراسية وجعل اللغة الفرنسية أو الإنجليزية مقرراً من مقررات هذه المناهج، لتنشأ في عقلية النشء منذ الصغر، جنباً إلى جنب مع اللغة الأم.

أهمية المشكلة في هذه الورقة البحثية: إن هذه الورقة البحثية جاءت من صميم الحرص على أهمية الكتاتيب، كأول مؤسسة تعليمية وواقعها في زمن العولمة والتطور التكنولوجي ومدى قدرتها على المحافظة على طابع الهوية الإسلامية واللغة العربية في ظل الغزو الثقافي، والتغريبي الذي اجتاحت البلدان العربية والإسلامية.

ففي سياق نشر العولمة وتشكل النظام العالمي الجديد، تأتي التحولات العلمية والمعلوماتية التكنولوجية تحمل في طياتها بعضاً من التحديات الضاغطة على لغتنا

العربية، ذلك أن القوى الكبرى تحاول جاهدة أن توظف الثورة العلمية والمعلوماتية التكنولوجية لصالح قيمها وتوجهاتها اللغوية، وفي هذا الإطار تزايدت المخاوف من الهيمنة للغوية الغربية والقضاء على هويتنا. ومن هنا جاء هذا الموضوع لتدارس وضعية ومستقبل التعليم والتعلم في الكتاتيب القرآنية خاصة في ظل تجارب إصلاح منظومة التربية والتعليم في الجزائر.

- **المدارس القرآنية "الكتاتيب":** إن للمدارس القرآنية أهمية ومكانة عظيمة، ودورا كبيرا في المجتمع، وهذه الأهمية تتبع من مكانة القرآن الكريم، فهو كتاب الله الخالد والمصدر الأول للتشريع ودستور الأمة إلى يوم القيامة.

والكتاتيب هي جمع لكلمة "كتاب"، تلك الكلمة التي تطلق على مكان أو فضاء يكون جوار المسجد غالبا، يشرف فيه شيخ الحي أو إمام المسجد على تعليم الأطفال أساسيات القراءة والكتابة العربية، والقرآن الكريم.

فهي عبارة عن حجرة واحدة متسعة ملحقة بمسجد، تفرش أرضيتها بحصير يجلس فوفه المعلم ويتلقح حوله المتعلمون ومن أهم ما يستخدم فيه من الأدوات لوح خشبي صغير وأداة للكتابة، حسب ما توفره البيئة ويقوم المتعلم بكتابة الدرس على اللوح ثم يمحوه بعد أن يتأكد من حفظه ليكتب مكانه درساً جديداً.

لا يوجد سن مضمونة للالتحاق بالكتاب ولكن المتعارف عليه وربما في معظم البلدان العربية والإسلامية، أن الأطفال عادة ما يذهبون إلى الكتاب وأعمارهم تتراوح بين الرابعة والسابعة.

كما وتختلف المدة التي كان يقضيها الطفل قديما بالكتاب، باختلاف استعداد الطفل ومدى قابليته للتعلم، وإمكانياته في الانتقال إلى المرحلة التعليمية التالية.

أما أيام التعليم فكانت في الغالب خمسة أيام ونصف يوم: السبت، الأحد، الإثنين الثلاثاء، والأربعاء، وصبيحة يوم الخميس، حيث كانت بقية يوم الخميس وطول الجمعة عطلة راحة.

ويجري اختيار معلمي الكتاب من أهل العلم والصلاح، من الحاصلين على مستوى تعليمي يشهد لهم بالقدرة على التعليم.

إذا عاينا واقع الكتاتيب في هذا الزمن، نجد أن دورها نقص واضمحل، فالوضع الاقتصادي والاجتماعي في المدن دفع الكثير من الناس إلى إدخال أبنائهم إلى ما يسمى بروض الأطفال التي حرم فيها الطفل من طفولته الطبيعية، أما الكتاتيب فبالرغم من بساطتها، لها شأن كبير في المجتمع، إذ ربت أجيالا كثيرة على حسن الخلق والانضباط وعلى الفضيلة والتسامح، وحب الوطن، و منذ أمد غير بعيد كانت الكتاتيب القرآنية سندا فعليا وعونا للمدرسة العمومية، إذ ثبت أن من يحفظ القرآن ويختمه في مرحلة مبكرة تكون حصيلته اللغوية ما يقارب «5000» كلمة بينما حصيلته في تعلم العامية لا يتجاوز «300» كلمة.

لقد ضعف دور الكتاتيب في عصرنا الحالي نظرا لحلول المدرسة والتعليم الرسمي محلها، وقد واجهت الكتاتيب في الجزائر تحديات لا تحصى نذكر منها:

- الفترة الاستعمارية. عندما نتحدث عن التحديات نعود إلى البدايات، حيث الفترة الاستعمارية التي حطت بها رحال القوات الفرنسية أرض الجزائر، ففي تلك الفترة بدأت الخطوات الأولى لتهميش اللغة العربية وإقصائها عن الساحة حيث سدد المستعمر سهامه نحو كل ما هو عربي إسلامي وزعزع منظومة اللغة العربية، حيث تعرضت الكتاتيب ولا تزال إلى التهमيش والمضايقات، والضغط المستمر من الدول الغربية على الدول الإسلامية، لإجبارها على إغلاق كثير من كتاتيب تعليم القرآن الكريم، بحجة أنها تُخرج المتطرفين والإرهابيين؛

- الحط من منزلة دور العربية وذلك بالإسهام في إضعاف مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية والحط من منزلة المدرس والمدرسين للغة العربية والتربية الإسلامية - الخطط الغربية للقضاء على اللغة العربية وفتح الطريق للغة الغربية كالإنجليزية أو الفرنسية لتصبح في المقام الأول بين الناطقين في بلاد العرب. كجعل هامش ضيق

للعلم الدينية في المدارس الابتدائية، وعدم الاهتمام بالمعلم في المدرسة أما المعلم في الكتاتيب فهو مقصي تماما وليس لديه أي راتب.

- العامل التكنولوجي الذي يعمل على الاختراق الثقافي لهويتنا العربية والإسلامية دون وعي أو عن وعي، فعامله متعددة تنتقل إلى أولادنا وذواتنا من دون استئذان وهي تحدث تغييرا في كل أوجه الثقافة العربية الإسلامية، والمكونة من مركب متجانس من الذكريات والتطورات والقيم، والرموز والإبداعات والتطلعات، التي تشكل الهوية الداخلية للطفل الجزائري المسلم، وبذلك يشب الطفل غريبا ولو نشأ في وطنه.

- ولا ننسى هنا الإشارة إلى دور الفضائيات الكبرى في محو الهوية العربية الإسلامية فبعد تهميش الحكومات للتعليم الإسلامي والمساجد والكتاتيب والمعلمين أي الكتاب، تهتم كثيرا بالفضائيات والتي معظمها قنوات حكومية إلا أن البرامج التي تقدم بالفصحى قليلة وأغلبها سيء التنفيذ والإخراج، يغيب فيه الاهتمام بجماليات اللغة العربية ويفتقد عنصر التشويق وبالمقابل تميل إلى توظيف العاميات المحلية واللهجات الممزوجة بالألفاظ الأجنبية فيما عدا بعض المسلسلات التاريخية والأخبار وبعض الحصص الزمنية الخاصة كالبرامج الدينية، فمثلا الحكومات العربية ولجأت إلى دبلجة اللغة الأجنبية بلغة عامية عربية رديئة فهدمت لغتنا وسوقت عادات وتقاليد لا تتفق والواقع العربي، وفدت إلى أبنائنا من خلال فضائيات جزائرية وعربية ممولة من المال الغربي والقائمين عليها عرب بهدف:

- تصدير ثقافة هادفة نشجع على السلوك غير السوي بين شباب الأمة العربية وبناتها.

- بناء لغة عربية ركيكة ممزوجة بلهجات مختلفة وبكلمات أجنبية يسهل إراجها على ألسنة العرب.

- ترويض الأطفال والشباب العربيين للتمرد على الثقافة العربية والإسلامية واستبدالها بثقافة غربية هي ثقافة العولمة.

- ضياع الوقت من الشباب العربي لمشاهدة أحداث المسلسلات التي صممت على الإثارة وخاصة أن هذه المسلسلات طويلة في حلقاتها تحتاج إلى شهور للانتهاء منها... فشتان بين جيل ينشأ في الكتاتيب بين الكتاب، وجيل ينشأ وفي يده الحاسوب الموصول بشبكة الأنترنت المفتوحة بلا رقابة وفضائيات أبهرته. - ستار أكاديمي مسلسلات كسنوات الضياع، والحلم الضائع، وتمضي الأيام حيث تمضي فعلا السنوات بأبنائها وتضيع الهوية واللغة والمبادئ الإسلامية كسنوات الضياع.

واقع الكتاتيب: لقد كان للكتاتيب أعظم الأثر في التاريخ الإسلامي، ومازالت إلى اليوم تحافظ على لغة أبنائها في ظل الإهمال الحكومي للغة العربية والاهتمام المبالغ فيه باللغات الأجنبية، وما زال لها الدور الكبير في تعليم عامة الناس مبادئ الدين والوضوء والصلاة، إذا أهملت الحكومة العربية والإسلامية هذا الواجب.

وعلى الرغم من ضعف الكتاتيب في عصرنا، ما زلت مستمرة بفضل الله. في بلدنا الجزائر وفي معظم البلدان الإسلامية وخاصة في إفريقيا وآسيا، كما يلاحظ اليوم التحدي الكبير وهو حفظ كتاب الله تعالى من طرف الكثير من أبناء هذه الأمة ما يدل أن الجميع أيقن أن القرآن هو السبيل المنجي والنور الذي يبين حياة الإنسان.

- يلاحظ استمرار الكتاتيب في معظم المجتمعات الإسلامية في فترة الإجازة الصيفية أو بعد العودة من المدرسة، فبحلول الموسم الدراسي تفضل العائلات إرسال أبنائها إلى مدارس تعليم القرآن من أجل حفظ ما أمكن منه وقد تحولت هذه الممارسة إلى تقليد في العديد من مناطق الوطن، ويعود تاريخ هذا التقليد إلى العهد الاستعماري، حيث حافظت الزوايا والكتاتيب على الهوية العربية الإسلامية للجزائر في مواجهة محاولات التصيير التي قامت بها فرنسا أثناء احتلالها للبلاد.

سنعرض هنا مثالا عن واقع الكتاتيب وتحليلها بطريقة جديدة، وهو مشروع "عطلي قرآني" الذي صادفناه في مواقع التواصل الاجتماعية في نفس اليوم الذي صادفنا فيه ديباجة هذا الملتقى فكأن الله ساقه لنا، جاء فيه: تحت رعاية الجمعية الخيرية الوداد ونادي القرآن الكريم وبشعار "عطلي قرآني" نظمنا جمعية دورية تعليمية لحفظ القرآن

الكريم للصغار ذكورا وإناثا من (06 سنوات إلى 14 سنة، خلال العطلة الشتوية القادمة بإذن الله، فعلى الراغبين في المشاركة الاستفادة من الدورة والتقدم إلى مقر الجمعية الكائن بوسط المدينة شارع الأمير عبد القادر قرب مركز الشرطة، وقد نشر هذا الإعلان "ياسين صدوقي" في صفحته على الفايسبوك وهو إعلامي ونائب الرئيس المكلف بنشاطات نادي القرآن الكريم بخميس مليانة كما هو موضح خلال هذه الصورة:

بسم الله نطلق غدا ان شاء الله في مشروع عطلتي قرآني الذي نستهدف من خلاله البراعم الكرام، سيكون الانطلاق بحول الله مع فريق للذكور فيه لحد الآن (15 طفلا) وفريق آخر للإناث فيه لحد الآن (10 بنات)، ولا يزال الباب مفتوحا من أجل إستقبال أطفالنا الأعزاء وتسجيلهم، يشرف على الذكور أستاذ مكلف، وتشرف على الإناث أستاذة مكلفة، يعملون بكل جد لتحفيظ القرآن الكريم لأطفالنا الكرام.

غدا ان شاء الله الانطلاق في قاعات الدروس التابعة للجمعية والمخصصة للمشروع، مقرها في وسط مدينة خميس مليانة أمام متوسطة غربي محمد.

للتذكير فقط فإن المشروع يستهدف الأطفال من 6 سنوات إلى غاية 14 سنة، يدرسون أيام الأحد والإثنين، الأربعاء والخميس، من الساعة 9 إلى 12 في الفترة الصباحية فقط. جمعيتنا معكم وأنتم معنا لنشر الخير في المجتمع الجزائري والله ولي التوفيق والله من وراء القصد.

#نادي_القرآن_الكريم

#جمعية_الوداد_الخيرية

#مشروع_عطلتي_قرآني

#ياسين



صورة من شبكة التواصل الاجتماعي يوم الإعلان عن مشروع "عطلتي قرآني"

وقد اتصلنا به وأجرينا حوارا معه حول هذا المشروع الذي يعكس بشكل ملموس واقع الكتاتيب في هذا الزمن، عبارة عن سؤال جواب بعد التحية جاء فيه:

عرجون الباتول: هل يمكن أن نعطينا نبذة عن نادي القرآن الكريم؟.

ياسين صدوقي: نادي القرآن الكريم هو نادي شبابي تأسس عام 2019 بمدينة خميس مليانة ينضوي تحت جمعية الوداد الخيرية يعمل بالازواج مع هذه الجمعية لتقديم نشاطات تطوعية.

عرجون الباتول: ماهي النشاطات التي يقوم بها هذا النادي.

ياسين صدوقي: يقدم النادي العديد من النشاطات تسهم في وضع بصمة دينية والمحافظة على القرآن الكريم ومنها " مشروع الجلسات القرآنية"، وكانت الفكرة الانتقال من الجلسات التقليدية والمعروفة في المسجد إلى الأماكن التي لم يكن القرآن موجود بها أو التي لم يتعود مجتمعنا على تواجد القرآن بها فنأخذ القرآن ونخرج به إلى أماكن جديدة ومنها أننا عقدنا جلسات في الحديقة العمومية بخميس مليانة، حيث حاولنا استرجاع المكانة التاريخية لهذه الجلسات مثل جلسات عبد الباسط والمنشأوي في مصر.

وحتى لا يبقى القرآن محصورا بين المساجد والزوايا وإنما في كل شبر من المجتمع.

الآيات القرآنية تسمع في كل زاوية من الحديقة العمومية مع الفرائد عبد الجليل عطاق وسط حضور أطفال وشباب رجال وفتوح مدينة خميس مليانة في جلسة يحف الملائكة أهلها ونكرمهم الله فيمن عنده.

#ياسين



عرجون الباتول: عرفنا بمشروع عطلتي قرآني وأهدافه.

ياسين صدوقي: في مشروع عطلتي قرآني برمحنا ثلاث ساعات في اليوم الأحد والاثنين والأربعاء والخميس، نعلم الطلبة أحكام التجويد وأسس تعلم القرآن الكريم حيث باشر الطلبة في حفظ كتاب الله، وقد استطاع الطلبة حفظ من حزب إلى حزبين في هذه العطلة.

ومن أهدافه:

- تلقين الأطفال القرآن ومن ثم الحفظ السليم؛
- خلق تلك الصحبة القرآنية النيرة بين الأطفال؛
- دمجهم في بيئة دينية وتشجيعهم على حفظ القرآن الكريم.

جانب من الجولة الترفيهية التي قدمتها جمعيتنا للذراع الصغار الذين يشاركون معنا في مشروع عطلتي قرآني.
بعد مرور أسبوع من الجهد والسعي لحفظ القرآن الكريم لا بأس أن يذهب الأطفال للمرح واللعب لبعض الوقت مع باقي أطفال المدينة وقضاء وقت ممتع .
الجولة كانت بدار الشباب أحمد بوقارة صباح هذا اليوم.... عرض المزيد



ومن برامجنا أيضا:

- جلسات أسبوعية بعد العطلة.
- إدراج تحفيظ القرآن الكريم للشباب وكبار السن
- زيارة المساجين وإعادة تأهيلهم وحفظ القرآن.
- والسجناء القصر.

عرجون الباتول: شكراً لكم سيدي رئيس نادي القرآن الكريم على هذا الحوار وعلى نشاطاتكم القيمة جعلها الله في ميزان حسناتكم وجزاكم عنها خير الجزاء.

وهكذا نكون قد قدمنا نموذجاً للكتاتيب الساعية إلى تحفيظ كتاب الله وبالتالي الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، نموذج تجريبي جديد يفتح على فضاءات جغرافية رحبة ويخرج بالشيخ والمريد إليها.

يتوجب علينا ونحن نستعرض واقع الكتاتيب في زمن العولمة والتطور التكنولوجي التوقف أيضاً عند ظاهرة الكتاتيب الإلكترونية كأحدث تجلٍ لواقع الكتاتيب في زمن العولمة، فمع توسع الخدمات التي أمنتها الإنترنت، واکبت الكتاتيب التطور واستغلت هذه الخدمات حيث نجدها تقوم في بعض المواقع بوظيفتها التقليدية عن بعد، من ترنيل للقرآن وتعليم وشرح اللغة العربية للعرب ولغير الناطقين بها.

تقوم فكرة الكتاب عن بعد على تقديم دروس حية في تحفيظ القرآن الكريم



للصغار وحتى الكبار وتعليم اللغة العربية، فضلاً عن قواعد التجويد والتلاوة الصحيحة وذلك بالاستعانة بالمحفظين من حملة القرآن الكريم والذين يتحدثون لغات أخرى بجانب اللغة العربية، لتدريس طلاب من دول أخرى، ومن أبرز ما يميز الكتاب الإلكتروني أنه:

- يعمل على مدار 24 ساعة؛

- يتناسب مع جميع الأعمار؛
 - يتناسب مع جميع الأجناس لأنه يستعين بالمتعلمين؛
 - مفيد لكبار السن الذين لا يقدر على المشي والذهاب للكتاب؛
 - أكثر أماناً لأن الطلاب الصغار السن يدرسون أمام أعين والديهم.
- مع ذلك فإن الكتاتيب الإلكترونية هي سلاح ذو حدين، فهي وسيلته جيدة من حيث تعليم أكبر قدر من المسلمين من داخل الجزائر وخارجها، في الدول العربية أو الأجنبية، لكن التخوف يكون عندما تستغل هذه الكتاتيب من طرف الجماعات المتطرفة لتجنيد المسلمين خاصة في الغرب.

خاتمة: تعتبر الكتاتيب من أهم الوسائل التي كانت ولا زالت تحافظ على هويتنا الإسلامية العربية بالرغم من ظهور دور العلم، فالكتاب في المرحلة الأولى والأساسية للأطفال الصغار حظيت لأهميتها بعناية واسعة من كافة طبقات هذا العصر متحديّة العولمة والتطور التكنولوجي. تتبع أهميتها من أهمية ومكانة القرآن الكريم، فهو كتاب الله الخالد والمصدر الأول للتشريع ودستوره الأمة إلى يوم القيامة، وما زالت تتحدى الإقصاء الحكومي، بحيث أصبحت ضرورة شرعية وتربوية بما قدمته من آراء أساسية ومنها:

- تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتجويداً.
- تربية الأجيال تربية إسلامية على حمل الأمانة الإلهية.
- تنشئتهم على الخصال الحميدة كالتواضع والطاعة والكرم.
- تدريب الطلاب على تحمل المسؤولية منذ الصغر.
- إخراج حفظت القرآن الكريم.

توصيات: هنا يتوجب علينا:

_ العودة لنظام الكتاب في تحفيظ القرآن، لكن بشكل عصري يتمشى ومتطلبات العصر بما يجذب المزيد من الأبناء والأجيال الناشئة وهذا يعتبر تحفيزاً لهم ومشجعاً على المزيد من الالتزام والمواظبة على الحضور.

- إدخال المناهج الحديثة في المدارس القرآنية عن طريق اهتمام الحكومة بالكتاتيب وتطويرها بإدخال التقنيات الحديثة إلى أنظمتها التعليمية ورسم خطة إنشائية متكاملة تهدف إلى إزالة الكتاتيب القديمة لقدمها وإعادة بنائها والعمل على تطويرها بشكل دوري.

- تحسين أوضاع المدرسين حتى يتمكنوا من التفرغ للتلقين والتحفيظ فلا بد للشيخ أن يكون مربيا وقوة لطلابه، منتهبا لأخلاقهم، وأن لا يركز على التحفيظ فقط، بل يجب أن يكون هدفه تكوين شخصية متزنة تجمع بين الحفظ وجمالية السلوك.

- يجب أن ينال حافظو القرآن الكريم التكريم اللائق بهم لأنهم حملة كتاب الله تعالى وخلق جو من الراحة النفسية بإشعارهم بالأمان وعدم ترهيبهم، وفي المقابل تحسيسهم بعظمة كتاب الله وعدم ترك المجال لهم للاستهانة بالحفظ أو بحرمة القرآن الكريم، وربط الشركات مع الجمعيات الإسلامية أو مؤسسات الأوقاف لتنظيم مسابقات وتحفيز الحافظين والحافظات وتكريم أصحاب الأخلاق الحسنة.

الإحالات:

¹ عبد الصبور شاهين، مقال بعنوان "العولمة والهوية الثقافية"، مجلة المعرفة، العدد 48 ص 50.

² سورة الحجرات الآية 13.

³ سورة الأعراف، الآية 158.

⁴ سورة النساء، الآية 1.

⁵ يراجع مبارك عامر بقتة، مفهوم العولمة ونشأتها، صيد الفائت:

<http://www.said.net>

⁶ يراجع: إسلام ويب، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية، دراسات في الدعوة:

<http://islamweb.net>

⁷ رمزي منير، بلعلكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية، ص 120.

⁸ يراجع: لبوخ بوجملين، أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، مجلة الأثر، العدد 2 جوان 2016.

كتاتيب منطقة عموشة: الإسهام الديني والوطني

أ.د.: سفيان لوصيف

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

مقدمة: شهدت منطقة عموشة مشروعا استعماريًا قائمًا على محاربة اللغة العربية وتضييق الخناق على مشائخها وطلبتها، وتشديد الرقابة على مراكز التعليم الحر لاسيما التعليم في الجوامع والمدارس الحرة، ورغم هذا فإن المنطقة ظلت متمسكة بنشر المعرفة التي كانت متوجهة نحو العلوم الدينية وخاصة الفقه المالكي، وكان التعليم منتشرًا في كل الدواوير والقرى، وتكفل مشائخ المنطقة من حفظة القرآن الكريم وفقهاء مهمة التعليم العربي الحر، وقد تخرج على يدهم العديد من أبناء المنطقة وضواحيها وكانت جهود المشائخ منصبة على تحفيظ القرآن الكريم.

انتشار الكتاتيب في القرى والمداشر: وتعد الكتاتيب أو كما تعرف في بعض المناطق باسم المسيد¹ أول مرحلة تعليمية خلال هذه الفترة - أواخر القرن 19 والقرن 20 م - أو كما كانت من قبل، وتعد الكتاتيب مدارس أولية لتعليم الصغار، وسن ابتداء التدريس فقد كانت بوجه عام متروكة لتقدير آباء الصبيان بين الخامسة، والسادسة، أو السابعة التي فيها يستوعب الطفل دروسه فيها²، وكانت الألواح الخشبية هي الوسيلة التعليمية في الكتاتيب حيث يكتب فيها التلاميذ ليتعلموا القراءة والكتابة، بالإضافة إلى قلم من القصب ودواة للحبر يستعملونها للكتابة³.

كثرت في عموشة الكتاتيب القرآنية، وكانت منتشرة في جميع القرى والمداشر، ولا تخلو جهة منها، يحفظ فيها القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة، والكتابة، والحساب بنيت الكتاتيب في عهدها السابقة بالطوب والحجارة على شكل منشآت متواضعة وسط القرى أو المدشر، وهي مقر لمؤسسة اجتماعية تريبوية لتعليم القرآن الكريم، كما

يعتبر أول بناية تربوية اجتماعية يلجها الأطفال لقراءة وحفظ كتاب الله تعالى وتثنية الأطفال وغرس القيم الخلقية في نفوسهم.

وتكفل مشائخ المنطقة من حفظة القرآن الكريم والفقهاء بمهمة التدريس والتعليم العربي الحر مدة عقود من الزمن، وقد تخرج على يدهم العديد من أبناء المنطقة وضواحيها، وكان هؤلاء المشائخ ينقسمون إلى قسمين:

1- **معلمو القرآن الكريم:** كانت جهودهم منصبية في تحفيظ القرآن الكريم، وكانت لهم طرق مميزة في ذلك، ومن أشهرهم في المدينة مركز الحسين زيغمي، والحسين بوعكاز، وخارجها نذكر حموعباش، وميلود لعلوي، والحسين خريص، وعمر أفنيس.

2 - **مشائخ الفقه:** اشتهر هؤلاء المشائخ بالتمكن في الفقه وعلوم اللغة العربية والمتون، منهم أحمد بن بارة، وأحمد لخضاري، والعيد عكوش، وصالح معطي... وكان في مركز مدينة عموشة كتابان للتعليم العربي الإسلامي، تحدث عنهما تقرير فرنسي مؤرخ في 20 فيفري 1942، الكتاب الأول أشرفت عليه عائلة مفوض وهو مدرسة هامة لتعليم القرآن الكريم، وشغل فيه معلما الشيخ الحسين زيغمي، ولعب دورا في تحفيظ القرآن الكريم للمتعلمين، الذي كان يشتغل بطريقة نظامية ودون انقطاع⁴، سوى في العطل المقررة والمتعارف عليها اجتماعيا.

ذكرت الوثيقة الأرشيفية أسماء الأطفال المتمدرسين عند الشيخ الحسين زيغمي خلال سنة 1942، وهم: عصماني حمادة، وعصماني بولنوار، وقيرواني عاشور وخالد بوزيد، ومفوض عبد العزيز، ومفوض ذهبية، ومفوض لحميدي، وسمراوي عمار، وسمراوي حمادة، وزيغمي محمد، وزيغمي العمري⁵، وغيرهم من التلاميذ الذين كانوا يرتادون هذا الكتاب في فترات سابقة لهذه السنة وحتى بعدها، لأن عطاءه بقي ودرس فيه مشائخ آخرون نذكر منهم الشهيد إسماعيل بوجملين، والشيخ علاوة قاسمي الذي درّس فيه حتى في فترة الاستقلال .

والكتاب الثاني في مدينة عموشة أشرف عليه الشيخ الحسين بوعكاز المدعو المدني وكان يدرّس مجانا دون مقابل مالي، ومقر المدرسة القرآنية في بيت منحها علي درقين

له للتعليم فيها، ومن تلاميذه المسجلين في التقرير في نفس التاريخ نذكر حالاتي الشريف، وحلاتي عبد الحميد، ودرقين صالح، وخرف الله السعيد وعمار فاسي وخالد حمو، ومعطي البشير⁶.

وفي طنجة كان كتاب القرية في الجامع العتيق، وإلى جانب الصلوات التي تقام به كان السكان يعلمون أطفالهم فيه القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وعُهد بتعليم هؤلاء الأطفال إلى جماعة من المعلمين كانوا على وعي تام وإدراك صحيح باللسان العربي وباللفظ القرآني، وتداول على التعليم المشايخ أحمد بن بارة، ومحمد الطيب بن بارة، ومحمد كبور، ومسعود خرف الله، والشيخ الطيب بن بلقاسم من أولاد مومن⁷.

وأحرق هذا المسجد خلال مجازر 08 ماي 1945 على يد الجيش الفرنسي وقوات المجندين الأفارقة المعروفين باسم 'الساليغان'، ولم تسلم الألواح الخشبية من الحرق والتلف، ولأن للكتاب دورا كبيرا في تثبيت قيم الإسلام النبيلة لدى الناشئة اضطرت سكان القرية بعد هذه الأحداث إلى إعادة بنائه وتجديده، وبقي ينشط خلال الثورة التحريرية، ومن المعلمين الذين تداولوا عليه خلال هذه الفترة الشيخان بوزيد لطرش بوزيد بويوسف⁸، فرغم صعوبة الظرف إلا أن المشايخ واصلوا رسالتهم، ومؤيدين رسالة العلم بالإخلاص لله وصدق النية، لأن أول ما ينبغي لمعلم القرآن الكريم أن يقصده بعمله هو ابتغاء وجه الله تعالى، ونيل محبته ورضاه فإنما الأعمال بالنيات والإخلاص روح العمل ومفتاح النجاح في الدنيا، وثمرة الأجر، والثواب في الآخرة.

برز في كتاب طنجة في ميدان حفظ القرآن الكريم، وأحرزوا السبق في إتقان علومه، والحدق البليغ في رسمه، وضبطه، والمعرفة بطرقه، ورواياته شباب برعوا منهم عبد القادر كبور (شهيد في الثورة التحريرية) الحافظ لكتاب الله، لخضر بقة ومختار كبور، وعمار تبوب، وهذان الأخيران هما من طلبة زاوية بن سحنون في منطقة القبائل، وغيرهم من المتعلمين والحفاظ.

وكان في قرية لعوامر إلى جانب المدرسة الفرنسية كتابان للتعليم العربي الإسلامي، الأول يتولى تسييره والعمل فيه الشيخ لخضر رماش في جامع بن صخر

ويمكن معرفة حالته خلال سنة 1947 من خلال شهادة الشيخ السعيد ضيافات الذي درس فيه بدءاً من هذه السنة قائلاً: "انتقلت إلى قرية لعوامر للدراسة عند الشيخ لخضر رماش، ومكثت هناك عند عائلة شعابنة التومي، والتي تكفلت بي حتى سنة 1949 وخلالها تمكنت من حفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ومن زملائي في هذا الكتاب أتذكر: مسعود شريطي، والسعيد صخراوي، وعلي شعابنة، وعبد الحميد شعابنة والعربي لعلوي، وعبد الحميد صيودة (شهيد خلال الثورة التحريرية) والحسين صيودة (شهيد خلال الثورة التحريرية)، وعبد الحميد صخراوي، ولويضة صخراوي الطفلة الوحيدة التي كانت تدرس في الكتاب، وصالح بوسماطة وغيرهم وتولى التدريس فيه قبيل عام 1945 بسنوات مسعود صخراوي، وعمار شايب ولخضر رماش"⁹.

الكتاب الثاني عند الشيخ ميلود لعلوي الذي أقامه في بيته، ورغم منافسة المدرسة الفرنسية التي أقامها الاستعمار في وسط القرية إلا أن الإقبال كان كبيراً على التعليم العربي الإسلامي، والذي يدرس فيه أبناء العائلة والراغبون في الالتحاق والتعلم فيه من أبناء القرية، ولا يرد عنه أحد فقد قصده التلاميذ حتى من القرى المجاورة كأولاد مرغم، وضيافات، وثنية الطين، وبرز في هذا الكتاب معلمون منهم الشيخ ميلود لعلوي، والعربي شنيطي، ودرّس فيه عمار شايب لفترة زمنية محدودة¹⁰.

وعرفت قرية أولاد مرغم بوجود عدة كتاتيب، ففي مركز القرية أقيم كتاب تكفل به أحمد ضيف الله، وبدءاً من سنة 1947 تولى مهمة التعليم الشيخ محمد الطاهر خلفاوي، وتكفل به سكان القرية لاسيما في تسديد أجرة الشيخ المدرس وتوفير السكن له، ولأن الكتاب لم يتحصل على الرخصة من الإدارة الاستعمارية لاحقاً أعوانها الشيخ محمد الطاهر خلفاوي، إلى أن ألقى عليه القبض في سوق عموشة، وأودع سجن عين الكبيرة، ولم يطلق سراحه إلا بوساطة من فرحات عباس لدى المنصرف الإداري لبلدية تقيطونت المختلطة، واستمر في التدريس بعد الإفراج عنه ومن التلاميذ الذين تدرّسوا عنده نذكر: مسعود شريطي، والحسين شريطي، والطيب شريطي وصالح

حصاد، والسعيد بن عزيز، وعبد الحميد صولة، والساسي بويمة، وعبد القادر سكاربي والطاهر زريق، وعباس مهانة، وخلال الثورة التحريرية تولى التعليم في هذا الكتاب الحسين شريطي، وصالح حصاد¹¹.

وهذه السياسة معروفة لدى المستعمر الفرنسي، فكما بدأت تظهر على التعليم بواحد الانتعاش إلا وعرقلة، وفي هذا الشأن عبر البشير الإبراهيمي قائلاً: ¹² "لما جدّ جد الأمة في هذه السنين وفتحت أعينها على تراث منسوب، وحق مغبوب، ومدت أيديها للاسترجاع والتجديد مدّت الحكومة يدها إلى تلك القوانين تحركها وتوظفها وتغطيها بالزيادات والمناقصات".

ومع مطلع القرن 20 م صدر قانون سنة 1904 يمنع فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية إلا إذا حصل صاحبها على رخصة مسبقاً، وإن تم منحها له يحظر تدريس الأدب العربي وفنونه¹³، واستمرت الحكومة في ابتكار أشكال محاربة اللغة العربية وصلت إلى حد اعتبارها أجنبية، وهي في عقر دارها على إثر إصدار قانون 08 مارس 1938 م، الذي شدد في منح رخص تعليمها بشروط تكاد أن تكون تعجيزية¹⁴ لأن "فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية كان ولا يزال في نظر الفرنسيين أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر استعداداً للثورة.

وفي دشرة لمهانة المعروفة باسم مالبان (عائلي مهانة وطويل) تولى بها تعليم الأولاد وتحفيظهم والقيام بالصلوات الخمس الشيخ الميلود لعلوي، ثم حمو عباشة خلال فترة الأربعينات والخمسينات من القرن 20 م، والمعروف أن جماعة هذه المشتة هم الذين تولوا شؤون التعليم في الكتاب، وفي كل ما يتصل بالأمور الضرورية للكتاب من نفقات يحتاجها الشيخ المدرس، والمعلوم أن المادة الأساسية في هذا النوع هو تعلم ما تيسر من القرآن الكريم.

وقد توصل هذا الكتاب إلى تحفيظ قدر كبير من المصحف الكريم، وقد توصل أحد تلاميذه مهانة ساعد بن إبراهيم من كتاب الله كاملاً في هذا الكتاب، ومن الذين درسوا فيه الشهيدان عبد المجيد مهانة، ومحفوظ مهانة، وآخرون منهم الطيب طويل

والشريف طويل، وعبد الله مهانة، والعيقة مهانة، ولخضر مهانة، وعمر عباش وغيرهم.

وفي دشرة لمهارة (عائلات زيتوني، بوكراع، مكاس) تولى فيها التعليم الشريف عباشة الحامل للقرآن الكريم كاملا، وقد سار التعليم فيه كالعادة شأن كل الكتاتيب المماثلة في تلك الفترة، فقد ضمن أهل القرية المسكن لشيخ الكتاب وما يتبع ذلك وحقق نتائج معتبرة إلى أن تم تدميره على يد الجيش الفرنسي خلال الثورة التحريرية لأنه كان يمنع التعليم العربي الإسلامي منعاً باتاً، وكاد التعليم أن ينذر باستثناء التعليم الذي كانت تشرف عليه الثورة، فكان يتم بسرية تامة بعيداً عن أعين الاستعمار الفرنسي فاتخذت كل التدابير التي تجعل النشاط التعليمي يستمر وبفعالية.

وكان المتعلمون في الكتاتيب الثلاثة في أحواز دوار أولاد مرغم يتنافسون في حفظ القرآن الكريم، ورسمه، والشبهات التي تعترض التلميذ في استظهار السور والأحزاب عن ظهر قلب، وعادة كان كل منهم يفتخر بشيخه واجتهاده الخاص، مما يعرف بالتنافس الإيجابي، مما أضاف جواً قرانياً رائعاً في أوساط التلاميذ وزادهم عزيمته في الإقبال على الكتاتيب، ولا ننسى نشاط صالح ضيف الله الذي خصص جزءاً من سكنه العائلي لكتاب عائلي لغرض التعليم، حيث يتمدرس أطفال العائلة وجيرانهم مجاناً على عاتق صاحب المنزل، وهذا قليل من كثير اعتمدنا فيه التقصير (الاختصار) ما أمكن.

وفي قرية أولاد فايد أشرف على التعليم القرآني خلال فترة الأربعينات من القرن 20 م كل من الذواوي زيغمي، ومحمد بوسماطة¹⁵، وخلال الثورة التحريرية تم بناء كتاب لتعليم القرآن الكريم من قبل الشباب المتحمسين لنشر التعليم العربي الإسلامي منهم الشهيد الكتفي طابوش، وأحمد زيغمي، وعلي سولم، وغيرهم ممن مد يد العون لتجسيد المشروع على أرض الميدان، وشرع في تدريس أطفال القرية على يد الشيخ رابح لعور، الذي ترك أثراً إيجابياً في تحفيظهم كتاب الله، وقد استخلفه الشيخ أحمد بن منصور، والشيخ الفقيه مبارك قادري¹⁶.

وفي قرية صرفدة درّس فيها من جيل الثلاثينات والأربعينات من القرن 20 م كل من لخضر بلكل ثم الشيخ مسعود منصور¹⁷، وخلال الثورة التحريرية أشرف على الكُتّاب تدريسا وتسييرا الشيخ أحمد لعلوي¹⁸، وكان المعلم يعيش بما تنفضل به ساكنة الدواوير من زرع، وحبوب، وزيت، كما أن أعيان المجتمع المحلي كانوا يكرمون المعلم، ويحسنون إليه مما شجع العديد من هؤلاء المشائخ على الاستمرار في أداء هذه المهمة بالقرى عبر الزمن.

ولم تعرف قرية ضيافات الكتاتيب القرآنية إلا في منتصف الخمسينات من القرن 20 م، فمن كانت له رغبة في التعليم العربي الإسلامي ينتقل إلى قرية لعوامر ويدرس فيها ومنهم الشيخ السعيد ضيافات، والذي أسس أول كُتّاب في قريته بعد تخرجه من زاوية سيدي موسى تنبذار سنة 1955 م، عاد إلى القرية وافتتح مدرسة قرآنية حرة للبنات والبنين بدعم من أولياء التلاميذ، وبعد مؤتمر الصومام أصبح هذا الكُتّاب تحت إدارة وتسيير جبهة وجيش التحرير الوطني، حيث كان التعليم من أولويات الثورة التحريرية¹⁹.

وقد أولى الشيخ السعيد ضيافات الاهتمام بتحفيظ تلاميذه القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، والحساب، والأناشيد الثورية الحماسية، التي تبتث الروح الوطنية في أنفس المتدربين، ولا يزال إلى يومنا هذا يتذكر بعض الذين تدرّسوا عنده منهم: عبد الحكيم ضيافات (درس بعد الاستقلال في روسيا)، ومليكة ضيافات، وحده ضيافات وفريدة ضيافات، ورابع ضيافات، والطيب ضيافات، وعبد الحميد بلامة، والعربي بلامة، ومبارك بلامة، وعباس بلامة، والصادق مرغم، الحسين بلامة، والعبد عمار²⁰. وعند عائلة مرغم في قرية ضيافات أسست القيادة الثورية المحلية كُتّابين، درّس في الأول الشيخ عمار شايب، وفي الكُتّاب الثاني اشتغل فيه معلما الشيخ المدني مرغم واستمر العمل في العناية بالشأن الديني والعاملين فيه، والمؤسسات الدينية كالمساجد والمدارس، وازدادت العناية بالمصحف الكريم رغم ظروف الثورة واشتدادها في هذه الجهة، التي كانت تمثل محطة عبور للمجاهدين بين الولايتين الثانية والثالثة.

وكان هناك في دشرة لبيامة (عائلة بويمة) أسفل جبل مقرس خلال الحقبة الاستعمارية المجال معتبرا لتعليم القرآن الكريم، وتحصيل المسائل الفقهية في الضروري من علوم الدين، ونذكر منهم الحاج مبروك بويمة الذي كان مرجعا في المسائل الفقهية والشرعية.

ومن هذه العائلة برز في أواخر القرن 19 والنصف الأول من القرن 20 م الصديق بن عبد الله بويمة، والذي كان مرجعا في الفقه وعلوم الشريعة الإسلامية وكان إماما ومصلحا وقاضيا في دوار ثنية الطين، كما واصل بدوره الأنشطة المكملة لمهام أجداده منها إنشاء الكُتَّاب الذي كان المقر الأساسي للقيام بالأنشطة التعليمية وتخرج على يده العشرات من الحفظة والمقرئين لكتاب الله، وكان يجيز المتخرجين وإجازته اعتد بها في أوساط المجتمع.

وخلال القرن 20 م برز مشائخ في التعليم القرآني من عائلة بويمة نذكر منهم الشريف بن مسعود الحاج، والذي تخرج على يده الكثير من الدارسين رغم الصعوبات التي واجهها زمن الاحتلال الفرنسي، وكانت المناطق والقرى المجاورة تطلبه للتدريس في كتاتيبها، كما كان بويمة مبروك مرجعا في المسائل الفقهية والشرعية على نهج أسلافه، فقد أنشأ كُتَّابا لتعليم القرآن الكريم في دوار البيامة، امتد عطاؤه إلى مرحلة ما بعد الاستقلال، واستفاد منه سكان ثنية الطين.

وفي قرية أولاد جابر أقام الشيخ حملاوي بن نكاع كُتَّابا للتعليم العربي الإسلامي وجلب له مدرسين من دوار منتانولهم رصيد علمي وديني يؤهلهم لممارسة الوظيفة المسندة لهم، واستفاد من هذا الكُتَّاب أطفال العائلة وأبناء العائلات القريبة منه جغرافيا²¹، وغير بعيد عنه كُتَّاب آخر أقامته عائلة بن علاق يتعلم فيه البنات والبنين وهو كتاب موسع، مشائخه مستواهم العلمي عال جدا منهم إسماعيل بوجملين خريج الزيتونة، ودرّس فيه الشيخ عياش أصله من نقاوس وهو خريج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والشيخ الميلود فرادي من شيوخ المنطقة.

وما دما نتكلم عن الكتاتيب القرآنية عبر تلك المشاتي والقرى فمن الجدير أن نذكر هذه المراكز القرآنية التي انتشرت في عرش أولاد يحي المعروف الآن باسم منتانو والمتكون من أدار أوزرم، والقرقور، والماعلي، والتي تولى فيها التعليم مشائخ مشهود لهم بالاجتهاد والتأثير في التربية ولتكوين عدد غير قليل من الطلبة الذين تمكنوا من حفظ القرآن كله أو أغلب أجزائه، والذين توجهوا إلى زوايا منطقة القبائل في حوض الصومام.

وقد وجدت دور القرآن إقبالا متزايدا من طرف السكان، وتمكن الكثير منهم من حفظ كتاب الله مرتلا حسب القواعد، مشفوعا بحفظ بعض المتون من كتب السنة المتضمنة للأحكام والعقيدة، وهوما جعل طلبة وخريجي هذه الدور ركائز علمية يتم الاعتماد عليها داخل المجتمع، وفي حاضرة العلم والمشائخ قرية الماعلي لمع معلمون لهم صيت كبير في تحفيظ كتاب الله منذ نهاية القرن 19 نذكر محمد البشير بن منصور، الحسين معطي، وصالح بن شعبان، والعربي خرف الله، والحسين خريص ومبارك خريص، ومحمد خرف الله، وأحمد لخضاري.

وقد تميزت جهة منتانو بالأصالة في هذا المضمار منذ قرون خلت تمتد إلى العهد العثماني أوقبله، حيث تتابعت هذه الأجيال في المحافظة على هذا التراث العريق والذي تشهد عليه عدة قرائن من كتب، ومخطوطات، وروايات شفوية موثوق بها إلى درجة الصحة، وهنا نعطي مثلا عن كتاب دشرة أدار أوزرم في نهاية الأربعينات من القرن 20 م، من خلال شهادة أحد المتعلمين فيه السعيد ضياقات الذي استقر عند أخواله من عائلة عواشرية، وعبر قائلا: "في سنة 1949 انتقلت إلى دوار منتانوعند أخوالي كي أتمم الدراسة، ودرست عند الشهيد الشيخ صالح يوبي في جامع سيدي إبراهيم، ودرس معي صالح عواشرية، ولخضر عواشرية، والطاهر عواشرية ومصطفى عواشرية، والطاهر يوبي، وسليمان يوبي، وسليمان خالد ومسعود خالد وأحمد خالد، وإسماعيل عرابي، ولخضر صابر، والخير صابر وصالح زعرور وميلود بوناب، وأحمد عجيسي، إلى غاية سنة 1951" ²².

ويمكن أن نلحق بهذه الجهة بعض الهوامش والمداشر المجاورة منها والتي تضم دشرة أولاد عزوز والخندق، وقد تداول على مشيخة التعليم فيهما الشيوخ العربي ملياني، لخضر يوبي، ومحمد شريطي، ولخضر فوغالي، بعض بيوتات أولاد عيسى التي علّمت أبناءها عند الشيخ محمد الطاهر خلفاوي، وقد كانت هناك محاولات حثيثة لإنشاء كتاتيب قرآنية على غرار بقية الجهات المذكورة سلفا، وهذا بصفة عامة وإلا فإن المجتمع آنذاك كان كله متعلقا بمرجعيتيه الدينية، ولاسيما العناية بحفظ القرآن الكريم للأبناء، والطموح إلى تحصيل أكبر قدر ممكن في العلوم الشرعية.

وكان لجهة بوشامة حظها من التعليم العربي الإسلامي من خلال كُتّاب عائلي أسسه عبد الله بيدي²³، لتعليم أولاده وقد استفاد منه أبناء القرية، ويذكر أن أول المعلمين كان الشيخ الطيب مقراني الذي ينحدر من منطقة نراع القايد، وقد تخرج على يده عدة طلبة في حفظ القرآن الكريم والفقّه، منهم الشيخ العيد عكوش، والسعيد بيدي الذي كان بدوره حاملا لكتاب الله، وغيرهم من الحفظة الذين أكملوا تعليمهم ببعض زوايا وادي الصومام لاسيما زاوية بن سحنون، وسيدي موسى في عرش بني وغيليس²⁴.

وتواصل التعليم في هذه القرية لعقود طويلة خلال القرن 20 م، والمعروف أن أهل القرية قاموا ببناء مسجد بمشاركة الجميع، وكان مقرا جديدا للكتّاب القرآني، ومن الذين تولوا التعليم فيه الشيخ العيد عكوش، والشيخ الشريف عباشة على التوالي وتعلم في هذا المرفق القرآني الكثير من أبناء قرية بوشامة، فعلى يد الشيوخ الطيب مقراني والعيد عكوش، والشيخ الشريف عباشة، والذي كان صهرا للشيخ السعيد بيدي، وتخرج من هذا الكتاب عدة طلبة منهم عبد القادر بيدي المدعو الطيب الذي استشهد في الثورة التحريرية، والذي حفظ الستين حزبا عن ظهر قلب على يد الشيخ الشريف عباشة والشهيد أحمد بيدي المدعو 'الفنان'، والشهيد محمد بيدي وهو بدوره حافظ لكتاب الله²⁵. كُتّاب آخر في دوار بوشامة في جهة عين الدفلى تكفلت به عائلة بوطالبي والذي تأسس سنة 1904، ومن المشائخ الذين تعاقبوا عليه نذكر عمر بوطالبي، وصالح

بوطالبي، وسليمان ميهوبي، وحفظ فيه الكثير القرآن الكريم، وتكفل مشايخ المنطقة من حفظة القرآن الكريم وفقهاء مهمة التدريس والتعليم العربي الحر مدة عقود من الزمن وقد تخرج على يدهم العديد من أبناء المنطقة وضواحيها، وكانت جهودهم منصبة في تحفيظ القرآن الكريم.

وكان في دوار القلعون²⁶ كتاب عتيق يعود تأسيسه إلى القرن 19 م، منذ أن استقر الشيخ عبد القادر عباشة (جد العائلة) في هذه الجهة، بطلب من القايـد حموحيبة لتعليم أبناء عائلته وسكان القرية وما جاورها من المشاتي، والقيام بالإمامة وأداء الصلوات وهكذا نجحت الفكرة فكان لهذا الكتاب شيخه وطلـبته، تتم متطلباته على نفقة القايـد وعليه فقد ذاعت شهرة هذه المؤسسة التعليمية، والذي تطور نشاطه إلى شكل زاوية محلية، يقصدها ذوو الحاجات سواء الطلبة الذين يطلبون العلم أم حتى الفقراء، الذين تتألم بعض المساعدات والصدقات والزكاة والعشور.

ولا ننسى أن الشيخ عبد القادر قد خلفه مشايخ بنفس المستوى وعلى نفس الطريقة منهم الشيخ محمد وضريحه بجوار الكتاب، وعبد القادر (يحمل اسم جده) وعلاوة والسعيد، وأغلب هؤلاء شهداء إما في حوادث 08 ماي 1945 أو الثورة التحريرية وممن زاول تعليمه في هذا الكتاب نذكر من المشايخ عبد المأمون بن علاق، والشيخ مسعود دانوني، والشيخ علي بغة، وكثير من أفراد عائلة لطرش (لا صلة لها مع عائلة لطرش في عموشة) منهم الشيخ عمار، ومسعود، سليمان، والكثير من طلبة دوار أولاد فاضل، وعائلة شيباني.

وبعد الاستقلال استمر الكتاب في أداء نشاطه، وبقي يعطي ما أمكن من التوجيهات والأعمال الخيرية، التي كان الشيخ صالح هو المحور لهذا النشاط بصفة دائمة ومستمرة إلى أن وافاه الأجل، فكان بذلك الكتاب من أقدم المؤسسات التعليمية بالمنطقة وامتاز عن غيره بالاستمرارية ودون انقطاع رغم ظروف الاستعمار وسياسته الرامية إلى التجهيل.

وفي قرية المرابطين اشتهر في تعليم القرآن الكريم من عائلة بوجملين الشيخ ساعد، والشيخ بلقاسم، وابناه الطاهر والبوزيدي، ومن عائلة بن دريس برز الشيخ محمد بن الصغير، وابنه الشيخ أحمد الذي زاول دراسته في جامع الزيتونة، وكان مرجعا في الدين، والشيخ محمد بن أحمد، ومن عائلة شلالي مارس التعليم في الكتاتيب القرآنية كل من الشيخ الطيب، والشيخ السعيد وعبد العزيز وهما من الشهداء الحافظين لكتاب الله، الذين استشهدوا خلال الثورة التحريرية، والمعلوم أنه كانت عائلات (بوجملين، بن دريس، شلالي، طاهير) عائلة واحدة فرققتها الحالة المدنية الفرنسية وكلهم من نسل بوجملين²⁷.

وعند عائلة عباشة المحافظة برز فيها من يحاول قراءة القرآن الكريم واستيعاب العلوم الدينية وشيئا من التاريخ العائلي والمحلي، وقد نبغ فيهم حملة القرآن الكريم كالشيخ المكي عباشة، الشريف عباشة، أحمد عباشة المدعو حمو، وكانت هذه العائلة تملك في القرن 19 م كُتابا علم فيه إلى جانب أفراد العائلة آخرون منهم الحسين خريص، والعمري بوقندورة وبداية القرن 20 م ولا يزال أفراد هذه العائلة يحاولون التدرج في هذا الطريق واستيعاب ما أمكن من معارف علمية ودينية (صالح وعمر وعبد القادر)²⁸.

وكانت منازل بعض المشائخ مجالس للعلم أيضا، ويبدو أن بعضهم قد خصصوا بيوتا غير بيوتهم أيضا لإعطاء الدروس فيها لطلبتهم، وكانت حوانيت بعضهم أيضا مجالس يعقد فيها مجلس علمي لطلبة العلم، وقيل أنها تضم نخبة من المشائخ المتقنين ثقافة أدبية ودينية وفقهية وفيها المشائخ والأئمة، ومن يتداول الحديث بالطرائف والفوائد والأخبار، كما أن بعض البيوتات كانت أشبه بكتاتيب لتدريس أبناء العائلات صاحبة النفوذ والجاه، واهتمت البيوتات بتدريس الصبيان القرآن الكريم والكتابة، ومن هنا نلمس الدور الذي قامت به هذه البيوتات الخاصة في نشر العلم الذي غدا النشاط العلمي أمرا يبذل فيه الجهد.

الواقع أن الكتاتيب كانت السمة البارزة لكل مشاتي وقرى المنطقة على اختلاف مستوياتها وظروفها، والتي كان لها الدور الأساسي في المحافظة على القدر الضروري من التربية الدينية والثقافة العامة ومحو الأمية لغالب فئات المجتمع وهذا بصفة عامة. ونخص بالذكر هنا جهة أولاد صالح المعروفة باسم وادي البارد فإن هذه المنطقة كانت عامرة بالمساجد والكتاتيب القرآنية، انتشرت في قرى أولاد ميرة، وأولاد عياد وأولاد موسى بن السعيد، وبني دراسن، وبني ملاء، تيزمالين، وبني مسالي، وفي الفترة القريبة من أواخر القرن 19 م استقر الشيخ حافظي في بني مسالي آت من عرش بني حافظ في ضواحي بني ورثيلان، وقد كان من مريدي الشيخ عبد الرحمن بن الحملوي في زاوية واد سقان قرب التلاغمة، ومنح الإجازة ليكون مقدياً بالمصطلح أي ممثلاً للشيخ الحملوي في قرى وادي البارد، واتخذ هناك مسجداً وكتاباً لتعليم القرآن الكريم وإرشاد المريدين، وكان له تأثير في تلك القرى من توجيه وإرشاد وإصلاح بين الناس، ولا زال المقر موجوداً إلى اليوم حيث تقام فيه الصلوات من قبل أحد أحفاده²⁹.

وفي قرية أولاد موسى بن السعيد تولى مشيخة التعليم كل من العربي حافظي ومحمد بوالحية من عين الكبيرة، وفي قرية أولاد عياد تعاقب على التعليم العربي الإسلامي كل من عمر نوري بن أحمد، وديبال السعيد، وإبراهيم مجماج، وفي بني مسالي توجد مدرسة حرة أشرف عليها محمد حافظي وكان معلم القرآن الكريم وإماماً³⁰.

وخلص القول يمكن القول أن هذه الكتاتيب البسيطة بوسائلها المحدودة كادت أن تقضي على الأمية، وبالتالي فإن الكتاب في أي قرية صغيرة أو كبيرة بالنسبة لأهله فهو مدرسة للصبيان، ومصلى تؤدي فيه الصلوات المكتوبة وصلوات المواسم والأعياد، ومكان للتجمع لربط العلاقات الاجتماعية وحل المشاكل، وفض النزاعات وقضاء كل الأمور الاجتماعية.

وكل هذا لم يتأت من فراغ بل كانت نتيجة لما أثمرته تلك الكتاتيب القرآنية، والتي صهرت المجتمع في بوتقة الإيمان والإصرار والتحدي، حتى أصبحت هذه السلوكيات من مميزات المجتمع المحلي، والذي كان يصر أفراده على القراءة والتحصيل حتى خارج الكتاب، فقد اتخذوا حتى ظلال الأشجار والأحجار وغيرها لممارسة حفظ القرآن الكريم، وقد مارسوا الحفظ باستعمال الألواح حتى خلف المواشي والرعي فيقرأ كل فرد حسب إمكانياته ليرجع إلى الكتاب لعرض ما كتبه على شيخه، والذي يقره على ما حفظه أو يطالب منه مواصلة الحفظ والإتقان.

وقد لعبت الكتاتيب القرآنية أدوارا طلائعية في تاريخ منطقة عموشة خاصة في زمن الاستعمار الفرنسي، باعتبار كونها مصنعا للعلماء، ومشغلا لإنتاج المشائخ والمقاومين الذين دافعوا بدمائهم وأرواحهم من أجل استقلال البلاد، وكانت للكتاتيب القرآنية أدوار فعالة في تربية الأجيال الناشئة تربية إسلامية رصينة، من خلال تحفيظها القرآن الكريم وعلومه، بالإضافة إلى صونها للمقومات الروحية للمجتمع، والحفاظ على هويته وخصوصياته.

يستخلص من كل ما تقدم أن مشائخ منطقة عموشة وجهوا عناية للمحافظة على كتاب الله وتحفيظه لأبنائهم وبناتهم، ولم يعتمدوا عليه رجاء أن ينالهم منه فائدة عاجلة وإنما كان تمسكهم به عن إيمان عريض وعقيدة راسخة، ومن أجل هذا الإيمان القوي العريض أصلح الله أمورهم في الدنيا، وأثار أمامهم السبيل لخدمة المنطقة والوطن تحت راية القرآن الكريم، ومن ثم باتت أعمالهم مباركة طيبة تؤتي أكلها باذن ربه في كل حين

حقا لقد تطوعوا لخدمة كتاب الله العزيز؛ فاعز الله أمرهم في هذه الأرض التي بوركتم بوجودهم فيها مستلهمين في كل عمل يقومون به بقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾³¹.

شيوخ التعليم القرآني: يعرف معلم كُتَّاب القرآن الكريم في الفترة الاستعمارية وما قبلها باسم ' الطالب ' أو ' الشيخ '، وهو الاسم الذي اشتهر به والذي أقره المجتمع، حتى كاد هذا الاسم يكاد يكون علما على الرجل الذي يتولى مشيخة الكُتَّاب، ويتميز الطالب بخصال أساسية على رأسها حمل وحفظ القرآن الكريم كله حفظا جيدا، مع الأداء الصحيح، والرسم المعروف الضروري لإخراج المصحف، ويتولى الطالب تحفيظ كتاب الله تعالى، كما يفتي، ويعظ، وينصح، فهو الشخص الذي يحظى بالاحترام والتقدير في أرجاء المدارس، وهو مرجع الساكنة في كل صغيرة وكبيرة.

وكانت حركة المعلمين جد نشيطة ومستمرة، ذلك أن شهرة المعلم هي التي تحدد مكانته³²، وقد كان الطالب في نظر عامة الناس وكأنه منزله من الأخطاء، فهو مثل أعلى لمجتمعه وتلاميذه، يلتزم بالواجبات اليومية وعلى رأسها الصلوات الخمس والأذان والتعليم في نفس الوقت، ويبقى الدور الأهم المنوط به هو تعليم التلاميذ على اختلاف مستوياتهم، فهو الذي يأخذ بيد المبتدئين الصغار الذين قد لا يعرفون حتى كيف يمسكون القلم، فيبذل جهودا مضيئة في الوصول بهم إلى الكتابة الأولية والإملاء، وفي أحيان كثيرة تلقينهم شفويا لتدريبتهم على القراءة الذاتية وهذا الأمر يعتبر من أشق الأعمال عليه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تعيين شيخ الكُتَّاب لا يتم هكذا اعتباطيا، بل هناك تقاليد شائعة تكاد أن تكون عقودا اجتماعية رسمية متفق عليها بين الشيخ والجماعة المشرفة على الكُتَّاب، وبعض البيوتات التي تجلب الشيخ، ومن الشروط المتفق عليها نذكر الأجرة السنوية تعيينا من القمح أو الشعير، أو ما انفق عليه من نقود، وهذا شرط أساسي، إلى جانب كسوة الشيخ الصيفية والشتائية وأضحية العيد وضمان الوقود (الحطب) للتدفئة والطبخ، ومن صلاحياتهم إعفاء الشيخ المعلم من وظيفته³³.

ومسائل أخرى من صلاحيات الشيخ له الحرية في تعاطيها، بغض النظر عن رأي الدين والشريعة من إنكار وقبول، منها ما يسمى بـ ' الفدية ' لصالح الميت حيث يتم استدعاء الشيخ وجماعته من قبل عائلة الفقيد لإحياء تلك الليلة بقراءة القرآن الكريم

جماعيا على طريقة الحذر والمحمول، فيحسنون ضيافتهم ويكرمونهم بقيمة نقدية جرى العرف أن تحدد قيمتها، ولأهل الميت أن يوسعوا في هذا التكريم حسب حالتهم الاقتصادية بالقليل أو الكثير، وهناك ميادين أخرى للشيخ أيضا الحرية في العمل بها مثل الرقية الشرعية³⁴.

وكانت العلاقة وثيقة بين الشيخ والمجتمع، ومن غير مبالغة مفعمة بالإخلاص والجدية والأمانة التامة، حتى أن الشيخ يعتبر هو خليفة رجال قريته عند غيابهم وسفرهم، وكأن عائلاتهم عائلته فهو المتكفل الحقيقي بأمورهم، والحارس الأمين لكل ما يضمن الأمن والمعافة لأبنائهم، ومما يؤكد ذلك هو تسابق الأطفال لخدمة شيخهم بتشجيع من آبائهم وأمهاتهم، على تقديم كل ما يمكن من مظاهر التقدير والاحترام بعبارات مختلفة مثل ' اذهب بالقهوة لسيدك ' و' اجلب الماء لزوجتي سيدك ' وغيرها ولا يمكن حصر هذا التكريم المتعدد الأوجه، والذي إن دل على شيء فإنما يدل على رابطة الثقة الواعية والقدر المستحق، ولا يكون ذلك إلا بفضل ما يتمتع به الشيخ من مزايا شخصية أخوية وتكاد أن تصل في بعض الأحيان إلى الأبوية.

كما يكون الطالب ملما بثقافة دينية وعامة، وهي ضرورية ليتمكن من الرد على الأسئلة الفقهية، والتي ترد عليه طبعا من مجتمع القرية أو العرش الموكل إليه أمرها في هذا المجال، وكأنه موسوعة مختصرة يرجع إليها الناس، وكذلك يتصف بميزات شخصية تفرض له الاحترام والتقدير، مما يجعله بعيدا كل البعد عن اللغو المهاترات التي يقع فيها الناس عادة، ويرفع بحرص عن المجادلات العقيمة وسفاسف الأمور.

وإذا تحدثنا عن قضية تعليم الشيوخ للقرآن الكريم وتعلمه، فإننا نعلم أن أكبر صخرة أمام الهدف الأكبر للاستعمار هو محاولة إذابة الشخصية الوطنية الإسلامية³⁵ وصبغها بصبغتها الجاهلية الحاقدة، وبالمقابل فإن القرآن الكريم بعد سقوط كل الأسوار الحضارية والمدنية للمجتمع بقيت هذه الصخرة هي الحصن المنيع، التي يتحصن فيها المجتمع بدينه، وشخصيته، وأخلاقه، عما يراد به من عدو غاشم، وعنيد وهو المستعمر الفرنسي.

ولذلك لما حرم المجتمع من أي فرصة للثقافة دينية كانت أو دنيوية، ولم يبق له إلا كتابه فتمسك به ولو حفظا عن ظهر قلب، فيفهمه بحسه الذي أغناه عن كل شرح وتحليل، ولغباوة المستعمر الفرنسي كان يرى وكأن هذا النمط التعليمي للقرآن الكريم سوف لا يغني صاحبه بكثير أو قليل، فاتخذ المجتمع تدابير للمحافظة على حفظ كتاب الله الذي هو في حقيقة الأمر محافظة على شخصيته وجميع مقوماتها، ورغم بساطة المظهر فقد أنشأ الكتاتيب القرآنية في كل قرية وفي كل دوار، فأصبح الأطفال الصغار يجلبون آيات الذكر الحكيم، وعمّ بذلك القرى والمداشر ومركز المدينة وأطلق على من يحفظونه كاملا ' حملة القرآن الكريم ' فأصبح الدين حتى وإن لم يكن يستوعبه الناس كاملا في الجوانب الفقهية الفرعية، فإنه كان على مستوى الضمائر والنفوس صلبا لا تهزه الرياح صلابة قرآنية يرسخ فيها الإسلام والإيمان.

وكانت الألواح الخشبية هي الوسيلة التعليمية في الكتاتيب، حيث يكتب فيها التلاميذ ليتعلموا القراءة والكتابة، بالإضافة إلى قلم من القصب ودواة للحبر يستعملونها للكتابة وكان التلاميذ يتدربون على الآداب الإسلامية، وكان المعلم يعلم الصبيان القواعد التي يجب على المسلم أن ينشأ عليها، وركز المشائخ على تعليم القرآن الكريم³⁶.

وكان شيوخ التعليم لا يدخلون مع حفظ القرآن الكريم في البدء أي علم من العلوم كالفقه والحديث، وذلك خشية انعدام الفائدة، وهي طريقة سلكها المغاربة عامة " فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحنق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل المغرب"³⁷.

يجلس الأطفال والشباب حول الشيخ، يستظهر أحدهم بعض الآيات بصوت ملائكي، وكأنه إمام متمرس، وبجانبه آخرون يسمعون ويراقبون هذا المشهد الروحاني، يجلس الشيخ الذي يتمتع بهيبة واحترام بين طلابه، أمامه طفل في مقتبل

العمر يحفظ القرآن، يوقفه أحيانا ويصح له التجويد، ويستمر الطفل في تلاوة تخشع لها القلوب، وكان التلاميذ يتدربون على الآداب الإسلامية، وكان المعلم يعلم الصبيان القواعد التي يجب على المسلم أن ينشأ عليها، وخلالها يركز المشائخ على تعليم القرآن الكريم وهم لا يدخلون معه أي علم من العلوم كالقواعد والحديث، وذلك خشية انعدام الفائدة³⁸.

وكانت طريقة التلقين أو الحفظ هي السائدة في المرحلة الأولى من التعليم، وهي التي كان المدرس يدرس فيها الصبيان القرآن الكريم، والنحو، واللغة العربية، وهي العلوم التي كانت بدورها للحفظ والاستيعاب، وكان المتعلمون يجلسون على شكل حلقات حول مؤديهم المستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد، وكانت القراءة الغالبة والمتبعة هي على رواية ورش والتي يتمسكون بها غالبا إلى درجة أنهم يستغربون أحيانا القراءة بالروايات الأخرى كرواية حفص وقلون على سبيل المثال³⁹.

وبعد إتمام المتعلم لطور تعلم الكتابة يكون قد حفظ على الأقل السور القصار المكونة للحزب الأخير المعروف بحزب سبّح الذي يبدأ بسورة الأعلى، ومن له ذاكرة قوية يكون قد حفظ عدة أحزاب، وذلك بفضل القراءة الجماعية المعتمدة، وبدخول طور الحفظ والمحو تعاد كتابة السور المحفوظة، واستظهارها أمام المدرس، ليتم اعتماد التحزيب في الكتابة والحفظ، أي تتم البداية من آخر حزب في القرآن الكريم والحفظ تدريجيا إلى غاية سورة البقرة، ويختلف حجم الكتابة في اللوح حسب قدرة المتعلم على الحفظ، والقاعدة هي لا محو إلا بعد الاستظهار السليم لما كتبه المتعلم تحت إشراف المعلم، ويعتمد الطلبة على القراءة الجهرية أثناء حفظه.

ولا يزال يتدرج بهم إلى التخلص من التهجئة والكتابة وتعليم الحروف إلى مستوى استقلال التلميذ بلوحته، وممارسة القراءة المتكررة والحفظ الذاتي، وفي هذا المستوى يقوم الطالب بالمراقبة وتصحيح الأخطاء في حصة السماع لعرض ما حفظه، ويجدر الذكر أن التلاميذ يكون مستواهم في الحفظ والأداء مختلف إلى درجة كبيرة جدا وخاصة أن في حفظ القرآن يعتمد على طريقة الأحزاب، فتجد تلميذ لم يحفظ حزب 'سبّح'، أي الأول والآخر يكون قد حفظ ستة أو سبعة أحزاب كاملة، ولا يستعمل

الطالب المصحف إلا نادرا، فتراه يستجيب لكل تلميذ في مستواه، وهي طريقة تحتاج إلى كفاءة عالية في إدارة إملاء الآيات المختلفة⁴⁰.

أما بالنسبة إلى تعليم البنات فإن المجتمع المحلي لم ينكر قط تعليمهن، بل كان ذلك مما يشرفه، ويزيد البنات المتعلمة تشريفا مع ما كان يحيط بتعليم البنات من تحفظات تكاد تكون مشددة، ومع هذا فإن البنات قد استغدن من هذا التعليم تحت الرعاية التامة من طرف الأهل والمجتمع، وقد وصل الكثير منهن إلى حفظ القرآن الكريم، أو أجزاء منه حفظا جيدا يفوق أحيانا ما حصل عليه البنون، مما كان يدفع في هذا الشأن إلى التنافس بين الأطفال والبنات، وكان شائعا لدى العائلات المرموقة أنهم يتخذون كُتَّابا ليشمل البنات والبنين، والبنات المحظوظة هي التي تكون في بيت عائلي يتوفر على الإخوة والأخوات والأقارب الذين يجيدون القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وهم كثيرون في الحقيقة لا يخلو منهم المجتمع المحلي⁴¹.

ومما كان يفخر به الطالب وأولياء التلاميذ هو كمية التحصيل التي وصل إليها المتعلمون، وكانوا يقومون بعادة ما يسمى الختمة، فرحا بالتلميذ الذي وصل إلى حفظ أجزاء معتبرة من كتاب الله، فتقدم بالمناسبة ما يشبه وليمة عرس يحضرها أهل القرية، وقد يكرم فيها التلاميذ بإكراميات وهدايا حسب القدرة، ليتوجه إلى الزاوية لإعادة حفظ القرآن الكريم مرة أو مرتين، ليصل إلى المستوى المطلوب في سهولة ويسر، وتتوج مسيرته التعليمية بترقية إلى مستوى الحصول على العلوم الأولية من نحو وفقه وآداب وغيرها، ليصبح بدوره شيخ كُتَّاب أيضا.

كان من عادة شيوخ الكتاتيب أو معلمي القرآن الكريم أن يمنحوا طلبتهم عطلة موسمية غالبا ما تكون في مناسبة العيدين، ويطلق عليها محليا اسم عطلة 'العواشر' حيث تأخذ مدة خمسة أيام قبل عيد الفطر، وخمسة أيام بعده، أما عيد الأضحى فتمنح عشرة أيام مسبقا ومثلها بعده.

وكان من العرف السائد لدى سكان منطقة عموشة أن ينتظم الطلبة في جماعة ليطوفوا على البيوت عبر القرى والمداشر فيما يسمى بـ 'الشحاتة'، وتتمثل في جمع

ما يوجد به الأهالي لمصلحة الشيخ كإعانة له لما تتطلبه حياته المعيشية، وغالب ما تنحصر تلك المواد والإعانات في السمن، والبيض، وما أمكن من النقود وغيرها، ومن مظاهر هذه المسيرة الطلابية أنهم يأخذون لوحة مزدانة بمختلف الأشكال الهندسية والألوان، مصحوبا ذلك ببعض العبارات البريئة من التلاميذ على شكل أهازيج عفوية رقيقة العبارات وجميلة المقصد، وهذا لجلب عواطف السيدات ورقة قلوبهن فيسرعن إلى الجود بما تيسر لديهن، مما يفضي لدى مختلف فئات المجتمع جوا من العطف والسرور، وزيادة الترحيب بهؤلاء الأطفال، الذين يتمتعون المجتمع بالإحساس بالطفولة ونيل المقصد، ومما أوتر من هذا النوع القول بعبارات تتسم مثل قولهم:

خط العيد خططناه

في الألواح زوقناه

شيخنا زوجناه

جبنالو حرية

من حريات الجنة⁴².

عرش أولاد يحيى 'منتانوا' حاضرة العلم والشيوخ: لا توصف منطقة باحضره علمية⁴³ ما لم تكن دائرتها العلمية قائمة، ونابضة ومنتجة، وذات حركة دائبة برجالها ونتائجها المعرفية، والفكرية، فالحركة العلمية اسم على مسمى، وهي نقيض الجمود والتوقف، فالعلم هو الذي حفظ لهذه المدينة أو تلك شأنها ورمزيتها وعراققتها، حتى صار يقال لها حاضرة علمية، بعضها بقيت على حيويتها تغذي المجتمع بالعلماء جيلا بعد آخر، وبعضها تعرضت للخراب، ولا يحفظ المجتمع إلا اسمها، والبعض الآخر نالها من الخراب ما نالها، ولكنها بقيت محافظة على جذورها تنمو كلما تنفست هواء الحرية.

إن عرش أولاد يحيى أودوار منتانوا كان يحوز على عدد معتبر من الفقهاء والمشائخ، وحفظة القرآن الكريم، ويشهد على ذلك ما عثرنا عليه من مخطوطات ومؤلفات قيمة، ونادرة موروثه من الأجيال السابقة، مما يدل على عراقة الثقافة

الإسلامية في المنطقة، وقد بذلت جهود مختلفة في الحفاظ على هذا التراث الديني رغم الصعوبات التي اعترضت هذا العمل الجليل، والذي كان مستهدفا من طرف المستعمر لطمسه والقضاء عليه.

بجهد جهيد، متخذين كل الأساليب الممكنة من أجل تهريبه، وإخفائه، وحفظه من التلف والضياع، لأن المخابئ التي اتخذت لإخفاء تلك المخطوطات كانت كلها تحت الأرض، وهي معرضة للرطوبة والمناخ، والذي يجعل حفظهما من التلف أعجوبة نادرة قلما تتم بنجاح، وقد نجحت العملية فعلا بفضل الحرص الشديد ومداومة التقيد ومع ذلك أتلفت الكثير مثلما حصل لمخطوطات وكتب العالم أحمد لخضاري⁴⁴.

وعلى ذكر ما تقدم فلا غرابة من أن تصبح هذه المنطقة مخزونا ثريا لتخريج مختلف الفئات في هذا الشأن الثقافي والديني، من طلبة وحفظة القرآن الكريم ومتمرسين في الفقه الشرعي كأمثال العالم أحمد لخضاري، والفقير صالح معطي والشيخ محمد أمزيان بوناب، والشيخ منصور مسعود خريج الأزهر، وأحمد خرف الله وغيرهم كثير، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على الطموح العريق، والمتأصل في أبناء المنطقة منذ قرون عدة، مما جعلهم يبذلون الجهد، والتزحال لآفاق المجد والشرف مهما عنت لهم من قريب وبعيد.

والجدير بالذكر أن هذا العرش كان يطلق عليه اسم ' أولاد يحي ' وهو العنوان الأصيل الذي يعرف به هذا العرش، والذي يعتبر المدد الرئيسي الذي كان يمد أغلب الزوايا سواء في منطقة القبائل أو غيرها بطلبة القرآن الكريم الدارسين، وبالمشايخ المدرسين ومعلمي القرآن الكريم، واللغة العربية باختلاف فنونها من نحو وصرف وقد تحلو بمرتبة شيوخ لبعض القرى والمداشر في مناطق مختلفة، وتخرج على أيديهم طلبة ممتازون هاجروا إلى حواضر، ومعاهد التعليم العالي المشهورة على مستوى العالم العربي والإسلامي كجامع الزيتونة والأزهر الشريف.

وبالمختصر المفيد فإنه لا تخلو دشرة من هذه الجهة من كتاب ومعلم للقرآن الكريم حتى أصبح حفظ القرآن الكريم كله أو جزء من أجزائه الطابع المميز للمنطقة حتى

اشتهرت عادة قيام مجموعات من طلبة أو الحافظين للقرآن الكريم للقيام بالتكرار الجماعي على طريقة المحمول (عبارة المحمول أن هذا الأسلوب في القراءة الجماعية بالمدود المتوسطة والذي سمي محمولا، وهو ليس من القراءات المعروفة إلا أن علماء التلاوات والقراءات حملوه على الجواز لما فيه من نتائج إيجابية جدا تعين على الاستيعاب والتحفيز)⁴⁵.

وتعد قرية الماعلي⁴⁶ من الناحية العلمية من القرى الرائدة في ولاية سطيف، إذ تعرف في وسط القرى المجاورة بقرية القرآن الكريم، إذ كان غالبية سكانها يحفظونه ويعلمونه، وتتميز قرية الماعلي باحتضانها لأكبر عدد من دور القرآن الكريم، حيث احتوت وحدها على عشرات من حفظة القرآن الكريم، وقد صارت منذ أزيد من قرن وإلى الآن بمثابة المضخة التي تبث العلوم الشرعية في شتى أوصال المجتمع المحلي.

خاتمة: وقد وجدت دور القرآن الكريم إقبالا متزايدا من طرف السكان، وتمكن الكثير منهم من حفظ كتاب الله مرتلا حسب القواعد، مشفوعا بحفظ بعض المتون من كتب السنة المتضمنة للأحكام والعقيدة، وهو ما جعل من طلبة وخريجي هذه الدور ركائز علمية يتم الاعتماد عليها داخل المجتمع في مجال التعليم والإمامة والإفتاء.

ولأن كان لحافظ كتاب الله ثواب وأجر عظيم تتنافس عليه شباب ومشائخ قرية الماعلي، فقد وعد الله سبحانه وتعالى قارئ القرآن الكريم أن كل حرف يقرأه من القرآن بعشر حسنات والله يضاعف لمن يشاء، كما وأن القرآن الكريم يدافع عن صاحبه يوم القيامة، وإن لحافظ القرآن الكريم ميزات وأشياء كثيرة وعدها الله إياها في الدنيا، وله حظ منها في الآخرة، فإن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، فمن يريد أن يجالس الله تعالى فليقرأ كلامه وليعمل به، وأشياء كثيرة لا تعد ولا تحصى⁴⁷.

وحفظة القرآن في قرية الماعلي من الجيل الأول في القرن 20 م نذكر على سبيل المثال لا الحصر: أحمد لخضاري، ومعطي صالح، وخرف الله أحمد، وخرف الله محمد، وخريص الحسين، وخرف الله عمر، وخرف الله مسعود بن عمر، ومعطي الحسين بن البشير، وخرف الله مسعود بن محمد، وخرف الله العربي، وخرف الله

محمد بن عمر، وخرف الله حمو، حمداوي حمو، وحمداوي لخضر، وقادري مبارك وقادري العمري، ومعطي محمد، ومنصوري محمد، وعزوق السعيد، وابن شعبان الحسين، وابن شعبان صالح.

وعلى ذكر دور هؤلاء المشائخ في الإصلاح الناجح والذي يتوقف نجاحه على مدى الثقة في هذا الشيخ المصلح، فحاسة المجتمع دقيقة جدا في التقويم والتقدير فإنها لا تخطئ أبدا في حدسها عن وضعية الشخص وتميز جيدا في معرفة الغث من السمين وإذا وجدت أن هذا الشيخ قد زكي من طرف الجماهير فاعلم بأن تزكيتهم جديرة بالاستحسان والقبول.

الهوامش:

¹ المسيد: كلمة حرفت إلى الأمازيغية وأصلها المسجد، وهذا للتمييز بين المسجد الذي هو مكان للصلاة المسيد الذي هو مكان للتعليم، أنظر: عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب العربي من القرن 16 إلى القرن 19 م، معهد الدراسات العالية، 1958، ص. 66.

² عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص. 142 .

³ الطيب سعودي: الكتاتيب قلاع الحفاظ على الهوية والأصالة، جريدة الخبر، ع، 21 سبتمبر 2018 ص.4، 5.

⁴ عدا في فترة مجازر 08 ماي 1945 وما أعقبها من اعتقالات لاسيما المشائخ، ومنهم الشيخ الحسين زيغمي الذي زج به في السجن وحكم عليها بالسجن والأعمال الشاقة، ولم يفرج عنه إلا في سنة 1954.

⁵ Rapport sur élèves école indigènes du centre (non officielles), 20 février 1943.

⁶ Ibid.

⁷ شهادة أدلى بها يوسف كبور .

⁸ المصدر نفسه.

⁹ سفيان لوصيف: شهادة المجاهد السعيد ضيافات، مجلة أول نوفمبر، ع 185، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر 2018، ص.34، 35.

¹⁰ شهادة أدلى بها الشيخ السعيد ضيافات.

¹¹ شهادة أدلى بها عباس شريطي.

¹² محمد البشير الإبراهيمي: محمد البشير الإبراهيمي: أثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 ص.245.

¹³ أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 167.

¹⁴ نذكر منها معرفة اللغة الفرنسية، ولياقتها البنينية، وصلاحيية المحل للتعليم.

¹⁵ شهادة أدلى بها يوسف كبور .

¹⁶ بشير فايد: " التعليم العربي الحر في دوار أولاد فايد بعموشة بين سنتي 1954 – 1962 "، منشور في كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2018، ص.

- 17 شهادة أدلى بها يوسف كبور .
- 18 شهادة أدلى بها عمار لعلوي.
- 19 سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص.34، 35.
- 20 شهادة أدلى بها الشيخ السعيد ضيافات.
- 21 شهادة أدلى بها جمال بن نكاع.
- 22 سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص.34، 35.
- 23 عبد الله بيدي: كان من أثرياء المنطقة بحيث امتلك أراضي شاسعة تتميز بالخصوبة خاصة التي كانت تقع في وسط قرية بوشامة، مما جعلها محط أطماع السلطات الاستعمارية ومصادرتها.
- 24 شهادة أدلى بها السعيد لعبيدي.
- 25 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.
- 26 قسمت المصالح الإدارية الاستعمارية دوار قلعون إلى عدة فروع، وفق تنفيذ قرارات المجلس الاستشاري ليوم 22 أبريل 1883 منها: قرانيف، أولاد علي، صنادلة، بوسعادة أولاد ناصر، أنظر:
- 7M. Manuel Bugéja, p.48 .
- 27 شهادة أدلى بها خنير بوجملين.
- 28 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.
- 29 شهادة أدلى بها الشيخ عمر أفتيس.
- 30 المصدر نفسه.
- 31 الآية 55 سورة النور.
- 32 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص.223.
- 33 عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص.31.
- 34 هذه الظاهرة الاجتماعية كانت موجودة إلى وقت قريب، وما تزال في بعض المناطق.
- 35 قال أحد الفرنسيين عن شيوخ التعليم في الجزائر: "المدرسين المكلفين بتعليم الأطفال كانوا متعصبين، وعندهم كانت تظهر معارضة لوجهات نظرنا... ونكمن خطورة مقاومتهم لنا في أنهم يشرفون على تربية جيل جديد، ومن هنا يجب أن يخضع كل المدرسين لرقابة شديدة " أنظر: ..
- Yvonne Turin : Op – cit .p.35
- 36 عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص.33.

- ³⁷ عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة بن خلدون، دار الفكر، ص. 538، 539.
- ³⁸ مختارية تراري: "التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة"، مجلة إنسانيات، ع 2001، ص. 58، 59.
- ³⁹ وإلى عهد قريب لا يعرف الذين حفظوا القرآن في الكتاتيب والزوايا غير قراءة ورش، بل لا يسمعون بغيرها من القراءات، ومن طرائف ما ذكر أن أحدهم كان قد حفظ القرآن كاملا في كتاب القرية على قراءة ورش، ثم لما شبّ هاجر إلى العمل في فرنسا، واشترى هناك مصحفا على قراءة حفص وهو لا يدري ما "حفص" ولا غيره من القراء، ولما تصفحه وجد أنه في كثير من الأحيان لا يستقيم مع حفظه فيما يُختلف فيه، فوقع في نفسه أنه مصحف محرّف في بلاد الكفار.
- ⁴⁰ شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.
- ⁴¹ يذكر شالر: الذي استقر في مدينة الجزائر أن البنات يتعلمن في نفس مدارس الذكور وتديرها نسوة، أنظر: وليام شالر: مذكرات شالر (قنصل أمريكا في الجزائر) (1816 - 1824)، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 82.
- ⁴² شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.
- ⁴³ الحاضرة: مأخوذة من حضر والحضور والتي تعني التواجد في المكان أو المجلس، وتطلق لغويا على المدينة ذات الحضارة، وبما أنها تكون ملتقى العلم والعلماء والحضارات والمعارف فذلك وصفت بها.
- ⁴⁴ تسبب الغزو الفرنسي في تعرض المخطوطات للتلغف والنهب والمصادرة والحرق حين هدمت الزوايا والمساجد التي كانت تزخر برصيد من الكتب والمخطوطات التي كانت محبوسة لخدمة العلم والثقافة معا، أنظر: جيلالي صاري: "مخطوطات قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة سنة 1837" مجلة الثقافة، ع 80، الجزائر، 1984، ص. 157.
- ⁴⁵ شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.
- ⁴⁶ قرية الماعلي: تذكر في المصادر الفرنسية باسم عين السلطان نسبة إلى أحد الينابيع المائية فيها، من أهم القرى في بلدية تيزي نيشار، سواء من حيث موقعها الطبيعي، فهي تتوسط مجموعة من الجبال مما جعل من تربتها الرسوبية أكثر خصوبة، تتوسط أربع بلديات من بلديات شمال سطيف وهي: تيزي نيشار، عموشة، بابور، وادي الباراد.

الكتاتيبُ القرآنيَّة ودورها في ترسيخ ملكة اللغة وتعاليم الدين الأساسيَّة لدى الناشئة

داه. عبد القادر مهدي

جامعة الجزائر 02

المُلخَّص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على أهمية الكتاتيب القرآنية ودورها في ترسيخ ملكة اللغة العربية وتحسين أدائها والتمكن من مهاراتها - كتابة صحيحة ونطقاً سليماً - من لدن الأطفال والناشئة من مرتاديه؛ بالإضافة إلى محاولة تبيان دورها الكبار في غرس وتحبيب روح الانتماء للأمة ومقوماتها؛ وكذا الوقوف عند مساهماتها الفعالة في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، ونشر العلم والقيم الاجتماعية النبيلة؛ وتعليم مبادئ الدين الأساسيَّة والسيرة النبوية الشريفة.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب القرآنية، ملكة، مهارات، اللغة العربية.

توطئة: إنَّ للكتاتيب القرآنية دوراً لا يُستهان به في غرس القيم الأخلاقية الفاضلة وتعليم النشء مبادئ الدين الأساسيَّة، بالإضافة إلى الدور الرئيس الذي تضطلع به وهو العناية بكتاب الله العزيز، حفظاً وترتيلًا وتجويداً، فهي إذن شعاعٌ ثقافي مهم يُشكِّل الحصانة الروحية والدعامة الأساسيَّة التي تُحافظ على هوية المجتمع المسلم وترسِّخُ ثوابته الدينيَّة ومقوماته الأخلاقية.

والجدير بالتأكيد أن تنشئة الأبناء على حفظ القرآن الكريم وتجويده، يُساهم في ترسيخ ملكة اللغة العربية، ويحسن أداءها - كتابةً صحيحة ونطقاً سليماً - كيف لا؛ والقرآن الكريم هو الذي حفظ للغة بقاءها، وضمن لها وجودها، «إذ تحوّل المسلمون في جمهورهم إلى حفظة للقرآن الكريم، يتلوه كبيرهم وصغيرهم حتى ممن سكنوا الصحاري البعيدة ورؤوس الجبال، ممَّا جعلهم ينطبعون بطوابعه اللغوية»¹.

وفي العصر الحديث، ومع الانتشار الكبير للمدارس التربويّة الرّسميّة، بقيت جملة من المجتمعات العربيّة والاسلاميّة، تُحافظ على كتاتيب القرآن الكريم إيماناً منها بالأثر الكبير الذي تلعبه، لذلك تحرص العائلات على إيفاد أبنائها إليها بعد أوبتيم من المدارس النظاميّة أو في أيّام العطل المدرسيّة الطويلة. يقول ابن خلدون في مقدمته: «إعلم أنّ تعليم الولدان شعار الدّين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث... وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنّي عليه ما يحصل بعد من المكان.. وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشدّ رسوخاً وهو أصل لما بعده؛ لأنّ السّابق الأوّل للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من يبنّي عليه»².

- فما هي الكتاتيب إذن؟ وما هو الدور الذي تلعبه في ترسيخ المبادئ الأخلاقيّة والقيم الاجتماعيّة؟ وكيف أسهمت في تفعيل اكتساب ملكة اللّغة العربيّة عند الأطفال والناشئة من مرتاديهما؟

أولاً: تعريف الكتاتيب: جمع كُتّاب: كتاتيب، وهو موضع التّعليم القرآني³. وهو مكان من الأماكن الأوّليّة لتعليم الناشئة القرآن الكريم، وتعاليم الدّين الأساسيّة، وشيء من علوم الشريعة والعربيّة وبعض مبادئ القراءة والكتابة والخط والتاريخ والحساب ويُشرف عليها شخص يُسمّى "المُعَلِّم" أو "شيخ الكُتّاب"⁴.

وللكتاتيب القرآنيّة دورٌ كَبَّارٌ في الحقل الدّيني والمعرفي والثقافي، فلقد أنتجت العديد من العلماء والفقهاء والمفكرين في ميادين متعدّدة، كالفقه والفلسفة والآداب والمنطق والتاريخ والرياضيات وغيرها.

والكتاتيب عبارة عن حلّق منظّمة في المساجد والزوايا، وُجِدَت خصيصاً لتعليم الناشئة القرآن الكريم، وتجويده، وحفظه، إمّا من المصحف الشريف مباشرة أو عن طريق لوحة خشبيّة. وغالباً ما يكتب المتعلّم على اللّوحة سورة بأكملها أو عدّة آيات من القرآن الكريم. ثمّ يُكرّر قراءتها حتّى يحفظها عن ظهر قلب. ثمّ يستظهر ما حفظه أمام شيخه (مُعلِّمه) الذي يُؤشّر له بالحفظ، وإذا وافق الشّيخ على الحفظ ذهب الطفل (التلميذ)

ومحى اللوحة استعداداً لحفظ آيات أخرى. وهكذا يتم الحفظ، حيث تحدث منافسة بين الأطفال في أيهم يحفظ ورده أولاً، ويتفاوتون في ذلك حسب استعداداتهم وظروفهم النفسية والاجتماعية⁵. وهي من أعظم الوسائل التي يمكن من خلالها أن يظهر أثر تعلق وارتباط الجيل الجديد بالقرآن الكريم. كما تحلل الكتاتيب القرآنية موقعاً خاصاً في قلوب الجزائريين، "بدليل أنها تتواجد في كل قرية من قرى الجزائر، وهي من التقاليد العريقة التي أصبحت جزءاً من حياة العائلات الجزائرية حيث ارتبطت بواقعهم الديني والثقافي والأخلاقي عموماً"⁶.

ثانياً: دور الكتاتيب القرآنية في حفظ الهوية العربية الإسلامية لأبنائنا:

تقوم الكتاتيب القرآنية بأدوار رائدة وفعالة في تربية الناشئة تربية إسلامية رصينة من خلال محاولة تكوين الخلفية القرآنية وتنشيتها في عقولهم، عن طريق تحفيظهم القرآن الكريم وعلومه، وكذا صونها للمقومات الروحية للمجتمع والحفاظ على هويته وثوابته الدينية، "وكانت تلك الكتاتيب قد انتشرت في ربوع العديد من الدول الإسلامية من جنوب شرق آسيا عبر أندونيسيا وماليزيا، مروراً بباكستان ودول شرق آسيا إلى أقصى المغرب الإسلامي في المغرب وموريتانيا ثم الجنوب وغيرها.. ولقد وجهت كثير من المخططات الخبيثة المنظمة للقضاء على الآثار الإيجابية لتلك الكتاتيب في العالم الإسلامي.. حتى أصبحت مؤسسة "الكتاب" مهدة بالانقراض التام بل والانقراض"⁷.

ثم إن تنشئة الطفل تنشئة إسلامية صحيحة - من خلال الكتاتيب القرآنية -، ليس بالأمر السهل ولا اليسير؛ لأن ذلك يحتاج إلى دأب وإصرار كبيرين، وتأكيد على أن النهج التعليمي الإسلامي نهج صادق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كيف لا والكتاتيب هي المكان الرحيب لتعلق واتصال الطفل بكتاب الله تعالى؛ «حفظاً واستكراً، وتدبيراً ومدارسةً وتعليماً، وعملاً وتأديباً واحتراماً، فلا يقرأ القرآن إلا عن وضوء واستحضر نيةً، واستشعار عظمة الله..، ويتلقى منه الأوامر والنواهي مباشرة ويسمع منه ما جرى به المنحرفين والطائعين، وما أعدّه لهم يوم القيامة»⁸. كل هذا يزرع في قلب الطفل الخشوع، فتدمع عينه، ويستقيم لسانه، وتسمو روحه ويترسخ

الإيمان والإسلام في نفسه، فلا يعترف بعدها بغير القرآن والإسلام دستوراً ومنهجاً وتشريعاً.

فالكتاتيب القرآنية إذن، تسهم في تشكيل الوجدان الإسلامي لدى الطفل، من خلال الأدوار القيّمة والتميّزة التي تلعبها، كاللقاء «القَصَصِ المؤثّر الذي يعرضُ للبطولات والنماذج الفريدة، والقوى المحرّكة لما في الحياة من أنشطة. ونجسّد له فضائل الصدق والتعاون والعدالة وحب الخير تجسّيداً واضحاً، بعيداً عن التجريدات التي يصعب فهمها على الطفل، وأن نقدّم له الذات الإلهية في صورة يفهمها ويعيها باعتباره - أي الذات الإلهية - مصدرراً للخير والعطاء والعطف والرحمة وما إلى ذلك، وأنّه هو الذي خلقه وأمدّه بالسمع والبصر، وأبدع له ذلك الكون من حوله، وأنبت له الزرع، وأنزل المطر وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة..»⁹. وكلُّ هذا الاستنتاج الذهني والاستدلال العقلي يُعوّد الطفل على أن يؤمن بقرارة نفسه وأعماق وجدانه أن لا خالق ولا مبدع ولا إله إلا الله سبحانه.

وإذا كان الأطفال يتعلّمون في هذه الكتاتيب قراءة القرآن وحفظه، ويتلقون منها تعاليم الدين الأساسية، ويتعرّفون من خلالها على أركان الإسلام ومعنى الإيمان وغيره، فإنّهم يستمعون فيها أيضاً إلى جملة من مغازي الرّسول - ﷺ - وقصص الأنبياء وحياة الصّحابة الكرام، حتى يأخذوا منها - شعورياً أو لا شعورياً - قيمة أو فكرة أو معتقداً سليماً، ينفعهم في حياتهم، ويثبت في نفوسهم فضائل الآداب والأخلاق المستتبطة من دينهم وعقيدتهم.

فاستماع الأطفال في الكتاتيب إلى قصص الأنبياء يجعلهم ينتهجون نهجهم ويقتنون أثرهم، ويستخلصون من طيب حياتهم العِضاتِ والعبر، باعتبارهم «الصّفوة المختارة من البشر، لترشيد مسيرة الحياة الإنسانيّة، منذ انطلاقتها بآدم عليه السلام إلى قيام السّاعة وليكونوا شهداء على النّاس يوم العرض على الله، ولكي يقوموا بهذه المهّمة العظيمة تولّى الله تعالى تربيّتهم ورعايتهم وتوجيههم، فكانوا بذلك أكمل الخلق في صدقهم

وأمانتهم، وفطانتهم وسلامتهم من العيوب المنفّرة، وقيامهم بواجب تبليغ الدّين وإقامة الحجّة على الخلق وعصمتهم من الذنوب والمعاصي»¹⁰.

واستماع الأطفال إلى حياة الصّحابة الكرام - رضوان الله عليهم - يجعلهم يتأسّون كذلك بسير الأوّلين منهم بطولة وجهاد، فالصّحابة الأماجد، هم أعظم الأحيال في تاريخ البشريّة كلّها، بما توافر لهم من عوامل، السؤدد والتربيّة والنجاح وفي مقمّتها: الإشراف الرّباني المباشر على تكوينهم من خلال تطبيق تعاليم الإسلام عليهم، وكذا وجود شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينهم، حيث خصّهم وشملهم برعاية نبوية لا تتكرر كونت منهم جيلاً قرآنياً فريداً في كل شيء...¹¹.

وهذا في اعتقادنا هو التّعويد والتلقين السّليم الصّحيح، في إعداد النّاشئة وتهيئتها على هذا النّحو الفريد، "حتى يصبح الطفل قادراً على أن يمضي في رحلة الحياة مسلحاً بالوعي والنّقة، شجاعاً في مجابهة الزيف والانحراف، قادراً على التصدي لمغريات التسيب والإنفلات والإباحيّة، بعيداً عن نزوات التعصّب للجنس واللون، وفي مأمن من العقد النّفسيّة التي تهدّم صمود الشخصيّة وترانها"¹².

ثالثاً: دور الكتاتيب القرآنيّة في ترسيخ ملكة اللغة العربيّة وتحسين أدائها لدى النّاشئة: لقد تصدّر القرآن الكريم الرّيادة منذ بداية الحياة الإسلاميّة، باعتبار النّص التشريعيّ الأوّل لهذه الأمة والكتاب المبين المعجز ببلاغته و«تأثيره في النفوس والقلوب»¹³. هذا، إلى اعتباره وحي السّماء، والقانون المؤسس للتشريع والمنظم للسلوك والمرشد الموجه إلى معالي الأمور وأرقاها منزلة وشرفاً، حيث «كان وحيداً في بابه لم يكن قبله ولم يكن بعده مثله... وتحّدّى النّاس أن يحاكوه، وأن يأتوا بمثله، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً»¹⁴. قال عزّ من قائل في محكم تنزيله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾¹⁵.

1- اكتساب ملكة اللّسان والمهارات اللّغويّة الأخرى من خلال حفظ القرآن الكريم: يُعدّ القرآن الكريم رافداً مهمّاً في اكتساب الطفل ملكة اللغة العربيّة وحسن أدائه لها. فاللغة العربيّة الفصحى المنطوية على طاقة لفظية ودلالية كامنة، والتي عبّر عن خلالها

القرآن الكريم عن الكون والحياة والدين، كفيلة بأن تُسخرَ عبقريتها في سبيل استيعاب عديد المفاهيم والمستجدات لتتجاوز عالم الاستهلاك وتدخل عالم الانتاج الفكري¹⁶.
فالعناية بحفظ القرآن الكريم ودراسته، هو في حد ذاته عناية باللغة العربية؛ لأن القرآن العظيم جامع للعرب والعربية على السواء، «فالبحوث اللغوية والمؤسسات التربوية والعلمية التي تعزز الارتباط بين القرآن واللغة الفصيحة تقود بداهة إلى تألق الفصيحة ورفعة شأنها في الواقع اللغوي العربي، ولا أدل على ذلك من أن نستقرئ التاريخ الذي يؤكد أن العناية بالقرآن كانت الأساس في نهضة الفصيحة وشيوعها»¹⁷.
فهي إذن، تجمع بين أبناء الأمة الإسلامية في وعاء لغوي واحد؛ لأنها بكل بساطة لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتكمن أهميتها في ضرورتها لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف؛ فكل علوم الإسلام قائمة على اللغة العربية وإتقانها ضرورة لفهم الشرائع، والأحكام، وكل أمور الدين، ولا عجب فاللغة العربية لغة ثرية متجددة استوعبت علوم الأولين والآخرين من قبل، وهي قادرة على ذلك مجدداً إن وجدت الاهتمام، والعناية من أبنائها¹⁸.

فحفظ الطفل للقرآن الكريم ومداومته على المراجعة والتلاوة والبحث في ألفاظه ومعانيه تكوّن له رصيذاً وثروة لغوية مهمة، تتناسب وتحصيله الثقافي والعلمي وتنمي مجال التنوق الجمالي عنده، الأمر الذي يزيد من اتساع دائرة استمتاعه وجدائياً وعقلياً وأدبياً. فلولا القرآن الكريم لأصبحت العربية كاللأينية، ولصار العربي في المشرق يحتاج إلى ترجمة ما يُحرّره أخوه في المغرب ليفهم قصده. فالقرآن الكريم حفظ اللغة العربية الفصيحة «من التحوّل إلى لغاتٍ عدّة كما هي حال اللأينية وأبقت التراث العربي حياً مقروءاً في حين تحوّلت اللأينية إلى لغاتٍ مستقلة بعضها عن بعض، وغداً صعباً أن يفهم أصحاب كل لغة تراثهم بلغة حاضرهم»¹⁹. لذلك لاحظنا أن العديد من الأعاجم الذين أقبلوا على الدين الإسلامي الجديد، بحفظ القرآن الكريم دفعهم ذلك إلى إتقان العربية والنّبوغ فيها عن طريق²⁰ «تطويع ألسنتهم منذ الصغر على بليغ القول وفصيح الكلام المعجز، وذلك بتمية مهارات الاستماع وسلامة النطق والتلاوة بشروطها

عند أهل التجويد والإتقان»²¹. كما أكد أهل العلم أن لحفظ القرآن الكريم وتلاوته الأثر البالغ والأهمية المتلى في اكتساب ملكة اللغة وتنمية مهاراتها.

ثُمَّ إِنَّ بقاء اللغة العربية حيّة إلى يوم الناس هذا مَدِينٌ دون شكٍّ للقرآن الكريم فلولاهُ لاندثرت وأفلَّ نورها، كما اندثرت اللغات القديمة السابقة.

كما أن القرآن الكريم هَدَّب اللغة العربية بين حوشي الكلام وغريبه، وحلَّها بلون من الطَّلَاوة، وبَسَّرَ لمتعلِّمِها ومتلقِّيها الدِّقَّة والوضوح والقصد، فاللفظ على قدر ومنوال المعنى.

واستناداً على ما سبق يمكننا القول: إنَّ حفظ القرآن الكريم يُؤثِّر تأثيراً بالغاً في عملية اكتساب ملكة اللغة وتنمية مهاراتها، وذلك تبعاً للأمر التالية:

1- أن القرآن أشرف نص لغوي، وحفظه يُوجب على صاحبه كثرة تردادهِ والمداومة على تلاوته، وتكرار النصوص اللغوية وحفظها يُورث المرء تمكناً في لغته وارتقاءً في أسلوبه²².

2- أن القرآن نص مقروء يوجب على حافظه كثرة قراءته، ثم إنَّ من العوامل المعينة على الحفظ إضافة إلى التكرار والمداومة على التلاوة: الترتيل والترسل عند القراءة، والفهم الصحيح للآيات المحفوظة، وكتابة الآيات كتابة يدوية، واستخدام المادة المحفوظة، كل هذه العوامل وغيرها لا شكَّ أنَّها ممَّا يكسب المهارات اللغوية ويُممي الملكة اللسانية²³.

3- أنَّ العناية بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وسيلة حيّة لإتقان اللغة الفصيحة وتنمية مهاراتها.

4- يُعدُّ القرآن الكريم وسيلة مهمة في بحث طرائق اللغة في التعبير وأساليبها في الفصاحة والبيان.

5- إنَّ حفظ القرآن في الكتاتيب القرآنية يُسهِّم وبشكل كبير في جعل اللغة العربية نافذة نزل من خلالها على العالم؛ لأنَّها تُمثِّل ذاتنا وهويتنا وأدانتنا التي «تصنع من المجتمع واقعاً»²⁴.

رابعاً - خصائص ومميزات التعليم في الكتاتيب القرآنية: لقد تميّزت الكتاتيب منذ نشأتها بمحافظتها على تعليم القرآن الكريم، حفظاً وتلاوةً وتجويداً، بالإضافة إلى مدارسها بعض علومه، وأحكامه. كما انمازت هذه المعالم الدنيّة باضطلاعها بمهام "تربويّة ثقافيّة، ودينيّة، واجتماعيّة، وإنسانيّة في الإرشاد والتوجيه والتعاون لحل الكثير من المشاكل، والتغلب على الكثير من الصّعوبات بفضل حملة كتاب الله، كما استطاعت الكتاتيب القرآنية أن تمدّ سلطانها على مساحات شاسعة وأماكن بعيدة في الجزائر، فكان لها الفضل الكبير في إصلاح الكثير من العادات والتقاليد القديمة وإلى حدّ الساعة تُعدّ الكتاتيب من أقدم البيوت الإسلاميّة وأطولها عمراً، وامتدّ تأثيرها إلى الكثير من الاسهامات في العطاء الفكري والحضاري²⁵.

- كما يركز التعليم في الكتاتيب على اتجاهات نفسيّة ودينيّة تساعد على توفير جو العمل وفاعليّته.

- والشّيء الذي يُميّزها عن غيرها من المؤسسات؛ الطريقة التعليميّة والتربويّة التي تسير على منوالها طبقاً للمنهج المقرّر من لدن القائمين عليها.

- كما لا يتطلب التعليم الكتّابي تكاليف ماديّة كبيرة لتسييره وتجهيزه. فالوسائل التعليميّة المستخدمة فيه كاللّوحة والحبر (أو الدّواة)، وأدوات المحو هي أدوات زهيدة وغير مكلفة. بالإضافة إلى مجانيّة التعليم فيها.

- وتتميّز الكتاتيب القرآنية - باعتبارها جهة مساندة للمؤسّسات التعليميّة الحديثة - عن غيرها من المراكز، بتسهيل حفظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربيّة، وحفظ بعض الأشعار والمتون، ورعاية الناشئة وحضّهم على التحلي بمكارم الأخلاق النبيلة وتعميق القيم الدنيّة لديهم، وصياغتهم صياغة سليمة قبل دخولهم إلى المدارس التعليميّة الحديثة.

خاتمة البحث: إنّ من جملة النّاتج الموضوعيّة التي أفضت إليها هذه الورقة البحثيّة هي: - إنّ للكتاتيب القرآنية دوراً لا يُستهان به في غرس القيم الأخلاقيّة الفاضلة وتعليم النّشء مبادئ الدّين الأساسيّة، بالإضافة إلى الدّور الرّئيس الذي تضطلع به وهو العناية بكتاب الله العزيز، حفظاً وترتيلاً وتجويداً؛

- تسهم الكتاتيب القرآنية بشكل كبير في ترسيخ ملكة اللغة العربية وتحسين أدائها والتمكن من مهاراتها- كتابة صحيحة ونطقاً سليماً - من لدن الأطفال والناشئة من مرتاديه؛

- تُحافظ على هويّة المجتمع المسلم، وتُرسِّخُ ثوابته الدينيّة ومقوماته الوطنيّة؛
- لقد أسهمت الكتاتيب في إنتاج العديد من العلماء والفقهاء والمفكرين وفي ميادين متعدّدة، كاللغة والفلسفة والآداب والمنطق والتاريخ والرياضيات وغيرها؛
- تقوم الكتاتيب القرآنية بأدوار رائدة وفعّالة في تربيّة الناشئة تربيّة إسلاميّة رصينة، من خلال محاولة تكوين الخلفية القرآنية وثبّيتها في عقولهم، عن طريق تحفيظهم القرآن الكريم وعلومه؛

- إنّ عناية الكتاتيب بتحفيظ القرآن الكريم للناشئة وفي هذه المرحلة بالتحديد- فترة ما قبل المدرسة غالباً-، هو في حدّ ذاته عناية باللّغة العربية؛ لما له من أثر بالغ في تقويم لسان الطفل وإعداده نفسياً للإقبال على القراءة السليمة والكتابة الصّحيحة. كما يقوي ذاكرته ويحفزه على الحفظ، ويمكنه من اكتساب المهارات اللّغويّة...

- قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

الكتب:

- سمر روجي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية، مط جرس، ط1، لبنان، 1983م.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي -، ط6، دار المعارف، القاهرة 1963م.
- طه حسين، من حديث الشعر والنثر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (د.ت).
- الطيّب برغوث، القدوة الإسلاميّة، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، (د.ت).
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م.
- علي بن إبراهيم الزّهراي، مهارات التدريس في الحلقات القرآنيّة، ط1، دار ابن عفّان (م.ع). السّعودية، 1997م.

- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي ط1
1999م.

- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، الشركة المتحدة للتوزيع
ط2، بيروت، 1990م.

المجلات والدوريات:

- آسيا بلحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو
العدد السابع، ديسمبر 2007م.

- جاكاريجاكتينا، تطبيقات مقترحة لتدريس اللغة العربية في المدارس العربية بغرب إفريقيا في
ضوء المنهج التكاملي، مجلة الممارسات اللغوية، - محكمة أكاديمية -، تصدر تصدر عن جامعة
مولود معمري - تيزي وزو -، العدد 36، جوان 2016م.

- سعيدة بوخاوش، المحفوظ القرآني وأهميتها في تطوير الأداء اللغوي العربي، مجلة الآداب
واللغات، تصدر عن جامعة الجزائر2، العدد 9، ديسمبر 2014م.

- عبد الله صالح، اللغة العربية: فضلها وأهميتها وكيفية تفعيلها في الغرفة الدراسية، رسالة المعلم
- الأردن، مج 51، ع01، 2013م.

- الملتقى الوطني للزوايا، دور الكتاتيب القرآنية والزوايا وعلاقتها بتحفيظ القرآن الكريم منشورات
مديرية الثقافة، معسكر، يومي 27/28 جوان 2007م.

- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات - عالم المعرفة -، عدد 265، الكويت 2001م.

- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلو في التفكير، إشكالية العنف، المصطلح والمفهوم
مدونة الإقراء الجزائرية، العدد الخامس، نوفمبر 2007م.

- يوسف قران، اللغة العربية ومستقبلها، اللغة العربية، مجلة فضيلة، يصدرها المجلس الأعلى
للغة العربية، العدد الخامس، 2001م.

المواقع الإلكترونية:

- عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللغوية موقع
إلكتروني: Masmali@uqu.edu.Sa

- ليلي بيومي، دور الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية، <https://almoslim.net>

- الهوامش:

- ¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي -، ط6، دار المعارف، القاهرة 1963م ص80.
- ² عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص537.
- ³ يُنظر: آسيا بلحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، العدد السابع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ديسمبر 2007م، ص63.
- ⁴ يُنظر: مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي ط1، 1999م، ص129.
- ⁵ يُنظر: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلو في التفكير، إشكالية العنف، المصطلح والمفهوم، مدونة الإقراء الجزائرية، العدد الخامس، نوفمبر 2007م، ص57.
- ⁶ يُنظر: كمال قدة، القراءة والإقراء في العصر الحديث، مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد 05، سبتمبر 2015م، ص7.
- ⁷ يُنظر: ليلي بيومي، دور الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية، <https://umlk://almoslim.net>
- ⁸ الطيب برغوث، القوة الإسلامية، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، (د.ت) ص106.
- ⁹ نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، الشركة المتحدة للتوزيع، ط2 بيروت، 1990م، ص109.
- ¹⁰ الطيب برغوث، القوة الإسلامية، مرجع سابق، ص106.
- ¹¹ يُنظر: المرجع نفسه، ص112.
- ¹² نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص113/114.
- ¹³ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، - العصر الإسلامي -، مصدر سابق، ص80.
- ¹⁴ طه حسين، من حديث الشعر والنثر، مؤسسة هندلوي للتعليم والثقافة، مصر، (د.ت) ص37.
- ¹⁵ سورة الإسراء، الآية 88.
- ¹⁶ يُنظر: يوسف قران، اللغة العربية ومستقبلها، اللغة العربية، مجلة فضيلة، يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، العدد الخامس، 2001م، الجزائر، ص234.
- ¹⁷ سعيدة بوخاوش، المحفوظ القرآني وأهميتها في تطوير الأداء اللغوي العربي، مجلة الآداب واللغات، تصدر عن جامعة الجزائر2، العدد 9، ديسمبر 2014م، ص16.

- ¹⁸ يُنظر: جاكاريجاكيتا، تطبيقات مقترحة لتدريس اللغة العربية في المدارس العربية بغرب إفريقيا في ضوء المنهج التكاملي، مجلة الممارسات اللغوية، - محكمة أكاديمية -، تصدر تصدر عن جامعة مولود معمري - تيزي وزو -، العدد 36، جوان 2016م، ص64.
- عن: عبد الله صالح، اللغة العربية: فضلها وأهميتها وكيفية تفعيلها في الغرفة الدراسية رسالة المعلم - الأردن، مج 51، ع01، 2013م، ص37/36.
- ¹⁹ سمر روجي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية، مط جرس، ط1، لبنان، 1983م ص26، عن: سعيد بوخاوش، المحفوظ القرآني وأهميته في تطور الأداء اللغوي العربي مرجع سابق، ص16.
- ²⁰ يُنظر: المرجع نفسه، ص16.
- ²¹ علي بن إبراهيم الزهراني، مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، ط1، دار ابن عفان (م.ع). السعودية، 1997م، ص18.
- ²² عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللغوية ص9 موقع إلكتروني: Masmali@uqu.edu.Sa
- ²³ المرجع نفسه، ص9.
- ²⁴ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات - عالم المعرفة -، عدد 265، الكويت 2001م ص228.
- ²⁵ يُنظر: أعمال الملتقى الوطني للزوايا، دور الكتاتيب القرآنية والزوايا وعلاقتها بتحفيظ القرآن الكريم، منشورات مديرية الثقافة، معسكر، يومي 28/27 جوان 2007م، ص28.

دور محاضرة الشيخ باسعيد وعلي بغرداية في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية

أ. موسى وعلي علي

جامعة غرداية

مقدمة: يكاد الباحث في منطلق هذه الدراسة وحين كانت فكرة أولية أن يهمل أهم حيثيات الموضوع وهي علاقة المتعلمين باللغة المدروسة، فاللغة هي (العربية) والعينة هي طلبة (المحاضرة) من المجتمع (المزابي) بغرداية، بالتالي فنحن أمام وضعية تعليمية هي:

"اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها": فمن أعجب ما يلفت الانتباه أن الطبقة المثقفة في المجتمع (المزابي) تُظهر قدرة لغوية رفيعة مع (العربية)، إتقان لقواعدها ويسر في توظيفها وفصاحة في أدائها، بما يدل على الرابطة الوطيدة بين المجتمع وهذه اللغة؛ رابطة شعورية وإحساس بأنها لغتهم ورافد في هويتهم بجانب (الأمازيغية) ورابطة وظيفية إذ هي الوعاء الحتمي لأحاديثهم الثقافية عامة ولكتاباتهم خاصة. فكيف لا يغيب عن الأذهان أنهم من غير الناطقين بها؟

هذا المشهد اللغوي الذي غدا وضعية متوارثة متأصلة منذ عقود طويلة في نفسية الأجيال المزابية وثقافتهم جعلت الباحث -وهو منهم- يفكر داخل هذا الصندوق، ولم تُنبههُ إلا أقلام أجنبية تنظر للظاهرة من زاوية خارجية أوسع، من ذلك ما نُشر مؤخرا عن المفكر الألماني (مراد هوفمان) (1931/ 2020م) متحدثا عن ظروف إسلامه: «وحتى تلك اللحظة لم أكن قد تعرفت على (القرآن) إلا من خلال النوافذ المفتوحة لكتاتيب تحفيظ القرآن في (مزاب) جنوب الجزائر، حيث يحفظه أطفال البربر ويتلونونه في لغة غريبة عنهم، وهو ما دهشت له كثيرا»⁽¹⁾، وهي شهادة واحدة من شهادات متكررة.

وهذا يطرح تساؤلات عدة: ما مظاهر الرفاه اللغوي في المجتمع المزابي؟ وما مصادره وروافده؟ وإذا كان لـ (المحاضر) دور فيه فما طبيعته؟ وهل التأثير نابع من (القرآن) ذاته كنص؟ أم للطريقة التعليمية للمحضرة إضافة نوعية في المكتسب اللغوي لدى طلبتها؟

أولاً: (القرآن الكريم) واكتساب (اللغة العربية): إن فضل القرآن العظيم على اللغة العربية لا يقف على حفظها وانتشارها في الزمان والمكان فحسب، فهذا مما لا يختلف فيه⁽²⁾، وإنما يفترض أن يتعدى فضله إلى تنمية مهارات اكتسابها وامتلاكها، وقبل الولوج إلى أسرار منهج (الكتاتيب) في ذلك، لا بأس أن نبدأ بمقدمة موضوعية تؤكد أهمية تعلم (القرآن الكريم) بغض النظر عن المنهج والأدوات المرافقة لعملية التعلم فقد أظهرت الدراسات التربوية والأبحاث الميدانية الفوارق الكبيرة التي اكتشفت بين الطالب الحافظ للقرآن الكريم وغيره من طلبة المدارس العادية، بإحصائيات وتفاصيل ونتائج علمية، ومن تلك الدراسات:

• دراسة لسعيد بن فالح المغامسي، «دور القرآن الكريم في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالمدينة المنورة»، وأجريت الدراسة على (120) طالباً؛ ستون طالباً من طلبة مدارس تحفيظ القرآن الكريم، ومثلهم من طلبة المدارس العادية.

• دراسة لهانم بنت حامد ياركندي، «الفروق في مهارات القراءة والإملاء والحساب بين طالبات تحفيظ القرآن الكريم والمدارس العادية في الصف الرابع الابتدائي بمكة المكرمة». وأجريت الدراسة على (118) طالبة؛ ثمان وأربعون من طالبات مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وسبعون طالبة من طالبات المدارس العادية.

• دراسة لوضحي بنت علي السويدي، «العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتلاوته ومستوى الأداء لمهارات القراءة الجهرية والكتابة لدى عينة من تلاميذ وتلميذات الصف الرابع الابتدائي بدولة قطر»، أجريت الدراسة على مئتي (200) طالبا وطالبة من مدينة (الدوحة)⁽³⁾.

ثانيا: الرفاه اللغوي في المجتمع المزابي؛ مظاهره وروافده: هناك قضايا تطرح في الوسط الثقافي حول الظاهرة اللغوية في (المجتمع المزابي)، فأنت ترى مجتمعا أمازيغيا يرضع اللهجة المزابية من لبان أمه، ثم تكون اللغة العربية لغته الطاغية على أحاديثه الثقافية والمستأثرة بكتاباته، فهذه ظاهرة تستحق بحق التأمل والبحث الموضوعي، كي لا تبقى في دائرة النقاش العامي العابر. وأستحضر صورتين في هذا السياق:

○ الصورة الأولى عن الغربية اللغوية - عن العربية - لدى التلاميذ المزابيين الجدد في الابتدائية، وأتذكر حين كنا في عامنا الدراسي الأول وكان أستاذنا من الإخوة العرب، فهو لا يكاد يفهم ما يقوله الطفل المزابي بلسانه، والطفل بدوره لا يكاد ينتج جملة باللغة العربية، فيضطر الأستاذ لاختيار تلميذ مخضرم اللغتين ليكون مترجما بين الطرفين⁽⁴⁾. ومن الوضعيات التي نجدها الآن في الأقسام التحضيرية أن توفر فيها "مساعدة" من وظائفها أن تكون واسطة بين التلاميذ الذين لا يزالون مفرغين من اللغة العربية وبين المعلمة الرسمية إذا كانت لا تفهم اللهجة المزابية. وهذا ريثما يكتسبوها.

○ الصورة الثانية عن الثراء اللغوي في العربية لدى المثقف المزابي، وهو ما ذكرناه من سيطرة اللغة العربية على الفضاءات الثقافية للمجتمع المزابي، إلى حدّ مبالغ فيه حتى تجد من ينتقد هذه الوضعية انتقادا موضوعيا إذ كيف لا يُخاطب الناس بلسانهم ولغتهم التداولية؟. فالخطاب السائد في خطب المناسبات الاجتماعية كالأعراس والأنشطة الجماهيرية وأمثالها هي اللغة العربية الفصيحة... ناهيك عن المناسبات الثقافية والتظاهرات العلمية التي قد تكون (اللغة العربية) هي الأنسب باعتبارها لغة المصطلحات والمفاهيم الثقافية. وفي مظهر من مظاهر هذا الرفاه - والذي أثار استغراب الكثير من الباحثين - أن تجد في التراث الأدبي للمزابيين قائمة طويلة من الشعراء والأدباء الكبار الذين يعدون بالعشرات وتحصى أعمالهم بالمئات وليس فيهم من أدباء اللغة المزابية إلا قلة قد تعد على أصابع اليد الواحدة.

وهذا ما يفسر أن الكثير من مثقفي المجتمع المزابي يجدون الراحة والانسيابية والسلاسة في الاعتماد على اللغة العربية، وقد تغطي على لسان أحدهم ولو حاول حينها ورغب في سلوك لهجته المزابية المحلية. فهذه الصعوبة اللغوية التي تتطلب دربة واستمرارية حتى تتغير، لهي أكبر دليل على **الثراء اللغوي** الذي بلغ إلى حد التمكن والسيطرة والامتداد على مجالات **قد تجعله ثراء إشكاليا من زاوية حضارية** إذ كان له التأثير على مُكوّن من مكونات الهوية المزابية والمتمثل في اللغة أو اللهجة.

ومن أهم **روافد الرفاه اللغوي** وقوة اكتسابه نذكر بعض المؤثرات:

■ إن الدارس وهو يحلل ظاهرة الرقي اللغوي والاحتشاد التعليمي والتوظيفي الذي حظيت به (اللغة العربية) في (المجتمع المزابي) لا يمكنه فصل هذه الظاهرة عن الحسّ الديني الإسلامي الذي يُنزل (اللغة العربية) في مقام الثقافة الدينية الأساسية للنشء المسلم، ولذلك نجد المنظومة التعليمية في هذا المجتمع وأمثاله تدعى بـ **(التعليم القرآني)**، وهي منظومة تتطرق بالقرآن الكريم وعلوم اللغة العربية، في منهجية موحّدة لا تتفكّ.

■ داخل هذه المنظومة تُخصّب **المادة اللغوية** وتتشرط إلى مواد ذات حصص مستقلة، وكل واحدة منها تستهدف مهارة من المهارات اللغوية القاعدية مثل: الإملاء والنسخ (الخط) والقراءة والمحفوظات.. ثم يتدرج في النحو والصرف والبلاغة والتعبير... كل هذا في سنوات لا يزال فيها المتعلم صفحة بيضاء وجهازه اللغوي غضا فتيا في طور الاكتمال.

■ تحقيق ما يدعى بـ **(الانغماس اللغوي)** -وسياتي شرحه- والذي يتحقق تلقائيا بوضعية سائدة في (التعليم القرآني) منذ المستويات الأولى للتعليم، الوضعية أن يمنع استعمال غير اللغة العربية الفصيحة في الحصص التعليمية طول السنوات، ولو كان القسم يتضمن متعلّمين كلهم مزابيون، فيكون الطالب مضطرا لتوظيف اللغة العربية بصفة شاملة حتى فيما خرج عن الدرس مما يتعلق بالشؤون الشخصية للتلميذ (عذر

التأخر مثلا). وهذا ما كنا نفتقده في المدارس الرسمية إذ قد تكون اللغة السائدة والملاذ الواسع للتعبير هو اللهجة العامية أو ما نسميه آنذاك بـ(الدارجة) وهي لغة الشارع.

■ وقد كان لطريقة (المحاضر) المبنوثة بقصور (وادي مزاب) أو ما يشبهها من مدارس قرآنية -تكون عادة مرتبطة بالمسجد وتنشط تحت إشرافه- الأثر الأكبر في تفعيل (الاكتساب اللغوي) وتثمينه، إذ كانت هي التعليم الأساسي على امتداد النهار للصبيان (مستوى ابتدائي)، وفي الفجر والليل للفتيان البالغين والكبار⁽⁵⁾. إلى أن انتشرت المدارس العصرية بعد الاستقلال فانهسر نشاط (المحاضر) بل اندثر أغلبها الساحق، بعدما أدت دورا مركزيا ووظيفة محورية لا في تعليم اللغة العربية وفصاحة الألسن فحسب، بل في انبعاث جيل متشبع بالملكة الفنية التدوقية المغذاة من بلاغة القرآن الكريم، إذ تؤكد كتب السير والتراجم أن غالبية الشعراء والأدباء الكاتيب بالعربية كان لهم حظ من الذخيرة التعليمية القرآنية التي تلقوها في هذه الكتاتيب المسماة بـ(المحاضر) أمثال: الشاعر (رمضان حمود)، وشيخ الصحافة (أبو اليقظان) والشيخ المفكر (أبو إسحاق أطفيش)، والشاعر (مفدي زكرياء)، والشيخ الخطيب (حمو فخار)...⁽⁶⁾، يقول الناقد (محمد ناصر) في دراسة عن أثر القرآن الكريم في شعر (مفدي زكرياء): «ويجيء القرآن الكريم في مقدمة هذه المصادر تأثيرا في شعره... وقد ظهر ذلك جليا واضحا في بنية قصائده لغة وتصويرا وموسيقى... فقد حفظ القرآن كله واستظهره عن ظهر قلب قبل أن يسافر إلى (تونس)... أي قبل أن يبلغ من العمر أربع عشرة سنة»⁽⁷⁾.

إن هذا التأثير لجدير بالدراسة والتمييز بين الأثر الصادر من (النص القرآني) والأثر الإضافي الصادر من المنهج التعليمي الذي تختلف فيه المدارس والأنماط التعليمية. و(محاضرة الشيخ باسعيد وعلي) بغرداية نموذج يجمع بين المنهج التقليدي والعصري، فما دورها في ذلك؟.

ثالثاً: دور (المحاضرة) في خدمة (القرآن الكريم): يعود أصل نشأة (محاضرة الشيخ باسعيد وعلي) إلى عهد الشيخ الذي سميت باسمه "سعيد بن علي" الذي عاش في القرن (11) الهجري، حفيد الشيخ عمي سعيد الجربي. وهي مدرسة خيرية عريقة تشبه (الكتاتيب)، تختص بتحفيظ القرآن الكريم للطلبة والفتيان، وهي واحدة من المحاضر التي كانت منتشرة في كل قرى (وادي مزاب) فاندثرت. شهد نشاطها تراجعاً في أواسط القرن الماضي مع إلزامية التعليم الرسمي، لكن منذ الثمانينات ومطلع التسعينات حظيت بمزيد من التأطير والتطوير والتوسع في برامجها، حيث تبلورت أهدافها والمتمثلة في تخريج طلبة متميزين بحفظ كتاب الله ﷻ، وتجويده، مؤهلين للإمامة وعماراً مجالس التلاوة، مجتهدين في فهم القرآن والتخلق به والعمل بمقتضى آياته. وشعارها: حفظ * تجويد * فهم.

تفتح (المحاضرة) أبوابها لكل مسلم بلغ الأولى متوسطة، تنفرع برامجها إلى قسمين:

■ قسم (التحفيظ): ويركز على التحفيظ، وحلقات التجويد، والبرامج الإيمانية.

■ وقسم (المستظهرين): يشتمل على: حلقة الاستظهار الترتيلي، والإجازة

والمقامات. كذا حلقات المتون العلمية.

أما عن جانب منهجية التعليم التي تنهجها (المحاضرة) فقد اخترنا عرضها كمعلومات وإحصاءات دقيقة مع تشفيحها بالدراسة والتحليل وبيان دورها في خدمة (القرآن الكريم) و(اللغة العربية) كمهارة يكتسبها المتعلم.

منهج التلقين بالإسماع والترديد: في المرحلة الأساسية والمتمثلة في حفظ (القرآن

الكريم) تقوم تعليمية (المحاضرة) القرآنية على منهج "التلقين بالإسماع والترديد"، بأن يجلس الطالب وجوباً في حلقة (التلقين) أمام أستاذ حافظ للقرآن متقن لتلاوته ليلقنه بلسانه القرآن ملفوظاً مسموعاً آية بآية، فيُسمعه الأستاذ آية، فيردها الطالب مقلاً شيخه تلاوة منقنة، ويحرص الشيخ على التزام الطالب بالتلفظ السليم، ويصحح له إذا ما أخطأ، ثم يكتبها على لوحه ويستفيد من هذا المنهج في كل موسم أزيد من أربع مائة

(400) طالب، في اثني عشر (12) فرعاً تتوزع في أحياء (غرداية) وبعض مدن الشمال.

وهكذا كان يتلقى الصحابة رضي الله عنهم م القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة، وحثاً منه صلى الله عليه وسلم على طريقة التلقي والسماع والمشافهة فقد قال: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب**»⁽⁸⁾. فالتلقين مسلك أصيل ضمن مسالك عناية العلماء بالقرآن الكريم منذ نزوله، إذ جعلوا للحفظ ضوابط تصون (كلام الله) وتحفظه من التحريف والتصحيف، فلا يقبل تلقي القرآن من المصحف مباشرة والاستغناء عن السماع والمشافهة⁽⁹⁾.

منهج (الكتابة في اللوح) وحفظ الرسم القرآني: في (المحضرة) يكتب الطالب قسطه (مقداره: ثمن) في لوحه إملاء، ويمنع فعل ذلك نقلاً من المصحف، فعملية "الكتابة على اللوح"⁽¹⁰⁾ مقترنة بعملية "التلقين" وينقيد الطالب في عملية الكتابة بضوابط (الرسم العثماني) قدر جهده⁽¹¹⁾، وبعد إنهاء عملية التلقين يلجأ إلى المصحف لمراجعة مكتوبه والتأكد من سلامته من أي خطأ أو فوارق، ثم يعرض لوحه على معلم ضابط للرسم القرآني ليراجعه، ولن يسمح للطالب بالاستظهار إلا بوجود علامة تؤكد مروره على المصحح.

ومثل هذا الاهتمام للمسلمين بضبط الرسم (القرآني) هو ما حصّن النص وحفظه بطريقة قد تتجاوز الواجب إلى الاحتياط والمبالغة المحمودة. فالرسم القرآني كان أول وعاء حفظ (النص القرآني) أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصدور، ومسألة حفظ (القرآن) قائمة على مرسومه وملفوظه، فكان الانقياد للمرسوم المتواتر في كتابة (المصحف العثماني) لا يقل أهمية عن الانقياد للملفوظ المتواتر عن القراء في الحفاظ على الروايات⁽¹²⁾.

الحفظ والاستظهار والمستظهرون: قدمت (المحضرة) في سبيل القرآن أكثر من مائتي (200) مستظهراً لكتاب الله خلال عشرين سنة الأخيرة، بمعدل (12) مستظهراً سنوياً، وجلهم في دائرة خدمة القرآن الكريم وعلومه؛ تعليماً، إمامة، بحثاً... وذلك

بفضل مبدأ "الجودة قبل الكمية" في التكوين... فإن نظام الاستظهار في (المحضرة) دقيق جدا في حفظ الجديد والحفاظ على القديم، فالطالب لا يكفيه استظهار القسط (الثنى) الجديد فقط، بل يرفقه باستظهار كل الأقسام الثلاثة السابقة للجديد بدون خطأ. وإذا كان الطالب خاتما⁽¹³⁾ فإنه يلتزم بحصة أسبوعية يستظهر فيها (أحزابا) من رصيده السابق حتى لا ينساه ولا يسمح له إلا بخطأ واحد في الحزب الواحد. وهذا سر من أسرار رسوخ الحفظ وطول بقائه في الذاكرة بعد استظهار القرآن الكريم كاملا (السلكة).

وإن حفظ (القرآن الكريم) من علامات الاهتمام بشعائر الله ﷻ، وأول نص يشير إلى هذا الاهتمام هو قول الله ﷻ للرسول ﷺ لما بلغ به الحرص على حفظ ما ينزل عليه: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه﴾ [القيامة، 16، 17] ومع ذلك وعى (النص القرآني) فكان ﷻ يعرض حفظه على (جبريل) مرة كل عام وكان مهتما بحفظ كتاب الله وقرآنه، يمتدحهم ويحفزهم ويقدمهم في الصلوات⁽¹⁴⁾.

تكوينات تكميلية في التكوين القرآني؛ تجويدا وفهما: استكمالا لمسيرة خدمة (القرآن الكريم) وإتماما لمقتضيات (الحفظ) فإن (المحضرة) تصقل تكوين الطالب ببرامج إضافية ليظهر (القرآن) أثرا في شخصية الطالب؛ علما وسلوكا، وأهم هذه التكوينات:

■ **التجويد والترتيل:** يُهيكل الطلبة في نظام تدريجي في مهارة التجويد والترتيل؛ حلقات تعليمية للمبتدئين، الاستظهار ترتيلا، الإجازة في ورش.

■ **الحلقات الإيمانية:** حتى لا يكون (القرآن) مجرد حروف، تجتهد (المحضرة) في تركية الطلبة بحلقات في الأخلاق والرقائق، وفي المفاهيم الإيمانية والعقيدة الصحيحة وبرامج تركوية من مجالس تلاوة وتهجد بقيام بعض الليالي... حتى ينشأوا أفرادا صالحين لمجتمعهم ووطنهم.

■ **التكوين في الإمامة:** تنظم (المحضرة) في كل شهر (رمضان) تكوينا للمستظهرين الجدد في (إمامة التراويح) أداء وفقها. ثم ينسلكون بعد عام في إمامة المساجد المحلية والوطنية، وعادة ما يبلغ عددهم 40 إماما. إضافة إلى حلقة تكوينية في (المقامات وتحسين الأداء).

■ **حلقات المتون العلمية:** يحتاج الحافظ في فهم (القرآن) إلى علوم وأدوات توفرها (المحضرة) لكل مستظهر، وهي حلقات علمية تعتمد على (متون) مقرررة هي: متن (أنوار العقول) في العقيدة، و متن (ملحة الإعراب) في اللغة العربية، و متن (الدرر اللوامع) في القراءات، تعتمد على حلقة لشرح المتن، ثم تلخيصه، ثم حفظه كاملا بإتقان.

منهج (المحضرة) وخدمة الملكة اللغوية العربية: تتعدد وسائل ومصادر اكتساب (اللغة)، وتعد (البيئة الفصيحة) للفرد أهم تلك الوسائل، وفي ظل غياب هذه الوسيلة في عصرنا الحاضر فإن حفظ الكلام البليغ والاستماع إليه وقراءته أفضل الوسائل المتاحة اليوم.

إن اللغة مجموعة (مهارات)، والمهارة هي: «الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والجهد المبذول»⁽¹⁵⁾، والمهارات اللغوية هي: «أداء لغوي يتميز بالسرعة والدقة والكفاءة والفهم، ومراعاة القواعد اللغوية المنطوقة والمكتوبة»⁽¹⁶⁾. وامتلاك أي مهارة يقوم على أسس أهمها:

1. الممارسة والتكرار حتى يتحول الفعل إلى (ملكة)؛
2. فهم العلاقات، كي لا تكون المهارة آلية تعجز عن مواجهة مواقف جديدة؛
3. مشاهدة من يتقن المهارة لأن للنموذج والقوة دورا في المحاكاة والتقليد؛
4. تبصير المتعلمين بأخطائهم وبنقاط القوة والضعف، وتدريبهم على المقارنة الذاتية بالنموذج؛
5. التدرج في اكتساب المهارات بدءا بالأيسر والأصل والأولى بالحاجة...؛
6. التحفيز وتعزيز الأداء والإشعار بالنجاح.. لمواصلة التعلم⁽¹⁷⁾.

فما هي جوانب التجسد لهذه الأسس في مجال (حفظ القرآن الكريم) عامة، وفي المنهج التعليمي الخاص بمحضرة الشيخ باسعيد وعلي؟
اعتمادا على المنهج التحليلي الإسقاطي، يمكن استخلاص منهج (المحضرة) وأثره الخاص في إكساب الملكات اللغوية المختلفة:

أسلوب (الانغماس اللغوي) الجزئي:

إن أهم ما يُرجى في عملية "تعلم اللغة" هو كيفية تقليل المدة الزمنية لاكتسابها ويعتبر أسلوب (الانغماس اللغوي) (Linguistic Immersion) هو الأفضل من حيث قصر الوقت وقلة التكاليف، وهو «استخدام اللغة المستهدفة -عادة ما تكون أجنبية- بطريقة وظيفية، فتكون هي وسيلة التعليم والتواصل، دون اللجوء إلى لغة وسيطة»⁽¹⁸⁾.

و(الانغماس اللغوي) مفهوم عصري في تعليمية اللغات، لكنه أسلوب عملي وظفه (العرب) قديما مع صبيانهم في سنّ التلقي اللغوي (2-5 سنوات)⁽¹⁹⁾، إذ يرسلونهم إلى البوادي البعيدة عن المدن المحتكّة بالأعاجم، فيكتسبون اللغة نقيّة وينطقونها سليقة⁽²⁰⁾ فاللغة عند هؤلاء العرب في حقيقتها (اكتساب) بأرقى أسلوب هو (الانغماس الكلي) في اللغة الواحدة.

ورغم أن وضعية (المحضرة) لا تستخدم هذا الأسلوب على الوجه الذي يدل تعريفه، فهي لا تقوم على توظيف اللغة توظيفا تواليا أو تعليميا، ولا على (الانغماس الكلي) ، لكنها تحقق جزءا من آليات الانغماس، فجلوس طلبة المحضرة مع (النص القرآني) تلاوةً وتلقينا وكتابةً وحفظا ومراجعة، يوميا لأكثر من ساعة في حصص الشتاء، ولأكثر من اثني عشر (12) ساعة يوميا في الدورات الصيفية، هو انغماس يُعزّز بعض المهارات اللغوية كالاستماع والكلام والقراءة والكتابة، وحتى تنمية الجانب الثقافي الذوقي.

مهارة (الاستماع) ونظام (التلقين): يقوم نظام "التلقين" في (المحضرة) على (الاستماع) لهدف التلقي الصحيح للمفوض. وقد قال "ابن خلدون": «السمع أبو الملكات اللسانية»⁽²¹⁾، ويعتبر "الاستماع إلى الكلام العربي الفصيح من متكلم فصيح" أقوى روافد "السلامة الصوتية" لدى المتعلم، والقرآن الكريم أفصح الكلام، خاصة حين يتفاه الطالب عن مجوّد متقن محسن للقراءة، و(التجويد) كما يعرفه أهم العلم: «هو إعطاء الحرف حقه ومستحقه، وأهم مسألة في التجويد هي: إخراج الحرف من مخرجه الصحيح»⁽²²⁾.

ويعدّ حسن الاستماع مهارة لغوية، وهي الوسيلة الأولى لتعلم اللغة، وقد تبدو أنها عملية استقبال بسيطة، لكنها -علمياً- تحتوي على جهد ذهني مركب، يعتمد على استقبال الرمز الصوتي المنطوق، ثم تحويله إلى معان مفهومة، وهي عملية تحتاج إلى متابعة المتكلم بصراً و عقلاً، والاندماج معه للفهم والاحتفاظ والاسترجاع وإجراء عمليات الربط بين الأفكار المتجاورة⁽²³⁾، ولأهمية مهارة الاستماع في التأثير والانتفاع بما يقال فقد جعلها الله ﷻ سبباً للرحمة فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف 204]. وتلقين القرآن الكريم يحفّز مهارات عدة تنفّرع من مهارة (حسن الاستماع)، ومنها:

- 1) مهارة التذكر والاحتفاظ بالمعلومة وعدم النسيان، إذ يقوى عمل الذاكرة؛
- 2) استنتاج المعاني بالسياق، فالتناسق بين معاني القرآن يبرزها بسياقاتها؛
- 3) مهارة التذوق الجمالي والشعور بخصوصية الخطاب القرآني وتميزه⁽²⁴⁾.

كفاءة (الكتابة) ونظام (اللوح والرسم العثماني):

يُمر الطالب في (المحضرة) مع كل قسط جديد على عملية (الكتابة باللوح) إملاءً وتحويلاً لما يسمع، لا نقلاً من المصحف ونسخاً لما يرى. ولا يتقيد في ذلك بقواعد اللغة العربية فحسب، بل يلتزم إضافة إلى ذلك بقواعد الرسم العثماني وما تختص به من إشارات إلى كيفية النطق وقواعد الرواية وأحكام التجويد، إضافة إلى العمل المنتظم

والخط الواضح المقبول، ثم يندمج في عملية تدقيق وتصحيح لكتابته من خلال معاينتها أمام المصحف.

وتعتبر (الكتابة) مفهوما لغويا واسعا وجهدا فكريا مركبا، فهي مجموعة من العمليات الذهنية التي تمكن الطالب من تحويل الصور الذهنية المجردة إلى رموز خطية في صور من صور التعبير الكتابي المتمثلة في موضوعات مقدمة للطالب. فهي كالمخبر الذي يتفاعل فيه كل ما لدى الفرد من خبرات لغوية ومعارف ومهارات عقلية وأدائية وفنية مكتسبة، وهي مجموعة عمليات ذهنية أدائية، متزامنة، تتسم بالصعوبة والتعقيد، من خلال تحويل الأفكار والمعاني إلى رموز خطية مؤثرة، وهو ما يتطلب التنسيق بين أكثر من جهاز؛ بين القدرة على التحكم في عضلات اليد، وبين التوافق الحركي والعصبي العضلي لحركة أصابع اليد مع حركة العينين. وهذه تتطلب مستوى من النضج العصبي والعضلي وتدريب على الحركة السليمة في الاتجاه السليم وفي تتابع محدد، إذ إن التوافق البصري مع حركة اليد على الورق يعتبر من ضرورات الكتابة⁽²⁵⁾.

أما (مراجعة المکتوب) فتمكن المتعلم من إعادة النظر والتفكير فيما كتب كتمارسه لشكل من التقويم الذاتي فيما يتعلق بالمادة المكتوبة، فالمراجعة هي إعادة قراءة النص قراءة متأنية، والبحث عن مواطن الضعف وتدعيمها، وإجراء التعديلات اللازمة لإخراج الصورة المثلى للعمل⁽²⁶⁾.

(حفظ القرآن) وجودة (الرصيد المعجمي): يقوم صلب التعليم في (المحضرة) على نشاط (الحفظ)، فالطالب المبتدئ يلتزم باستظهار أربعة (أثمان) في كل جلسة استظهار، وقد يعيد الاستظهار بمجرد خطأ واحد، بذاسيمتلك رصيذا متقنا وكبيرا من (المحفوظ).

ويعد دور (الحفظ) في حصول الملكة اللغوية أقوى من (القراءة) و(الاستماع) يقول (ابن خلدون): «حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبيهم، فينسخ هو عليه ويتنزل

بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم»⁽²⁷⁾. وإن (الثروة اللغوية) تساعد المرء على فهم كثير مما يقرأ أو يسمع، مما يحفزّه إلى سرعة القراءة وإلى الحديث بطلاقة، كما تساعده على الحديث عن المعنى الواحد بطرق مختلفة كما تمنحه الثروة اللغوية قدرة فائقة على التفكير، وعلى التعبير عما في النفس من مشاعر وأحاسيس ورؤى وأفكار باللفظ المناسب له⁽²⁸⁾.

ولا يكفي (الحفظ) عند العلماء إذا لم يكن المحفوظ من أرقى وأحسن وأجود القول العربي، فيقول: «وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرتة من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ... فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة؛ لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتتمو قوى الملكة بتغذيتها»⁽²⁹⁾ و(القرآن الكريم) يعلو مراتب الكلام العربي بلاغة وثناء، أما عن بلاغته فقد أنزل بلسان عربي مبين في منواله، بل وتضمن خصوصية الاختلاف الناتج عن المقصد الإعجازي والتحدي، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، وأما عن ثرائه فقد عد قوم ألفاظ (القرآن الكريم) فبلغت أكثر من سبع وسبعين ألف لفظة من أنقى المعجم العربي كما قال (الراغب الأصفهاني): «ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزُبدته، وواسطته وكرامته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حدّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة»⁽³⁰⁾.

وللإضافة؛ فإن الطالب في (المحضرة) إذا كان خاتماً -وحفاظاً على رصيده- يلتزم باستظهار أسبوعي لمجموعة أحزاب قد تبلغ أربعة (04) في حصص الشتاء وقد تتجاوز الأربعين (40) حزبا في دورات الصيف، إلى أن يبلغ محطة استظهار القرآن في جلسة واحدة. وهذا الأسلوب المكثف يحقق أساسا من أسس اكتساب

(المهارة اللغوية) التي ذكرناها وهو (الممارسة والتكرار)، ويؤكد (ابن خلدون) على أن (اللغة) ملكة والملكة تكتسب بالتكرار، فيقول: «اعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان؛ للعبارة عن المعاني...، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تكرر فتكون حالاً - ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة - ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أي صفة راسخة»⁽³¹⁾.

(حلقات التجويد) و(ملكة الفصاحة): إن (الفصاحة) من أرقى الملكات اللغوية فبالفصاحة يتضح القول، ويحسن فهمه، ويتحقق التأثير في المتلقي؛ لما لها من الأثر في إيصال اللفظ واضحاً مفهوماً، خاصة إذا كان نطق الحرف أو الكلمة مراعى فيهما مناسبة المعنى⁽³²⁾. ولقد كانت البرامج المكثفة لحلقات (التجويد والتلاوة) في المحاضرة مظهراً بارزاً لتوفر أساسين في اكتساب المهارات اللغوية؛ أولهما (التكرار والممارسة)، وثانيهما (النمذجة بالقوة) مع أسانذة التجويد، حيث يُهيكل كل الطلبة المقبلين على ختم القرآن في حلقات سداسية للتكوين في مبادئ (التجويد) على أربعة مستويات، يتضمن كل مستوى (20) حصة، ومجموعها (80) حصة، وعادة ما يكون عددهم سنوياً مئة وخمسون (150) طالباً، يوزعون على ما يزيد على (25) حلقة يكون فيها التطبيق أساساً.

وتعميقاً لملكة (التجويد) تنظم للمستظهرين حلقة في (الاستظهار ترتيلاً) حيث يتناوبون على استظهار القرآن حفظاً وترتيلاً على يد أستاذ (مجاز)، وكل متفوق في هذه الحلقة يرشح لنيل (الإجازة في ورش). وهؤلاء الخريجون أظهروا في محارِب الإمامة والدروس مستوى رفيعاً في ملكة الفصاحة والقدرة على التعبير لما اكتسبوه من سلامة صوتية وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة.

والدراسات الميدانية التدرجية تثبت هذا التأثير الملحوظ لدى متعلمي (القرآن) من غيرهم، فمهارة الإتيان الصوتي القائمة على إخراج الحروف من مخارجها وسلامة

نطقها وفق صفاتها تتجلى أكثر عند الذين يتلقون القرآن من أهله ويتقنونه تجويدا وترتيلا⁽³³⁾.

حلقة اللغة (ملحة الإعراب) والفهم اللغوي: إن تعلم القرآن الكريم قراءة وحفظا ليؤثر تأثيرا كبيرا على استقامة اللسان ولو من غير وعي نظري بقواعد اللغة لدى المتعلم، فمتعلم القرآن يكتسب رصيذا من الضبط بصفة تلقائية بفضل احتكاكه بآيات القرآن، ويظهر تميز هذه المكتسبات بجلاء لدى من يحاضر ويخطب⁽³⁴⁾. لكن الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده من غير فهم لقواعد اللغة العربية وعلومها من بلاغة وشعر وآداب نثرية يصنع قارئاً فصيحاً ولا ينتج كاتباً مبدعاً، وقد رأينا أن **(فهم النظام والعلاقات)** من أسس اكتساب المهارة، لأن عدم فهم قواعد اللغة واستعمالها والاكتفاء بالسماح لا يسمح للمتعلم بمواجهة وضعيات مختلفة أو إبداع نص جديد، وهو ما يُلحظ عند معظم الحافظين للقرآن إذ لا يتجاوزون فنون (الخطابة والإرشاد).

ومن باب كون (اللغة العربية) آلة لفهم كلام الله ﷺ فإن (المحضرة) تنظم حلقة أسبوعية لتعليم متن **(ملحة الإعراب) للحريري** فهما وتلخيصاً وحفظاً، لكن الفئة المستفيدة ضيقة جداً من مستظهري القرآن الكريم، وذلك ما جعل قدرات طلبة (المحضرة) لا تتجاوز حدود الفصاحة في القراءة إلى بروز موهوبين في الإبداع الأدبي والكتابة الفنية، وهذا ما انتقد فيه (ابن خلدون) طريقة أهل المغرب في الاكتفاء بتحفيظ القرآن دون غيره، فيقول: «فأما أهل إفريقية والمغرب، فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله... وليس لهم ملكة في غير أساليبه، فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي، وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام»⁽³⁵⁾.

خاتمة وخلاصة: في نهاية هذه الورقة التي لم تسمح باستقراء كل الجوانب المبرزة لدور منهج (محاضرة الشيخ باسعيد وعلي) في خدمة (القرآن الكريم) وإكساب (اللغة العربية) للمتعلمين. ويمكن تلخيص أهم القضايا فيما:

(1) تميز (المجتمع المزاجي) بالرفاه في (اللغة العربية) على المستوى الثقافي رغم انتمائه الأمازيغي، وذلك بفضل روافد هامة، على رأسها (المحاضر) والمدارس القرآنية التي اهتمت باللغة العربية وفنونها مع الناشئة؛

(2) يعتبر (القرآن الكريم) بذاته رافدا قويا في المكتسب اللغوي للمتعلمين، لكن الأدوات المنهجية التي ترافق تعلمها إضافة وإثراء لذلك؛

(3) (محاضرة الشيخ باسعيد وعلي) نموذج ينضاف إلى (الكتاتيب) و(الزوايا) و(المدارس القرآنية) في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية، حيث:

-خرّجت حفظة وأئمة ومعلمين وباحثين أسهموا في صيانة علومه نطقا ورسمًا ودراسة.

-استهدفت بمنهجها التقليدي مهارات لغوية عدة؛ فمهارة الاستماع بالتلقين، ومهارة الخط وضبط الرسم بالكتابة على اللوح، وغنى الرصيد اللغوي بالحفظ والاستظهار والفصاحة بحلقات التجويد. إضافة إلى بعض الآليات التعليمية كالانغماس اللغوي الجزئي، وطول التكرار والممارسة اللغوية.

-إنجاز تحسينات بيداغوجية وتجارب متطورة على المنهج التقليدي؛ نوعية الألواح، المصحف المعتمد، طريقة التقييم، وسائل التحفيز، حققت بها قيما مهمة منها توفير الوقت والجهد، تحبيب التعليم وتيسيره، تنظيم منهجية التعليم، دقة الاختبارات والتدرجات والإجازات.

-إضافة تكوينات أساسية لاستكمال التكوين (القرآني) كحلقات التجويد والإجازة في الروايات والحلقات العلمية في العقيدة واللغة والقراءات، والتكوين في المقامات وتنظيم المخيمات والدورات الصيفية...

4) توصيات:

- لترسيخ تأثير منهج (المحضرة) في ملكات الطالب اللغوية، نوصي بـ: اتخاذ (التلقين) محطة لجودة السماع وتقديم القدوة في النطق، الاعتماد على إسماع الطالب (قراءة موجهة) أثناء تصحيح اللوح، ومن باب أولى التزام الفصاحة أثناء الاستظهار للألواح والأحزاب.

-تسخير الإمكانيات المادية والمعنوية لمواصلة الجهود الدراسية لمنظومة التعليم القرآني التقليدي، قصد تقييمه تقييما علميا دقيقا، وإدخال تطويرات وتحسينات بما يخدم رسالته، وبحث سبل نشره ودعمه في الواقع التربوي.

ونرجو في نهاية هذا العمل الجديد أننا قد وفقنا

في إثراء جهود الملتقى وإفادة القراء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهوامش:

- 1 - ينظر: مراد هوفمان، الطريق إلى مكة، دار الشروق، مصر، ط 01، 1898م، ص 33. وهو مفكر ودبلوماسي ألماني، أسلم عام 1980م، وله مذكرات ومؤلفات حول (الإسلام).
- 2 - ينظر: مجلة مدار الآداب، جامعة مالايا، ماليزيا، ع 01، «مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم»، أشرف زيدان، ص 18 وما بعدها.
- 3 - ينظر: يوسف العليوي، أثر تعلم القرآن الكريم في اكتساب الملكات اللسانية، الملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية، منطقة الرياض 1427هـ— ص 14.
- 4 - كان ذلك في ابتدائية (العقيد لطفي)، والمعلم هو المربي الفاضل (تاوتي خليل)، موسم 94-1995م، وإتقان الطالب للهجتين ناتج عن مسكنه بحي مختلط؛ مزاب وعرب.
- 5 - لا يزال تاريخ (المحاضر) بوادي مزاب شفويا أو نتفا مبنوثة في دراسات هامشية، وهو بحاجة إلى كتابة وتحقيق منهجي. ومصدر الباحث في هذا: لقاء أجراه شخصيا مع الشيخ "حمو شقيب" (و: 1928م) الذي لا يزال حيا وشاهدا على القرن، ولقاءات أخرى مع آخرين. واللقاءات مصورة موثقة تعود إلى سنوات 2013-2014م.
- 6 - ينظر: محمد صالح ناصر، مشائخي كما عرفتهم، دار ناصر، الجزائر، 2008م، ص 22، 59، 385. و: الشعر الجزائري الحديث، ج 2، وزارة الثقافة، عالم المعرفة، 2013م كتاب مفدي زكرياء ص 08، كتاب رمضان حمود، ص 16، 17.
- 7 - ينظر: محمد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ج 2، ص 107.
- 8 - أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، حديث 4999 (المكتبة الشاملة) الإلكترونية.
- 9 - مسلمي عبد الله، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللغوية، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، دت، ص 4.
- 10 - من التحسينات البيداغوجية في منهج (المحضرة) اللجوء إلى استعمال اللوح المطليّ بطلاء عصري دائم، بدل طلاء اللوح بالطين المبلل وانتظاره كل مرة، وهذا توفير للوقت وتحكّم في جودة اللوح، وتقادٍ لانتقال آثار الطين إلى اللباس والقضاء الدراسي.
- 11 - من التحسينات البيداغوجية اعتماد (المحضرة) على مصحف موحد في الرسم، وهو نسخة الخطاط (د. مصطفى شرفي) المعتمّدة، لما تتميز به من الضبط ومسايرة الكتابة العربية الحديثة

- في التتقيط والتشكيل. فنظرا لغرابة قواعد الرسم القديمة التي كانت في مصحف (رودوسي) تم التخلي عن هذا الأخير وكان هو المعتمد الموروث.
- 12 - النواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقهاء الإسلاميين، دار الوعي، الجزائر، 2005م، ص 136، 192.
- 13 - مصطلح (خاتم) و(مستظهر): ينطلق الطالب في حفظ القرآن ابتداء من سورة (الناس) فإذا بلغ سورة (البقرة) يعتبر خاتما، وبعد الختم يكرر حفظه بالألواح ابتداء من سورة (البقرة) فإذا بلغ سورة (الناس) يستظهر القرآن الكريم في جلسة واحدة فيعتبر (مستظهرا).
- 14 - ينظر: مسلمي عبد الله، ص 3.
- 15 - محمود أحمد، اللغة تدريسا واكتسابا، ص 83، نقلا عن: مسلمي عبد الله، ص 4.
- 16 - مسلمي عبد الله، ص 7.
- 17 - ينظر: المرجع نفسه، ص 08.
- 18 - ينظر: أبو الروس عادل منير، دور الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية، ماليزيا 2014، ص 270.
- 19 - ينظر: أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، 1996، ص 43.
- 20 - ينظر: يحيى علاّق، أهمية السماع في اكتساب اللغة وفي تعلمها قبل التمدرس، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2011م، ص 20، 21.
- 21 - ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله الدرويش، دار البلخي، دمشق ط 1 2004م، ج 2، ص 368.
- 22 - ينظر: يوسف العليوي، ص 23.
- 23 - ينظر: مسلمي عبد الله، ص 10.
- 24 - ينظر: المرجع السابق، ص 10-12.
- 25 - ينظر: إبراهيم علي ربابعة، مهارة الكتابة ونماذج تعليمها، موقع الألوكة، ص 07.
- 26 - ينظر: المرجع نفسه، ص 13.
- 27 - ابن خلدون، ج 2، ص 386.
- 28 - ينظر: يوسف العليوي، ص 15.
- 29 - ابن خلدون، ج 2، ص 406.
- 30 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، د ط، ص 55.

- 31 - ابن خلدون، ج 2، ص: 378.
32 - ينظر: يوسف العليوي، ص 22.
33 - ينظر: مسلمي عبد الله، ص 13.
34 - ينظر: مسلمي عبد الله، ص 14.
35 - ابن خلدون، ج 2، ص: 533.

المدارس القرآنية ودور الحضانة من وجهة نظر الأولياء —دراسة مقارنة—

د. سعاد عباسي

م. ب. ع. وت. ت. ل. العربية، وحدة البحث تلمسان

ملخص: تكتسي مرحلة التربية التحضيرية أهمية بارزة في تكوين شخصية الطفل وتنشئته تنشئة اجتماعية سليمة، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية وغير العربية على وعي تام بأهمية هذه المرحلة التحضيرية في تنمية قدرات الطفل المعرفية والوجدانية والعقلية ليتمكن من التفاعل والتواصل مع أقرانه ومحيطه، وذلك عن طريق فضاءات متعددة اختلفت طرقها وأساليبها وأهدافها باختلاف كل فضاء. ومن هذه الفضاءات المؤسسات الحكومية التي تمثلها المساجد وبعض المدارس القرآنية والكتاتيب المهتمة بفئة الأطفال دون سنّ التّمدرس وتستقطب اهتمام الأولياء. وفضاء ثان تابع للمؤسسات الخاصة مثلته دور الحضانة بما تتيحه من مناهج معاصرة لرعاية الأطفال دون سنّ التّمدرس وإعدادهم للمدرسة.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الورقة البحثية لتقف بالدراسة على دور كل من المدرسة القرآنية ومناهجها التعليمية التربوية والدينية في إعداد الطفل من الناحية المعرفية واللغوية والدينية والاجتماعية وما تحمله من مبادئ الأصالة التي تسعى إلى غرسها في نفوس الناشئة، ودور دار الحضانة ورياض الأطفال بما تنتهجه من مناهج تعليمية تربوية وترفيهية معاصرة في بناء شخصية الطفل. وهذا طبعا من خلال دراسة ميدانية مقارنة تستهدف مدرسة قرآنية ودار حضانة بمدينة تلمسان، والوقوف على اتجاهات الأولياء لاحتواء المدرسة القرآنية وأصالتها أو مسابرة دار الحضانة. فهل حققت كل من المدرسة القرآنية ورياض الأطفال الأهداف والأبعاد المرجوة منها كفضاء تحضيرية تعليمية مرسّخ للقيم والمبادئ التي يصبو الأولياء إلى تحقيقها؟

الكلمات المفتاحية: المدرسة القرآنية، دار الحضانة، روضة الأطفال، فضاء تحضير ي.

تمهيد: يعدّ التعليم التحضيري أحد المعطيات التربوية الجديدة التي أفرتها التربية الحديثة لتنشئة الأطفال اجتماعيا وتربويا. وأصبحت السياسات التربوية تتفق مع الفلسفات الاجتماعية والسياسية في كون مرحلة التعليم ما قبل المدرسي حاجة مصيرية بالنسبة للمجتمعات وعلى هذا الأساس تبنّت معظم دول العالم هذا التعليم وجعلت منه مرحلة تعليمية نظامية رسمية.

إنّ الاهتمام بالطفل هو اهتمام بالحاضر والمستقبل معا، فالطفل هو الباني والمخترع والمنتج في المستقبل، وانطلاقا من أهمية مرحلة الطفولة المبكرة في تكوين شخصية الطفل مستقبلا، فإنه يتبين لنا أهمية إنشاء المؤسسات التي تعنى بهذه المرحلة الحساسة.

1- تحديد المفاهيم الأساسية:

1-1. **التعليم التحضيري:** تعرّفه منظومة التربية الوطنية: "على أنه التربية التي تسبق التّمدّس الإلزامي على مختلف مستويات التّكفل الاجتماعي، والتربوي للأطفال الذين يتراوح سنهم بين 3 سنوات و6 سنوات"¹، وهناك تسميات متعددة تشير إلى التعليم التحضيري منها التربية التحضيرية، والتعليم ما قبل الإلزامي والتعليم ما قبل المدرسي وغيرها من التسميات التي يقصد بها ما يتلقاه الطفل من تربية وتعليم بين الثالثة والسادسة من العمر تمهيدا للدخول إلى المدرسة، وذلك عن طريق مؤسسات كالحضانة والروضة والمساجد.

1-2. **المدرسة القرآنية في الجزائر:** "هي مؤسسة تعليمية دينية تحت وصاية الوزير المكلف بالشؤون الدينية والأوقاف، تنشأ المدارس القرآنية بقرار من الوزير المكلف بالشؤون الدينية والأوقاف، ومنه فتح المدارس القرآنية للبنين والبنات الراغبين في حفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف (المادة 2-3-6 من المرسوم التنفيذي رقم 82، المؤرخ في 10 رجب 1413هـ الموافق ل 14 ديسمبر

1994م)، محددا إنشاء لقوانين المدارس القرآنية وتنظيمها وسيرها²، وتكون ملحقة بالمسجد أو مستقلة عنه، وهدفها تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف. ويهدف التعليم بالمدرسة القرآنية إلى ما يلي³:

◀ يساعد التعليم بالقرآن على القراءة الجيدة وحسن الحوار الذي ينمي قيم التواصل مع الغير؛

◀ تدبّر معاني القرآن الكريم والتعرّف على أحكامه للاستعداد للفهم والتطبيق وبذلك يكتسب الطفل القيم الايجابية التي تجعله عضوا فاعلا في المجتمع؛

◀ تحفيظ القرآن الكريم للنأشئة حتى تستقيم ألسنتهم وتجد عباراتهم بعبارات مستقاة من القرآن وألفاظه؛

◀ تعزيز سلوكات الأطفال بما يتمشى وتعاليم الدين الحنيف لبناء مجتمع سليم متكاسك؛

◀ تقديم نماذج طيبة للسيرة النبوية للاقتداء بها؛

◀ تزويد النأشئة برصيد لغوي ثري، وتدريبهم على القراءة الصحيحة السليمة من الأخطاء، والكتابة بخط مقروء جميل؛

➤ تنمية ثقافتهم الدينية وتدريبهم على التواصل الشفهي، من خلال القصص والمعاني الدينية التي جاء بها القرآن الكريم، لأنها ليست مجرد آيات اعتبارية، إنّما هي صورة حيّة تمرّ بخيال القارئ، فينمو خياله الخصب.

1-3. دار الحضانة وروضة الأطفال: تعدّ دور الحضانة ورياض الأطفال " من

أهمّ المؤسسات المساعدة في تنمية لغة الطفل بعد الأسرة حيث تستقبل الأطفال عادة من سنتين إلى ست سنوات بالنسبة لمدارس الحضانة، ومن سنتين إلى خمس سنوات بالنسبة لرياض الأطفال⁴. ويعدّ "دورها مكمل لدور الأسرة، حيث تهتمّ بقدر كبير بتنمية قدراته وشخصياتهم من جميع الجوانب النفسية، الجسمية، الخلقية، الانفعالية الاجتماعية والروحية، وذلك عن طريق ما تقدّمه من أنشطة مناسبة لعمر الطفل وهذا يهدف إلى تحضيره وإعداده للحياة الاجتماعية بصفة عامّة والحياة المدرسية بصفة

خاصة⁵. ويتولّى العمل في دور الحضانة ورياض الأطفال مربيّات مؤهّلات للاهتمام بالطفل واكتشاف قدراته ومواهبه التي تسمح له بالاندماج مع أقرانه.

***محتوى المناهج في روضة الأطفال:** تتعدد أنشطة الروضة التي تعمل على تنمية المهارات اللغوية للأطفال ومفاهيمهم ومهاراتهم الرياضية والعلمية وتنمي قدرتهم على التعبير من خلال اللغة والحركة.

إنّ البرنامج العام والصادر عن وزارة التربية يحتوي على تعليق بعض المبادئ الأولى للمواد التي سيدرسها الطفل في السنوات الأولى من التعليم الأساسي وهي على التوالي: التربية الحسية، التربية اللغوية التي تشمل القراءة والكتابة والتعبير، والتربية الإسلامية، والتربية الرياضية، والتربية الفنية، والألعاب التربوية. ويقدم هذا البرنامج في كلّ روضة بحسب مسؤول الروضة نفسها والمربيّات في تنظيم الدّروس وتقديم الموضوعات وتأخيرها.

2- الدراسة الميدانية:

2-1 هدف الدراسة: إنّ الهدف الرّئيس من وضع الاستبيان هو الوقوف على اتجاهات الأولياء وتفضيلهم للمدرسة القرآنية بما تحتويه من برامج دينية تربوية تحاول بها المحافظة على أصالة المدرسة القرآنية والكتاتيب في شكلها الجديد أو دار الحضانة وروضة الأطفال بما تنتهجه من برامج تربوية ترفيهية تساهم في تحديثها، بعبارة أخرى الوقوف على دوافع الآباء في تعليم أبنائهم في المدرسة القرآنية أو دور الحضانة ورياض الأطفال.

2-2 الإطار الزمني والمكاني للدراسة: انطلقت دراستنا الميدانية في 12 من شهر ديسمبر 2019 إلى غاية 20 من شهر يناير 2020، وتمتّ الدراسة في مدرستين قرآنيتين تحضيريتين هما: مدرسة دار الحديث القرآنية التحضيرية والمدرسة القرآنية التابعة لمسجد حي القلعة العليا بتلمسان وروضة الورود بحي إمامة تلمسان، من خلال مقابلات وملاحظات لنشاط المربيّات والمعلمات مع الأطفال، ليتمّ بعد ذلك توزيع الاستبيان على الأولياء.

*مدرسة دار الحديث القرآنية التحضيرية من أشهر مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بناها الإمام محمد البشير الإبراهيمي بمساعدة أهل تلمسان افتتحها عبد الحميد بن باديس يوم الاثنين 21 رجب 1356 هجرية الموافق لـ: 27 سبتمبر 1937 ميلادية. لعبت دورا تربويا تعليميا ودورا توعويا وطنيا إلى يومنا هذا.

*مدرسة القلعة القرآنية: مدرسة تابعة لمسجد الرحمن الكائنة بحي القلعة العليا هي مدرسة حديثة النشأة تشرف عليها مربيّتان متطوعتان، وتشتمل المدرسة على 50 طفلا، تتراوح أعمارهم ما بين 3 سنوات و5 سنوات، وتعمل المدرسة من الأحد إلى الخميس بنظام الفترة الصباحية فقط، كما تقوم بتحفيظ القرآن الكريم للفتيات المتدرسات في العطل المدرسية وصبيحة كل يوم سبت.

*روضة الأطفال: "روضة الورود" الكائن مقرّها بحي الورود إمامة رقم 29 بلدية منصورّة، هي مركز يستقبل الطفولة الصغيرة البالغين أقل من خمس سنوات، تضمّ 40 مقعدا، تديرها سيدة مؤهلة متخرّجة من مركز التكوين والتّمهين بشهادة مربيّة أطفال، تساعد في الإشراف 5 مربيّات تختلف تخصصّاتهن (2 تخصص علم النفس 2 تخصص مربيّة طفولة، 1 تخصص مربيّة طفولة بالإضافة إلى تخصصّها في الطبخ).

2-3 عيّة الدراسة: الفئة المستهدفة هم أولياء الأطفال بالمدرستين القرآنيّتين ودار الحضانة والمدرسة التحضيرية لدار الحديث، حيث وزّعنا خمسين استبيانا على كل من الفئتين، واستلمنا من مدرسة دار الحديث والمدرسة القرآنية 43 استبيانا فقط، منها 13 استبيانا ملغى وبقي 30 استبيانا قابلا للدراسة، والأمر نفسه بالنسبة لروضة الأطفال الورود، سلّمنا 40 استبيانا، واستلمنا 36 استبيانا فقط، منها 6 ملغاة، وتمّت الدراسة ل30 استبيانا.

2-4 المنهج المتبع: نتناول دراستنا توجهات الأولياء في اختيار طريقة ومكان تعليم أبنائهم، فطبيعة الموضوع فرضت علينا المنهج الوصفي التحليلي المقارن الملائم لمقارنة توجهات الأولياء في دوافع الاختيار ومستوى تفكيرهم.

2-5 أدوات الدراسة:

***المقابلة:** من الأدوات الفاعلة المساعدة في جمع البيانات وتحليلها، وكان لنا لقاء مع مدير مدرسة دار الحديث التحضيرية وبعض من مربيات الطفولة ذوات تخصصات مختلفة، كما كان لنا جلسة مع معلّمتي ومربيّتي المدرسة القرآنية بحي القلعة العليا، أيضاً تقربنا من مسؤولة روضة الورود التي رحّبت بنا وتعاونت معنا أيّما تعاون، ودعمنا كلّ من المسؤولين والمسؤولات ببرامجهم وطرحوا علينا وانشغالاتهم وطموحاتهم.

***الاستبيان:** هو أداة عملية أساسية في جمع البيانات لما توفّره من وقت كاف للفئة المبحوثة للتفكير في الإجابات. وجاء الاستبيان مقسّماً إلى محورين محور للمعلومات الشخصية ويضمّ المستوى التعليمي للأباء والأمهات والوظيفة. أمّا المحور الثاني فطرحنا فيه أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة تعلّقت بالرأي الشخصي واقتراحاتهم.

2-6 عرض البيانات وتحليل النتائج:

2-6.1 مستوى التعلّم بالنسبة لأولياء:

دار الحضانة/الروضة		المدرسة القرآنية		المستوى التعليمي
الأم	الأب	الأم	الأب	
/	/	/	/	ابتدائي
03.33%	13.33%	10%	23.33%	متوسط
13.33%	16.66%	13.33%	33.33%	ثانوي
83.33%	70%	76.66%	43.33%	جامعي

يتبين من الجدول أنّ أغلب الأولياء لهم مستوى تعليمي جامعي حيث أنّ النسبة الكبرى منّاها أولياء دور الحضانة بنسبة 70% للأبَاء وبنسبة 83.33% للأمهات كما أنّ المستوى التعليمي الجامعي لأولياء المدرسة القرآنية شكّل النسبة الأكبر 43.33% للأبَاء و76.66%، ثمّ تليها المستوى التعليمي الثانوي عند الفئتين جاءت

أكبر من المستوى التعليمي المتوسط في حين انعدمت ولم نسجل أي حالة للمستوى التعليمي الابتدائي عند الفئتين.

كما لاحظنا أنّ الأمهات ذوي مستوى تعليمي جامعي نتيجة تدعو للقول إنّ مستوى التعلّم عند الأمهات أعلى منه عند الآباء عند الفئتين، الأمر الذي يمكنّ لهنّ الحصول على مناصب عمل تدفع بهنّ إلى البحث عن الروضة أو الحضانة أو المدرسة القرآنية.

ونستخلص أنّ الفئتين من ذوي مستوى تعليمي عال، وبالتالي فإنّ الوعي بأهمية التعليم التحضيري عند الفئتين كبير جدا.

2-6. 2. سبب إدخال الطفل إلى المدرسة القرآنية/الحضانة

الروضة/ الحضانة	المدرسة القرآنية	
36.66%	10%	الأمّ عاملة
30%	61.33%	التّحضير المدرسي
16.66%	03%	التسليّة والترفيه
16.66%	25.66%	إعطائه ثقافة معيّنة

نلاحظ من خلال معطيات الجدول وإجابات أولياء المدرسة القرآنية أنّ التّحضير المدرسي هو السبب الأوّل لوضع أبنائهم في المدرسة القرآنية وذلك ما تحدّد في نسبة 61.33% خاصة بعد أن قامت بعض المدارس الابتدائية بحذف الأقسام التّحضيرية من مؤسساتها، أمّا أولياء أطفال الروضة فالدافع الأساسي لوضع أبنائهم في الروضة أو الحضانة هو عمل الأمّ بنسبة 36.66% لأنّ في نظرهم دار الحضانة أو الروضة نظام عملها ودوامها يناسب أكثر عمل الأمّ التي تضع طفلها صباحا وتستلمه مساء وهي مرتاحة عليه. على عكس المدرسة القرآنية التي غالبا ما يكون نظام عملها الفترة الصباحية فقط.

أمّا مؤشر إعطاء الطفل ثقافة معيّنة عند أولياء المدرسة القرآنية مثّلت 25.66% من الإجابات، ولا شك أنّ ثقافة المجتمع الجزائري تؤصّل للقيم الأخلاقية والدينية.

وفي المقابل مثّلت إجابات أولياء الروضة 16.66% لمؤشر إعطاء الطفل ثقافة معيّنة وبحكم أنّ بعض رياض الأطفال تركّز على اللغات الأجنبية تحرص فئة من الأولياء على تعليم اللغات الأجنبية لأبنائهم، والنسبة نفسها وجدناها 16.66% لمؤشر التسلية والترفيه عند أولياء أطفال الروضة، ذلك أنّ الطفل في هذه المرحلة العمرية لا يزال محتاجا إلى اللعب والترفيه ولا يمكن أن نحمله عبء التعلّم.

2-6. 3 البرنامج المقدم من قبل المدرسة القرآنية وروضة الأطفال: بحسب

اطلاعنا على بعض البرامج التابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، نجد أنّ توزيع البرامج في عمومها ليس موحداً عند معلّمي المدارس القرآنية لكن يظل متقارباً، ولا يخرج عن الإطار العام الذي حدّته الوزارة الوصيّة، وهو لا يخرج في عمومها عن تحفيظ القرآن الكريم وبعض الأدعية، وتعليم مبادئ الكتابة والقراءة ونطق الحروف بسلامة. ويبقى اجتهاد كلّ معلّم في التقديم على ألا يخرج عن النشاطات المذكورة آنفاً. ويختلف تنفيذ وتطبيق البرنامج من قسم لآخر بحسب فترات عمل المدرسة القرآنية فمن الأقسام التي تعمل الفترة الصباحية فقط، والتي تعمل في الفترتين الصباحية والمسائية. والأمر نفسه بالنسبة لدور الحضنة ورياض الأطفال فقد حدّدت وزارة التربية الوطنية بالاشتراك مع وزارة التضامن والنشاط الاجتماعي برنامجاً تستأنس به المربيات.

وبمقارنة بسيطة لبرنامج المدرسة القرآنية وبرنامج روضة الأطفال، نجد أنّ المدرسة القرآنية تركّز أكثر على تحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي دون أن تهمل بقية النشاطات العلمية والفنية، وهذا ما أكّدته لنا المربية م. من مسجد القلعة العليا فعلى الرّغم من الإمكانيات البسيطة جداً، تحاول المربيات تنفيذ البرنامج بما يتماشى وقدرات الأطفال، مع غياب تام لأبسط الوسائل (الطاولات والكراسي على سبيل التأكيد) فالأطفال يجلسون على الأرض على طريقة الكتاتيب.

على عكس الروضة التي وجدناها مجهزة تجهيزاً حديثاً يتماشى والفلسفة الحديثة التي تلتزم بتطبيق برامج ترفيهية ملائمة لاحتياجات الطفل، ونشاطاتها التربوية تحاول

من خلالها تحضير الطفل للتمدرس بطريقة تركّز فيها على اللعب كوسيلة تربوية هادفة.

2-6-4. رأي الأولياء في البرنامج المقدم من حيث المضمون:

الروضة/ الحضنة	المدرسة القرآنية	
66.66%	80%	جيد
33.33%	20%	مقبول
00%	00%	متوسط
00%	00%	ناقص

نلاحظ أنّ أولياء المدرسة القرآنية يرون أنّ برنامج المدرسة جيّد بنسبة 80%، لما يقدّمه من تعاليم دينية خلقية وأحاديث نبوية، وتعلّمهم الكتابة والحساب، فهي بالنسبة إليهم أقسام تقارب أقسام التّمدّس، وبنسبة 20% يرون البرنامج مقبولاً. أما أولياء أطفال الروضة فالبرنامج جيد بالنسبة إليهم بنسبة 66.66%، لأنّه هو الآخر قريب من البرنامج المدرسي، وبنسبة 33.33% يجدونه مقبولاً.

وكل من الفئتين يجدون البرنامج مقبولاً إلى جيد، خاصة وأنّ الأقسام التحضيرية في المدارس الابتدائية قليلة إن لم نقل منعدمة.

2-6-5. أهمّ المهارات التي تفوق فيها الطفل:

الروضة/ الحضنة	المدرسة القرآنية	
23.33%	23.33%	م. الاستماع
50%	33.33%	م. التحدّث
23.33%	26.66%	م. الكتابة
3.33%	16.66%	م. القراءة

يرى أولياء المدرسة القرآنية أنّ أطفالهم تتّموا لديهم مهارة الاستماع بنسبة 23.33%، ومهارة التحدّث بنسبة 33.33%، ومهارة الكتابة بنسبة 26.66% ومهارة القراءة بنسبة 16.66%. أما أولياء الروضة فتتمو لدى أطفالهم مهارة

الاستماع بنسبة 23.33%، ومهارة التحدث بنسبة 50%، ومهارة الكتابة بنسبة 23.33%، أما القراءة بنسبة 3.33%.

وبالنظر إلى برامج النموذجين نجد أن كلا منهما يركّز على القصص سواء كانت القصص الدينية أم غيرها مما يثري رصيدهم اللغوي فتتمو لديهم مهارة الاستماع وهذا ما يفسّر تساوي النسبة 23.33% في كلا النموذجين، حيث إنّ الطّفل يدخل المدرسة القرآنية والروضة وهو لا يعي المحيط الجديد الذي انتمى إليه فيتدرّب شيئاً فشيئاً على الحياة الجماعية داخلها ويتعلّم الجلوس والانضباط والجلوس والإنصات للمعلّمة أو المربية، وأيضاً حصة الحوار والمحادثة تتّمي لديهم مهارة التحدث والتعبير والتواصل فيزول لديه مشكل الخجل فيعبّر ويتواصل مع معلّمته بكلّ حرّية وطلاقة.

2-6-6. النشاطات التي أثبتت قدراته فيها وتفوق فيها:

الروضة/ الحضّات	المدرسة القرآنية	
16.66%	23.33%	التربية اللغوية
16.66%	40%	التربية الإسلامية
16.66%	3.33%	التربية الرياضية
3.33%	3.33%	المفاهيم العلمية
20%	13.33%	الموسيقى/الرّسم
26.66%	16.66%	الأشغال اليدوية

يبين الجدول أنّ أطفال المدرسة القرآنية يتميّزون في نشاط التربية الإسلامية وهذا يوافق البرنامج الديني الذي بنيت من أجله المدرسة القرآنية، أما الروضة، وبحسب وجهة نظر الأولياء فأطفالهم لم يتميّزوا في نشاطات التربية العلمية والتربية الإسلامية والتربية اللغوية، بل وجدناهم أكثر تميّزاً في الأشغال اليدوية والرّسم والأغاني واستعمال اللغة الفرنسية.

2-6-7. سلوك الطفل:

الروضة/ الحضانة	المدرسة القرآنية	
00%	00%	منعزل
96.66%	86.66%	متجاوب مع الآخرين
3.33%	13.33%	جريء

انطلاقاً من الجدول يتبين أنّ كلا من المدرسة القرآنية والروضة تجعل الطفل متجاوباً مع الآخرين، فهي بذلك قد حققت اندماج الطفل المطلوب مع أقرانه.

2-6-8. إمكانية المدرسة القرآنية/الروضة أن تقوم بمهام الأسرة في التربية

والتنشئة الاجتماعية:

الروضة/ الحضانة	المدرسة القرآنية	
33.33%	40%	نعم
46.66%	46.66%	لا
20%	13.33%	إلى حدّ ما

من خلال المعطيات نلاحظ أنّ أولياء الفئتين أو النموذجين الذين يرفضون إمكانية أن تقوم المدرسة القرآنية أو الروضة بمهام الأسرة في التنشئة الاجتماعية كانت بنفس النسبة 46.66% وحجّتهم أنّ الأسرة هي المحيط الأول والأساسي لتنشئة الطفل، ولا يمكن لأيّ مكان آخر أن يحلّ محله، أما الأولياء الذين يوافقون على إمكانية أن تقوم المدرسة القرآنية بمهام الأسرة فكانوا بنسبة 40%، وحجّتهم أنّ برنامج المدرسة القرآنية الديني الهادف بما يحمله من قيم دينية وأخلاقية يسعى إلى غرسها في نفوس الناشئة يجعل منها أسرة ثانية. وفي المقابل يرى أولياء أطفال الروضة إمكانية أن تقوم المدرسة القرآنية بمهام الأسرة بنسبة 33.33% لما لمسوه في نشاطات الروضة، بحيث يكتسب أبنائهم عادات وسلوكات اجتماعية حميدة كالصدق والإيثار وغيرها من السلوكات الإيجابية، أما أولياء المدرسة القرآنية الذين أجابوا بنسبية إمكانية أن تقوم المدرسة القرآنية بمهام الأسرة فكانت نسبتهم 13.33%، وأولياء

الرّوضة الذين أجابوا بنسبية إمكانية أن تقوم الرّوضة بمهام الأسرة فكانت نسبتهم 20%، وحتهم أنّ دور مربيّات الرّوضة ومعلّّات المدرسة القرآنية هو تكميلي لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، ويلحّون على أن يتمّ تكوين لكلّ من المعلّّات والمربيّات في جميع النواحي.

2-6-9. اقتراحات الأولياء لدعم نشاطات المدرسة القرآنية/الرّوضة:

المدرسة القرآنية	الرّوضة / دار الحضّانة
<ul style="list-style-type: none"> - إدخال الولي كطرف مادي ومعنوي (هذا بالنسبة للمدرسة القرآنية التابعة للمسجد) - القيام برحلات استكشافية ترفيهية (زيارة مصنع، حديقة الحيوانات، الحظيرة الوطنية..). - تكوين المعلّّات. - زيادة ساعات إضافية لأنّ التعليم بالمدرسة القرآنية في الفترة الصباحية فقط، وكذا في بعض أقسام دار الحديث. - إقامة مسابقات من أجل المنافسة. - تحسين هياكلها (المساحة، الألوان، فضاءات الراحة واللعب، الوسائل والوسائط التكنولوجية). - تمج لغة أجنبية. - الأشغال اليدوية 	<ul style="list-style-type: none"> - التركيز على اللغة العربية بدل اللغة الفرنسية. - عدم التركيز على النشاطات الإيقاعية (الرقص والأغاني) - التّركيز على الألعاب التي تتمي مهارات التّفكير. - الاستعانة بالتّجارب الأجنبية لاسيما فيما يخصّ المناهج التعليمية واستراتيجيات التّدرّس وتكيفها بما يتمشى والقيم الإسلامية. - إضافة النشاطات الرياضية المتعدّدة لتمكين الأطفال من تفريغ الطاقة السلبية. - إشراك الآباء في اقتراح وتوسيع نشاطات الرّوضة.

2-6-10. رأي الأولياء في أفضلية المدرسة القرآنية /دار الحضّانة والرّوضة

المدرسة القرآنية	دار الحضّانة/ الرّوضة
100% يفضلون المدرسة القرآنية	46.66% يفضلون المدرسة القرآنية
0% يفضلون الرّوضة	53.33% يفضلون دار الحضّانة ورّوضة الأطفال

نلاحظ من خلال الجدول أنّ أولياء المدرسة القرآنية يفضلون أن يتعلّم أبناءهم في المدرسة القرآنية بنسبة 100% وحبّتهم في ذلك أنّ المدرسة القرآنية مدرسة تربوية تعلمهم قواعد الدين، وتحرص على تعليم السور والأحكام والحروف، وتنشّئهم نشأة دينية تتمشى وقيم المجتمع وترسخ لديهم القيم الدينية والأخلاقية واللغوية والاجتماعية. كما أنّ برنامجها تربوي ثري ومتنوع قريب من برنامج المدرسة، فهي بذلك تحضّر للدخول المدرسي، وتكسبهم عدّة مهارات أهمّها الكتابة والقراءة والتعبير واللغة والحساب. وبعض الأولياء يعتبرونها أكثر أمانا للطفل. وعدم وجود القسم التحضيري في المدرسة الابتدائية في الحي يضطرّهم إلى اللجوء إلى المدرسة القرآنية، إلى جانب أنّ مبلغ الاشتراك لا يتقل كاهل الأسرة.

أما أولياء دار الحضانة ورياض الأطفال، فوجدنا آراءهم متضاربة بين المدرسة والروضة، حيث لاحظنا أنّ نسبة الذين يفضلون المدرسة القرآنية كانت 46.66% وحبّتهم أنّ عمل الأم يلزم الأولياء إلى التوجه إلى الروضة، ولأنّها تتوفر على الوعي والحرص على مقومات الهوية الوطنية، ولأنّ برامجها التربوية أفضل من الحضانة وتغرس القيم الدينية الأخلاقية.

أما نسبة الذين يرون أنّ دار الحضانة أفضل فكانت نسبتهم 53.33%، وذلك لأنهم يجدون برنامجها ثريا، وسلوكات أبنائهم تحسنت عن طريق التعلم باللعب، لأنها تساعد بعض الأولياء على أخذ أبنائهم في أي وقت يناسبهم، كما أنّها لا تقيّد الطفل مثل المدرسة، وتضمن له وقتا أكبر للعب والمرح. ممّا يساعد على اندماج أطفالهم وتفاعلهم مع أقرانهم، والحرص على الجانب الحس حركي وهذا ما يحتاجه الطفل في هذه المرحلة العمرية.

خلاصة: أصبح فضاء المدرسة القرآنية يحقق طموحات الأسرة الجزائرية ويساير نظريات التربية الحديثة في تنمية المواهب وتحضير الطفل للتّمدّس بشكل جدّ طبيعي وتكلفة التّمدّس فيها تناسب دخل الأسر الجزائرية، إضافة إلى أنّه فضاء لا يخرج عن

قيم المجتمع الجزائري وأصالته ويسعى إلى تثبيت عناصر الهوية وخلق نشء سوي مع نفسه ودينه ومجتمعه.

أما روضة الأطفال فهي فضاء آخر يختاره الأولياء يعمل على تحقيق التكيف الاجتماعي للطفل نظرا لما تتوفر عليه من مرافق ووسائل لعب يحتاجها الطفل في هذه المرحلة . وليست كل من المدرسة القرآنية والروضة مدرسة بل مهيّدة لها، وليست أسرة بل مكملة لها.

بعض التوصيات:

- ضرورة الرقع من المستوى التكويني والمعرفي لمعلّمي المدارس القرآنية وهذا ما ألحّت عليه معلّّمات المدرسة القرآنية التي قمنا بزيارتها؛
- ضرورة الاهتمام بإثراء المناهج المهتمّة بالتعليم التحضيري سواء في المدرسة القرآنية أم رياض الأطفال؛
- ضرورة مواكبة المدارس القرآنية للوسائل الحديثة التي تستثير انتباه الأطفال وتواكب العصر.

الهوامش:

¹- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية، المادة 38، العدد 4، 27، 4، جانفي 2008، ص 12.

²- ابن جاب الله النذير وآخرون، المدارس القرآنية بين الواقع والتطلعات، ولاية قسنطينة، المجلس الولائي، لجنة الشؤون الدينية والاقواف، ص 8.

³- ينظر: وزارة الشؤون الدينية: رسالة المسجد (مقال حول التعليم القرآني في الطور التزمهيدي)، العدد 4، أفريل 2009، الجزائر، ص 73.

⁴- تركي رابح، أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1990، ص 89-90.

⁵-مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2007، ص 75.

دور المدارس القرآنية في الاكتساب اللغوي في المرحلة الفطرية - دراسة ميدانية من منطقة تيارت -

أ. سعاد ميس

جامعة تيارت

تحفيظ القرآن الكريم من الصغر عادة حميدة يلتزم بها معظم المجتمع الجزائري وهي عند بعضهم مرحلة مهمة قبل المرحلة التعليمية في المدارس، بحيث يتم تسجيل الطفل في سن الرابعة بالمدرسة القرآنية، وفي أغلب الأحيان في المساجد إن كانت المدرسة القرآنية بعيدة عن المنزل، وفي هذه المرحلة الفطرية الطفل لا يدرك تماما ماذا يفعل خاصة أثناء عملية تلقينه للأحاديث النبوية والقرآن الكريم، فهو لا يملك أي قدرات لغوية مكتسبة قبلية خاصة عندما تكون اللغة الموظفة والمستعملة في البيت هي العامية، والطفل لا يسمع الفصحى إلا عن طريق مشاهدة الرسوم المتحركة، وهذه أغلب حالات الأطفال في الجزائر، بل قد نجد اللغات الأجنبية مثل: الفرنسية والانجليزية لها حضور على اللغة العربية الفصحى، ويؤثر ذلك سلبا على شخصية الطفل ومرجعياته وتكوينه، وعدم إدراكه للغة الأم ولغة الدين، ففقدان هذه اللغة يعني عدم تمكنه من قراءة وفهم ما يدرسه في المدرسة القرآنية أو روضة الأطفال، ودور الطفل في هذه الحالة هو القراءة الصوتية والبصرية من خلال تتبع رسم الحروف والكلمات في لوحة التحفيظ، يحفظ الكلمات والجمل دون إدراك لمعناها وهو الغالب عند أطفالنا، ولكن الفائدة من هذه العملية هو تعويد الطفل على سماع هذه الكلمات العربية الفصيحة ونطقها بشكل سليم وصحيح وتكرارها حتى حفظها ثم يحاول الطفل اكتشاف معناها بطريقة غير مباشرة، فبطريقة التلقين يدرك هذه السورة ويميز بين أصواتها وكلماتها، والتكرار الموجود فيها، ومخارجها ومقاطعها الصوتية وحتى أحكام التجويد الموجودة فيها، وما تشتمل عليه من نبر وإيقاع وتنغيم وما إلى ذلك.

أثبتت هذه المدارس القرآنية دورها الفعال في المجتمع في تكوين أجيال واعية ومسؤولة، وخير دليل على ذلك جيل الثورة الجزائرية، هم شباب كونهم الشيخ (عبد الحميد بن باديس) في (المسجد الكبير)، وتمسكوا بالمبادئ القومية والوطنية والعقيدة الدينية، فحفظوا القرآن الكريم، وكونوا أجيال بعدهم على حب الوطن ففجروا الثورة الجزائرية.

الدراسة الميدانية التي قمت بها عبارة زيارة لمجموعة من المدارس القرآنية الخاصة بالمرحلة الفطرية للطفل، كون هذه المرحلة مهمة جدا في تكوينه وإعداده للمستقبل من خلال عملية تعليمه وتلقيه الأخلاق الحميدة والآداب المحمودة، وتعويد لسانه على نطق كلمات كتاب الله، مع ملامسة أسرار كتاب الله من خلال تعامل هؤلاء الأطفال مع كلماته وعبره وقصصه وإعجازه اللغوي، فمن أسراره عند تعلمه في الصغر تقوية الذاكرة، واكتساب مهارة الفطنة والنشاط الذهني مع اكتساب لغة عربية فصيحة، وإن لم يدرك هذا الطفل عباراتها ومعانيها جيدا عند حفظها، ولكنه ينطقها ويميز بين أصواتها بشكل جيد.

تعد المرحلة الفطرية والتي تبدأ من سن الثالثة تقريبا أي عندما يبدأ الطفل التميز بين الأصوات اللغوية التي يسمعها حتى سن الخامسة أو مرحلة ما قبل التمدرس مرحلة مهمة ومميزة في شخصية الطفل؛ لأن هذه الفترة يمتلك فيها الطفل قدرات مختلفة خاصة الإبداع الذي تكون نسبته عالية لدى الطفل على عكس الكبار، فهو يستطيع أن يفكر ويبدع ويخزن المفردات والمعلومات، ويستطيع إعادة هذه الكلمات من خلال إنتاج كلمات وعبارات يتعامل بها مع غيره، وكل ذلك يأتي من المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه لذا نجد لديه فضول ورغبة في تقليد الآخرين والتميز عنهم بالتفوق عليهم والكثير من الآباء يحاولون استغلال هذه القدرات في فائدة الطفل من خلال تمييزها وتطويرها بإدخاله المدرسة القرآنية إن وجدت قريبة من البيت أو الكتاتيب أو رياض الأطفال، التي أصبحت أكثر المراكز استقطابا للأطفال لما تتوفر عليه من

ألعاب ووسائل ترفيهية وتعليمية مفيدة للطفل، وفي الكثير من الأحيان - رياض الأطفال - هي الحل الأمثل للأمهات العاملات.

بالنسبة للغة العربية في هذه المدارس القرآنية أو حتى رياض الأطفال فإن حضورها في المدارس القرآنية يكون بنسبة أكبر وذلك ما استنتجته من الدراسة الميدانية والزيارات التي قمت بها، ولكن يجب أن ننبه على أن دور الأسرة في الاكتساب اللغوي فعال، وله أهمية بالغة في ترسيخ المفردات اللغوية المكتسبة في المدرسة القرآنية أو حتى روضة الأطفال؛ لأن الطفل يجب أن يبقى على تواصل مع هذه اللغة التي يتعلم بها حتى تزداد رغبته في إدراكها وتعلمها، وحتى يكتسب أكبر عدد ممكن من الكلمات؛ لأنّ اللغة المستعملة بكثرة هي العامية أو الدارجة، وهي لغة التواصل في البيت بل هي اللغة التي تعود الطفل سماعها من كل فئات المجتمع حتى في المدرسة، فإنّ اللغة التي يستوعبها بسرعة ويفهم بها هي الدارجة، على الرغم من كون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في التعليم، ولكن هناك فصل واضح بين لغة التعليم ولغة المعاملة والتواصل، فالطفل لا يتكلم أو يسمع اللغة الفصحى إلا في كتب الدراسة أو في القسم، وعند خروجه من القسم لا يستعمل هذه اللغة؛ لأنّ من حوله لا يستعملونها، بل ويسخرون منه إذا حاول استعمالها، وهذه مشكلة عويصة في مجتمعنا وهي توظيف الدارجة واللغات الأجنبية بدل اللغة العربية من أجل التواصل.

فالطفل عندما يجد الأم تتكلم معه بلغة عربية فصيحة، وتسمي الأشياء بأسمائها العربية، والأب كذلك وكل من هم حوله يتعاملون معه بلغة عربية فصيحة حتى المحيط الاجتماعي، فإنه يتعلق قلبه بهذه اللغة، ويتعلمها بسهولة ويسر وبدون معاناة.

بمعنى كي يكتسب الطفل اللغة العربية يجب أن تتضافر جهود الأسرة خاصة الأب والأم وجهود المعلمين من خلال التكلم فقط بلغة عربية سليمة ومن خلال المحيط الاجتماعي بتقبل هذه اللغة والتعامل بها واحترامها فتكون الحلقة متفاعلة ومتكاملة فيعيش هذا الطفل في وسط يحب اللغة العربية ويتواصل بها.

- التجربة الميدانية: الزيارات الميدانية التي قمت بها كانت لمدرستين قرآنتين: مدرسة: (براعم الأمل - منارة الحبيب القرآنية)، وتقع خارج عاصمة (تيارت) في منطقة (قرطوفة)، هي منطقة معروفة في (تيارت) بزواياها القرآنية، ومدارسها المنفوقة، وحلقاتها الرمضانية، وصلاة التراويح التي تقام فيها والتي تستقطب أكبر عدد من المصلين يأتون إليها من مناطق بعيدة، ومدرسة (الإمام مالك القرآنية)، وتقع هذه المدرسة في وسط مدينة (تيارت)، وروضة الأطفال (رحماني مريم)، تقع هذه الروضة في وسط مدينة (تيارت).

1- المدرسة القرآنية: (براعم الأمل - منارة الحبيب القرآنية): تأسست المدرسة منذ حوالي ثلاثة سنوات، ورغم حداثة هذه المدرسة إلا أنها حققت نتائج رائعة في تحفيظ الأطفال القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية من خلال مهارتي القراءة والكتابة وبها أقسام تحضيرية تمهيدا للمرحلة التعليمية، وهذه المدرسة خاصة بالمرحلة الفطرية أي لا تحفظ القرآن لتلاميذ المدارس، بل تهتم بالأطفال الصغار فقط، وتلاميذ المدارس لهم الزاوية أو المسجد، وفيه فضاء واسع لتحفيظ القرآن والأحاديث النبوية.

يتم الاستفتاح اليومي للدرس في المدرسة بسلسلة الأحاديث النبوية بحيث تقوم المعلمة بتحفيظ الأطفال حديث نبوي جديد مع تكرار ومراجعة الأحاديث السابقة وتكون هذه الأحاديث قصيرة وسهلة ومفيدة مرتبطة بمعاملات الطفل وعاداته اليومية مع غيره، مثل: أحاديث آداب الأكل واللبس، وذكر مجموعة من الأدعية الدينية مثل: دعاء نزول المطر وغير ذلك، في أثناء ذلك تحاول المعلمة التكلم مع الأطفال بلغة عربية فصيحة بدون أخطاء، وبصوت مرتفع حتى يسمعها من في الخلف مع العلم أن القاعة مجهزة بكل الوسائل المريحة للطفل، ومزينة بالألوان والرسوم والأشكال التي يحبها الأطفال.

وكل مرحلة عمرية من هؤلاء الأطفال لها برنامجها الخاص، يعني أطفال الثلاث سنوات تختلف طريقة تعليمهم عن أربعة سنوات وعن خمسة سنوات وعندما تتأكد المعلمة بأن كل الأطفال سمعوا ما تقول تحاول معهم تكرار ما تم حفظه جماعة ثم تبدأ

بالحروف العربية، وهنا لاحظنا بأن المدرسة القرآنية غير ملزمة ببرنامج محدد وزمن، وإنما المعلمة تتصرف في البرنامج، بحسب الظروف التي تدرس بها، أو بحسب قدرات الأطفال عندها، وفي هذه الحالة المعلم أو المعلمة له دور بالغ الأهمية في تحديد الطريقة التي يعلم بها الأطفال، وكيف يؤثر فيهم بأسلوبه، وهنا يبدأ الطفل النطق بلغة عربية فصيحة من خلال حفظ الأحاديث النبوية أو السور القصيرة من القرآن الكريم، وعندما يستمع إلى المعلمة وهي تأمره وتطلب منه فعل بعض الأشياء بلغة عربية فصيحة فهو يتعلم منها ويفهم معنى هذه الكلمات من خلال الإشارات التي تساعد على الشرح والتواصل.

أما عن الوسائل المستعملة في تعليم اللغة العربية، فمتنوعة ومختلفة فأشكال الحروف والأدوات التي تبتكرها المعلمة والوسائل المستعملة كلها تثير الانتباه، وتجلب الرغبة في ملامستها، فمثلاً: تطلب من الطفل كتابة الحرف العربي على الرمل أو السكر، وهو شيء محبوب لدى الأطفال فيبلامسته السكر يشعر الطفل بسعادة كونه يحب أكل السكر فيكتب الحرف ويتقنه ويتذكره، وتقوم المعلمة بكتابة الحروف بشكل كبير على الورق المقوى أو على حجر البحر، فالمعلمة تحاول التركيز على المهارات اللغوية وتنميتها في الطفل، ولكن بليوننة ويسر وبدون ضغط على الطفل.

وفي المرحلة التحضيرية تعتمد المعلمة على كتابين كتاب اللغة العربية وكتاب الرياضيات، حتى يتعلم الطفل الحروف وشكلها والحساب من خلال التعرف على الأرقام، والمعلمة عند تعليمها للحرف تلجأ إلى لعبة الحروف وهي عبارة عن حروف مصنوعة من الخشب أو البلاستيك فيتحسس الطفل الحرف ويلامسه، وبالتالي يتذكر شكله ولا ينساه بمعنى أن المعلمة لا تعتمد على التلقين فقط، بل تلجأ إلى الوسائل التي ينتبه إليها الطفل بكثرة ونقصد هنا الوسائل التي فيها الألوان والأشكال مثل لعبة السيارات التي تعتمد عليها في رسم الخطوط والأشكال وكذا الأرقام.

غير أن هذه العملية وحسب التجربة الميدانية تجعل الطفل يركز مع الشكل أو اللون أو اللعبة، ولا يهتم بالقيمة المعرفية من وراء هذا الشكل أو اللون، بمعنى بمجرد سحب

وإخفاء اللعبة أو الشكل عنه فإنه يعتقد أنها لعبة وانتهى وقت اللعب بها فلا يركز مع الحرف بل مع الشكل، وبالتالي قيمة التحصيل العلمي تكون قليلة نسبياً، بالمقارنة مع طريقة التلقين التي يتم من خلالها التركيز على القيمة المعرفية وترسيخها في ذهن المتلقي.

كما تستعمل المعلمة أسلوب قراءة القصص للأطفال بصوت مرتفع وبلغة عربية فصيحة فيها من التشويق والإثارة ما يجعل الطفل يركز ويتابع بفضول ويستوعب جيداً الكلمات المنطوقة، ويحاول شرح معانيها وربطها ببعضها البعض، ومعظم القصص تكون دينية ومرتبطة بالمناسبات والتواريخ الدينية والوطنية.

ومن بين الأساليب التي تستعملها المعلمة وتوظف فيها اللغة العربية هي الألعاب التعليمية والترفيهية، فهي تشرحها وتلعبها مع التحدث باللغة العربية فيحاول الأطفال تقليدها والنطق مثلها مع بعضهم البعض، وبالتالي يكتسب الطفل مفردات ويكرر كلمات كل يوم فيتعلم كيف يوظف هذه التراكمات والعبارات.

ما يلاحظ في هذه المدرسة أنها تستعمل اللغة العربية الفصيحة فقط داخل المحيط التعليمي الموجود بها، وتحاول الابتعاد عن الدارجة أو اللغات الأجنبية، مع ترسيخ القيم والأخلاق الدينية في نفوس الأطفال، وتحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكل الأطفال الذين درسوا في هذه المدرسة لم يجدوا صعوبة في المرحلة التعليمية، خاصة مع المعلمات والمعلمين كونهم يفهمون اللغة التي يتعلمون بها ويحفظون الكثير من المفردات ويوظفونها وهذا شيء جميل بالنسبة للطفل، غير أن المتابعة الأسرية في هذه الفترة مهمة جداً كما ذكرنا من قبل.

2- المدرسة القرآنية (الإمام مالك): تقع هذه المدرسة في وسط مدينة (تيارت)

هي مدرسة لا تشبه بقية المدارس من حيث التجهيزات والحدائق في الوسائل التعليمية وقد زرت المدرسة عدة مرات وفي كل مرة كنت أعجب بطريقة المتابعة والصرامة والجدية في تكوين الأطفال الصغار في المرحلة الفطرية، كما تهتم المدرسة بالمرحلة التعليمية، بتقديم دروس في أحكام التجويد وحفظ القرآن الكريم، هي مدرسة حديثة

النشأة، ولكن تخرج منها ما يقارب ثلاثة وعشرون حافظاً وحافظة لكتاب الله بأحكام الترتيل والتجويد وهذا شيء مشجع، والمتابعة اليومية للأطفال خاصة المرحلة الفطرية من ثلاثة سنوات حتى خمسة سنوات تولى لها المدرسة عناية كبيرة واهتمام بالغ، كون المدرسة تؤمن بقضية تكوين شخصية الطفل ومتابعته منذ الصغر، توظف المدرسة معلمات ومعلمين لهم مستوى علمي عالي وإجازات في حفظ القرآن الكريم، كما تستخدم المدرسة وسائل حديثة في التعليم مما يشعر الطفل بنوع من الارتياحية ونوع من الرفاه أثناء تلقيه الدروس، وتهتم المدرسة بالجانب النفسي للطفل وتحاول أن تجعله مرتاح ومحب لما يقوم به.

أثناء حضوري لدروس اللغة العربية في القسم مع معلمة لها خبرة في التعامل مع الأطفال خاصة سن ما قبل التحضيري، فإن أول ما يلاحظ هو حرص المعلمة على التعامل والتكلم مع الأطفال باللغة العربية الفصيحة فقط، تقول المعلمة في الشهر الأول من دخول الأطفال دائماً أجد صعوبة في التعامل معهم؛ لأنهم لا يفهمون ما أقول لهم ولكن بالتكرار واستعمال الحركات يتم التواصل بيني وبينهم ويتعودون على هذه العبارات والكلمات وينطقونها معي فيأفونها ويتعاملون بها.

أما بالنسبة للوسائل المعتمدة فتختلف عن المدرسة القرآنية الأولى؛ لأن هذه المدرسة لا تركز على الألعاب التعليمية بكثرة، وإنما تحاول الاعتماد على أسلوب التلقين في التعليم مع التركيز أكثر على المهارات خاصة مهارة الاستماع من خلال تحفيظ الأطفال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبعض الأدعية والأناشيد الوطنية والدينية، وتحاول المدرسة خلق جو من الجدية والالتزام والاحترام لدى الطفل حتى يشعر بأهمية ما يتعلمه وما يقوم به، إن مدرسة (الإمام مالك) كانت نموذج رائع في استخدام اللغة العربية الفصحى والتعامل بها مع الأطفال والألعاب والوسائل التعليمية عند المدرسة مخصصة لسن الثلاثة سنوات للأطفال الذين يحاولون اكتشاف كل شيء ويحتاجون الكثير من الصبر والوقت من طرف المربية. وتخصص المدرسة

أيام العطلة الأسبوعية لتلاميذ المدارس من أجل تحفيظهم القرآن الكريم وتحاول زرع القيم والمبادئ الوطنية والدينية في التلاميذ.

ووجدنا بعض النماذج لأطفال في مدرسة (الإمام مالك) يتقنون اللغة العربية الفصيحة وبنقائية نتيجة الاهتمام الأسري خاصة من طرف الأم والأب؛ لأن رعاية وتنمية المهارات اللغوية ومتابعة الطفل في هذه المرحلة ضروري لتكوين شخصيته فنجد مثلا: أطفال يحفظون قصائد عن العلم والوطن ويُرددون خطبا بمستوى عال عن قدراتهم، ويُجدون النطق والتحدث وعند طرح الأسئلة عليهم فإنهم يجيبونك بدون تردد أو أخطاء في الحديث بل يُشعرونك بالفخر والعزة أثناء حديثهم عن اللغة العربية.

إن الشيء الجميل في المدرسة هو المحافظة على الهدف الرئيسي من تأسيسها وهو تحفيظ القرآن الكريم مع الاهتمام بالمرحلة الفطرية من خلال تحفيظ القرآن الكريم والمبادئ والقيم الدينية والوطنية مع استخدام الوسائل الحديثة مثل شاشة التلفاز في توضيح الأحكام أثناء قراءة القرآن، وأجهزة العرض الضوئي التي قد لا نجدها حتى في عملية تقديم المحاضرات في الكثير من الجامعات، هذا كله يشعر الطفل أنه مرتبط بالتكنولوجيا، فيزداد اهتمامه بما يتعلمه وما يتعرف عليه في المدرسة القرآنية.

تُستخدم الكتب في المرحلة التحضيرية وهي عبارة عن كتب خاصة بالحروف العربية وطريقة رسمها، ولكي يتعلم الطفل الحرف تحاول المعلمة الاعتماد على بعض النشاطات بعد تلقين الحرف والتأكد من النطق السليم له والتعرف الجيد عليه من حيث شكله، ثم تلجأ المعلمة إلى الأشغال اليدوية من خلال عملية قص الحروف وملامسة شكلها وهناك يترسخ الشكل والحرف في ذهن الطفل، فهي لا تستعمل أشكال مصنوعة جاهزة للحروف وإنما تجعل الطفل هو الذي يصنع شكل الحرف.

من بين ما لاحظته عن المدارس القرآنية أنها تستقبل كل الأطفال بدون استثناء حتى الذين لديهم نوع من طريف التوحد، والجميل في الأمر أن هؤلاء الأطفال وجدوا نوع من الراحة والاستقرار والاهتمام من طرف المدارس القرآنية، وأثناء تعليمهم الحروف العربية مع الجهد والمشقة من طرف المعلمة؛ لأن هؤلاء الأطفال يحتاجون

الصبر من أجل تعويدهم التركيز والهدوء، فإن النتائج كانت مرضية بحيث استنطعوا حفظ الكثير من الأحاديث والأدعية والسور من القرآن الكريم، وهذا ما يشعر الطفل بأنه مهم وله قدرات تفوق الأطفال العاديين، وهذا ما يؤكد أن المدارس القرآنية لها أهمية بالغة في المجتمع، وفي الاكتساب اللغوي خاصة.

من أجل أن تكون التجربة التي قمت بها ناجحة كان لابد لي من زيارة بعض دور رياض الأطفال، وكيفية توظيف اللغة العربية أثناء التعامل مع الأطفال وإجراء مقارنة بين المدرسة القرآنية وروضة الأطفال، فأخذت نموذج روضة موجود وسط مدينة (تيارت)، وهي روضة ممتازة من حيث الخدمات والجو الذي توفره للطفل من خلال الإطعام واللعب والحفاظ على القيم الدينية والوطنية ومن خلال الأقسام التحضيرية الموجودة بها.

3- روضة الأطفال (الشهيدة رحمانى مريم): يوجد في الجزائر رياض أطفال كثيرة، ولكن معظمها خاصة ولها برامج خاصة بها وطرق في التعامل مع الأطفال ولكل روضة وسائل وإمكانيات خاصة بها توفرها للأطفال، غير أنني توجهت إلى روضة أطفال حكومية كون هذه الأخيرة تعتمد برنامجا حكوميا، وتراعي مقاييس عالمية في التعامل مع الأطفال، والجميل في هذه الروضة وجود مربيات متكونات من خلال تربصات يقمن بها، وهناك متابعة ميدانية للمسؤولين عليها، كما أنها تحتوي على كل وسائل الترفيه والتعليم والإطعام وكل ما يحتاج إليه الطفل حتى المتابعة النفسية من طرف أخصائيين نفسانيين.

المهم في هذا الجانب طرح السؤال التالي: هل حضور اللغة العربية في الأقسام التحضيرية في هذه الروضة موجود؟، أثناء زيارتي لأقسام الروضة وقد اخترت الأقسام التحضيرية وجدت أن الكتب المستعملة تركز على الحروف وطريقة كتابتها والجو الموجود في القسم هو جو تعليمي، أما لغة المعلمة فتنوع بين الفصحى والدارجة؛ لأنّ الأطفال لا يفهمون الفصحى جيدا كون هذا الطفل لم يتعود التعامل بهذه اللغة، فتأجأ المربية إلى الدارجة لتبسيط المفهوم وتيسير إدراك الطفل للدرس، وهناك

طرق أخرى تُستعمل فيها اللغة العربية مثل: سرد القصص على الأطفال مع شرح بعض الكلمات الصعبة عليهم بالدارجة، والأناشيد الوطنية تُحفظ للأطفال خاصة في المناسبات الوطنية مع تعليم الأطفال الأدوار المسرحية باللغة الفصحى كممثل: دور المجاهدين في الثورة ودور المعلم وغير ذلك.

كما تُستعمل اللغة الفصحى من خلال الأدعية والأحاديث النبوية التي تحفظ للأطفال، فهم يستعملون هذه الأدعية في كل وقت، مع تحفيظ الأطفال السور القصيرة من القرآن الكريم، وأسماء الله الحسنى، وقصص الأنبياء وغير ذلك، مما يزيد في تعرف الطفل على اللغة العربية الفصحى، وأوقات الأطفال مقسمة بين التعلم واللعب والترفيه والأكل والقبولة، لذا نجد بأن وقت التعلم بالنسبة للطفل محدود جداً؛ لأنّ الروضة تهتم بالدرجة الأولى بلعب الأطفال ومرحهم واكتشافهم للأمور من خلال اللعب في فناء الروضة وغرس النباتات وغير ذلك من الأنشطة التي تقوم بها أقسام الروضة.

4- نتائج البحث: من خلال التجربة الميدانية التي قمت بها إلى مجموعة من المدارس القرآنية، وقد اخترت مدرستين من بين هذه المدارس على أساس الامتياز ونوعية التعليم فيها، كما زرت روضة أطفال حكومية؛ لأنها تتميز عن الخاصة بنوعية الخدمات ومستوى التعليم الموجود فيها، فهي أرفع وأحسن من الخاصة كونها لا تعتمد الجانب المادي في التعامل مع الأطفال، وتحاول التركيز على الجانب المعرفي والنفسي للطفل.

وبعد هذه الزيارات الممتعة لهذه الأقسام لامست بعض النتائج لعلها تكون ملاحظات مهمة تعيد النظر في طرق التعليم والتكوين بالنسبة للطفل في المرحلة الفطرية، مع أنني على يقين أن هناك الكثير ممن يخالفني الرأي ولكن كل هذه الملاحظات جاءت من خلال تجربة ميدانية ودراسة عميقة لهذه الحالات.

1- تلعب المدارس القرآنية دورا فعالا ومهما في المرحلة الفطرية للطفل وتكوينه على مبادئ دينية ووطنية من خلال تعلمه النطق والتعبير بلغة عربية فصيحة وواضحة، مما يزرع في نفس الطفل حب هذه اللغة والرغبة في اكتشافها وتعلمها.

2- دور الأسرة لا يقل أهمية عن دور المدارس القرآنية، إذ تعتبر الأسرة المكون الأول في المرحلة الفطرية للطفل من خلال الحديث معه منذ سن الثالثة من العمر بلغة عربية فصيحة، بتسمية الأشياء بأسمائها العربية الفصيحة، والتعامل معه بلغة عربية صحيحة، ومن خلال نماذج موجودة في الواقع لأطفال يتكلمون اللغة العربية الفصيحة وبدون أخطاء تعلموها عن طريق التعامل بها في البيت من طرف الأم والطفل، ومع الوقت أصبح هذا الطفل متمسكا بهذه اللغة ويتقنها رغم التصادم الموجود بين الأسرة والمحيط الاجتماعي كونه يتعامل باللغة الدارجة أو حتى المزج بين الدارجة واللغات الأجنبية، ولكن ورغم هذا التناقض في التعامل باللغة غير أن الطفل في البيت يعيش ويتعامل بهذه اللغة الفصيحة ويجد متعة عندما يجد نفسه يتحدث بلغة العلماء والخطباء ولغة الكتب، ولغة الرسوم المتحركة.

3- تهتم المدارس القرآنية باللغة الفصحى أكثر من رياض الأطفال وربما السبب في ذلك يعود إلى الهدف الأساسي من إنشاء هذه المراكز التعليمية والتربوية، كون المدرسة القرآنية جاءت لتحفظ وتعلم الأطفال مبادئ الدين والقيم الأخلاقية، وتعلم الطفل كيفية قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وتعلمه القراءة والكتابة، وهذا أهم دور لهذه المدارس، بينما رياض الأطفال فمهامها تتنوع وتختلف بين اللعب والترفيه والتعليم، ولعل هذا ما يفسر توجه الأولياء إلى المدارس القرآنية بكثرة من أجل تعليم أطفالهم القرآن والكتابة والقراءة، وبعضهم يكون مضطرا في توجهه إلى روضة الأطفال نظرا لعمل الأم أو لقرب الروضة من البيت.

4- تغيرت وتتنوع وسائل المدارس القرآنية، خاصة عندما أصبحت تهتم بالأقسام التحضيرية، مما غير في طابعها وأصبحت تركز على مهمة تعليم الطفل القراءة والكتابة، أكثر من حفظ القرآن في السنة التحضيرية.

5- الاعتماد على الألعاب التعليمية في تعليم الطفل خاصة الألعاب ذات الألوان والأشكال المختلفة، وتعود الطفل للعب بها لا تعطي نتيجة فعالة ومرضية بالنسبة للطفل في تحصيله اللغوي؛ لأنّ الطفل يركز على لون وشكل اللعبة ولا يعطي مهارة السمع قيمة كبيرة مما يجعله لا يستوعب القيمة المعرفية كاملة عند النطق ببعض الكلمات العربية الفصيحة، بمعنى يتشتت تركيز الطفل بين البصر والسمع والانتباه واللمس.

6- أسلوب التلقين الذي كان متبعاً في القديم في الكتاتيب والمدارس القرآنية له أهمية كبيرة في تعلم الطفل اللغة العربية والقرآن الكريم؛ لأنّ التلقين يعلمه توظيف واستخدام المهارات اللغوية بطريقة مباشرة ويعلمه الاعتماد على النفس والثقة، ويعلمه التركيز والنضج في التعامل مع النص القرآني والمعلم ويحبيه في العلم والقراءة والكتابة.

كانت تجربتي مع التحصيل اللغوي في المرحلة الفطرية ممتعة فيها الكثير من الفائدة، واكتشفت فيها طرق كثيرة في العامل الأطفال وتعليمهم، غير أنني مؤمنة أنّ تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة الفطرية يعتبر حلاً فاصلاً في حضور اللغة العربية في حياتنا اليومية، ومجتمعنا العربي؛ لأنّ الأجيال هي التي تصنع المستقبل والنجاح وعندما نكون جيلاً يتكلم اللغة الفصحى ويحبها فإننا نعيد مجد هذه اللغة ونفرضها في المحيط الاجتماعي وفي مدارسنا وفي بيوتنا.

دور الزوايا والكتاتيب في تعليم اللغة العربية -عبد الحميد بن باديس" نموذجاً-

د. بختة تاحي

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

ملخص: اعتبر القرآن الكريم بمثابة الوسيلة العظمى لاكتشاف ومعرفة المواهب لدى الأطفال، وذلك من خلال التعليم المبكر له، والذي سبق به المسلمون غيرهم من الأمم وجأؤوا فيه بالعجائب، حيث اعتبر المدرسة الأولى عندهم وقد جرت في عادة المسلمين الجزائريين أن يدفعوا بأبنائهم للزوايا والكتاتيب لأجل تعلّم وحفظ كتاب الله أولاً وهم صغاراً، ثم للتفقه في علوم الدين والكون بعد ذلك، حيث جرت التقاليد والعادات الطيبة في المجتمع الجزائري القديم، أنّ الطفل لا ينتقل لدراسة علوم الشريعة إلا بعد حفظه للقرآن، فيتنافس الأطفال في الزوايا والكتاتيب على أشدهم لأجل حفظ القرآن والنبوغ فيه.

اخرنا الحديث عن " عبد الحميد بن باديس" في بحثنا هذا كنموذج فقد كان منذ صغره ذكياً وفطيناً ومعروفاً بالاستقامة الخلقية التي تميّزه عن غيره ممن كانوا معه في مثل عمره في الكتاتيب، ممّا جعل شيخه يعجب به لدرجة أنّه قدّمه ليصلي بالناس صلاة التراويح، ثلاث سنوات متتالية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم - التعليم المبكر - الزوايا - الكتاب

كثر الجدل والنقاش في الأوساط المثقفة حول الزوايا، ومختلف الطرق الصوفية في الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، ومدى إسهامها في الحفاظ على مقومات المجتمع ومقاومة الاحتلال، أو تحضير المجتمع والتعامل مع الاحتلال، فهل كان دور الزوايا والكتاتيب والتصوف إيجابياً أم سلبياً في مواجهة الاحتلال؟.

في الواقع قامت دراسات حول الزوايا والتصوف في الجزائر، ولو أنها كانت تبدو قليلة أو جزئية وتعرضت إلى جوانب دون أخرى، أو محلية في بعضها، ولو اجتمع شتات تلك الدراسات وتم تناولها بطريقة أكاديمية كما فعل (أبو القاسم سعد الله) في مؤلفه " تاريخ الجزائر الثقافي"، لوجد الباحث مادة غزيرة حول الموضوع أو ما يحتاج إليه¹.

فقد كانت الطرق الصوفية منتشرة بكثرة في الجزائر بشكل خاص، وفي العالم الإسلامي بشكل عام، حيث كان يعتبر أمرا بديها وطبيعا، يمارسه العلماء والشيوخ وعامة الناس، يقدمون من خلالها كل ما يخص الدين من طاعة وولاء.

فمن جلائل الأحداث التي طبعت التاريخ الروحي للإنسان انصداع فجر التصوف من قلب المغرب واندفاق عيون الحكمة العالية، التي أخصبت لعدة قرون إلى يومنا الحاضر طوايا التراث المعنوي للبشرية، حتى تعاقبت على الاستحمام بهذه الطاقة الضوئية أجيال من الجزائريين وطال اشعاعها، أرجاء الأرض حتى تمكن القريب والبعيد من الاغتراف من هدية النور والارتواء من زمزم العرفان.

من المسلم به أن التصوف الجزائري قد اغدقت على روحانية المشرق والمغرب مما يوحى بقدسانية ونورانية تراب هذا البلد الطاهر، المشرق بالجمال الذي كتب له القدر أكثر من مرة شرف الشهادة وولته السماء مرارا ووظيفة نحر قوى الشر، على عتبات النور تمكيننا لانجلاء حقبة أولياء الله المجيدة واستشفاعا بمقامهم الأسمى للوقوف في وجه الطاقات الظلمانية.

ترجع ارهاصات الظاهرة الصوفية في الجزائر إلى الساعات الأولى لظهور الاسلام حينما تحولت أرض المغرب الأوسط تحديدا إلى ملجأ آمن لنزيرة رسول الله الذين لأنوا بترابها فرارا من ملاحقة بني أمية وبني العباس خصوصا بعد المجازر التي ارتكبت بحقهم خلال مأساة كربلاء سنة (680) وواقعة فخ سنة (762) حتى أصبحت الجزائر تتعت عند أهل البيت " بدار الهجرة ومستقر الإيمان"².

انتشر التصوف عامة، عن طريق المراكز والزوايا والمساجد والكتاتيب التي كانت تنشأ للتعبد، وقراءة القرآن والفقهاء وعلوم اللغة العربية بشكل عام.

فقد كانت هذه الزوايا محط الرحال لطلبة القرآن واللغة العربية والعلوم الإسلامية فقد كانت أيضا ملجأ للفقراء، والمساكين ومأوى الغرباء والعجزة وأبناء السبيل لإطعامهم وإيوائهم، وهي بذلك تقدم لهم خدمة اجتماعية جليلة في الماضي القريب فهذه الزوايا المعروفة في الجزائر، كثيرا هي زوايا القرآن واللغة العربية والعلوم الدينية، وقد استمر وجودها طيلة فترة الاحتلال الفرنسي فكانت حصنا من حصون الثقافة الإسلامية ومنهلا للغة العربية ومدرسة للتربية الدينية والوطنية، ومعقلا للمجاهدين والأحرار الذين رفضوا وجود الاستعمار الفرنسي، وما حمل معه من فساد وتدمير للوطن وللشخصية العربية الإسلامية.³

إن تغلغل التصوف في أجيال عديدة من الجزائريين جعل الإيمان الشعبي في هذه البلاد شديد الارتكاز على مبدأ تكريم الأولياء، وما تنأثر المقامات المكعبة الشكل الثلجية البياض على قسم التلال والجبال التي يضاهاي عددها في مطلع قرننا الحادي والعشرين، لأربعة آلاف وتسعمائة زاوية استنادا لمعطيات الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، إلا شهادة على حيوية هذا الإيمان ما يدل على انصبغ كافة مرافق الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية الجزائرية بالصبغة الصوفية المرابطية حتى يمكننا القول أن تاريخ الجزائر الإسلامي هو تاريخ صوفي، وقياسا عليه نستلزم صوفانية حاضرها وارتسام معالم مستقبلها الروحي، إذ أن البيئة الصوفية هي التي كيفت نفسانية الفرد الجزائري على مر العصور وحددت معالم الوجود الثقافي بمفهومه الشامل لطريقة الحياة وفلسفتها من أدب وملوك وموسيقى وعمران... إلخ.⁴

فقد تعددت المعاني للفظة زاوية، واختلفت الآراء حول دورها في تعليم اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

أخذت الزاوية في شمال إفريقيا من المعاني ما يطلق على، بناء ديني تشبيها بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب على قبة وغرفة للصلاة وضريح لولي صالح

وغرف لتحفيظ القرآن واستقبال الزائرين، وتعليم العلوم العربية والاسلامية وغرف لإيواء الحيوانات التابعة للزاوية وهي عبارة عن مجمعات من البيوت المختلفة الأشكال والأحجام.⁵

وهذه بعض الصور من قلب المكان، أخذناها من إحدى الزوايا في ولاية عين الدفلى – بلدية بوراشد.



الصورة(01) تمثل زاوية الولي الصالح سيدي بن أحمد.
وهذه صورة أخرى تمثل مكان تعليم وحفظ القرآن بالقرب من المكان الأول:



الصورة (02): زاوية الولي سيدي بن أحمد.

تتجلى الزاوية كفضاء متعدد الوظائف لدرجة احتوائها الإكتمالي لتجربة الإنسان بالإضافة إلى كونها حبل ارتباط مع المقدس فإن الزاوية تفتح بابا غير مرئي على المطلق وتسهم في بث الطاقات الكونية، لا شك أن قيمة هذا الإرث الروحاني المستحصل على مدار العصور أكيدة، باعتباره يحمل عناصر تحليل مبتكرة بإمكانها إلقاء الضوء على جوانب استثنائية وغير مألوفة، هي من صميم ثقافتنا.⁶ سنذكر بعض التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الزاوية من كتب التراث والمعاجم:

مفهوم الزوايا والكتاتيب لغة واصطلاحا:

الزاوية لغة: الزاوية في القاموس ترد تحت مادة، لزوى، أي اعزل واعتزل الناس وركن إلى زاوية من الزوايا، وتقرّد بنفسه.

في تعريف آخر في المعجم (الوسيط): «الزاوية من البناء: ركنه، لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناحيتين».⁷

الزاوية اصطلاحا: هذه الحالة أو الصفة أطلقت على الإنسان الذي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبّد وأداء وظائف أخرى، فنسب إليه الانزواء، وإذا نظرنا في التصوّف فإننا نجد فيه:

الانعزال والانزواء، ولعلّ هذا الاسم جاء بعد تشييد مشايخ الصوفية لمبادئ خاصة ومن بين الوظائف التي تقوم بها: أنها تعتبر محطة للعابر والمقيم فالأول يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، والثاني لطلب العلم والذكر.⁸

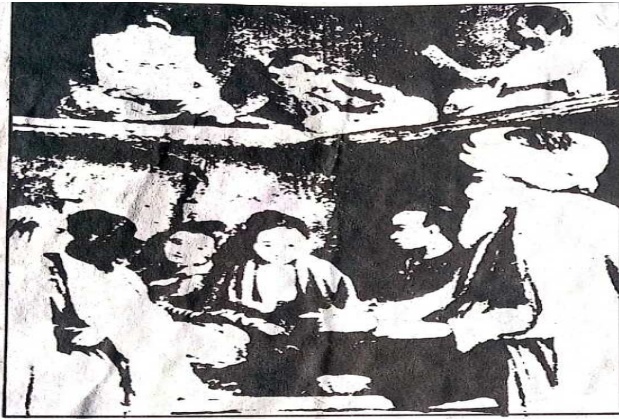
لا ننسى الدور الفعال للكتاتيب في تعليم الأطفال الصغار - اللغة العربية - كما كانت تحرص على حفظهم للقرآن الكريم، باعتباره المدرسة الأولى والوسيلة الفضلى لاكتشاف ومعرفة مواهب هؤلاء الأطفال: العلمية الفذة، وتربيتهم على الخصال الحميدة والأخلاق الشريفة.

تختلف استعمالات لفظ - زاوية - من المشرق إلى المغرب، ففي المغرب ظل استعمال هذا الاسم مرتبطا " بالرباط" يقول (محمد حجي): «لم تظهر الزاوية في

تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة، لغة مصدر رابط يربط بمعنى، أقام ولازم المكان، ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين: أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد وردّ هجوم العدو، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحو المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين»⁹.
فقد اهتم الكتاب بتدريس الأطفال الصغار القرآن الكريم، والقراءة والكتابة والحساب والحفظ والإملاء، واهتم المسجد بحلقات الدرس التي يعقدها العلماء وطلابهم وغيرهم في الدراسات الإسلامية المتخصصة، كالدراسات القرآنية، من تفسير وتجويد وعلوم الحديث، والتوحيد والفقه وأصوله، والنحو والأدب والبلاغة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي... وغير ذلك.¹⁰

فما المقصود بالكتاتيب لغة واصطلاحاً؟.

الكتاتيب لغة: الكتاب جمعه كتاتيب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة، وهو من المؤسسات التعليمية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتتقيد الصغار وتربيتهم، التربية الإسلامية الجيدة.¹¹



الكتاتيب التي لعبت دوراً كبيراً في الحفاظ على اللغة الوطنية

الصورة (03): تمثل الكتاتيب في عهد الاحتلال الفرنسي.

كذلك تمّ تنظيم الكتاتيب ووضع برامج تعليمية لها، تركزت في تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، والقراءة والكتابة والحساب، ولم يعد المنزل هو المكان الوحيد لتلقي التعليم، ولكنه امتدّ أيضاً إلى المسجد، حيث أصبحت الكثير من الكتاتيب تحتل بعض زوايا المساجد.¹²

ففي زوايا القرآن والعلم والتربية والكتاتيب، نشأ وترعرع المصلحون والمجاهدون الأولون أمثال (الأمير عبد القادر)، والشيخ (بلحداد) والشيخ (بوعمامة)، والشيخ (عبد الحميد بن باديس) والشيخ (البشير الابراهيمي) والشيخ (العربي التبسي)، والشيخ (مبارك للميلي)، والشيخ (ارزقي الشرفاوي)، والشيخ (المولود الحافظي)، والشيخ (مولود الزريبي)، والشيخ (الفضيل الورتلاني).

كلهم أبناء الزوايا والكتاتيب، وأمثالهم كثيرون، في كل أرجاء الوطن الجزائري.¹³ وهذه بعض الصور كذلك من قلب المكان عن زاوية مشهورة في ولاية عين الدفلى - بلدية مليانة، وهي تعبر عن زاوية وضريح الولي الصالح سيد أحمد بن يوسف.



الصورة (04): تمثل زاوية سيد احمد بن يوسف.

إنّ هذه الزوايا إنّ كان لها دور كبير في حماية العقيدة الاسلامية من حملات المبشرين التصيرية الكثيرة بالجزائر، أيام الاحتلال، وفي الحفاظ على قراءة القرآن الكريم وبقاء قيمه ومفاهيمه نظيفة خالصة، رغم الثقافة الاستعمارية التي سادت ربوع هذا الوطن، والتي حاولت أن تثير الشبهات حول الدين الاسلامي للقضاء عليه أو زعزته.¹⁴



الصورة (05): تمثل ضريح الولي سيد أحمد بن يوسف.
سنتبين الدور الفعال الذي قامت به الزوايا والكتاتيب، في تعلم اللغة العربية والحفاظ على الوطنية الجزائرية من أيدي الاحتلال الفرنسي الغاشم.
دور الزوايا والكتاتيب في نشر العلم: تعتبر الزوايا والكتاتيب مراكز العلم والثقافة العربية الاسلامية بالجزائر، ومأوى الطرق الصوفية والنشاط الديني خاصة، كما كانت أيضا مدارس وملاجئ وبيوتا للعمل الخيري، ولكنها اقتصت أكثر بحفظ القرآن وتعليم ما يستلزمه من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية.¹⁵

الزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية، وثانوية ومعاهد علمية عالية في آن واحد، فكانت إلى عهد قريب من المراكز الهامة التي حفظت اللغة العربية، والثقافة الإسلامية من الاندثار في الجزائر، خاصة خلال فترة الاحتلال.¹⁶

كما ذكر (أبو القاسم سعد الله): «أن الزاوية الناصرية، بجامعة الكبير ومدرستها بخنقة (سيدي ناجي) قد أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد وكانت موئل علماء (الصحراء) و(الأوراس) و(قسنطينة) و(زواوة) بل و(تونس) و(طرابلس) أيضا، وكانت المدرسة بها حين زارها الدكتور (سعد الله) وهي مانتزال قائمة تحتوي على خمسة عشر (15) غرفة وتضم كل غرفة خمس عشر (15) إلى عشرة (10) طلاب وذكر (سعد الله) أنه في إحدى هذه الغرف درّس الشيخ المرحوم (أحمد السرحاني) تلميذه (ابن باديس)، وقد قيل أن من طلابها أيضا الشيخ المرحوم (العربي التبسي).¹⁷

فقد كان للتعليم في الكتاب مميزات، وطرق يدرس وفقها المدرس أو المعلم طلبته لتعليم اللغة العربية، وكذلك حفظ القرآن بأحكامه من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية التي حاول الاستعمار طمسها والقضاء عليها بثتى الطرق.

مميزات التعليم في الكتاتيب القرآنية: الرفع من مستوى الأداء والمحافظة على أحكام التجويد.

- 1- تقليل نسبة اللحن بنوعيه (الجلي والخفي) لدى الطلاب لسهولة اكتشاف الخطأ في التلاوة، من قبل المدرس والطالب على حدّ السواء؛
- 2- شحذ همم بطيئي الحفظ والمهملين، ودفعهم إلى مسابرة زملائهم؛
- 3- سهولة حفظ الطلبة للمقطع نظرا لتكرره عليهم بعددهم؛
- 4- سهولة استخدام وسائل الإيضاح، وبالأخص لوح الكتابة لتوضيح بعض الأحكام؛
- 5- إمكانية بيان معاني الكلمات الغامضة، أو إلقاء بعض التوجيهات حول الآيات المثلوة.¹⁸

6- تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية. سناخذ كنموذج عن ذلك العلامة (عبد الحميد بن باديس) الذي ترعرع وتربى على يد شيوخ درسه في الزوايا والكتاتيب.

عبد الحميد بن باديس حياته وتعليمه ووفته: ولد (عبد الحميد بن باديس بن المصطفى بن مكي بن باديس) ليلة الجمعة بتاريخ (الرابع من شهر ديسمبر 1889م) بمدينة (قسنطينة) وليلة الجمعة فضلها عظيم عند المسلمين، فهم يتفاعلون لموتهم وأحيائهم كل خير إذا صادفوها وليس من شك، أن ميلاد (عبد الحميد) فيها شهد احتفاء عظيمًا وفرحة وسط العائلة ليس لها نظير.

وكيف لا يكون ذلك وأمه السيدة (زهيرة بنت علي بن جلول) من أسرة (عبد الجليل) المشهورة في (قسنطينة) بالعلم والجاه والمال، نما وتربى (عبد الحميد) سريعا في ظل رعاية الوالدين الفاتحة، ووسط العائلة الكبيرة التي تضم الجد والجدة والأعمام والعمات مما كان يوفر له فسحة كبيرة للعب والمداعبات، وتعلم لغة التخاطب ويبدو أن (عبد الحميد) وجد عناية خاصة من أسرته الكبيرة، قد مكنه ذلك أن يشق طريقه في الحياة الاجتماعية فيما بعد بنجاح.¹⁹

تعليمه: شق (عبد الحميد بن باديس) طريقه نحو التعلم، فقد وجهه أبوه إلى الكتاب لحفظ القرآن على يد الشيخ الفاضل (محمد المداسي) الذي أحسن تربيته وتعليمه ووجهه الوجهة الصحيحة.

مضت التقاليد والأعراف الطيبة في المجتمع الجزائري القديم أن الطفل لا ينتقل لدراسة علوم الشريعة إلا بعد حفظه للقرآن، وأن يكون التنافس بين الأطفال في الكتاتيب والزوايا على أشدها، لأجل حفظ القرآن والنبوغ فيه، ولم يخالف الطفل عبد الحميد القاعدة في حفظ القرآن حفظا جيدا وهو ابن الثلاث عشرة (13) أو أربع عشرة (14) سنة، كما صرح هو نفسه بذلك فيما بعد، واحتفل به سنة (1903) احتفالا بهيجا ومن شدة اعجاب شيخه به، وسيرته الطيبة قدّمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات (03) متتالية في الجامع الكبير بمدينة (قسنطينة) وليس من شك أن هذه

الخطوة التي مكنت (لابن باديس) أن يتقدم الصفوف في سنّ الطفولة، تنبئ عن طاقة عظيمة وذكاء وقاد، ونبوغ قلّ أن يجود الزمان بمثله، وفي هذا المحيط العلمي القرآني وجد (ابن باديس) نفسه أمام اختيارين: إما أن يسلك طريق الالتحاق بالمدارس الفرنسية على عادة أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت، وإما أن يسلك طريق التعليم العربي اقتداء بأجداده، وقد خيّر والده الفاضل بين الاثنين فاختر طريق سلفه، ليصبح بعدها طالبا للعلم الشرعي يصدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم " كلّ ميسر لما خلق له).



الصورة (06): عبد الحميد بن باديس سنة 1912م.

درس (عبد الحميد) على يد شيخه (حمدان لونيسي) مدة أربع سنوات (04) حصل فيها على إجازة الانتقال إلى مرحلة أعلى في الدراسة، لم تكن متوفرة بالجزائر آنذاك وهو أمر استدعى من (ابن باديس) ووليه التفكير في السفر إلى الخارج للدراسة. تلقى (عبد الحميد بن باديس) العلم بجامع الزيتونة على يد نخبة من العلماء الكبار أمثال العلامة (محمد النخلي) والعالم الحجة (محمد الطاهر بن عاشور)، والمؤرخ

المعروف (بشير صفر)، وغيرهم ممن اعترف (ابن باديس) بفضلهم وعلومهم، وحسن توجيههم عليه.

مكث الطالب (عبد الحميد) بالزيتونة يطلب العلم مدة (04) سنوات نال في نهايتها شهادة العالمية التي تعادل شهادة الليسانس في عصرنا، وقد بلغ عمره آنذاك ثلاثة وعشرين عاما (23).²⁰

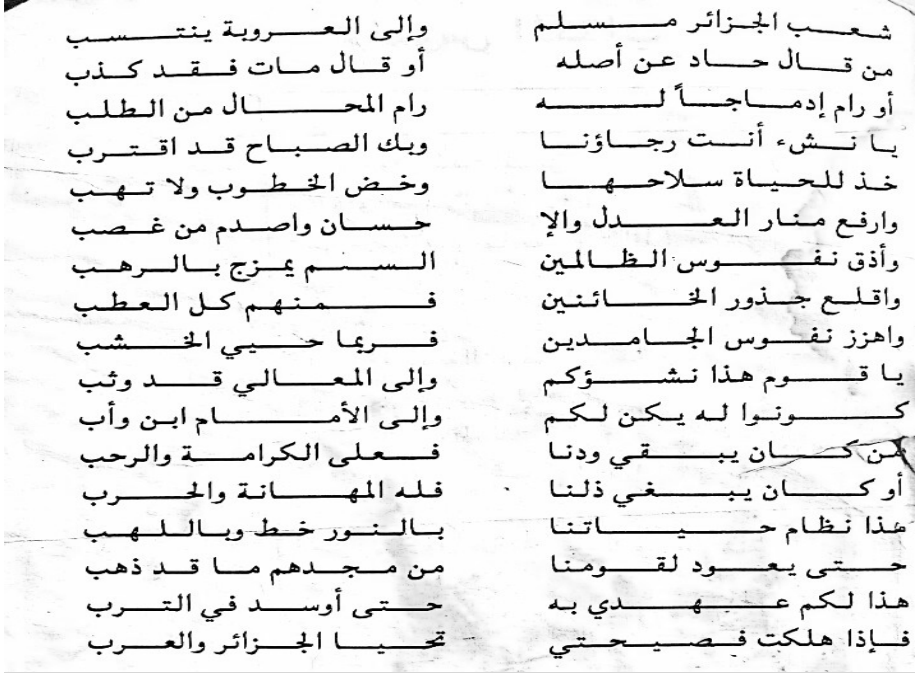
إن تأثير القرآن في الأعمال الحركية (لابن باديس) واضح، ويعبر عن نفسه من خلال الأقوال والأفعال التي كانت تصدر من الشيخ في كل مناسبة، وهو يلقي بهذه الكلمات الخالدة في خطاب تاريخي على مسمع إخوانه العلماء وطلبة العلم، فيقول: «إني اعاهدكم على أنني أقضي بياضي على العربية والإسلام، كما قضيت سوادي عليهما... وإني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن، ولغة الإسلام والقرآن، وهذا عهدي لكم».

وقد كان مهتما بكتابة المقالات وانشاء المجلات والصحف، ومن بين هذه الصحف: جريدة "المنقذ" التي انشأها سنة (1925م) وهي أول الجرائد صدورا، وبعدها جريدة "الشهاب" الصادرة بعدها مباشرة سنة (1925م) كذلك جرائد أخرى كان يكتب فيها (ابن باديس) وهي: "الصراط"، و"السنة"، و"الشریعة"، و"البصائر". وهذه صورة لها مأخوذة من أحد الكتب العتيقة.



الصورة (07): تمثل جريدة البصائر سنة 1925م.

وفاة عبد الحميد بن باديس²¹: لقد كان (عبد الحميد بن باديس) أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم هكذا هو (ابن باديس) الذي وافاه أجله بتاريخ (16 أفريل 1940م)، وبقي نشيده الرائع:



الصورة (08): تمثل نشيد عبد الحميد بن باديس بعنوان: شعب الجزائر مسلم.
في الختام وكخلاصة يمكننا أن نختم بمقولة العلامة الجزائري: (عبد الحميد بن باديس) رحمه الله تعالى: «إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وأخلاقها، وفي عنصرها ودينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدد هو الوطن الجزائري».

المصادر والمراجع:

- 1- عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، ط1، 2007م.
- 2- زعيم خنشلاوي، التصوف في تاريخ الجزائر، ilmi ve akademik arastirme dergisi، 2010م.
- 3- التليلي العجلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، منشورات كلية الآداب، يمنية، 1922م.
- 4- شعبان عبد العاطي وآخرون: المعجم الوسيط باب الزاي، مكتبة الشروق الدولية مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات و احياء التراث، مصر، 2004م.
- 5- محمد عبد السلام بن عبد الله: المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا- الزوايا الناصرية منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.
- 6- ليفي برفينسال: تر: أحمد الشنتاوي، ابراهيم زكي، زكي عبد المجيد يونس، مر: محمد علام: الزوايا - دائرة المعارف الاسلامية، وزارة المعارف، طبعة بيروت، لبنان، المجلد 10 1933م.
- 7- عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط1، 1986م.
- 8- محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989م.
- 9- أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.
- 10- المدارس والكتاتيب القرآنية - وقفات تربوية وادارية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر الرياض، السعودية، 1418هـ.
- 11- فهمي توفيق محمد مقبل: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، 1940م.
- 12- عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، المجلد 01 1968م.

الهوامش:

- ¹ - عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، دط، 2007م، ص 05.
- ² - ينظر: زعيم خنشلاوي، التصوف في تاريخ الجزائر، *ilmi ve akademik arastirme dergisi*، 2010م، ص 209.
- ³ - عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، ص 08.
- ⁴ - زعيم خنشلاوي: التصوف في تاريخ الجزائر، ص 218.
- ⁵ - التليلي العجلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1922م، ص 25.
- ⁶ - زعيم خنشلاوي: التصوف في تاريخ الجزائر، ص 219.
- ⁷ - شعبان عبد العاطي وآخرون: المعجم الوسيط باب الزاي، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وحياء التراث، مصر، 2004م، ص 417.
- ⁸ - ينظر: محمد عبد السلام بن عبد الله: المزايا فيما أحدث من البدع بأمر الزوايا - الزوايا الناصرية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، ص 31.
- ⁹ - ليفي برفينسال: تر: أحمد الشنتاوي، ابراهيم زكي، زكي عبد المحيد يونس، مر: محمد علام: الزوايا - دائرة المعارف الإسلامية، وزارة المعارف، طبعة بيروت، لبنان، المجلد 10 1933م ص 331.
- ¹⁰ - عبد اللطيف عبد الله بن دهبش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط1، 1986م، ص 09.
- ¹¹ - نفسه: ص 11.
- ¹² - نفسه: ص 12.
- ¹³ - محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989م، ص 33.
- ¹⁴ - عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، ص 09.
- ¹⁵ - نفسه: ص 46.
- ¹⁶ - نفسه: ص 48.
- ¹⁷ - أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م ص 261.

- ¹⁸ - المدارس والكتاتيب القرآنية - وقفات تربوية وإدارية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر الرياض، السعودية، 1418هـ، ص 24.
- ¹⁹ - فهمي توفيق محمد مقل: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، 1940م، ص 05.
- ²⁰ - عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، المجلد 01، 1968م ص 72-73.
- ²¹ - نفسه: ص 76-79.

"أدبيات الدرس اللغوي في الكتاتيب القرآنية بالصحراء الجزائرية" "منطقة توات أنموذجاً –

داه. حاج قويدر مصطفى

جامعة الجزائر1

مقدمة: يَدِينُ التَّوَاتِيونُ خَلْفًا عن سَلَفٍ للمدارس القرآنية (الكتاتيب)، والزوايا العلمية المنتشرة على طول البلاد بالفضل الجزيل، لأنها حافظت على الهوية الحضارية والثقافية، وصانت القيم الدينية، والأعراف المجتمعية، لدى المجتمع الصحراوي التواتي الجزائري، ردحا طويلا من الزمن؛ أكسبته مناعة ذاتية من التحلل، والمسُخ، والغزو الثقافي؛ وأسهمت في تدني نسبة الأمية والجهل بين أفرادها.

كما أن هذا النوع من التعليم في الكتاتيب أسهم في الحفاظ على اللغة العربية لدى النشء، وجنب أبناء المنطقة عجمة اللسان ورطانة النطق؛ خاصة مع الحملات التغريبية التي مارسها الاستعمار الفرنسي بعد احتلاله للمنطقة مطلع القرن الميلادي العشرين.

وإذا كان الدور الأساسي للكتاب هو العناية بالقران الكريم تلقيناً وتحفيظاً وتدريساً ونشر تعاليم الدين الإسلامي؛ فإن ذلك لا يبيم إلا من خلال الاهتمام البالغ بلغة الوحي والتنزيل، تدريساً وتقويماً وترسيخاً؛ اعتماداً على جملة من الإجراءات والأدبيات التي غدت الدرس اللغوي في الكتاب، وساهمت في النهوض باللغة العربية في المنطقة.

لذا فإن هذا البحث يقوم على الكشف عن معالم وملامح وأدبيات الدرس اللغوي في الكتاتيب القرآنية بمنطقة توات بالجنوب الجزائري كمتون اللغة والنحو التي تدرس بالكتاتيب، وشروحاتها المعتمدة، ونماذج من التمارين الإعرابية، والألغاز النحوية والنظم الشعرية التي مثلت دعائم المنظومة التعليمية في الكتاتيب القرآنية.

ولالإلمام بكل جوانب الموضوع حاولنا الوقوف على كل ما له علاقة بالدرس اللغوي في الكتاتيب والمدارس القرآنية، وذلك في ضوء ما توفر لنا من مراجع ومواد علمية

وقد اقتضى المنهاج الذي اتبعناه تقسيم الموضوع إلى ثلاثة مباحث، يضم كل مبحث مطلبين؛ خصصنا المبحث الأول للتعريف بمنطقة توات، يليه المبحث الثاني للحديث عن الكتاتيب والمدارس القرآنية: ظهرت على الناهج والوسائل؛ ثم المبحث الأخير وهو لب الموضوع وغايته فكان عن أدبيات الدرس اللغوي في الكتاتيب والمدارس بتوات؛ ليختم البحث بخاتمة خير جمعت ما تفرق في الموضوع وفق نقاط ونتائج محددة.

والله تعالى أسأله التوفيق والسداد

المبحث الأول: التعريف بمنطقة توات

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن المنطقة:

توات اسم علم على المنطقة الجغرافية الواقعة بالجنوب الغربي الجزائري (ولاية أدرار حالياً) من تيلكوزة شمالاً إلى عين صالح جنوباً¹؛ مُحصرة فلكياً بين خطي طول 1° شرقاً و3° غرباً، وبين دائرتي عرض 20° إلى 30° شمالاً²؛ وقد اختلف المؤرخون قديماً وحديثاً في أصل هذه التسمية ودلالاتها³، فقيل هي من مرض يصيب الأقدام عند أهل السودان الغربي⁴، وقيل معناها المكان المنخفض⁵؛ ومنهم من ردها إلى المواتاة، إما أنها أرض تواتي لنفي العصاة، أو تواتي للعبادة⁶، أو تواتي للإقامة والاستقرار، ولعل الظاهر أن اسم توات لفظ بربري قديم قَدِم قبائل زناتة التي اختطت الإقليم⁷.

ويرجع كثير من الدارسين تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام⁸، ثم عرفت ازدهارها مع الفتح الإسلامي للمغرب على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 46هـ⁹؛ لتتوالى بعدها هجرات قبائل زناتة في غضون القرن الرابع الهجري؛ وقبائل بني هلال وغيرهم مع بدايات القرن السابع الهجري وهكذا...؛ ونظراً للأهمية التاريخية لمنطقة توات جاء ذكرها في بعض المصادر العربية القديمة، كرحلة ابن بطوطة¹⁰، وتاريخ ابن خلدون¹¹، وتاريخ السعدي¹²، ورحلة العياشي¹³، إضافة إلى ما كتبه الغربيون عن المنطقة¹⁴؛ وقد اكتسبت هذه الأهمية التاريخية نتيجةً لموقعها الجغرافي الذي يُعتبر

نقطة وصلَ تمرُّ بها كلُّ القوافل العابرة للصحراء والمتوجهة إلى إفريقيا للتجارة شكَّت جسورَ تلاقح حضاري عميق الأثر بين شمال الصحراء وجنوبها، ونسجت بين ضفتيه عرى اقتصادية، واجتماعية، وثقافية وثيقة ومتجددة على مر الزمن، حملت معها الدين الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة، والحضارة؛ هذا مع ما كانت تتميز به كونها أرضاً أمنٍ واطمئناناً لبُعدها عن القلاقل والنزاعات والحروب التي شهدتها المغرب العربي، لذلك كانت وجهةً ومهرباً للعديد من القبائل الفارّة من الحروب¹⁵..

المطلب الثاني: الحركة العلمية والفكرية بمنطقة توات

لأسباب السالفة الذكر ولغيرها، عرفت المنطقة توافد العلماء والفقهاء والصلحاء الطالبين للأمن، والراغبين في الخلوة والانعزال، مما أعطى دفعة نوعية للحياة الفكرية والثقافية بالمنطقة تمشياً مع ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فانتشرت الزوايا ونشطت حركة التأليف، وتفرغ الناس للعلم، وذاع صيت توات فقصدها الطلبة من جميع البقاع، وتعددت المراكز العلمية بجميع أقاليم المنطقة؛ كمركز تمنظيط الذي ازدهر في القرن التاسع الهجري، وانتعشت ساحته العلمية بتوافد العلماء إليه، أمثال الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909 هـ)¹⁶، الذي دخل توات سنة 882 هـ¹⁷ وهو صاحب العبارة المشهورة "دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا"¹⁸، وقبَّله الشيخ أبو يحيى بن محمد المنيارى¹⁹ الذي نزل تمنظيط سنة 815 هـ، والشيخ القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت: 914 هـ)²⁰، الذي حل بتمنظيط سنة 863 هـ، وتولى بها القضاء سنة 877 هـ، وغيرهم كثير.

ولعل ما زاد الحركة الأدبية والثقافية توقداً بتمنظيط بناء الزاوية البكرية الأم بالقرب منها، وذلك في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وقد نبغ الكثير من أفراد هذه العائلة، منهم الشيخ عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي (ت: 1042 هـ)²¹ والشيخ البكري بن عبد الكريم (ت: 1133 هـ)²².

ومن المراكز العلمية كذلك قصر ملوكة، والذي برز هو الآخر على الساحة العلمية والفكرية للمنطقة بزوايته العامرة بالكتب والمخطوطات النفيسة، فضلاً عن أعلامه

المتميزين، أمثال: الشيخ القاضي محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت: 1244هـ)²³ وابنه الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت: 1261 هـ)²⁴.

ولا نبتعد كثيراً عن ملوكة، لنحل بمركز علمي آخر هو قصر تتيلان، الذي كان مصنوعاً للرجال والعلماء والفقهاء، أمثال: الشيخ عمر بن عبد القادر التتلائي (ت: 1152هـ)²⁵، والشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي(ت: 1189هـ)²⁶، والشيخ عمر بن عبد الرحمان المهداوي (ت: 1221هـ)²⁷ وغيرهم .

كما أن منطقة قورارة كسابقاتها من المراكز لا تقل حركية علمية وثقافية سيما مركزها العلمي الشهير بأولاد سعيد، وجهود عائلة الجوزي (أولاد القاضي)²⁸، وأبنائها القضاة الذين أسهموا في إثراء الساحة العلمية بمؤلفات جلية، وما زخرت به خزائنتهم العامرة من مخطوطات تشهد على تألقهم وعلو كعبهم في العلم؛ وقد برز أيضاً من أعلام هذه المنطقة (قورارة) الشيخ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل القوراري (ت 1064هـ)²⁹، الذي ذكر الرحالة العياشي أن له خزانة ذات كتب نفيسة جدا جاوزت ألفاً وخمسائة تأليف، اقتنى أكثرها لما كان بمدينة اسطنبول التركية، لكن معظم تلك الكتب تلتشى بعد وفاة هذا الشيخ بأوكروت ، عدا ما أرسل منها إلى المدينة المنورة تنفيذاً لوصيته..³⁰

أما عن حركة التأليف بالمنطقة، فقد تعاطى علماؤها سائر فنون العلم من تفسير وتجويد، وحديث وسيرة، وفقه وأصول، ونحو وبلاغة وصرف، وتاريخ وتراجم ورحلات، وفلك وطب؛ بيد أن للكتابات الفقهية المتعلقة بالمذهب المالكي الحظ الأوفر من اهتمامهم³¹؛ من ذلك مثلا المدونة الفقهية النوازلية المشهورة " غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من نوازل" للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت: 1244هـ)، وابنه الشيخ أبي فارس عبد العزيز(ت: 1261 هـ)؛ فضلا عن شروح مختصر الشيخ خليل ككتاب " مغني النبيل شرح مختصر خليل" للشيخ المغيلي؛ وشرح فرائض المختصر للشيخ محمد بلعالم الزجلوي وهكذا..

وأما في فن التراجم والفهارس فنجد:

كتاب: " فهرسة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي " : ترجم فيها لشيوخه الذين تتلمذ عليهم داخل الوطن أو خارجه، إلا أنها تعد مرجعاً مهماً لعلماء المنطقة في القرن الثاني عشر.

كتاب: " الدرّة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية"، ل: الشيخ عبد القادر بن عمر المهداوي، وهو كتاب جليل من كتب تراجم علماء توات، يضم الكثير من المعلومات عن الحياة الدينية والاجتماعية والأدبية التي سادت المنطقة ابتداء من القرن 11 هـ إلى القرن 13 هـ.

وفي مجال التاريخ نجد:

كتاب "القول البسيط في أخبار تمنطيط"، ل: الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم³²، وهو كتاب في تاريخ تمنطيط.

مخطوط " دُرّة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام "، ل: الشيخ محمد بن عبد الكريم القاضي البكري (ت: 1374 هـ)³³، وهو كتاب في التاريخ، ضمّ في ثنايا كتابه تراجم جملة من العلماء، وأورد فصلا عن خطة القضاء وترتيبها وأسبابها وأبرز من تولى خطة القضاء بالديار التواتية. ولهم كذلك اهتمام بالفلك والمنطق:

كتاب " منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب" في المنطق للشيخ المغيلي. كتاب "روض الزهر البانع على مشروح المقنع في علم كان لأبي مقرر" للشيخ محمد المحفوظ الاقسطني (كان حيا 1233هـ) شرح فيها منظومة ابن سعيد السوسي في علم الفلك.

وأما عن انتقال المخطوطات ووصولها إلى المنطقة فيرجع إلى أسباب متعددة منها³⁴:

- تصدّد طلبه العلم بتوات للقوافل التجارية التي كانت تحمل معها الكتب والعلماء فيقومون بشراء المخطوطات أو استئصالها من أصحابها.

- رحلات علماء توات إلى الحواضر الإسلامية والوقوف على مكتباتها، مثل: فاس، شنقيط، القيروان، القاهرة، و شراء ونسخ المخطوطات.
 - انتهاز فرصة رحلاتهم إلى البقاع المقدسة لنسخ أكبر قدر من المخطوطات وشرائها، وحملها أثناء عودتهم إلى توات.
 - رغبة أهل المنطقة في اقتناء المخطوطات وتملكها في بيوتهم.
- ومجمل القول أن "هذه المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني، وغنية بعلمائها ومؤلفيها، وبزواياها ونظمها، وكذلك غنية بأثارها ومكباتها"³⁵.

المبحث الثاني: الكتاتيب والمدارس القرآنية بتوات ومناهجها التعليمية

المطلب الأول: نشأة الكتاتيب والمدارس القرآنية بتوات

يُعرفُ الكُتَابُ في توات بأقربيش³⁶، والمَحْضَرَة، والجامع أسماء مختلفة لمدلول واحد هو المدرسة القرآنية (المكتب)، وهي قاعة مهياة للتدريس تكون غالبا ملحقة بالمسجد (الجامع) وقد تنفرد عنه بناء مستقل أو تابع لزواوية من الزوايا التي لا تكاد تخلو منها قرية (قصر) أو بلد بتوات، يؤمها الصبيان لحفظ القرآن الكريم، وتعلّم الكتابة والخط ومبادئ اللغة العربية، وضروريات الفقه (من طهارة وصلاة)، يُشرف عليها شيخ (معلم)³⁷ أو أكثر حسب حاجة الكُتَاب وعدد الصبيان؛ إنها ذلك المكان الذي يتلقّى فيه التلميذ دروسه الأولى وتربيته الأساسية على يد الشيخ³⁸.

ولا شك أن ظهور الكتاتيب تصاحب مع بدايات انتشار الإسلام؛ فقد سعت الأمة منذ بداية نزول القرآن لتلقيه عن منبعه و حفظه وتعلّمه وتعليمه؛ التماسا منهم لأسباب الترقى في الخيرية التي نوه وحضّ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"³⁹؛ يقول العلامة الطاهر بن عاشور مؤرخاً لهذه المرحلة: "وأول ما ظهر التعليم في الإسلام كان غير معين المحل، فكانوا يعلم بعضهم بعضاً القرآن في منازلهم وفي مجامعهم، ولكن لما كان المسجد هو المجمع للناس في المدينة كان هو الموضع المتعين للتعليم لمن لم يجد مَوْضِعاً، وما كان النبي ﷺ يجلس لأصحابه إلا في المسجد وكذلك استمر العمل بعده؛" ثم جُعِلت في المدينة بيوت

لتعليم القرآن جمع فيها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبيان وأقام عليهم عامر بن عبد الله الخزازي يعلمهم، ورتب له رزقاً، وحدد له وقتاً للتعليم، وسن للصبيان والمتعلمين يومين في الأسبوع يستريحون فيهما؛⁴⁰ وقد عرف المغرب العربي انتشاراً واسعاً للكتاتيب منذ الفتح الإسلامي لإفريقية على يد عقبة بن نافع الفهري، وتأسيسه لقاعدتها القيروان⁴¹، وكان الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ العربية وعندهم وبهم انتشر إلى سائر بلاد المغرب والأندلس حتى جاوزها إلى تخوم إفريقيا السوداء؛ فقلما تجد بلداً أو قرية أو تجمعاً سكنياً - كبر أو صغر - إلا وهو يضم مدارس وكتاتيب لتعليم القرآن؛ بل تكاد تجد شخصاً من توات مهمماً كان منصبه ومستواه إلا وقد انتسب إلى الكتاب والمدرسة القرآنية في مرحلة ما من عمره، ولعل ذلك بسبب تقاني التواتيين الشديد في حب القرآن الكريم، إضافة إلى صيغة الإلزام المجتمعي لهذا النوع من التعليم الذي تميّز به المغرب⁴².

المطلب الثاني: التعليم القرآني بتوات: المنهج والوسائل

ينقسم التعليم الديني بمنطقة توات إلى نوعين اثنين⁴³:

القسم الأول: هو تعليم ابتدائي عام (للذكور والإناث)، لا تكاد تخلو منه قرية أو قصر، ويكون غالباً ملحفاً بمسجد القرية أو جامعها، وقد يُخصّص له محلّ مستقل (كتاب) "أقربيش".

ويبدأ الطفل دخوله أقربيش عند بلوغه الرابعة من عمره⁴⁴، وأحياناً الخامسة، يُقام يوم دخوله للكتاب حفل إحتفاء بانتساب الصبي لأهل القرآن⁴⁵، فيخط له الشيخ (الذرار) في لوح أبيض - بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء للصبي بالفتح والتيسير من نحو قولهم "رب يسر ولا تعسر عونك يا معين" - الحروف الهجائية على الترتيب المغربي (أ، ب، ت، ...)⁴⁶؛ ولا يتجاوز الحروف حتى يُتقن الصبي تهجيتها ورسمها سواء وسط الكلمة أم آخرها؛ وربما احتاج الشيخ لإعادتها مع الصبي مراراً حتى يظهر له أنه قد أتقنها؛ كما كان للتواتيين قديماً

طريقة أخرى يستعملونها وهو أن يأتي التلميذ بطَبَقٍ مملوءٍ رملاً فيكتب له الشيخ فيه ما نصُّه: " ليف ما ينقط شي، باء نقطه وحده من تحت، التاء نقطتين من فوق وهكذا دوليك؛ وعندما يقرُّ الطالب من حفظٍ ومعرفة الحروف الهجائية، يفتح له الشيخ سورة الفاتحة⁴⁷، فالمعزَّنين وهكذا يتدرَّجُ به من آخر سور القرآن؛ وعند تَمَكُّنِ الصَّبِيِّ من الكتابة وإمساكِ القلم، صار يكتب من القرآن كلَّ يومٍ في لوحه مقداراً مناسباً لمقدرته على الحفظِ يُلقِّنه من فَمِ الشَّيخِ مباشرةً، أو من ينوب عنه، وقَلَّما يسمح له بالكتابة من المصحفِ، ويمحوه بماء وصلصالٍ بعد حفظه واستظهاره على الشيخ أو المعلم، مراعيًا النطق الصحيح السليم للحروف والكلمات بضبط شكلها وإعرابها؛ إضافة إلى التزام التلميذ بتكرار محفوظه اليومي، أو الأسبوعي، أو الشهري وهو ما يعرف بمراجعة (الأسوار) (مراجعة فردية)، ثم تسميعة وعرضه على الشيخ حسب برنامج زمني متفق عليه، زيادة على الورد اليومي للطالب والحزب الراتب مع زملائه (مراجعة جماعية)؛ ولأهل الصبي احتفالٌ بولدهم كلِّما بلغ سورة معينة كسورة الأعلى أو سورة الجن، أو سورة الملك، وكذا لو ختم الربع الأول (سورة يسن)، أو منتصف القرآن؛ وهكذا إلى أن يصل إلى مَطْلَعِ (ثمن) " يَسْتَبْشِرُونَ " فيقام حفلٌ بهيَجٌ يُسمَّى مَحَلِّياً (بالسلوك)، فإذا أتمَّ حَتَمَ كِتَابِ اللَّهِ فهنا يُقام له حفل (الحفوظ) وفيه تُقام الولائم ويلبس الجديد كأنه عريس، وقد يُطاف به في البلد ممتطياً ظهر حصان يحفُّه أهله وزملاؤه منشدين ومرددين لقصائد تمجِّد القرآن وتحضُّ على حفظه، وربَّما خصَّه أبواه أو أقرباؤه وأهل بلده بشيء من النخيل، أو الحبوب، أو بعض القارورات من مياه الفقارة - كما هو الحال قديماً - تشجيعاً له، وتحفيزاً لغيره، ودليل فرحٍ وافتخارٍ منهم بما صنع؛ كل ذلك إنما يدلُّ على حرص التواتيين على أبنائهم وحبِّهم واحتقائهم البالغ بالقران الكريم، والعلم الشريف، وهكذا يقفل التلميذ راجعاً على القران إلى أن يُتمَّه ثانياً، وثالثاً إلى أن يحفظه، ويُتقن ضبطه، ورسمه، ووقوفه.

وفي هذه المرحلة يُمزجُ حفظُ الصبي للقران الكريم بتلقينه شيئاً من شعر العرب في الحكمة والأدب، وجملة من المتون والمنظومات التعليمية، سواء في التوحيد والعقيدة أم

في الفقه المالكي كمتن المرشد المعين للإمام ابن عاشر، ومختصر الشيخ الأخضرى في العبادات، ومنظومة العبقري في سهو الصلاة؛ أو في النحو كمقدمة بن أجروم أو نظمها للشيخ ابن أب وغيره؛ مما يناسب المرحلة العمرية للطالب من المختصرات المهمات، كما أنها فترة صفاء الذهن وقوة الحافظة لدى الصغير، فالعلم - وخاصة القرآن - أرسخ في الذاكرة، وأبعد عن النسيان، وهو معنى قول الحسن في الأثر: "الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر"⁴⁸. وقال الشاعر:

ما الحلم إلا بالتعلم في الكبر وما العلم إلا بالتعلم في الصغر
ولو ثقب القلب المعلم في الصبا لأفيت فيه العلم كالنقش في الحجر

القسم الثاني: وهو التعليم فوق الابتدائي، ينتسب فيه التلميذ أو الطالب إلى المدارس، أو الزوايا التعليمية المتخصصة، بعد أن يكون قد أتم حفظ القرآن الكريم أو كاد، وتلقن مبادئ اللغة العربية، وضروريات الفقه، وفي هذه المرحلة يتلقى الطالب دروس العلم بالفهم وشرح المتن التي حفظت في المرحلة السابقة، ثم يرتقون في دراسة كتب العلوم بشروح وحواش، وينقلون من كتاب أو متن إلى أوسع منه في فنه ببسط شرح وزيادة مسائل⁴⁹، وهنا يلتحق طالب هذه المرحلة بحلقة الدرس مع الشيخ وتُعرف بـ(جماعة الفقه)، ويختار -حسب المقرر في سلم التدرج- متنا من المتن في فن من الفنون ليحفظه ثم يتطلب شرحه من طرف الشيخ مشافهة حسب نظام خاص يعرف بـ (الوقفة)، مدعماً ذلك باطلاعه على شروح ذلك المتن، أو مذاكرته مع أقرانه وزملائه.

والمتفق عليه أن مناهج الدراسة تتركز في ثلاثة فنون رئيسة لا تخلو منها مدرسة أو كتاب، وهي: التوحيد، والفقه، والنحو. وقد تزيد عليها بعض المدارس فنونا أخرى كال تفسير والحديث والسيرة؛ وعليه يمكن حصر المقررات المدروسة في هذه المرحلة حسب كل فن من المستوى الأول فالمتوسط ثم النهائي⁵⁰، ويكون في الغالب حسب الجدول التالي:

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

المقرر المستوى	الأول (الابتدائي)	المتوسط	النهائي (العالي)
لعقيدة والتوحيد	✓ جوهرة التوحيد ✓ منظومة الأوجلي. ✓ الخريدة البهية. ✓ منظومة عقيدة العوام	✓ العقيدة السنوسية الصغرى (أم البراهين) ✓ عقيدة ابن أبي زيد القيرواني	✓ إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة
الفقه المالكي	✓ متن المرشد المعين ✓ مختصر الأخضرى ✓ متن العبقرى في سهو الصلاة.	✓ رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني. ✓ متن أسهل المسالك. ✓ نظم مقدمة ابن رشد للرقي.	✓ مختصر الشيخ خليل ✓ تحفة الحكام لابن أبي عاصم في القضاء
النحو والصرف	✓ متن الأجرومية لابن أجرؤم. ✓ نظم الأجرومية لابن أب المزمرى.	✓ ملحمة الإعراب للحريري. ✓ التحفة الوردية لابن الوردي	✓ ألفية ابن مالك ✓ لامية الأفعال ✓ قطر الندى

كما أن هذه المدارس تعتمد غالباً على الحفظ والتلقين والسماع من الشيخ. والعملية التعليمية في الكتاتيب تعتمد وسائل بسيطة، فهي لا تعدو عن شيخ (معلم) وطلبة (تلامذة) وأواح خشبية، وأقلام من القصب، ودواة محشية بصوف والصمغ المحلي، وأدوات المحو (صلصال و طين)... ؛ وهذه تعتبر الأركان الأساسية لعملية الدراسة بالكتاب؛ وقد أضيف مؤخراً استعمال المصحف أو الجزء الذي يحفظ منه وقلم رصاص، و سبورة خشبية.

وبممتاز المنهج التربوي للكتاب بما يلي:

1. للطلاب في الكتاب حرية محدودة في اختيار الفن الذي يدرسه، والمدة التي

يقضيها فيه.

2. يحق لأي شخص الالتحاق بالمدرسة، بغض النظر عن عمره أو بيئته أو مستواه الاجتماعي. والطلاب سواسية، فمعيار التميز عندهم هو التفوق المعرفي فقط.
3. المدرسة والكتاب والزواية لا تأخذ رسوماً من طلابها، وهي تضمن الإيواء والإطعام لطلبتها، بله قد تتكفل بالمعسرين والمعوزين والأيتام.

المبحث الثالث: أدبيات الدرس اللغوي في الكتاتيب والمدارس القرآنية بتوات

المطلب الأول: نشأة الدرس اللغوي بتوات: الأعلام والآثار

إنّ علوم اللغة من أسمى العلوم وأنفعها أثراً، به ينتقف أود اللسان ويسلم، " وقيمه المرء في ما تحت طي لسانه لا طيلسانه" كما قيل؛ لهذا فقد ازدهرت الحركة اللغوية بتوات ازدهارا كبيرا، أنبأ عنها ما حفلت به الحياة العلمية عبر التاريخ من أسماء أعلامه البارزين، وما تركوا من آثار ومؤلفات ومنظومات اشتهرت عنهم؛ وقد حظي الدرس اللغوي (نحو وصرفا وبلاغة وعروضا) باهتمام بالغ من علماء المنطقة تأليفا وتديسا بالزوايا والمدارس، إضافة إلى معالجة تلك العلوم إما بالشرح، أو التعليق على النص، أو التجديد في طريقة العرض بالنظم، أو الاختصار تمشيا مع أساليب التعليم والحفظ المتبعة عندهم وقتذاك⁵¹.

كما نشأت بالمنطقة محاضن علمية ساهمت في إنعاش علوم العربية، كالكتاتيب والمدارس والزوايا العلمية التي اهتمت إضافة لتدريس القرآن الكريم وتعليمه بتدريس علوم العربية، وتحفيظ متونها - خاصة النحوية والصرفية منها- كالأجرومية، وملحة الإعراب، والألفية لابن مالك، ولامية الأفعال، وقطر الندى، ومغني اللبيب والخزرجية في العروض وغيرها، كل ذلك حسب برنامج ومنهج تعليمي خاص سنقف على بيانه فيما يأتي؛ ولم يقتصر دور علماء توات على التدريس فقط، بل إنهم قد أغنوا المكتبة اللغوية بجملة من المؤلفات والتصانيف التي تميزت بنوع من الإبداع والاجتهاد، إن في الشكل أو المضمون أو العرض والطرح، نذكر منها مثلا:

الشيخ بن عبد الكريم المغيلي الذي يعدّ أول من ألف كتابا في اللغة العربية بتوات - حسب علما- سماه " مقدمة في العربية"؛ ويعتبر المغيلي الرائد الأول صاحب التأسيس الفعلي والإرهاصات الأولى لنشأة الدرس اللغوي بتوات⁵².

الشيخ عبد الكريم بن محمد (فتحا) التواتي (ت 1042هـ) له شرح على لامية ابن المجراد(ت778هـ) سماه: " غاية الأمل في إعراب الجمل".

الشيخ محمد بن أبّ المزمرّي (ت 1160هـ) وقد خلّف تآليف قيّمة، طُبِع بعضها وبقي أغلبها مخطوطاً، أغلبها قصائد شعرية، ومنظومات، وتآليف لغوية، ونحوية وعروضية منها:

- ثلاثة أنظم على مقدمة ابن أجروم(ت623هـ) في النحو:

1- نظم مقدمة ابن أجروم: وهو نظم مشهور متداول مطلعته: (رجز)

قال ابن أبّ واسمه محمد الله في كل الأمور أحمد
مصليا على الرسول المقتدى وآله وصحبه ذوي النقى
وبعد فالقصد بذا المنظوم تسهيل منشور ابن أجروم
لمن أراد حفظه فعسرا عليه أن يحفظ ما قد نُثرا

2- كشف الغوم على مقدمة ابن أجروم: ألفه سنة 1157هـ قال في مطلع رجزه:

لك الحمد يا الله يا من نفضلا ومن علينا بالبيان وأجملا
وأهدي صلاةً مع كريم تحية إلى من أتى بالحق للخلق مُرسلا

3- نزهة الحُوم في نظم منشور ابن أجروم: نظمه سنة 1144هـ

نحمدك اللهم يا من أنعمنا وعلم الإنسان ما لم يعلمنا
وبك أسألك أن تصليا على نبيّ بالبهاء حليا
سيدنا محمد خير البشر وآله ما لاح فجرٌ وانتشر
وبعد: أيها الحبيب الصافي المتأقبي الحق بالإنصاف
فذا كتابُ "نزهة الحُوم" في نظم منشور ابن أجروم"
وربنا المسؤول في نيل الأمل وفي قبول القول منا والعمل

- نظم على معاني بعض حروف الجر: استهله بقوله (رجز)
حمدا لمن منح أسرار الكلام ثم على الرسول أفضل السلام
وبعد فالقصدُ بهذي القطعة نظم معانٍ لحروف سبعة
أعني بها يا ذا النهى من وإلى وعن وفي والسلام والبا وعلى
- النفحة الرندية بشرح التحفة الوردية: شرح على تحفة ابن الوردي (ت749ه)
في النحو

- نيل المراد من لامية ابن المجراد في إعراب الجمل
- روضة النسرین في مسائل التمرین: منظومة من بحر الرجز في الصرف
عرض فيها تمارين ابن الحاجب في شافيته، ثم شرحها رحمه الله.
وله غير ذلك من المؤلفات.

الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي (ت 1189هـ) له كتاب: مختصر السمين
في إعراب الكتاب المكنون، وهو اختصار لكتاب الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد
بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف بـ "السمين"، ويعرف أيضا بـ
"مختصر الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون".

الشيخ سيد المختار الكنتي (1226ه): له

- فتح الودود في شرح المقصور والممدود لابن دريد.
- ألفية في العربية. قال صاحب شجرة النور الزكية: "ضاهى بها ألفية ابن
مالك"⁵³.

الشيخ مولاي أحمد الطاهري (ت 1399ه). له شرح على مطبوع على نظم الشيخ
ابن أب للأجرومية سماه: "الدرُّ المنظوم شرح نظم مقدمة ابن آجروم".
كما لا يفوتنا أن ننوه بالدور الهامّ لخزائن المخطوطات، ودور الكتب في حفظ
وصون عديد المخطوطات اللغوية التي ساعدت في نموّ وحركة الدرس اللغوي
بالمنطقة، إلا أنه - وللأسف - تعرضت كثير من هذه المخطوطات التي ضمتها

الخرائن إلى الإتلاف والإبادة سواء بسبب الاستعمار، أم التدخل البشري الخاطيء، أم الظروف البيئية الصعبة، مما أحال جزءاً كبيراً منه إلى العدم، وأقصى به بعض العلماء من الذاكرة التاريخية للمنطقة.

أما في مجال الأدب وقريض الشعر، فإن للعلماء التواتيين عناية بالغة به، يبرز ذلك من خلال طرقهم لسائر أغراض الشعر العربي من غزل، وهجاء، ومدح، ورثاء وفخر، مما يدل دلالة قاطعة على سلامة اللسان عندهم، وأصالة السليقة العربية لديهم ويكفي شاهداً على ذلك مفخرة الأديباء بتوات، الشيخ محمد بن أب المزمري التواتي (ت 1160هـ)، الذي برع في الأدب، والبيان، وصناعة البديع، وميزان العروض؛ حلاه تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي (ت 1189هـ) بأنه كان " فقيهاً، أديباً نحوياً، لغوياً، تصريفيًا، عروضياً، فائق من لاقيت في الفنون الثلاثة الأخيرة، رائق الخط، شاعراً، مجيداً، مقلقاً، لا يبارى فيه ولا يُجارى"⁵⁴، وهو القائل عن نفسه معتداً بتمكّنه في علم العروض:

إذا سَادَ بالإقْدَامِ عَمْرٌ وبِالذِّكَا تَقَرَّدَ إِيَّاسٌ وَبِالْجُودِ حَاتِمُ
فَإِنَّ شِعَارِي صَنْعَةَ الشَّعْرِ فَالذِّي يُنَازِعُنِي فِيهَا فَذَلِكَ ظَالِمُ

وقد نظم قصائد ومقطعات، لو جُمعت لكانت ديواناً كبيراً⁵⁵؛ هذا إضافة إلى الكثير من العلماء الأديباء والشعراء الفقهاء أمثال: الشيخ المغيلي (ت 909هـ)، والشيخ محمد الإدواعلي الشنقيطي (ت 1198هـ)، والشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن التتلائي (1330هـ) وغيرهم⁵⁶، بيد أنه من المفيد الإشارة إلى أن السمة الغالبة على الشعر في توات هو الشعر التعليمي خاصة كما سيظهر لنا.

المطلب الثاني: أدبيات الدرس اللغوي في الكتاتيب والمدارس القرآنية بتوات

من خلال النظرة الفاحصة للمؤلفات اللغوية بتوات نلاحظ تنوع وتعدد قوالب التصنيف وتراوحها من مختصرات لكتب مطوّلة، أو شروح لكتب معقّدة، أو منظومات لمتون نثرية، أو زيادة بيان لمسائل عويصة، أو أبواب مُحدّدة من كتب معينة، كشرح الشيخ سيد البكري لباب اسم الفاعل والصفة المشبهة من ألفية ابن مالك

أو تعليقات وحواش على مصنفات سابقة، كحاشية الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي على شرح السيوطي لألفية ابن مالك، لتعليقات الشيخ عبد الكريم الحاجب على ألفية غريب القران للعلامة الزجاجي.. وكلها تشير إلى الاتجاه التعليمي في التأليف لدى علماء المنطقة، والغرض التربوي الذي يراعي المتعلمين والطلبة من حيث التسهيل والإيضاح، وإزالة التعقيد والإلغاز من المصنفات والمتون اللغوية والنحوية التي اتسمت في مرحلة ما بطابع الغموض والصعوبة، وأصدرت مصدر شكوى من الدارسين والمتعلمين.

ويمكن إجمال أدبيات الدرس اللغوي في النقاط التالية:

• العملية التعليمية المكونة للدرس اللغوي مثلها مثل جميع العلوم تتكون من أربعة ركائز أساسية وهي⁵⁷: الملقّن (المعلم)، والمتلقي (التلميذ) والمنهاج والمادة العلمية؛ وهذه الأركان جميعا نجدها متوفرة في المدرسة القرآنية بتوات:

1- الملقّن: وهو شيخ الكتاب أو معلم المدرسة، ويشترط فيه أن يكون ذا أهلية وكفاءة علمية؛ وهو يُمثّل الطرف الأول من العملية التعليمية الخاصة بالدرس اللغوي.

2- المتلقي: وهو التلميذ أو الطالب الذي يبتغي التعلم من شيخه، ويشترط فيه أن يكون ممن حفظ القرآن أو كاد، بمعنى وصول الصبي لسن يوصف معها بالوعي والإدراك؛ ويمثّل الطرف الثاني في العملية التعليمية الخاصة بالدرس اللغوي.

3- المادة العلمية (المقرر): وهي تلك المتون، والحواشي، والشروح اللغوية التي ينتخبها الشيخ ويعتمدها قصد تدرج المتلقي فيها.

4- منهج التدريس: ويتمثّل في التدرج من الأسهل إلى الأصعب، مع مراعاة الأوقات المناسبة للتصحيح، والأساليب الموظفة في التبليغ، وطرق التقويم، والتأهيل والتأديب، والإجازة، وغيرها.

• المبادئ الضابطة للدرس اللغوي في الكتاتيب والمدارس والزوايا هي:

1. التدرج: وهو الالتزام بالتسلسل الطبيعي المنهجي في دراسة المتون، فيبدأ بالمتون السهلة، ثم ينتقلون إلى المتون الصعبة؛ وفي النحو: الآجرومية، أو أحد أنظمة

الأجرومية، فملحة الإعراب، ثم الألفية. وبعدها يسمح للطلاب بدراسة أي متن نحوي آخر كقطر الندى أو مغني اللبيب، أو أن يجمع الألفية بالاحمرار أو الطرة.

2. العرض: يكتب الطالب المتن المدروس في لوحه، ثم يصححه، ويعرضه على الشيخ كل يوم ولا ينقل لغيره حتى يحفظه ويضبطه.

3. السماع: وهو أن يقرأ الشيخ للتلميذ المتن، والتلميذ ينصت، ويتبع قراءه الشيخ قصد ضبط المقروء.

4. الحفظ: وهو عمليه أساسية في تحصيل المتن المقرر في الدرس اللغوي اعتمد عليها سائر المدارس والكتاتيب.

5. الاقتصاد على متن واحد ويمنع الجمع بين متنين أو فنين غالباً؛ قال أحد الشناقطة في هذا المعنى:

وإن تُرد تحصيلٌ فَن تَمَّمةً وعن سواهُ قبل الانتهاء مة
ففي ترادف الفنون المنعُ جا إذ توأمان اجتماعان يخرجنا

• مصادر الدرس اللغوي في الكتاتيب والمدارس: تتشكل مصادر الدرس النحوي من مجموع المتون، والمنظومات، والشروح والحواشي، والتعليق، والمعاجم اللغوية التي تكون المادة العلمية للدرس اللغوي؛ ويعتمد عليها الشيخ والطالب في العملية التعليمية، إضافة للمتون المقررة، نجد أهم شروح الأجرومية، كشرح الشيخ حسن الكفراوي، وشرح الشيخ خالد الأزهرى، وشرح الدر المنظوم على نظم مقدمة ابن آجروم، ومقدم العي المصروم لأبن بادي، وكذا شروح الألفية كشرح ابن عقيل وحاشية المكودي، وشرح الأشموني، وكتاب أوضح المسالك لابن هشام، وشرح ملحة الإعراب ككتاب منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب للشيخ باي بلعالم وغيرها.

• اعتماد نظام الوقفة وهي طريقة خاصة تشبه نظام الأقفاف "قف" عند الشناقطة وغرضها ضبط النصيب المدروس لتمكين الطالب من الاستيعاب حفظاً وفهماً، وتعتمد على فطنة الطالب وتمكنه من محفوظه، ومذاكرته مع زملائه أو من الشروح قبل

عرضه على الشيخ في حلقة الدرس، والوقفة جزء يشترك جميع الطلبة في سماع شرحه عن الشيخ.

• توظيف أسلوب الألغاز والأحاجي في الدرس النحوي من أجل شد الانتباه وإثارة ذهن، وتدريب للمتعلم على القواعد النحوية بطريقة السؤال المعقد الغامض وبث لروح التنافس والمسابقة بين الطلبة والمتعلمين؛ وقد استعمل هذا الفن كثيرا عند شيوخ المدارس، وتناقله عنهم طلبتهم، وكثيرا ما نجد الشيخ ينظم اللغز في ابيات شعرية وي طرحه بين طلبته كما كان يفعل الشيخ مولاي أحمد الطاهري رحمه الله. ومن الألغاز المتداولة المشهورة في المدارس التواتية قول بعضهم:

يا عالم التصريف والإعراب أعرب إلا إلى إلى الوهاب

جوابه:

جوابه الأول أمر من وأل أي الجأ بألف اثنتين اتصل
والثاني حرف جر ما تلاه والثالث اسم نعمة معناه

الخاتمة: رصد هذا البحث المختصر جوانب هامة من الحركة اللغوية التي شهدتها منطقة توات منذ القرن العاشر الهجري، والتي امتد إشعاعها إلى ما جاورها من الحواضر المغربية، والصحراوية، والافريقية؛ ووقفنا على أبرز الأعلام التواتيين من النحاة واللغويين والأدباء، ممن كان لهم حضور بارز وأثر بليغ في الساحة العلمية اللغوية؛ وكشفنا عن أهم المؤلفات والمصنفات والمنظومات اللغوية التي أثرت الدرس اللغوي بالمنطقة لقرون عديدة؛ لنقول بملء الفم أنها مخرجات وآثار الكتاب والمدرسة التواتية العريقة الضاربة في الأعماق؛ والتي حافظت ولا زالت ترابط بصمود من أجل صون اللسان العربي المبين، وحفظ هوية الأمة، والفضل في ذلك بعد الله يعود إلى العملية التعليمية الرائدة و المنهج التربوي المتميز للكتاتيب والمدارس القرآنية، رغم ضعف الوسائل وقلة الإمكانيات .

هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار
هذا والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

- * أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر بن عاشور، دار الملتقى، حلب ن سوريا، ط1
1431هـ، 2010م.
- * مخطوط دُرّة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، محمد بن عبد الكريم التمنطيبي
خزانة سيدي عبد الله البلبالي بـ: كوسام أدرار، [دون تصنيف].
- * إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين: مع تحقيق كتاب
القول البسيط في أخبار تمنطيط لـ: محمد الطيب بن عبد الرحيم، فرج محمود فرج الجزائر:
ديوان المطبوعات الجامعية، 1977،
- * التاريخ الثقافي لإقليم توات: من القرن 11هـ/17م إلى 20م، أدرار، الحاج أحمد
الصادق، مديرية الثقافة، 2003م .
- * تاريخ الجزائر الثقافي أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1
1998م.
- * تاريخ السودان، عبد الرحمان السعدي، تحقيق أوكتاف هوداس، باريس: مكتبة
أمريكا والشرق ، 1981م
- * حياة الكُتّاب وأدبيات الحضرة، عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2006م.
- * الدرس النحوي عند علاء توات من القرن 11هـ-15هـ، عبد الله عماري، دار الأيام
د.ت.
- * رحلة ابن بطوطة: المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط: مطبوعات
أكاديمية المملكة المغربية، 1997.
- * الرحلة العلية إلى منطقة توات، محمد باي بلعالم، دار هومة، (د.ت).
- * الرحلة العياشيّة للبقاع الحجازية: المسمى ماء الموائد ج1؛ أبو سالم عبد الله العياشي
تحقيق: أحمد فريد المزدي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2011.
- * الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي: الإطار المعرفي والتعامل مع
المكانية، أحمد الحمدي، الجزائر: مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.

- * الكتاتيب القرآنية في الجزائر، أحمد الأزرق، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م
- * الكتاتيب القرآنية بندرومة 1900-1977م، عبد الرحمن طالب، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.
- * معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ط2 بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1980،
- * معجم أعلام توات، مبارك جعفري، عبدالله مقلاتي، الجزائر: منشورات الرياحين 2013.
- * هشام سعيداوي، دليلة شاري، مناهج الدرس التعليمي بتوات، مذكرة ماستر إشراف: الحاج أحمد الصديق، جامعة أدرار، 1435هـ/1436هـ.
- * نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، مولاي أحمد الطاهري، تحقيق: مولاي عبد الله الطاهري، أدرار: [د.ن.]، 2009،

هوامش المداخلة

- ¹ ينظر: محمد بن عبد الكريم التمنطيبي، مخطوط دُرّة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام خزانة سيدي عبد الله البلبالي بـ: كوسام أدرار، [دون تصنيف]، ص 10 .
- ² ينظر: جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، دليل ولاية أدرار ، أدرار: جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية، 1999، ص 17.
- ³ بلغ مجموع الروايات المتداولة في أصل تسمية توات نحواً من عشر روايات أو يزيد.
- ⁴ ينظر: عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، تحقيق أوكتاف هوداس، باريس: مكتبة أمريكا والشرق ، 1981م، ص 7.
- ⁵ ينظر: الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات: من القرن 11هـ/17م إلى 20م أدرار، مديرية الثقافة، 2003م ، ص 26.
- ⁶ - مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق: مولاي عبد الله الطاهري، أدرار: [د.ن.]، 2009، ص 57.
- ⁷ - أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، ج 02 ، ص 159.
- ⁸ - ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومة، (د.ت)، ج1، ص 09.
- ⁹ _
- ¹⁰ محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة: المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج4، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ص 279.
- ¹¹ ذكرت في الكتاب في أكثر من موضع، منها: عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ج1، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق: دار يعرب، 2004، ص 154.
- ¹² عبد الرحمان السعدي، المرجع السابق، ص 7.
- ¹³ أبو سالم عبد الله العياشي، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية: المسمى ماء الموائد ج1؛ تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2011، ص 38.
- ¹⁴ من بين الدراسات التي كتبها الغربيون، وحملت إشارات عن المنطقة :
- Martin Alfred-Georges-Paul, Quatre siècles d'histoire marocaine : au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912, paris: Librairie Félix Alcan, 1923, 589p.
- Martin Alfred-Georges-Paul, Les Oasis Sahariennes (Gourara-Touat-Tidikelt), Alger: Edition L'Imprimerie Algérienne, 1908, 406 p.

¹⁵ فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين: مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط ل: محمد الطيب بن عبد الرحيم، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص 5.

¹⁶ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909 هـ): أصله من مغيلة بضواحي تلمسان من أبرز من أخذ العلم عنه: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحي بن ايدير التدلسي والشيخ الجلاب التلمساني؛ رحل إلى الجزائر العاصمة وبجاية ثم نزل بتوات سنة 882 هـ ومنها ارتحل إلى بلاد السودان الغربي ليعود إلى توات حيث توفي بها سنة 909 هـ؛ من مؤلفاته: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مغني اللبيب في شرح مختصر خليل، وغيرها اشتهر بمحاربته لليهود بتوات، ودخل في محاورات مع علماء في تلك الفترة. ينظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، الرباط: [د.ن.]، 1977م، ص 130. و عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1980، ص 308. و أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي: الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية الجزائر: مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع 2012، 298 ص.

¹⁷ مبارك جعفري، عبدالله مقلاتي، معجم أعلام توات، الجزائر: منشورات الرياحين، 2013 ص339.

¹⁸ - ينظر: التاريخ الثقافي لإقليم توات، مرجع سابق، ص50.

¹⁹ أبو يحيى بن محمد المنيارى: كان عالماً ذا مال وصلاح وقاضياً بتوات في زمانه، وقد كان نزل بها سنة 815 هـ، توفي سنة 840 هـ. ينظر: محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمود فرج، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1977، ص 27.

²⁰ عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت: 914 هـ): من علماء توات، أصله من تلمسان، حل بتوات من أجل نشر العلم سنة 862 هـ، تولى القضاء بعد موت شيخه يحيى بن يدير التدلسي سنة 877 هـ، فعرف بعدله وإحسانه، توفي سنة 914 هـ. ينظر: مبارك جعفري عبدالله مقلاتي، المرجع السابق، ص 223.

²¹ عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي (944 هـ - 1042 هـ): كان عالماً من علماء تمنطيط، بدأ دراسته بها على يد والده، وتلمذ على يد علماء أجلاء أمثال: الشيخ سعيد بن ابراهيم

قدورة، وعلى الشيخ عبد الرحمان بن علي السجلماسي، والشيخ محمد عبد الحكم بن عبد الكريم الجراي؛ تولى القضاء سنة 1022 هـ، وله تأليف عديدة منها: غاية الأمل في إعراب الجمل وكتاب تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز، وكتاب شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان، وقد توفي رحمه الله سنة 1042 هـ. ينظر: بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الجزائر: الطباعة العصرية، 2010، ص 120 .

²² البكري بن عبد الكريم (1042هـ – 1133هـ): كان آية في العلم والتقوى والورع، ولد سنة 1042 هـ بتمنطيط، تتلمذ على يد أحمد بن علي النحوي الوقروتي، ومنحه الاجازة ، وأخذ كذلك عن محمد بن عمر البوداوي، زار الكثير من الأقطار ك: مراکش وفاس، فاستفاد من علماء هذه الأقطار، وحاز منهم على الاجازات، كما أجازه الشيخ سعيد قدورة، تولى القضاء بتوات سنة 1092هـ، توفي سنة 1133هـ. ينظر: بكري عبد الحميد، المرجع السابق ص129.

²³ الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي (ت: 1244هـ): ولد بقصر ملوكة سنة 1155هـ — 1742م، تتلمذ على : الشيخ عبد الله ابن إبراهيم البلبالي ، والشيخ عبد الرحمان بن عمر التتيلاني وسيدي أحمد بن عبد الله الونفالي ،تولى القضاء عام 1210هـ، توفي سنة 1244 هـ. ينظر: مبارك جعفري، عبدالله مقالاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 336.

²⁴ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان البلبالي (1190 هـ – 1261هـ): ولد بقصر ملوكة، تعلم بها على يد والده، نبغ في الفقه واللغة حتى لقب بسيبويه، تولى القضاء بعد وفاة والده، جمع نوازل الغنية وبوبها ورتبها، توفي سنة 1261هـ. ينظر: محمد عبد العزيز سيدي امر، كطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط2، الجزائر: دار هومة، 2002، ص 55.

²⁵ الشيخ عمر بن عبد القادر التتلاي (ت: 1152 هـ): كان عالماً نحوياً فقيهاً، ولد عام 1098هـ بتتلان، رحل إلى فاس لطلب العلم، وبقي بها 13 سنة، من شيوخه: الشيخ محمد بن أحمد المنساوي، الشيخ بن مبارك السجلماسي ، تولى التدريس بجامع القرويين بفاس، ثم عاد إلى أرض توات سنة 1129هـ، وتولى القضاء في آخر عمره، توفي سنة 1152 هـ. ينظر: مبارك جعفري، عبدالله مقالاتي، المرجع السابق، ص 265.

²⁶ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي (ت: 1189هـ): ولد في مسقط رأسه بتتلان وتنقل بين أقطار متعددة، وأخذ العلوم عن علمائها، أمثال: الشيخ عمر بن عبد القادر ، والشيخ محمد بن أبّ المزْمَرِي، الشيخ عبد الرحمان الجنطوري، من مؤلفاته: مختصر السمين في إعراب القرآن

والفهرسة التي ذكر فيها شيوخه ورحلاته العلمية، توفي ودفن بمصر أثناء عودته من الحج سنة 1189هـ. ينظر: محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي، الجزائر: دار هومة، 2004، ص 94.

²⁷ الشيخ عمر بن عبد الرحمان المهداوي (1152هـ - 1221هـ): ولد عام 1152هـ بقصر تنيلان، أخذ العلم عن والده، وعن الشيخ أحمد بن عبد الله الونقالي، تولى إمارة ركب الحجيج وكذا الفتوى والتحكيم والقضاء بعد وفاة الشيخ عبد الحق بن عبد الكريم البكري توفي سنة 1221هـ عطشاً في الصحراء، بين قصري تيطاف وأولف، رفقة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر التتلائي. ينظر: مبارك جعفري، عبدالله مقالاتي، المرجع السابق ص 263.

²⁸ أولاد الجوزي: من الأسر العلمية بقورارة وتحديدا قصر أولاد سعيد (تيميمون)، اشتهر منهم علماء بارزون، تسلسلت فيهم خطة القضاء بالمنطقة، من أبرز أعلامها: القاضي عبد الكريم بن أحمد الجراي (ت 941هـ)، وابنه محمد عبد الله (ت 1035هـ) الذي تولى القضاء بعده.. وغيرهم، كما أن لهم خزانة مخطوطات لازالت شاهدة على نبوغهم. ينظر: مولاي التهامي غيتاوي، القول الميمون في تاريخ جورارة وتيميمون، مؤسسة البلاغ، الجزائر، طبعة خاصة 2013.

²⁹ محمد بن إسماعيل السنوي الوقروتي، حصل العديد من العلوم الشرعية وجال في السبلاد رحل إلى المغرب وإفريقية وبلاد السودان، وأقام بمصر والحجاز واليمن والعراق وتركيا والتقى العديد من المشايخ، كان قادري المشرب، اشتهر بالسخاء والدهاء وعلو الهمة. ينظر: محمد الصغير اليفراتي، صفة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط 01، 2004 م، ص 221.

³⁰ رحلة العياشي، المرجع السابق، ج1، ص 108.

³¹ لكن -ولأسف- جل هذه المخطوطات فقد أو ضاع، بسبب تعرضها لعمليات النهب من الاستعمار الفرنسي، أو إهمال الأسر المالكة للمخطوطات وتركها عرضة للعوامل الطبيعية فلم يسلم منها إلا القليل.

³² محمد الطيب بن عبد الرحيم التمنظيبي (ت: ق 13 هـ): من فقهاء مدينة تمنظيط، ولد بها سنة 1184هـ، ألف كتاباً سماه: البسيط في أخبار تمنظيط. ينظر: مبارك جعفري، عبدالله مقالاتي، المرجع السابق، ص 309.

³³ الشيخ محمد بن عبد الكريم البكري (ت: 1374 هـ): ولد بـ: تمنطيط، ونشأ وتعلم بها انتقل إلى كوسام وأخذ العلم عن سيدي عبد الله بن أحمد ، تولى القضاء بالديار التواتية سنة 1354 هـ له عدد من المؤلفات منها: درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، وغيرها؛ توفي سنة 1374 هـ. ينظر: عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 189.

³⁴ عبد القادر بقادر، " واقع المخطوط في توات بين الماضي و الحاضر"، مجلة الذاكرة، تصدر عن جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 2، (2013)، ص . متاح على الرابط: <http://revues.univ-ouargla.dz>

³⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 1998م، ج3 ص142.

³⁶ كلمة زناتية (بربرية)، ويطلق عليه بلسان أهل سوس (أخريش).

³⁷ وكان يسمى قديما (ذرا) لعلمها مأخوذة من الذراري: وهم الأولاد الصغار، ويطلق المغاربة على المعلم أيضا (المدر) .

³⁸ الأزرق أحمد ، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م ص27.

³⁹ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حديث (4639).

⁴⁰ - محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، دار الملتقى، حلب ن سوريا، ط1 1431هـ، 2010م، ص 114.

⁴¹ عبد الهادي حميتو، حياة الكُتَّاب وأدبيات المحضرة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2006م، ج1، ص55.

⁴² عبد الرحمن طالب، الكتاتيب القرآنية بندرومة 1900-1977م ، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983م، ص6.

⁴³ لا يوجد هناك حد فاصل دقيق بين القسمين بل وجد تداخل بارز سواء على مستوى الفئة العمرية أو على مستوى المناهج والمقررات، وكفاءة المعلمين وكفاءتهم العلمية.

⁴⁴ وهو من الحقوق الواجبة للصبي على أبيه

⁴⁵ وهو معنى قول الراجز:

ثم الفتح لدخول المكتب	من غير تكليف على أبي الصبي
ليس به بأس

46 ترتيب الحروف ببلاد المغرب والأندلس موافق لترتيبها ببلاد المشرق إلى حرف الزاي ويلى الزاي عند أهل المغرب (ط - ظ - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق - س - ش - ه - و - لا - ي - ء) فهي ثلاثون حرفا في العدد؛ وكان شيوخنا يكتبونها على صورة كلمات ثلاثية أو ثنائية تبين رسمها حال تطرّفها أو توسطها هكذا: (أبت - ثجح - خذذ - رظط - ظلل - من - صص - عغ - فق - سش - هو - لا ي ء).

47 عادة الافتتاح بسورة الفاتحة قديمة جدا لدى المغاربة بالخصوص فقد روي أن عبد الله بن غانم (ت190هـ) قاضي القيروان وصاحب الإمام مالك دخل عليه ولده من المكتب فسأله عن سورتة فقال حولني المعلم من سورة الحمد، فقال له: تهجّها فتهجّها، فقال له: ارفع ذلك المكتب، وفرعه فإذا تحته دنانير دون العشرين وفوق العشرة، وقال له: ارفعها لمعلمك. ينظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبد الرحمن الدباغ الأنصاري، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ، 2005م، ج1، ص 249.

48 رواه ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله "

49 أليس الصبح بقريب، المرجع السابق، ص 108.

50 يحظر على المنتسب للمدرسة أن يخالف هذا الترتيب التصاعدي، بل لا بد من مراعاة التدرج في المستوى، وقد قال القائل:

علامةُ الجهلِ بهذا الجِـلِ تركُ الرسالةِ إلى خـلـيـلِ
وتركُ الأَخْضَرِيّ إلى ابنِ عـاشـرِ وتركُ ذَيْنِ للرسالةِ احـذـرِ

51 ينظر: إقليم توات خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، المرجع السابق، ص 92.

52 هشام سعيداوي، دليلة شاري، مناهج الدرس التعليمي بتوات، مذكرة ماستر إشراف: الحاج أحمد الصديق، جامعة أدرار، 1435هـ/1436هـ، ص42.

53 ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، المطبعة السلفية، مصر، 1349هـ، ص 377.

54 عبد الرحمن بن عمر التتلائي، فهرسة الشيوخ، ص133.

55 جمع الدكتور أحمد جعفري العشرات من القصائد والمقطوعات، في كتابه الذي ألفه عن حياة العلامة ابن أب. ينظر: أحمد أب الصافي جعفري، محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، دار الكتاب العربي، ط1، 2004م، ص 66 وما بعدها

⁵⁶ ينظر: الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7 هـ حتى نهاية القرن 13 هـ [أعلامها مواطنها و مساراتها مظاهرها و خصائصها الفنية] لأحمد أب الصافي جعفري، منشورات دار الحضارة ، الجزائر، ط1، 2009م

⁵⁷ وزارة التربية الوطنية، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية، تعليمية اللغة العربية لتعليم المتوسط، الجزائر، ص 11.

فاعلية الكتاتيب القرآنية في ترسيخ مبادئ اللغة العربية وتنمية الرصيد اللغوي للطفل دراسة ميدانية بالمدارس القرآنية بولاية باتنة،

__مدرسة أول نوفمبر، مدرسة عبد الحميد بن باديس، مدرسة سي عثمان أحمد
قايد(الزاوية) نماذج__

داه. نواراة بلقاسم بوزيدة

جامعة جيجل

ملخص: تمثل المدارس القرآنية أحد أهم المؤسسات التربوية التعليمية، التي سعت على مرّ العصور إلى الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية وثقافتها، فقد حملت على عاتقها مسؤولية الحفاظ على دعائم الدين الإسلامي ونشرها وترسيخ معالمه للنشئ ليس هذا فقط بل سعت من خلال برامجها العلمية التعليمية إلى خدمة اللغة العربية وتعليم قواعدها وأصولها وتلقينها لتلاميذها، متبعة في ذلك مختلف الطرائق العلمية فيكتسب بذلك الطفل ثروة لغوية تسهم في بناء المعجم اللغوي للطفل العربي المسلم فهي بذلك تكونّ الطفل، وتهيء فكره للولوج للمدارس الحكومية، لذلك نسعى من خلال هذه الدراسة إلى البحث في دور الكتاتيب القرآنية، في الحفاظ على مبادئ اللغة العربية وتكوين الرفاه اللغوي للطفل من خلال اختيار مجموعة من المدارس القرآنية في ولاية باتنة كنماذج لهذه الدراسة .

مقدمة: شرف الله سبحانه وتعالى اللغة العربية بنزول القرآن الكريم بها ما جعل أهلها يتسابقون لخدمتها والحفاظ عليها وتعليمها وتلقين مبادئها خدمة للقرآن الكريم من جهة، وحفاظا على معالم الدين الإسلامي والموروث الثقافي ونشره بين الأفراد من جهة أخرى، فأنشأت بذلك كثيرا من المدارس الخاصة والعامة لخدمة هذا الهدف المنشود إلا أن الزوايا والكتاتيب أو المدارس القرآنية سبقتها في الظهور، ذلك أنها تمثل تمهيدا لمختلف المدارس العامة؛ حيث تسعى لتحضير التلميذ للولوج إلى المدرسة من خلال تعليمه الحروف الهجائية، وطريقة رسمه لها، ونطق كل حرف من مخرجه

الصوتي الصحيح، فيتمكن الطفل بذلك من تعلم أصول اللغة العربية وقواعدها، حتى تيسر عليه قراءة القرآن الكريم وحفظه، وترتيله وتجويده أيضا بطريقة صحيحة وفق الأحكام الصحيحة في مختلف القراءات القرآنية المعروفة، كما تربي في التلميذ مختلف المبادئ والأسس التي حثنا ديننا الحنيف على التحلي بها، من خلال المواعظ والإرشادات التي يقدمها الأستاذ ويزرعها في نفوس تلاميذه، فالكتاتيب والمدارس القرآنية تطمح بأهدافها السامية إلى تكوين نخبة من الطلبة الذين يحملون القرآن الكريم ويمثلون العلم الشرعي على أكمل وجه، وهذا وفق الآداب الإسلامية التي سطرها ديننا الحنيف، فالهدف من وجود هذه المدارس هو هدف تربوي تعليمي يتعلم التلميذ من خلالها مختلف القواعد العلمية كأصول اللغة العربية وقواعدها، وقواعد دينية، مثل كيفية الصلاة، كيفية الوضوء...، لذلك نسعى من خلال هذه المداخلة إلى الإجابة عن الإشكالية التالية:

كيف يمكن استثمار الكتاتيب القرآنية في ترسيخ مبادئ اللغة العربية وتنمية

الرصيد اللغوي للطفل؟

- وتنفرع عنها مجموعة من التساؤلات:

1. ما هو مفهوم الكتاتيب القرآنية؟

2. ما علاقة الكتاتيب القرآنية بالمدارس القرآنية والزوايا؟

3. إلى أي مدى تسهم الكتاتيب في تعليم اللغة العربية؟

أولا: الجانب النظري:

1. مفهوم الكتاتيب القرآنية:

➤ **التعريف اللغوي:**

تناولت مختلف المعاجم اللغوية العربية مفهوم الكتاتيب؛ حيث جاء في **لسان العرب لابن منظور** أن الكتاتيب من «المكتب والكتاب موضع تعلم الكتاب، وجمع كتاب وكتاتيب، والمكتب موضع التعليم القرآني»¹، فهي تدل على التدوين والكتابة، أي رسم الحروف.

﴿ **التعريف الاصطلاحي:** أما في التعريف الاصطلاحي «فالمقصود بالكتّاب والكتاتيب (المدارس) المخصصة لحفظ القرآن والتي غالبا ما تكون ملحقة بأحد المساجد، وهي عبارة عن قاعات صغيرة كثيرا ما تكتظ بأطفال لهم أعمار متفاوتة يجلسون على الأرض، أمام معلمهم الشيخ أو الطالب ويقروون القرآن بهدف حفظه إما في المصحف أو لوحة خشبية، وغالبا ما يكتب الطفل على اللوحة سورة بأكملها أو عدة آيات من القرآن الكريم، ثم يكرر قراءتها حتى يحفظها عن ظهر قلب، ثم يستظهر ما حفظه أمام شيخه (معلمه) الذي يؤشر له بالحفظ وإذا وافق الشيخ على الحفظ ذهب الطفل (التلميذ) ومحا لوجه استعدادا لحفظ آيات أخرى، وهكذا يتم الحفظ، حيث تحدث منافسة بين الأطفال في الحفظ ويتفاوتون في ذلك حسب استعدادتهم وظروفهم النفسانية والاجتماعية»²، والكتاتيب «هي عبارة عن حلقات منظمة في المساجد لتعليم القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة، وتلقين الأطفال الصغار الدين الإسلامي الحنيف، وهي جزء من حياة الناس في المجتمع الجزائري التي ارتبطت بواقعهم الديني والثقافي وتوجد في كل قرية من قرى الجزائر، وهي من التقاليد العريقة، وتحل موقعا خاصا في قلوب المسلمين العرب، وهي من أعظم وأهم الوسائل التي من خلالها يظهر أثر ارتباط الجيل بالقرآن»³، فمن خلال التعريفات السابقة يمكن القول بأن الكتاتيب القرآنية تمثل المؤسسات التعليمية التمهيديّة التي يتعلم التلميذ من خلالها مبادئ الدين الإسلامي وقواعد اللغة العربية، وتكون في شكل حلقات علمية يترأسها أستاذ أو معلم متخصص، وقد تكون في المساجد، أو تخصص لها مراكز ومؤسسات خاصة.

2. **نشأة الكتاتيب القرآنية:** بدأت قراءة القرآن الكريم في البلاد الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بأشكال كثيرة ومتعددة، أسفرت عن تخريج أعداد لا تحصى من قراء القرآن الكريم، أما بعد اكتمال نزول القرآن الكريم كثر إقبال الناس على تلقينه أضعافا مضاعفة وكثرت الفتوحات شرقا وغربا، واتسعت الأقطار الإسلامية وزاد عدد الأمة وكثرت دور الإقراء بكثرة من يرتادها، أما الكتاتيب فهي جمع كتاب والمراد بها المكتب الذي يحفظ فيه القرآن الكريم فقد أنشأت في عصر مبكر وهي من

أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي بعد المسجد، وكانت بداية ظهورها في عهد عمر بن الخطاب، وقد أنشأ رضي الله عنه إلى جانب مسجده أوفي بعض زواياه، كتاتيب للأطفال يتعلمون فيها كتاب الله وهنا بدأ بعض التنظيم والإشراف وأنشأت الأقسام الداخلية، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من أصدر التعليمات بصرف التلاميذ ظهر يوم الخميس استعدادا لاستقبال يوم الجمعة والخلود إلى الراحة، وقد انتشر هذا التقليد في ربوع العالم الإسلامي وظلت الكتاتيب المكان الرحب لقراءة القرآن وحفظه والمنتبغ لتاريخ الكتاتيب القرآنية يدرك أن مكاتب تحفيظ القرآن كانت مستقلة عن مكاتب تعليم الكتابة والحفظ والحساب، وغير ذلك من العلوم، ففي بعض البلدان الإسلامية كان الطفل يتعلم أول مبادئ القراءة والكتابة ثم ينتقل بعد ذلك إلى قراءة القرآن الكريم انتشرت الدور الخاصة بالقرآن الكريم وتعلمه في البلاد الإسلامية انتشارا واسعا ففي دمشق مثلا كانت في القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري ومنها:

✓ دار القرآن الخيصرية؛

✓ دار القرآن الرّشانيّة؛

✓ دار القرآن السنّجاريّة؛

✓ دار القرآن الوجيهيّة.

ويرى الدارسون أنه لا توجد أمة خدمت القرآن الكريم وتفانت في حبه والاهتمام بشأنه مثل بلاد المغرب العربي، فقد عرف عددا كبيرا من الكتاتيب القرآنية التي تسعى لخدمة العلوم الشرعيّة عامة، وفي مقدمتها القرآن الكريم حفظا وفهما⁴.

3. علاقة الكتاتيب القرآنية بالزوايا والمدارس القرآنية:

❖ تعريف الزاوية:

• لغة: «الزوايا جمع زاوية من زوى يزوي بمعنى جمع، والزاوية من البيت: ركنه فاعلة من زوى يزوي إذا جمع لأنها جمعت قطرا منه⁵، وفي الحديث زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»⁶، فالزاوية

«هي كلمة» مشتقة من فعل انزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء الذي يساعد على التأمل والرياضة الروحية»⁷

• **اصطلاحا:** أما في الاصطلاح فقد «أطلقت الزوايا بادئ الأمر على الدير وصوامع الرهبان، ثم أطلقت وأريد بها مأوى العباد والفقراء والصوفية وطلاب العلم والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل⁸ ثم تطور مفهوم الزاوية من أماكن للتعبد والخدمة، إلى مؤسسة علمية قائمة بذاتها تستقبل الطلاب وتقوم بتحفيظ القرآن وتدریس العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وتوحيد، والعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، وإضافة إلى ذلك توفر للطلاب الوافدين الإقامة والوجبات الغذائية مجانا، كما يجد فيها الزوار وعابرو السبيل الإقامة المريحة وراحة البال⁹، الزاوية هي «مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي...شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين أو بنيت تخليدا لذكراهم، أما عن تسمية الزاوية فهناك من يرى أنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أو لأن وجودها كان دوما في أطراف المدينة أو ركن منزوي بها، وهي تشبه المدرسة أو الدير¹⁰»

❖ **نشأة المدرسة القرآنية وعلاقتها بالكتاتيب:** «إن أقرب فضاء تربوي ديني

مواز للمدرسة القرآنية يمكن أن يتبادر إلى الأذهان هو الكتاب، وذلك نظرا لاهتمام الكتاب بفئة الطفولة والأهداف التربوية والتعليمية المشتركة بين الكتاب والمدرسة القرآنية في عمومها»¹¹، «الكتاب اسم مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، وهو من أقدم مؤسسات التعليم والتأديب حيث يرجع في تاريخه إلى عصر الجاهلية، قال عبد الله عبد الدائم في حديثه عن الكتاب: إن الكتاتيب وجدت قبل ظهور الإسلام وإن كانت قليلة الانتشار»¹²، وبعد انتشار الإسلام أصبح الكتاب يحتل مكانة رئيسية، حيث يقول عبد السلام أحمد الكونوني: «أول معهد استقل بمهمة تعليم القرآن على وجه الاختصاص مع

ما يحتاج إليه الصبيان مع تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الدين على يد فقيه يحفظ القرآن للأطفال كله أو بعضه»¹³، يعد تعليم الأطفال القرآن من أعظم الأمور في الإسلام وعده البعض فرضاً يتوجب على الأشخاص المعروف عنهم بالاستقامة وحفظ القرآن الكريم كاملاً كما تتحدث مختلف المصادر التاريخية على حرص الخلفاء المسلمين على تعليم أولادهم وأبناء المسلمين، فعلاً بذلك شأن الكتاب وبلغ أوج عزه وازدهاره؛ حيث ظهر نوعان من الكتاتيب منها ما كان خاصاً بأبناء سواد الشعب، وبعضها الآخر مخصّص لأبناء الطبقة العليا ويسمى صاحبها المؤدّب، كما كان الآباء ينشئون لأبنائهم الكتاتيب ويفقون مع معلمها على الأجر كما يتم الاتفاق على ما يجب أن يتعلمه أبناؤهم.¹⁴

4. **طرائق ومناهج التعليم في الكتاتيب:** تعتمد الكتاتيب القرآنية على مجموعة من الطرائق العلمية والمناهج البيداغوجية لتحقيق أهدافها؛ حيث كانت طريقة التعليم في الكتاتيب، ببدء الطفل حفظ الحروف الهجائية سماعاً ثم يشرع في حفظ سورتها ويشكل كتابتها ورسمها، فإن تمكن من حفظ الحروف مرتبة وأدرك شكلها وصورتها يشرع في حفظ قصار السور فيملي عليه المعلم آية من السور التي يستطيع ختمها، ابتداء من سورة الفاتحة ثم الناس ثم الفلق وهكذا، فالطفل في كل مرة يردد ما سمعه ولا يكتب ما سمع حتى يتحقق معلمه من صحة نطقه على الوجه الصحيح، ويجب أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد حفظه، وحين يفرغ التلميذ من كتابة القدر الذي أذن له فيه معلمه، ثم يسلم اللوح لمعلمه ليراجع هيئة الحروف ويتأكد من سلامة كتابتها وغالباً يكون التصحيح متبوعاً بقراءة جماعية من قبل المعلم ليتذكر التلميذ ما سمعه من قبل فإن فرغ التلميذ من كتابة اللوح وتصحيحه يأخذ له مكاناً مع أقربائه ليراجع فيه المكتوب عدة مرات حتى يحفظه ويكون العرض على المعلم بعد صلاة العصر غالباً فإن أحكم التلميذ قراءة ما كتبه وعرضه على معلمه عرضاً جيداً، أمره معلمه بمحو اللوح ليكتب في صباح اليوم الثاني لوحاً آخرًا وهكذا يتدرج في ذلك حتى يختم القرآن الكريم، ودار منهج التعليم في الكتاتيب بعدة برامج فيبدأ في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر تحديداً إلى وقت الضحى لعرض المكتوب واستظهاره بالنسبة للكبار

وكتابة الجديد بالنسبة للصغار، وعند الضحى استراحة لتناول فطور الصباح، بعد محو الألواح، ثم بعد ذلك يكتب اللوح الجديد ليراجع كتابته، إلى ما بعد صلاة العصر، فإن حفظه وبقي له متسع من الوقت راجع ما سبق، وبعد صلاة الفجر حتى إشراق الضحى، يعيد التلميذ حفظ ما كتبه بالأمس حتى يثبت له ليعرضه على معلمه ثم يمحيه وهكذا يتم ختم القرآن الكريم كله، فإذا ختم التلميذ القرآن الكريم حفظا وكتابة، يرجع مرة أخرى إلى حفظه وكتابته وهو ما يسمى بالسلكة، فيبدأ بسورة الفاتحة، فالبقرة، فال عمران، إلى سورة الناس، وتكون الكتابة بربع الحزب أو نصفه حسب استعداد التلميذ وذكاؤه وقدرته على الحفظ وتكرر السلكات حتى يحفظه حفظا جيدا، وهذه الطريقة تختلف من مدرسة إلى أخرى، وقد كان التعليم في الكتاتيب بدائيا، لكن بمرور الزمن هناك من المدارس من حافظ على الأصالة القديمة، وهناك البعض منها تم تحيينه بمتطلبات العصر كالحاسوب وشاشة العرض.¹⁵

5. **خصائص التعليم الكتابي:** يتميز التعليم الكتابي بعدة خصائص تميزه عن بقية

المؤسسات التعليمية الأخرى ويمكن إيجازها فيما يلي:¹⁶

- ❖ شعبية التعليم الكتابي، معناه أن التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي.
- ❖ إمكانية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم لجميع أفراد المجتمع والفئات الاجتماعية بمن فيها الغنية والفقيرة.
- ❖ التعليم الكتابي لا يتطلب نفقات تسيير هامة فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط.
- ❖ ارتكاز هذا التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية.
- ❖ إن التعليم الكتابي نافع في حاجات المجمع المحلي فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية.

- ❖ ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكتاب وسيلة جوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم.
- ❖ إن الوسائل التعليمية المستخدمة كاللوحه والحبر المحلي وأدوات المحو هي أدوات زهيدة التكاليف يمكن العثور عليها وصنعها في البنية المحلية لكل مجتمع.
- ❖ إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي إلا أن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الأجلاء وحماة وحفظه القرآن الكريم قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية
6. وسائل التعليم والتعلم في المدارس والكتاتيب القرآنية: تعتمد الكتاتيب القرآنية مختلف الوسائل العلمية والبيداغوجية، لتعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتختلف هذه الوسائل من مدرسة إلى أخرى، ويمكن إيجازها فيما يلي:¹⁷



7. دور الكتاتيب القرآنية في ترسيخ معالم الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية:

للكتاتيب القرآنية دور هام في تربية النشء وترسيخ مبادئ الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية حيث تتمثل هذه الأهمية فيما يلي:¹⁸

• يعد التعليم في الكتاتيب والمدارس القرآنية والزوايا في الفترة العصبية بمثابة الحل الوحيد للتصدي لسياسية التجهيل التي مارستها الدولة الفرنسية ضد الشعب الأعرل من أجل تهميشه ثقافيا وفكريا حتى لا يصحو من غفلته، لكن هذه المراكز التعليمية الحرة كان لها دور كبير في العملية التعليمية، قادهها مشايخ وعلماء أفنوا حياتهم في خدمة العلم والمعرفة؛

• كان للكتاتيب القرآنية دور كبير في لم شمل المجتمع، كونها تحمل في طياتها خصوصية دينية تمثل العنصر الأساسي للاتحاد والتماسك الاجتماعي؛

• تمثل الكتاتيب القرآنية الفضاء الثقافي والاجتماعي والديني في بناء وتكوين شخصية المجتمع الجزائري في ظل القيم والمبادئ الإسلامية التي تتميز بها؛

• تمثل الكتاتيب والمدارس القرآنية أماكن مقدسة يلجأ إليها الجزائري للحفاظ على مقومات المجتمع الأصيلة من المحافظة على التراث والعادات والتقاليد، والابتعاد عن الانحراف والانحلال والاندماج في الثقافة الفرنسية؛

• يحافظ الفرد من خلالها على الموروث الثقافي العربي والإسلامي من مخطوطات وكتب قديمة، وتعلم أبناء الوطن الواحد مبادئ الحروف العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومختلف العلوم العربية العقلية، كالبلاغة والقواعد والمنطق وعلم التوحيد والحساب، والنقلية كالتفسير والحديث والفقهاء وأصوله والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف؛

• تمي الرصيد اللغوي للتلميذ، حيث يكتسب مختلف الألفاظ والمصطلحات عند

تعلمه؛

• يتعلم التلميذ من خلالها قواعد اللغة العربية ومهاراتها اللغوية، فيكتسب بذلك كفاءة لغوية، ومملكة علمية تمكنه من الأداء السليم، والقراءة الصحيحة لمختلف النصوص.

ثانياً الجانب التطبيقي، الدراسة الميدانية:

❖ تحليل نتائج الدراسة الميدانية:

• الاستبيان الموجه للأساتذة: تكون من جزأين: الجزء الأول منها خاص بالبيانات السوسيوديمغرافية وتتضمن متغير الجنس، والمؤهل العلمي والخبرة التدريسية. أما الجزء الثاني فخصص لأسئلة حول الموضوع وتضمن 04 أسئلة مقسمة إلى 8 أقسام:

- أسئلة عامة حول الكتاتيب أو المدرسة القرآنية: احتوت 08 أسئلة؛
- أسئلة خاصة بالمدرس في المدرسة القرآنية: احتوت 07 أسئلة؛
- أسئلة خاصة بدور الكتاتيب في الحفاظ على معالم الدين الإسلامي: احتوت 04 أسئلة؛

• أسئلة خاصة بدور الكتاتيب القرآنية في تعليم اللغة العربية وتنمية الرفاه اللغوي والرصيد المفرداتي للتلميذ: احتوت 07 أسئلة.

- وتهدف الاستبانة إلى معرفة آراء أساتذة المدارس القرآنية حول المواضيع التالية:

- الإضافة التي تقدمها كل مدرسة على غرار باقي المدارس الأخرى؛
- الأنشطة التي تقدمها المدرسة القرآنية للتلميذ وتعلمها له والتي تميزها عن غيرها من المدارس الأخرى؛
- معرفة الهدف الذي تسعى لتحقيقه كل مدرسة من خلال برنامجها السنوي؛
- معرفة مدى ترسيخ دعائم الدين الإسلامي من خلال المدارس والكتاتيب القرآنية؛
- معرفة تأثير التعليم في المدرسة القرآنية على المهارات اللغوية وتعليم اللغة العربية.

عينة الدراسة:

• **العينة العرضية:** طبقت طريقة استخراج هذا النوع من العينات على المدارس القرآنية المتواجدة بولاية باتنة. وقد تم اختيار ثلاث مدارس من العينة لأسباب تتعلق بالضوابط الأكاديمية، كالفترة التي ينبغي إنجاز هذه الدراسة فيها مما لا يتيح التنقل إلى عدد كبير من المدارس القرآنية.

اتبعتنا مجموعة إجراءات نوردتها فيما يأتي:

- 1- توزيع الاستبيانات على الأساتذة، والذي استغرق يوما كاملا في كل مدرسة وذلك بسبب توقيت العمل للأساتذة صباحا أو مساء. وقمنا بعملية التفريغ باعتماد جداول إحصائية، أما التحليل فقد اعتمدنا فيه على النسب المئوية الخاصة بكل سؤال
- 2- الاستعانة بالمنهج الوصفي والتحليلي الإحصائي للإجابة على الأسئلة المطروحة في إشكالية البحث.

• **نتائج الدراسة:** سعت الدراسة إلى التعرف على فاعلية الكتاتيب القرآنية في ترسيخ مبادئ اللغة العربية وتنمية الرصيد اللغوي للطفل انطلاقا من آراء الأساتذة الذين أجابوا عن أسئلة الاستبانة، وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة:

1. تحليل عناصر الاستبيان الخاص بالأساتذة:

1. البيانات السوسيوديموغرافية:

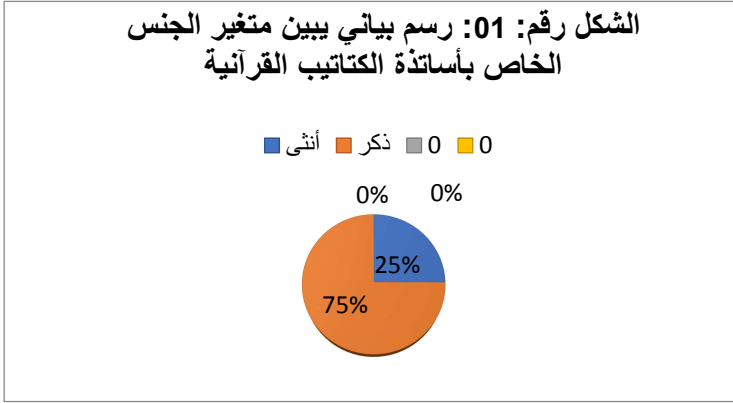
أ. **متغير الجنس:** شملت الدراسة 04 أساتذة، منهم 03 أساتذة ذكور وأساتذة

واحدة والجدول التالي يوضح النسب المئوية حسب متغير الجنس:

جدول رقم: 01 متغير الجنس للأساتذة:

الجنس	العدد	النسبة المئوية
أنثى	01	25%
ذكر	03	75%
المجموع	04	100%

من خلال الجدول السابق نرى بأن نسبة الذكور تفوق نسبة الإناث، حيث تقدر نسبة الذكور 75%، أما الإناث فتقدر نسبتهم 25%، ويعود ذلك لطبيعة العمل، ولبعد مقرر المداس القرآنية أيضا.



2. تحليل نتائج الاستبيان:

أو لا: تحليل نتائج الأسئلة الخاصة بالمدرسة القرآنية أو الكتاتيب القرآنية:
الجدول رقم: 02 يبين عدد المرافق الموجودة في المدرسة:

عدد المرافق	العدد	النسبة المئوية
8	2	50%
6	1	25%
2	1	25%

نرى من خلال هذا الجدول أن عدد المرافق في بعض المدارس القرآنية يقدر بـ 50% بينما في بعضها تقدر نسبة المرافق بـ 25%، وقد ذكر الأساتذة أهم هذه المرافق والتي تتمثل في:

قاعة صلاة، المكتبة الأقسام، المكاتب البيداغوجية، قاعة الإعلام الآلي، المطعم المرقد، المائضة، المخزن، إدارة، ساحة اللعب.

جدول رقم: 03 يمثل عدد التلاميذ في المدرسة القرآنية:

عدد التلاميذ	العدد	النسبة المئوية
530	1	25%
210	2	50%
20	1	25%

يمثل الجدول أعلاه نسبة التلاميذ في المدارس القرآنية حيث قدر عددهم في بعض المدارس بنسبة 50% من التلاميذ، وهذا يدل على الإقبال الكبير للتلاميذ على الكتاتيب القرآنية لتعلم اللغة العربية والقرآن الكريم وحفظه وفي مدارس أخرى قدر عددهم بنسبة 25% تلميذ، أما بعض المدارس فتعاني نقصا كبيرا في عدد التلاميذ، حيث بلغت نسبتهم 25%:

جدول رقم: 04 يبين مدى تزويد المدرسة القرآنية بالوسائل التكنولوجية:

المؤشر	العدد	النسبة
نعم	3	75%
لا	1	25%

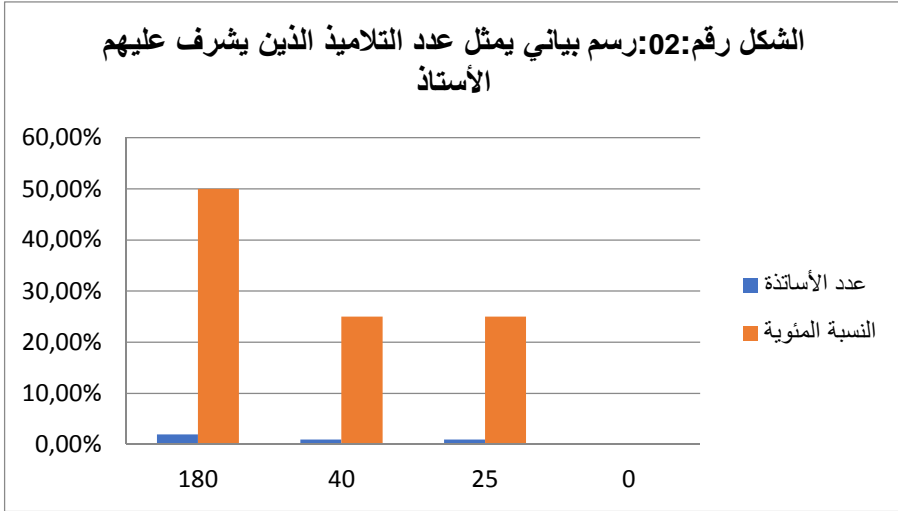
يمثل الجدول أعلاه مدى تزويد الكتاتيب القرآنية بالوسائل التكنولوجية، حيث تمثل نسبة 75% من الأساتذة الذين أجابوا بنعم، أي أن المدرسة القرآنية مواكبة للتطور ذلك من خلال احتوائها على مجموعة من الوسائل التكنولوجية، أما نسبة 25% فهي تمثل الأساتذة الذين يرون بأن المدرسة القرآنية لازالت تعتمد الوسائل البدائية وغير مزودة بالوسائل التكنولوجية.

ذكر الوسائل: الكاشف الضوئي، أجهزة الإعلام الآلي، مكبرات الصوت.

جدول رقم 05 يمثل عدد التلاميذ الذين يشرف عليهم الأستاذ:

عدد التلاميذ	العدد	النسبة المئوية
180	2	50%
40	1	25%
25	1	25%

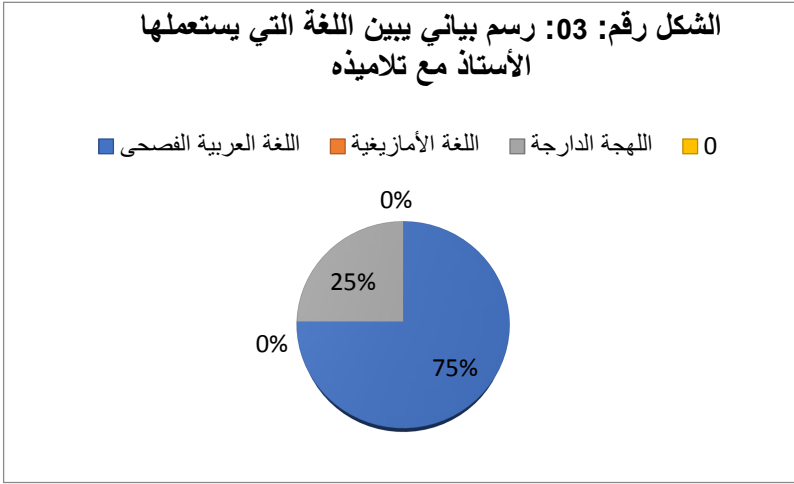
يمثل الجدول المبين أعلاه النسبة المئوية لعدد التلاميذ الذين يشرف عليهم الأساتذة داخل المدرسة القرآنية، حيث تمثل نسبة 50% من الأساتذة الذين يشرفون على 180 تلميذ، أما نسبة 25% من الأساتذة فهي تشرف على تخريج 40 تلميذ في حين تشرف النسبة الثانية على تخريج 25 تلميذاً.



جدول رقم 06 يبين اللغة التي يستعملها الأستاذ مع الأطفال:

النسبة المئوية	العدد	اللغة المستعملة
75%	3	اللغة العربية الفصحى
00%	00	اللغة الأمازيغية
25%	1	اللهجة الدارجة

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن نسبة 75% من الأساتذة تستعمل اللغة العربية في تعليم الأطفال، بينما تمثل نسبة 25% الأساتذة الذين يستعملون اللهجة الدارجة في تعليمهم.



جدول رقم 07 يبين مدى موافقة طريقة التحفيظ الطريقة التجويد:

النسبة المئوية	العدد	المؤشر
25%	01	نعم
75%	03	لا

جدول رقم 08 يبين مدى فاعلية الكتاتيب القرآنية في تنمية القدرات العقلية

واكتساب المعارف:

النسبة المئوية	العدد	المؤشر
100%	4	نعم
00%	00	لا

جدول 09 يبين كيفية تقييم أداء التلاميذ أثناء حصة التعبير:

النسبة المئوية	العدد	المؤشر
00%	00	ممتاز
100%	04	جيد
00	00	حسن
00	00	متوسط

ءءول رقم 10 ببىن ءقبم الأءاذ للئئاء الذى ءءصل علها الءلامىء فى ءفظهم

للقرآن الكرىم وءعلم اللغة العربىة:

المؤشر	الءءء	النسبة المئوية
مماز	01	25
ءبء	03	75
ءسن	00	00
مئوسء	00	00

وقء وءهنا للأساءءة مءمعة من الأسئلة العامة اسءلصناها فى شكل نئاء علمىة نورءها فى ءاءمة.

ءاءمة: وفى الأءبر وانءلاقا مما ءءم بمكن اسءلص النئاء الءالىة من الءراسة

المبءانىة:

- الكئائىب القرآنىة هى من أهم المؤسساء العلمىة الءلعمىة، فهى ءمءل ءمهبءا للمرسة القرآنىة ءلك أن الءفل بئءقى المبءىء الأولىة الءى ءسهل له الإءءماء فى المرسة، فهى ءمءل المءرء الوحبء لءفظ الأمة من الضىاع والائءلال الأخلاقى؛
- ءسعى الكئائىب القرآنىة لءكون منارة علم وقطب اسءقءاب للعلماء والفءهاء وطلبه العلم من كل النواءى؛

• بلبأ مءءلف ءربىىء البامعات إلى الءربىس فى الكئائىب القرآنىة؛ كونه أفضل عمل بقوم به المسلم، لقوله صلى الله علیه وسلم: (ءبركم من ءعلم القرآن وعلمه)

• على الأستاذ الذى بءرس بالكئائىب القرآنىة أن بءلأ ببءمة من ءلصال أهمها:

أن بكون ءا ءلق طبب، ءافظا مءقنا لءئاب الله، عارفا للقراءء القرآنىة، الإءلص فى العمل؛

• ءعءمء مءءلف الكئائىب القرآنىة على برنامء علمى بءءف أساسا إلى ءربىء

العقبءة لءى الناشئة، كما بئءقى الءفل ءلالها مبءىء أولىة فى اللغة العربىة، كما ءءم

المءارس القرآنىة مءمعة من الأنشطة ءمءل فىما بلى: ءعلم الءروف، قصار السور

الأدعية الدينية، الحساب، الرسم، بعض الآداب والأخلاق، تعاليم الدين الإسلامي وفرائضه كالصلاة والوضوء؛

• تكمن فاعلية الكتاتيب القرآنية في تعليم اللغة العربية من خلال إكساب المتعلم ملكة لغوية، ورصيда لغويا ثري، وذلك بكتابة كثير من الألفاظ والكلمات، كما أنها تقوم لسانه من الخطأ، وتعلمه النطق السليم للحروف، فهي بهذا تكسبه مختلف المهارات اللغوية، ذلك أنها تؤثر على مهارة الاستماع من خلال تدريب الأذن على تمييز الصحيح من السقيم، كما تؤثر على مهارة القراءة من خلال تحسين نطق الألفاظ واكتساب الفصاحة، أما تأثيرها على مهارة الكتابة فيتبدى في رسم الحروف رسما صحيحا واضحا وتحسين الخط، وتؤثر الكتاتيب القرآنية أيضا على مهارة الكلام من خلال الدربة على التعبير بأسلوب جيد ومميز؛

• تعتمد بعض الكتاتيب القرآنية على الألواح القديمة، لأنها الطريقة الوحيدة والوسيلة الناجحة التي يراها الأساتذة أفضل لحفظ القرآن وترسيخه لدى المتعلم فالطالب يكتب على اللوح ويسمع من الشيخ، ثم يحفظ ثم يستعرض ما حفظ على الشيخ فيقوم الشيخ بعد ذلك بتصحيح ما أخطأ فيه المتعلم، وهي طريقة الأجداد، حيث تعتمد على التفقي والمشافهة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. آسيا بلحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ع7، ديسمبر، 2007م.
2. أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث، الجزائر، 2007م.
3. بكر اوي محمد عبد الحق، دور الزوايا البكرية التواتية في المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، العدد 25، دت ص: 398/397
4. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر طبعة5، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دت.
5. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية دط، دت.
6. أبو عمر يوسف بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، دط، 1387 .
7. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق لبنان دط، 2002م.
8. عمارة كريمة، حباس صافية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي دراسة ميدانية المدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، إشراف كيم صبيحة، مذكرة ماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، 2016/2017م.
9. عبد الدائم عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن 20 دار العلم للملايين، بيروت، ط1، دت.
10. عبد الجليل سافني وآخر، مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بالتدريكت، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تامنغست، العدد 03، المجلد 10، 2018 .
11. كمال قدة، القراءة والإقراء في العصر الحديث، مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف؟، العدد 5، سبتمبر-أكتوبر 2015م.

12. الكونوني عبد السلام أحمد، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، المغرب، منشورات مكتبة الرباط، ط1، ج1، 1981م.
13. محمد فتوح، دور علماء الزوايا والكتاتيب القرآنية في تعليم العلوم العربية بمنطقة الونشريس زاوية سيدي علي الحاج العداوية الشاذلية نمودجا، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف ماي 2018.
14. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلو في التكفير، إشكالية العنف، المصطلح والمفهوم، مدونة الإقراء الجزائرية، العدد5، نوفمبر 2007م.
15. وهيبة العايب، التربية التحضيرية في المدرسة القرآنية وتأثيرها على مهارتي القراءة والكتابة دراسة وصفية مقارنة، رسالة ماجستير، إشراف شريفة غطاس، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وىدابها، 2005/2004م¹.
16. يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات ANP، الأبيار الجزائر ط1، دت.

الهوامش:

- ¹ آسيا بلحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ع7، ديسمبر، 2007م، ص73
- ² وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلوفي التكفير، إشكالية العنف، المصطلح والمفهوم مدونة الإقراء الجزائرية، العدد5، نوفمبر 2007م، ص:57.
- ³ كمال قدة، القراءة والإقراء في العصر الحديث، مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف؟، العدد 5، سبتمبر-أكتوبر 2015م، ص:7
- ⁴ ينظر: عمارة كريمة، حباس صافية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي دراسة ميدانية المدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، إشراف كيم صبيحة، مذكرة ماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، 2016/2017م، ص:9/10
- ⁵ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية دت، ص: 227

- ⁶أبو عمر يوسف بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب دط 1387، ص: 141
- ⁷صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، لبنان دط 2002م، ص: 30
- ⁸ينظر: بكر اوي محمد عبد الحق، دور الزوايا البكرية التواتية في المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، العدد 25، دت، ص: 397/398
- ⁹صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص: 303
- ¹⁰أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث، الجزائر، 2007م، ص: 149
- ¹¹وهيبة العايب، التربية التحضيرية في المدرسة القرآنية وتأثيرها على مهارتي القراءة والكتابة دراسة وصفية مقارنة، رسالة ماجستير، إشراف شريفة عطاس، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2004/2005م، ص: 25
- ¹²عبد الدائم عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن 20، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، دت، ص: 146
- ¹³الكنوني عبد السلام أحمد، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية المغرب، منشورات مكتبة الرباط، ط1، ج1، 1981م، ص: 36
- ¹⁴ينظر: وهيبة العايب، مرجع سابق، ص: 25
- ¹⁵ينظر: يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات ANP، الأبيار الجزائر ط1، دت، ص: 15
- ¹⁶تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر طبعة 5، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دت، ص: 370
- ¹⁷ينظر: عبد الجليل ساقني وآخر، مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بالتديكلت، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تامنغست، العدد 03، المجلد 10، 2018م، ص: 218/216
- ¹⁸ينظر: محمد فتوح، دور علماء الزوايا والكتاتيب القرآنية في تعليم العلوم العربية بمنطقة الوئشريس زاوية سيدي علي الحاج العداوية الشاذلية نموذجاً، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف ماي 2018، ص: 382/381.

إحياء الكتاتيب وعصرنة منهجها

داه: أحمد أمين بوعلام الله

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

مقدمة: سبحان الذي غمرت من لدنه فيوضاتُ النعماء، فجَلَّتْ على الإحصاء وقصر عن شكرها لسان الثناء. أحمده حمد موقن بجزيل خيره، مخلص في التوكّل عليه دون غيره، منبرّئ له من الاغترار بالقوة والحول، مستمد منه العصمة والتوفيق في الفعل والقول. وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد المؤيّد بالعصمة، والباسط لما أوتي من الحكمة، صلاة تكون كفاء ما علم بعد الجهالة، وهدى بعد الضلالة، وفتح قلوبا بعد الإغلاق، وفتح أنوارا بعد الإطباق، وعلى آله وأصحابه الذين اقتفوا أثر هديه فانقلبوا أدلّة، واستناروا من مدده فطلعوا أهلة، وبعد.

فإنّ حال الكتاتيب في الوقت الحاضر في بلد الجزائر لا تسرّ الناظرين، ولا تقرّ أعين المشتاقين، ذلك أنّه إذا ضاع على الطّفّل وقت تعليمه المرتجى في سنّه المجتبي ما بين يوم ولادته والسبع الألى، تملّصت من بين يديه ثروة لغوية كبرى وذخيرة شرعيّة فضلى، وكل أولئك يرجع إلى القهقرى التي أصابت الكتاتيب حسّا ومعنى، لا سيّما في زمن صارت التكنولوجيا والعولمة تترا بين الفينة والأخرى والكتاتيب والمشايع والتلامذة بأشدّ الصّعوبات والفاقة وفقد المساكن والمرافق والحاجة الماسّة للتنظيم وإصلاح التعليم وقلة الازدواد والكسى، وهذا ما سوّغ للباحث أن يتساءل مستشكلا: هل من سبيل لإحياء الكتاتيب وعصرنة منهجها انتشالا للطفل من العاميّة المغلولة إلى الفصحى المبسوطّة؟.

1- **مفهوم الكتاتيب:** من الناحية اللغويّة جاء في لسان العرب لابن منظور المكتب والكتاب؛ موضع تعلم الكتاب، ويجمع على كتاب وكتاتيب، والمكتب موضع التعليم⁽¹⁾.

وأما من جهة الاصطلاح؛ فيقصد بالكتاتيب "المدارس" التي تختص بتحفيظ القرآن والتي غالبا ما تكون من المسجد أو ملحقة به، فهي عبارة عن قاعات صغيرة كثيرا ما تزدحم بأطفال متفاوتين في الأعمار، يجلسون على الأرض، وأمامهم الشّيخ أو "الطالب"

ويقرؤون القرآن من أجل الحفظ؛ إمّا عن طريق اللوح أو من المصحف مباشرة، وغالبا ما يكتب الطفل على الألواح سورة كاملة، أو مجموعة من الآيات القرآنية، فيحفظ تلك الآيات عن طريق التكرار عن ظهر قلب، ثمّ يستظهر ما حفظه على شيخه ليجيزه إلى الانتقال إلى المقطع القرآني الآخر، فيمحو لوحه و يكتب الجزء الثاني، وهذه طريقة النظر، وهناك طريقة التلقين باللفظ التي تدعى بالظاهر وهكذا حتى يصل به الشيخ إلى ختم القرآن كاملا، فيحدث التنافس الشديد بين الصبيان ومن كان في حكمهم، الذين ينتلمنون على الشيخ نفسه وفي الكتاب عينه فيحصل من ذلك تباين كبير بين الطلاب في الحفظ وسرعته وجودته باختلاف القدرات والاستعدادات والظروف التي تعترض كلاً من هؤلاء التلاميذ⁽²⁾.

2- وصف إجمالي لحال الكتاتيب الجزائرية في وقت تحريرنا هذه الورقة البحثية:

يجدر بنا أن نلمّ بصفة إجمالية بالحال التي تبين هيئة الكتاتيب في الجزائر وفي الوقت الحاضر؛ حتى يتسنى لنا الكشف عما يعترئها من سوء، وما يصلح أن يكون علاجاً ناجحاً لرأب الصدع بيننا وبين التعليم الكتابي الأصيل؛ الذي هو -في الحقيقة- عامل من عوامل حفظ القرآن العظيم وتجويده بالقراءة المشتهرة في بلاد المغرب قراءة ورش عن نافع، وبنبوع لغوي متين، يجعل الطفل المبتدأ في طريق الطلب يمتاز عن غيره ممّن هو لا ينتمي إليها، بالمنطق الحسن والكلام البليغ واللسان الفصيح والقلب الذكي والانضباط وفق القانون اللغوي الذي يعتبر أنّ لكل مقام مقالاً⁽³⁾، وهذا سيقصر الباحث الكلام -هنا- عن حال التعليم بالكتاتيب والمدرسين فيها، وحال الطلبة، والنظام الآن.

2-1- النظام: حال التعليم في الكتاتيب تجري على طريقة اختيارية، يختار كل

مدرس في المدارس القرآنية طريقة في تحفيظ الطلاب القرآن، من غير استناد لأشياء منهجية تتناسب مع الأطفال، وتتلاءم مع التباين في الأعمار والاستعدادات الفردية للطلبة، وأوقات التعليم غير مضبوطة في الابتداء و الانتهاء، بل إنّ التدريس فيها غالباً ما يكون في فصل الصيف دون غيره من الأوقات، ويعتمد المدرّس فقط على طريقة التلقين والترديد دون فهم، ناهيك عن المرافق التي يتم فيها التعليم فإنها لا تروى غليلاً

ولا تشفي عليلاً، مجرد بنيان عتيق أو مقصورة من المسجد يزدهم فيها الطّلاب باختلاف أعمارهم وأحياناً باختلاف أجناسهم، من غير مقاعد جلوس أو وسائل تعليمية أو تجهيز يقيهم الحرّ والبرد، أو تنظيم عامّ موحد يجري على المستوى الوطني، وفق منهاج مبني على أسس علمية صحيحة، ولا تقوم على تنظيم امتحان للطلاب أو تثمين الحضور ومراقبته بحيث لا يسمح للتلامذة بالتخلف عن الدرس القرآني، ولا ترعاها وزارة الشؤون الدينية حقّ رعايتها، من حيث إنها سبيل تكوين شباب المستقبل وتهئّتهم لحمل مشعل الإسلام والعربية، وقد أقرّ كثير من المشرفين على المدارس القرآنية بالجزائر بإعادة تأهيل الأقسام الخاصة بالتدريس القرآني وتوسيعها، أو إنجاز مدارس وفق معايير تتلاءم مع عدد التلامذة، والاهتمام بأمر دعمها وتمويلها من طرف الوزارة الوصية لا أن تقتصر على المحسنين والمتبرعين وصندوق الزكاة، بل إنها تفتقد الصيغة القانونية لتتحول إلى رياض أطفال، حتى تكون بديلاً تربوياً مهماً، بل تتوافر على أماكن يستريح فيها المتعلمون أو يجددون نشاطهم ممّا قد يصيبهم من السأم والملل حال الطّلب⁽⁴⁾، والأدهى والأمر المطالبة بغلق هذه المدارس والتضييق عليها والسعي في إلغائها في زمن الاستقلال والأمان والاطمئنان وفي ذلك يقول (قسوم): «تعرض من حين إلى آخر إلى الرقابة ومطالبتنا بتقارير وإحصاءات ونحن لا نضيق أبداً بهذا ولكننا نضيق بقرارات الغلق، خاصة أننا ننتقي المعلمين الحافظين لكتاب الله.. لن نفتتح بأي شيء يلغي الكتاب⁽⁵⁾»، ويستطرد قائلاً: «إن تصريحات الوزارة السابقة مطمئنة نفسياً لكنها تحتاج إلى تدعيمها بقرارات رسمية وقانونية تحدّد الصلاحيات والمسؤوليات، واتصل بي رئيس ديوان وزارة التربية -السابق- وطمأنني بأنه لا مساس بهذه المدارس⁽⁶⁾»، ودافع قسوم بشدة عن الكتاتيب مؤكداً أنه: «لا يحقّ لأحد المساس بها أو إلغاؤها لأنها ملك للأمة مستنكراً انتهاج سياسة تجفيف منابع كما تفعله العديد من الدول الغربية التي تعتقد أن أصل الإرهاب هو الكتاتيب القرآنية وهذا لا يقوم على سند⁽⁷⁾»، وحسب (قريفو)، فإن نظام الكتاب لا يعتمد على جدول زمني *emploi du temps* وبرامج وبرمجة، بل

يكتفي بأن يقدّم لكل طفل نصيبه اليومي، نصيبه الثقافي، الحضاري، متأسفة لعدم احترام حرية الطفل والعمل بالواجب أي تقديم وإعطاء حصته من الإرث الحضاري⁽⁸⁾.

2-2- أحوال التدريس ومدرسيها: يباشر المدرسون الرسميون، والمتطوعون القائمون بالتعليم مجّانا التدريس في الكتاب. وطريقة توظيف أولئك المدرسين معلومة لدى المهتمين بالشأن الديني، فإنهم يعتمدون فقط على المستوى الثانوي مع حفظ القرآن الكريم⁽⁹⁾، وهذا لا يكفي بأن يكون الشخص القائم بتربية النشء وتعليمهم أستاذا مناسباً في التعليم القرآني. ويتمّ التدريس على الطريقة التقليدية الموروثة عن الأقدمين، حيث يقتصر على تحفيظ القرآن وتلاوته من الذاكرة من أوله إلى آخره بدون شرح لمفرداته ولا تحليل لمعانيه، وقد اشتهر بهذه الظاهرة سكان القطر المغربي⁽¹⁰⁾، منذ عهد (ابن خلدون) الذي أشار إلى شيء من هذا في مقدمته حيث يقول: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في البلدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخالطون ذلك بسواه شيئاً من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحقّق فيه، أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة»⁽¹¹⁾، وبالنسبة لطريقة التعليم فتقوم على الطريقة الحلقية المبنية على جلوس الطلاب على الأرض بين يدي المدرس، وقد كان في أول الأمر التعليم القرآني بل وإلى الآن في زوايا المساجد، بحيث يستند كل واحد من المعلمين إلى سارية من المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم، فإذا كان الطفل الذي لا يعرف القراءة والكتابة فإنه يبدأ معه برسم الحروف شفاهاً وكتابة، ومن ثمّ يشرع في حفظ قصار السور، ابتداءً من الفاتحة ثمّ الناس ثمّ الفلق وهلمّ جرّاً، فالطفل في كل مرة يردد ما سمع حتى يتحقّق معلمه من صحّة نطقه على الوجه الصحيح، والشأن أن يكون لكل طفل لوح يكتب فيه ما يريد حفظه، وحين يفرغ التلميذ من كتابة القدر الذي أدّن له فيه معلّمه، يسلمّ اللوح للمدرس "أستاذ التعليم القرآني" أو "المتطوّع للتدريس القرآني" ليراجع ما سطر وغالبا يكون التصويب متبوعاً بقراءة جماعية ليلبغ التلميذ الكفاءة في الكتابة في السطر والحفظ في الصدر لئلاً تضلّ إحداهما فتتكرّر إحداهما الأخرى فإذا

فرغ التلميذ من كتابة الألواح وضبطها وتصحيحها، اتخذ مكانا له في المدرسة القرآنية أو على سارية المسجد ليرتد ما كتبه مرارا وتكرارا إلى أن يبلغ حفظه والتمكّن منه، فإن هو أحكم الحفظ وعرضه على الأستاذ بعد صلاة العصر -على اختلاف بين العادات باختلاف المناطق- أجاز له لينتقل إلى الجزء الثاني ليكتبه بعد محو المحفوظ وهكذا إلى أن يختم القرآن كاملا⁽¹²⁾، وقد صرح أحد معلمي القرآن في المدرسة القرآنية (عثمان بن عفان) بطريقتين لتحفيظ القرآن الكريم؛ طريقة جماعية تقوم على تقديم نفس المقطع القرآني على الجميع وتلاوته من طرف الشيخ أول مرة ثم العكس، يعني يُتلى من طرف التلامذة، ومن ثمّ يحصل التنافس الشديد في السبق في الحفظ إحكاما وإتقاناً، وقد عزا المعلم هذه الطريقة لشيخه الذي أخذ عنه القرآن العظيم، ثم تلى نفس المتحدث بالطريقة الفردية التي ينتهجها هو من غير تقليد أعمى للشيوخ الأولين ومقتضاها -على حسب ما ذكر- أنه يفسح المجال للطلاب باختيار دونما تعييد بكمّ معين ولا زمن محدد ولا طريقة متبّعة، فكانّ طريقته هي اللطريقة والاهتمام بالحزب الراتب الجماعي الذي له أثر كبير في بلوغ كفاءة قراءة القرآن على الوجه الصحيح حتى يتدّ الحفظ ويتوكّد⁽¹³⁾.

2-3- أحوال الفنون والكتب: عند استكمال الحفظ سواء بالطرق المذكورة آنفاً أو بطريقة الأثمان والأرباع والأنصاف، ويتم استظهاره من طرف الأستاذ المدرّس في جلسة واحدة دون انقطاع، يتحصّل الطالب المتربّص على شهادة الاستظهار (مؤسّسة عمّي سعيد على سبيل المثال) بعد ذلك يوجّه إلى حفظ المتون التي لا غنى لطالب العلم الشرعي عنها، كأثور العقول للإمام السالمي في العقيدة، وشمس الأصول له كذلك في أصول الفقه، والدرر اللوامع لابن بري في التجويد، وألفية بن مالك في اللغة. وغيرها من الفنون كالنفسير⁽¹⁴⁾، وفقه المعاملات، فقه الأسرة، وفقه المواريث والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وذلك بطريقة كتابة الأبيات في اللوح ثم حفظها ومن ثمّ استظهارها كما يفعل مع القرآن الكريم، فيتدرّج شيئاً فشيئاً في الحفظ والاستظهار والديمومة على ذلك من أجل تحصيل العلوم كما تحتوي على مكتبة جامعية لطلبة قسم التخصص في العلوم الإسلامية تحتوي على حوالي (8500) كتاباً و(3000) كتاباً مخطوطاً⁽¹⁵⁾، وأمّا

زاوية الهامل القاسمية العريقة بالقرب من بوسعادة فإنها لا تزال وفيّة لتدريس المبادئ القرآنيّة وعلوم اللغة العربيّة المتواصلة على مرّ الأيام، حيث تحتوي على مكتبة هي من أهم مكتبات التراث وحوالي (1089) من نفائس المخطوطات الإسلاميّة في المغرب العربي الكبير والكتب والمؤلّفات التي تعنى بالتصوّف على الطريقة الرحمانيّة، وقد حرص خلفهم بالاعتناء بالمكتبة وتطويرها فمنهجها المعتمد يرمي إلى إعداد الشخسيّة الصالحة المتوازنة المتكاملة بربط العلم بالعمل⁽¹⁶⁾ متمثلين قول الشاعر:

العلم ينادي بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل⁽¹⁷⁾

وأما المقررات المعتمدة تبدأ بحفظ القرآن بالتكرار الجماعي بالتناوب بين الجماعة والفرد ثم ينتقل الدور إلى الثاني، حتى يحلّق التلميذ بجناحي الحفظ المتقن والتركيز أثناء التكرار حتى لا يلحن في القراءة، وهكذا يستمر الطالب سواء في القرآن أم الحديث أم المتون العلميّة، وهي مفيدة حتّى للطلبة المتمدرسين فضلا عن المتفرّغين أو المبتدئين مثال ذلك في القرآن الكريم يأتي بعض الطالبات المتمدرسات بعد العصر إلى المغرب بمعدل ثمن يوميا والتكرار والمراجعة ومن ثم التلقين للثمن الموالي، واستظهرن ثلث القرآن في ستة أشهر من ديسمبر إلى ماي، بالإضافة إلى اعتماد الدراسة ببعض المتون كالرحبية في المواريث يشتمل على (176) بيتا وكتاب في قواعد الإعراب والمسمّى ملحّة الإعراب يشتمل على (378) بيتا، وأسهل المسالك في فقه الإمام مالك ويتضمن (1154) بيتا، وبالنسبة للحديث هناك منظومة البيقونيّة في علم الحديث وتشتمل على 34 بيتا، ودورات في الأربعين النووية في يومين وأيضا عمدة الأحكام (422) حديثا وهو من المقررات في الأزهر الشريف واستطاع الطلاب والطالبات أن يستظهروه في 22 يوما، بمعدل (19) حديثا في اليوم، في دورات مغلقة ثم تختتم هاته الدورات بحفل يستظهر هؤلاء التلامذة من طرف الجمهور الحاضر ليتأكد الجميع من حفظ هذه الذخيرة اللغوية العظيمة، حتّى إنّ مشايخ الزاوية وضعوا وقفا للحديث كما هو الحال في القرآن سواء في الأربعين النووية أم العمدة أم اللؤلؤ والمرجان فيما انفق فيه الشيخان، حتّى تطبّق منهجية التناوب وقفة بوقفة، ففي بعض الأحيان تكون صعبة في الحديث مثال

ذلك، يكون السؤال كالتالي: «قالوا بلى يا رسول الله؟»، فيجيب الطالب بإخراج الباب والحديث الذي يعنى بالسؤال، وبعض الأحيان يكون السؤال أصعب من هذه الطريقة بحيث يخبر الطالب بكلمة واحدة مثال ذلك: «عُرِينَةَ؟»، فيمكن للتلامذة أن يستخرجوا الباب والحديث المشتمل على هذه الكلمة، وهذا يدل على نجاعة الطريقة وقوة الحفظ في ظرف قياسي، بالنسبة للمتون في عطلة مارس (2014)، و كان هناك دورة في منظومة هدية الأبواب وفي جواهر الآداب حوالي (146) بيتاً، استطاع الطلاب أن يحفظوا هذه المنظومة في ظرف يومين فقط، أي بمعدل (73) بيتاً في اليوم، وقد أقيم نفس المخيم في مدينة سكيكدة من طرف نفس الشيخ، وقد تمّ حفظ هذه المنظومة في يوم واحد من طرف (3) طلاب و(3) طالبات في يوم واحد، فهذه نماذج من نتائج منهجية الزاوية القاسمية في تحصيل القرآن والحديث والمتون، بل إن الطلاب يُعَنون بالمتشابهات في القرآن ويسجلها التلميذ على الهامش في المصحف، فمثلاً: قول الباري سبحانه وتعالى: ﴿وَبَيْسَ الْمَصِيرِ﴾، في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم فأحياناً الطالب في أثناء مراجعة محفوظه من سورة التغابن بدل أن يقول: ﴿وَبَيْسَ الْمَصِيرِ﴾ (10) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴿18﴾، يقول آية الحديد: ﴿وَبَيْسَ الْمَصِيرِ﴾ (15) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿19﴾ فلا يلهم الصواب، فيكتب كل مرة التشابه الموجود لنثلاً بينه في التشابه- ولا سيما- إذا كان في معرض الإمامة أو الخطابة أو الاستدلال، فلا بدّ للتلامذة من بلوغ الأرب في المتشابهات القرآنية لتحصنهم من الوقوع في اللحن في كلام الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر الشيخ أهمية التحكم في المتشابهات-مثال ذلك- في سورة نوح في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلِدُونَهَا ﴿20﴾ ثم بعد ذلك في نفس السورة ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمَا عَصَوْتَ وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿21﴾ ثم من بعد ذلك في ذات السورة: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿22﴾، ويتركز الأمر على تكرار الترسخ وتكرار المراجعة وتكرار مراجعة المراجعة في القرآن والحديث والمتون وتختلف المقررات باختلاف المدارس القرآنية والغالب أنهم يقتصرون على تحفيظ القرآن

وفي بعض الكتاتيب تدريس قواعد القراءة والتجويد وأحيانا التفسير وشرح يسير لمعاني القرآن الكريم. (23)

2-4-أحوال التلامذة: تستقبل الكتاتيب في كل صيف زهاء 300 تلميذا على حسب ما صرّح به إمام مسجد بسكرة بمسجد الإمام علي بن أبي طالب، تتراوح أعمارهم بين السادسة والرابعة عشرة عاما، منهم من يأتي طوعا للاستزادة من العلم وحفظ القرآن وتنمية المهارات اللسانية، ومنهم من يأتي كرها تجبره العائلة على ملء فراغه في الاستفادة من حفظ القرآن الكريم وتعلم ما يكون في الكتاتيب من علوم ومتون مفيدة، هذا وينقسم الأمر في الجزائر إلى طلاب متدرسين يأتون في كل عام مرة ليستثمروا فراغهم في العطل والبطالات، ومنهم صنف ثان وهم المسافرون الذي يمكنهم في الكتاتيب من مشارق الأرض ومغاربها فتكون نفقتهم على عاتق الكتاتيب أو المساجد أو الزوايا وهؤلاء غير متدرسين أو منقطعين عن الدراسة الأكاديمية لسبب من الأسباب ففي شهر سبتمبر -على اختلاف بين المدارس القرآنية الجزائرية- يُقيمون حفلا تكريما للطلاب الذين تمكنوا من تحصيل قسط من القرآن الكريم وقد تقدم لهم الهدايا والجوائز تحفيزا لهم ولغيرهم ممن لم يحفظوا إلا النزر القليل، ومن المعلوم أن عدد الكتاتيب في الجزائر 2360 مدرسة قرآنية موزعة على 48 محافظة بالبلاد تشهد إقبالا واسعا من التلاميذ لحفظ القرآن (24).

أما حضورهم الدروس فعلى الكيفية المتعارف عليها بهيئة الحلق المحيطة بالمدرّس قَلّوا أو كثروا، فإذا كان كثيرا يفضي ذلك إلى تبادرهم لحوز البقاع، كل يوم، فيضيع وقت من الحصّة، والشيخ يدعوهم إلى الهدوء بالرغبة والرّهبة، حتّى إنه ليستدعي من يساعده على حملهم على الامتثال والانتباه كالقيّم أو من يقوم مقامه عندما يرى بوارق التشويش، وليس لهم كبير محافظة على أوقات التحفيظ ولا على إحضار البال ومعاملتهم مشائخهم بغاية المبرّة والإجلال، وقد تظهر منهم مخالفات عن سوء فهم أو جهل بالنظام المفروض أثناء الحلقة، فقليل بينهم سيء السريرة، على أنه ليس في القوانين زواجر محدودة تهدّد النفر القليل الذي يظهر منهم سوء السريرة فلذلك تتكرر كل عام

مرة أو مرتين حوادث التلاكم في الدروس وأثناء الحفظ أو التحفيظ، لكن قد يشفع عنهم المشايخ مع شيء من التوبيخ والتهديد، وسائر التأديبات موكولة لمن يعنى بالتدريس كلّ وأسلوبه، ونسبة النباهة والتحصيل في التلامذة تختلف بحسب الاهتمام أو إهمال الشيخ التمرين وترك المراجعة قبل الدرس الجديد وبعده، وترك مطالبتهم باستنكار ما تعلموه وترك تكليفهم بحفظ المتون جيّداً، وترك تعويدهم على فهم معنى المتن الذي يحفظونه فإنك لتسأل التلميذ مسألة فيعجز عن الجواب ويتذكر عبارة المتن ولكنه يبقى يلوكلها ولا يكاد يبين المراد منها، أمّا إن كان دين الشيخ الاهتمام فهؤلاء التلامذة هم الذين أظهرت التجربة أنهم أشدّ نباهة وإتقاناً و استحضاراً لما تعلموه وكفاءة للتقدم وأحسن تحصيلاً⁽²⁵⁾ فهذه نهاية الوصف الإجمالي لحال الكتاتيب وتعليمها-اليوم-في هذا الوطن المفدى، فكيف يفرط الأمراء والعلماء في مواطن علمية كالكتاتيب وما نحا نحوها ولم نعد نحسّ منهم من أحد أو نسمع لهم ركزا؟ ألا يدعوننا داعي انحسار العربية والتعاليم الإسلامية في امتشاق العولمة وإعداد نخبة في لباس المواطن الأريب المطبوع على الكتاتيب؟.

3- إصلاح الكتاتيب وفق مقتضيات العصر الحاضر: لمّا تراءى للعيان أقول نجم

الكتاتيب وإشعاعها، لم يكن بد للجنان من أن يفيض سيبه وينظر باستشرف إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا الصرح العلمي التعليمي في الجزائر حتى يبعث من جديد ويستعيد شأوه على النهج العتيق، فيكون منارة للعلم والتربية والتنشئة النفسية والسيكولوجية وفق هذا الطرح الذي يستفيد من البلاد العربية المجاورة-المغرب-، إذ لا نثريب علينا في الاقتباس مادام في خدمة العلم والنشء واللغة العربية ومقومات الشخصية الجزائرية على النحو التالي:

1- ينبغي إعادة صياغة منظومة التعليم القرآني الحديثة؛ وهذا حتى لا ننساق غافلين خلف العالم الغربي الذي يمّني نفسه ومن نحا نحوه في الألفية الثالثة بنظام عالمي جديد يركز على التغيير الجذري للقيم والمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية⁽²⁶⁾.

2- واقع الفضاء التعليمي: الكتاتيب -اليوم- عبارة عن بيوت هيئت، أو ملحقات متصلة بالمساجد أو غرف مبنية في زوايا عتيقة جعلت لاحتضان التلامذة، فالحاصل أنها

قد تكون مناسبة لأمر جليل كالتعليم القرآني وقد لا تكون، فالأولى أن تبنى الكتاتيب بناء يعبر عن هويتنا وشخصيتنا الجزائرية المنبثقة من الأصل المغربي سواء من طرف الدولة أم من طرف المحسنين وتزويدها بمختلف الموارد والوسائل التعليمية والاهتمام بتوسعتها وجانب نظافتها وأمنها حتى توازي وتكامل المدارس التربوية الابتدائية - الآن - (27).

3- واقع الزمن التعليمي: وهو الوقت المعلوم منذ القدم، يختلف باختلاف المقارن على مستوى القطر الوطني، وهو زمن قد يناسب البعض وقد لا يناسب آخرين، لا سيما المتمدرسين منهم، يقول الطاهر بن عاشور: «الطفل الذي يقضي ساعات يومه في متابعة برنامج التعليمي، وتحضيره المستغرق أوقاته ولا يزال بعد ذلك في حاجة الزيادة إلى المعارف، وهو مع ذلك محتاج إلى استجماع ذهنه واستجداد نشاطه عقب الأعمال التي قد تقضي به إلى الملل، فلا جرم أن كان جديرا بأن يحتال ناصحوه على أن يعرضوا على ذهنه معارف تسمح له دروس التعليم بتلقيها، ولا يسمح له طلب الكمال أن يفرط فيها، ولا تسعد قوة العمل بعد الفوات بتلافيها، فمن الحكمة أن يوفق بين حالي حاجته وراحته، فكما كانت تلك المعارف مغايرة للعلوم التي يلقنها في برنامج تعليمه كذلك ينبغي أن تكون وسيلة إيصالها إلى ذهنه مغايرة للوسائل المعتادة، حتى يصل استجداد ذهنه باختلاف الأساليب من غير حرج في ذلك ولا تثريب، فإن لاختلاف الأساليب تجديدا لإقبال النفس على مزاولة الأشياء المتكررة» (28).

4- تمتلك وزارة الشؤون الدينية الأوقاف، رصيда هاما من التجربة المرتكزة على جهود المدارس والمعاهد والحلقات والرباطات الدينية، كما تزخر بثراء كبير في النصوص التشريعية المنظمة للتعليم الأصلي الذي شهد نهضة واسعة في السبعينيات فما أوج بلدنا - حرسها الله - الممزقة كل ممزق بين الأصولية المتطرفة ودعاة التغريب والانسلاخ إلى إحياء هذا النوع من التعليم المتكامل المتزن الأصيل وبعث مشاريعه الطموحة التي كان رائدها المجاهد الفقيه مولود قاسم نايت بلقاسم. لذا كان لزاما علينا جاهدين لتطوير منظومتنا القرآنية وسيلة ومنهجا ومضمونا، والغوص في أعماق

الماضي لاستلهاهم العبر وتأصيل العمل، والتفتّح على الحاضر وما يزخر به من دراسات وبحوث وأفكار، والتطلّع إلى المستقبل وما يلوح فيه من خيارات... (29).

5- ممّا يؤخذ على منهجيّة التلقين دون الفهم و الممارسة -في أغلب المدارس المنتشرة في الوطن- إلا قليلا، فإنّها تورث قطيعة تحوّل بينهم وبين التدبّر والتفهم لمعاني كلمات الله -سبحانه وتعالى-، وتلغي البعد العملي في الإسلام، وتهمل أبعادا متعددة في كيان التلامذة، كالبعد النفسي والحلقي والاجتماعي والاقتصادي، وهنا تجدر الإشارة إلى النزر القليل من أساتذة التعليم القرآني أو المكلفين طوعا بالتدريس في هذا الجانب يمارسون بعض العقاب على المتعلمين مما شأنه أن يترك أثرا في نفسيّة التلامذة وقد يكون سببا في انقطاعهم بالكلية عن متابعة درسه القرآني وهو مخالف للمناهج التعليمية الحديثة(30).

6- الاهتمام بإعداد المدرّسين للقرآن الكريم، لأن في هذه الحال الحاضرة يتصدّى لهذه المدارس أئمة المساجد وأساتذة التعليم القرآني بل و حتى المؤذنين والقيمين الذين هم ممن يحملون كتاب الله سبحانه وتعالى بل والمتطوعون، فإنهم يبذلون جهودا مشكورة في هذا المجال ويحظون بالاحترام والإكبار من طرف من يتلمذون على أيديهم، ولكن هذا لا يكفي-أبدا-لبلوغ الكفاءة المرجوة من هذا الخير العميم، فإنه ينبغي أن ينبري للتدريس من كان يمشي بجناحي التكوين العلمي والمنهجي -البيداغوجي-؛ أمّا العلمي فإلى جانب حفظ القرآن يجب أن يتبحر المدرس في العلوم اللغوية والإسلامية، إضافة إلى الاستفادة من العلوم الحديثة في مجال التعليمية وطرائق التدريس وفلسفته، وتكنولوجيات الإعلام والاتصال كالحاسوب والانترنت وكيفية الاستفادة منها من حيث البحث في الطرق الناجعة للتعليم أو التطبيقات الموجودة في الهواتف الذكية التي تحتوي على مصاحف تعليمية وخطط منهجية يمكن أن نأخذ منها ما ينفعنا في هذا المجال، لأن ضعف المدرّس من الناحية العلمية والبيداغوجية يعود سلبا على العملية التربوية التعليمية، مع العناية بأجرة المدرّسين للتدريس القرآني، فإنه أحقّ ما أخذ عليه أجر (31).

7- واقع التمويل والتسيير: بالرغم من الدعم اليسير الذي يُتلقى من الوصاية، إلا أن أغلب الكتاتيب تحتاج إلى دعم من طرف الدولة تسييرا وتجهيزا ونفقة وتدعيما، ولا يقتصر الأمر على المحسنين أو أولياء المتلقين، فإنّ تضافر الجهود من شأنه أن يرقى بالكتاتيب التي هي صمام الأمان للنشأة الكتابية⁽³²⁾.

8- توحيد المنهجية التي تتبناها المدارس القرآنية على مستوى القطر الوطني بل ويمكن إنشاء مقررات دراسية كما كانت عليها المؤسسات التعليمية العريقة كالزيتونة والأزهر والقرويين والمسجد الأموي، والاعتناء بتكوين مكوني المدرسين للتعليم القرآني، فحيثما لو اعتمدت المعاهد التابعة لوزارة الشؤون الدينية على الدكاترة و العلماء والمتخصصين في مجال العلوم الشرعية واللغوية وعلوم التربية وعلم النفس والاجتماع المشهود لهم بالعلم والأمانة، وهم كثيرون في بلدنا يستفيدون منهم هؤلاء الذين يبنرون لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم وعلوم اللغة المختلفة والتدرج في تعليمهم بحسب مراعاة الفروق الفردية -البيداغوجيا الفارقية- والتقويم⁽³³⁾.

9- تخصيص حملات دعائية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة قصد تعريف الناس بأهمية المدرسة القرآنية وبيان أثرها في تفوق وصقل فلذات أكبادنا⁽³⁴⁾.

10- تشير الدراسات اللسانية إلى أنّ الطفل الغربي يدخل المدرسة وعمره ثلاث(03) سنوات حصيلته اللغوية (16000) كلمة، أمّا الطفل العربي في جميع العالم العربي فمحصور في اللغة العامية لغة الأم في البيت، والعامية للأسف الشديد-محدودة جدا (3000) كلمة فقط، فتخيّل أنه لا تستطيع أن تستخدم أو تعيش إلا في حدود ضيقة جدا، وهذا مؤشّر خطير يدعو إلى الرهب على أطفال الجزائر -خاصة- والدول العربية عامة، وقد أقيمت دراسات من غربيين-جيبين- (Jansen) تثبت أنّ الطفل العربي، لمّا كان يدرس في الكتاتيب في زمن الدولة العثمانية ويتبع منهجية حفظ القرآن الكريم كاملا في 6 سنوات، وحفظ ألفية بن مالك التي تتضمن كل قواعد العربية الفصيحة، في السنة السابعة وصف الطفل العربي بأنّه طفل ذو مقدرة لغوية جبارة، لأن القرآن وحده يشتمل

على (50000) كلمة، فالإنجليز والفرنسيون يعتبرون الكتاتيب هي السبب في الغزو العربي للعالم في الزمن الأول، فمنهم من حادّ الكتاتيب ونبذها بالكلية كالفرنسيين، ومنهم من أساء سمعة القرآن باعتماد تعليم بمناهج غريبة في مدارس حديثة لأولاد الأغنياء كالإنجليز، ودعوا إلى عدم إهدار الطفل طفولته، ونجحوا في ضياع فترة كلام الطفل بالعربية الفصيحة وخسران (50000) كلمة التي يغدق بها القرآن الكريم على التلامذة في السنّ المبكرة تلك⁽³⁵⁾ أما أن أوان أن نسمو إلى فضيلة أصلنا وإحياء كتاتيبنا وبعث مناهجها على مقاسنا؟.

خاتمة: مهما كان الواقع مريراً، والأمل عسيراً، فإننا نرجو أن تعود الكتاتيب والزوايا والمساجد لما كانت عليه من قبل، وأن تعطى حقّها ومستحقّها من العناية والاهتمام من التحديث في البنيان والإعداد للمرافق والمؤطّرين و مواكبة التكنولوجيا، فإذا أخذنا الكتاتيب على تخلف أو إخفاق، فإنما نؤاخذ ونحن نتألم كما تتألمون، ونضمر للقائمين عليها المعذرة التي يدعون، ولكننا نعمل لهم عمل من طبّ لمن حبّ ونسوسهم سياسة ناصح وأب، يغالب رفته وعطفه حين ينظر إلى مستقبل زاهر يهون عليه الوحشة التي تمتلكه في الوقت الحاضر، ولذلك لم نزل نتوخّى لهم ما يجمع بين بذل النصيحة وبين مراعاة أزمانهم الشحيحة، كما قال (القاضي الفاضل):

ما ناصحتك خبايا الودّ من رجل مالم ينلّك بمكروه من العذل
محبّتي فيك تآبى أن تساعدني بأن أراك على شيء من الزلل⁽³⁶⁾

الهوامش:

- ¹: أبو الفضل جمال الدين محمد بن الأنصاري، لسان العرب، الناشر دار صادر، 1405 هـ — دط، ج 13، ص 18.
- ²: ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقریب (التعليم العربي الإسلامي)، دار السلام ط 1، 2006هـ، ص 44.
- ³: ينظر، الطيبي: شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد، التبيان في المعاني والبيان تحقيق ودراسة عبد الحميد حمد هندراوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ج 1، ص 228.
- ⁴: ينظر، أسة عميرات، المدارس القرآنية بالعاصمة بديل تربوي.. ولكن!، وقت الجزائر، مقال منشور على الموقع: wakteldjazair.com.
- ⁵: ينظر، كريمة خلاص، المدارس القرآنية.. مرحلة التفكيك بدأت!، (غلق ثلاث مدارس تابعة لجمعية العلماء، بوابة الشروق، 2017/03/16 على موقع: www.echoroukonline.com.
- ⁶: المرجع نفسه.
- ⁷: المرجع نفسه.
- ⁸: المرجع نفسه.
- ⁹: ينظر، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 28 ديسمبر سنة 2008م، ع 73، ص 33.
- ¹⁰: ينظر، الأهواني، التربية والتعليم في الإسلام أو التعليم في رأي القاسبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955، ص 79.
- ¹¹: ابن خلدون، المقدمة، مصر، مطبعة محمد عاطف، دت، ص 416.
- ¹²: ينظر، عبد القادر باخو، واقع التدريس وطرق التعليم القرآني بمنطقة توات "أدرار" - بتصرف-، مقال منشور في رسالة المسجد، نوفمبر 2004، ص 65.
- ¹³: ينظر، عمارة كريمة وحياس صفية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي-دراسة ميدانية المدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، مذكرة لنيل شهادة الماستر، علم الاجتماع التربوي 2016/2017، جامعة مستغانم، ص 25، 26.
- ¹⁴: ينظر، مصطفى بن قاسم كاره، مؤسسة عمي السعيد بغرداية وتجربتها في التعليم القرآني رسالة المسجد، نوفمبر 2004، ص 57.
- ¹⁵: ينظر، المرجع نفسه، ص 53.
- ¹⁶: ينظر، روبرتاج قناة النهار حول الزاوية القاسمية الهامل بالقرب من بوسعادة (youtube).

- ¹⁷: أبو عبد الله محمد بن قاسم الرصاع، تذكرة المحبين شرح أسماء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، ت، 894هـ، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971، د ط، ص 281.
- ¹⁸: سورة التغابن، الآية:10.
- ¹⁹: سورة الحديد، الآية:14-15.
- ²⁰: سورة نوح، الآية:5.
- ²¹: سورة نوح، الآية:21.
- ²²: سورة نوح، الآية:26.
- ²³: ينظر، المنهجية القاسمية لتحفيظ القرآن الكريم روبرتاج على اليوتيوب على شاشة قناة الوطن الجزائرية Elawatandz.tv، الإذلاء بشهادة من طرف الشيخ المعني بالتدريس وطلبتة.
- ²⁴: ينظر، أمين عوالي (مدرّس قرآن وإمام مسجد في بسكرة)، 2360 مدرسة قرآنية تستقبل الطلاب بالصفيف، تقرير منشور على صفحة المسلم الإعلامية، الموقع: www.almoslime.net.
- ²⁵: ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 137، 138.
- ²⁶: ينظر، مصطفى بن قاسم كاره، مرجع سابق، ص:61.
- ²⁷: ينظر، أحمد العمراني، الكتاتيب القرآنية بين الموجود والمقصود، سبل تطويرها مع الحفاظ على خصوصياتها، مقال منشور، الجديدة المغرب، الموقع: www.tafsir.net.
- ²⁸: محمد الطاهر بن عاشور، المجلة الزيتونية، الجزآن 2-3، 1954، ص 424-426.
- ²⁹: ينظر، مصطفى بن قاسم كاره، مرجع سابق، ص:61.
- ³⁰: ينظر، أحمد العمراني، مرجع سابق.
- ³¹: ينظر، أحمد العمراني، المرجع نفسه.
- ³²: ينظر، أحمد العمراني، المرجع نفسه.
- ³³: ينظر، أحمد العمراني، المرجع نفسه.
- ³⁴: ينظر، مصطفى بن قاسم كاره، مرجع سابق، ص:73.
- ³⁵: ينظر، سهير السكري، (أستاذة اللسانيات في جامعة واشنطن و مترجمة الأمم المتحدة) لهذا منعوا الكتاتيب القرآنية في الدول العربية، في برنامج كيف ننمي الذكاء للطفل العربي (youtube)، نقلا عن جينسن في كتابه: الإسلام الثوري، militant islam.

³⁶: نقل عن صلاح الدين الأيوبي أنه قال يوما للقاضي الفاضل: «لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب، فلعله ضعيف، امض إليه وتفقّد أحواله. فلما دخل الفاضل إلى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه، مثل آثار مجالس أنس ورائحة خمر، وآلات طرب»، فأنشد البيهقي. ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله: طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق أبو عمار السخاوي، الشارقة، دار الفتح، 1997، ص 8.

دور الكتاتيب في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية – دراسة ميدانية مقارنة بين التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في منطقة (مسيف) بولاية (المسيلة).

د. سميرة مرزوقي

جامعة الجزائر 02

مقدمة: لقد ارتبط تعليم اللغة العربية في الجزائر منذ القدم بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم في الكتاتيب؛ التي تعبر عن مؤسسات خاصة تشرف عليها الدولة ويتم تمويلها وتسييرها من طرف متطوعين، وفي بعض المناطق تنسب إلى الزوايا والمساجد. وتصب الدراسة الحالية في سياق إبراز دور الكتاتيب في اكتساب المهارات القرائية للطفل منذ المراحل الأولى، ولاسيما مهارات القراءة الجهرية من خلال إجراء مقارنة بين مجموعة التلاميذ المنتسبين للكتاتيب وغيرهم ممن لا يزاولون مثل هذا النوع من التعليم.

أولاً: الإطار العام للدراسة

1- إشكالية الدراسة: يمر المتعلم خلال مساره التعليمي التعليمي بمراحل مختلفة تتميز كل مرحلة بخصائص ومميزات معينة من متطلبات النمو والاحتياجات التعليمية وتتطلب منه تنمية وتطوير مهارات وقدرات أساسية، وتعد مرحلة التعليم الابتدائي من المراحل التعليمية الحساسة التي تتطلب اهتماماً ودراسة من مختلف الجوانب، فقد كانت ولا تزال محط اهتمام جميع التربويين والمكلفين بوضع السياسات التعليمية والمناهج التربوية التي تترجم تلك السياسات إلى واقع نظري، ويعود ذلك إلى ما تهدف إليه من إكساب التلميذ المهارات الأساسية وتنمية قدراته القاعدية؛ ما يمكنه في المراحل التالية من تحصيل الكفاءات اللازمة والضرورية لتنمية جوانب شخصيته وتجنيده موارد في مواجهة مشكلات الحياة المختلفة.

ولقد حرصت المناهج التربوية في الجزائر على إبراز أهمية التعليم في مرحلة التعليم الابتدائي، من خلال التأكيد في كل الإصلاحات التربوية على أهمية هذه المرحلة وضرورة إعداد التلميذ فيها إعدادا مركزا وعميقا، واعتبارها مرحلة أساسية في المسار الدراسي للمتعلم يتوقف عليها نجاحه ونجاح المدرسة، إذ فيها تبنى أسس التكوين المستقبلي للمتعلم لمواجهة صعوبات الحياة¹.

وتعتبر مهارات القراءة من أهم الكفاءات العرضية التي استهدفتها المناهج التربوية وركزت عليها في ملمح تخرج التلميذ من مرحلة التعليم الابتدائي، فقد ذكر الإطار العام لمناهج المرحلة الابتدائية² أن تحكم التلميذ في مهارات القراءة محور أساسي يمكنه من تحقيق الكفاءات ذات الطابع التواصلية.

فالقراءة تعتبر أهم الوسائل التي تنقل إلينا ثمرات العقل البشري، وأول كلمة أنزلها الله تعالى في القرآن الكريم "اقرأ"، فهي عماد العلم والمعرفة والوسيلة الأساسية للإحاطة بالمعارف والمعلومات، والبقاء على اتصال مباشر دون وسيط بالمواد القرائية المعتمدة³ وهي تعبر عن عمليات فكرية تترجم الرموز إلى دلالات مقروءة، فهي نشاط ذهني يتناول مجموعة من المركبات (الفهم، إعادة البناء، استعمال المعلومات، وتقييم النص) وبذلك تشكل أهم وسيلة يكتسب من خلالها التلميذ المعرفة، ويقف على الموروث الثقافي والحضاري، وتدفعه لأن يكون إيجابيا في تفاعله مع النص لتوسيع خبراته وإثراء تفكيره وتنمية المتعة وحب الاستطلاع لديه.

والقراءة ليست مهارة واحدة وإنما مجموعة مهارات؛ تصنف حسب الأداء إلى مهارات القراءة الجهرية ومهارات القراءة الصامتة، حيث يشتركان في المهارات العامة للقراءة ويفرد كل نوع بمهارات خاصة⁴، فالقراءة الجهرية تركز على صحة النطق وضبط مخارج الحروف، أما القراءة الصامتة فتهدف إلى الفهم والتركيز والانتباه أطول فترة ممكنة.

وأشار دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي إلى أن أهم الصعوبات التي تعترض التلميذ في تعلم القراءة ترتكز حول عدم التمييز بين الحروف المتقاربة

في الشكل، وبين الحركات والمد الطويل، وبين ياء المد والألف المقصورة، وبين "ال" الشمسية و"ال" القمرية، وعدم نطق التتوين والشدة والإشباع، وعدم إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وكذا عدم قراءة وحدات لغوية كاملة، إضافة إلى مشكلات الإبدال والحذف وإضافة بعض الحروف والكلمات، وهي المهارات الأساسية للقراءة والتي يفترض بتلميذ مرحلة التعليم الابتدائي التمكن منها والتحكم فيها.

بناء على ما سبق يتضح تدني وضعف مهارات القراءة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي؛ وهوما يستدعي البحث والتقصي عن الحلول الممكنة لمواجهة هذه المشكلة التربوية العميقة، والتي تؤثر سلبا على كل التعلّيمات الأخرى، ولعل في الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتحفيظه حلا لهذه المشكلة؛ باعتبار أن القرآن الكريم كتاب الله المنزه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب الذي أنزل بلسان عربي مبين، حيث ترى (وهايي (2016)) أن هناك ارتباطا وثيقا بين الحفاظ على اللغة العربية الفصحى وبين القرآن الكريم من حيث أنها وعاء له، فهو المربي للعقل واللسان، ويتعلمه وحفظه يكتسب التلميذ مهارات القراءة الصحيحة مع حسن النطق ومراعاة مخارج الحروف، والفهم والتدبر لما يقرأ⁵.

وقد اهتمت عديد الدراسات بتحديد العلاقة بين القرآن الكريم وحفظه، وبين العمليات العقلية لدى الإنسان، ومهارات القراءة والقدرة على الاستدلال اللغوي، فقد توصلت دراسات كل من (معلم (2001)) و(الثنيتي (2003)) و(الشراري (2008)) وغيرها إلى وجود علاقة إيجابية قوية بين حفظ القرآن الكريم وتلاوته وبين مهارات القراءة وارتفاع مستوى التحصيل والاستقبال اللغوي وعمليات التفكير لدى التلاميذ الحافظين للقرآن الكريم مقارنة مع زملائهم غير الحافظين، وتوصلت نتائج دراسة (طرش (2008)) إلى أن لحفظ القرآن الكريم أثرا إيجابيا على المهارات القرائية لدى تلاميذ السنة أولى ابتدائي إضافة إلى وجود اختلاف بين التلاميذ الذين سبق لهم أن تلقوا حفظ القرآن الكريم وبين الذين لم يتلقوا هذا النوع من التعليم في مادة القراءة وهي نفس النتيجة التي خلصت إليها دراسة (الأسطل (2010)) حيث أكدت العلاقة

الموجبة بين المهارات القرائية وحفظ القرآن الكريم لدى طلبة الصف السادس، كما بينت نتائج دراسة (حمي وفارح (2016)) وجود فروق دالة إحصائية في التحصيل الدراسي في اللغة العربية بين التلاميذ الذين يحفظون القرآن أمام هذه الإشكالية جاءت الدراسة الحالية لتبحث في دور الكتاتيب في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات القراءة الجهرية بين تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في منطقة (مسيف) بولاية (المسيلة)؟

2-فرضية الدراسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات القراءة الجهرية بين تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب؛ لصالح التلاميذ المنتسبين.

3-أهمية الدراسة: تتبثق أهمية الدراسة الحالية من أهمية الموضوع الذي تعالجه من جهة، وأهمية المرحلة التعليمية التي تعنى بها من جهة أخرى، ويمكن تلخيص هذه الأهمية في النقاط التالية:

* قلة البحوث التربوية الجزائرية التي تعالج أثر الانتساب إلى الكتاتيب على مهارات القراءة الجهرية؛

* أهمية المرحلة التعليمية التي تتناولها الدراسة، والمتمثلة في مرحلة التعليم الابتدائي، باعتبارها المرحلة القاعدية والأساسية التي تبنى عليها باقي المراحل والتعلمت؛

* لفت انتباه المهتمين والقائمين على إعداد وإصلاح وتقويم المناهج التربوية إلى الدور الإيجابي للكتاتيب، في معالجة تدني مستوى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي في مهارات القراءة الجهرية؛

* توعية أولياء التلاميذ بأهمية تحفيظ أبناءهم القرآن الكريم من خلال الكتاتيب، منذ المراحل التعليمية الأولى لما له من أثر على تنمية ملكاتهم اللغوية ومهاراتهم القرائية وقدراتهم العقلية.

4- تحديد مفاهيم الدراسة:

* **الكتاتيب:** هي مراكز صغيرة نسبيا غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للأطفال، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير. ومن الناحية الإجرائية تعرف بالأماكن التي يقصدها تلاميذ التعليم الابتدائي لحفظ ما لا يقل عن حزيين من القرآن الكريم.

* **مهارات القراءة الجهرية:** هي عملية يقوم القارئ فيها بترجمة الرموز الكتابية إلى ألفاظ منطوقة وأصوات مسموعة متباينة الدلالة، حسب ما تحمله من معنى وتعتمد على ثلاثة عناصر: رؤية العين للرموز، نشاط الذهن في إدراك الرموز، التلفظ بالصوت المعبر عما يدل عليه ذلك الرمز.

وتعتبر مهارات القراءة الجهرية من الناحية الإجرائية على الدرجة الكلية التي يتحصل عليها التلميذ في اختبار القراءة الجهرية وبطاقة ملاحظة الأداء (من إعداد الباحثة) كما في الملحق رقم (02).

* **المرحلة الابتدائية:** تعبر عن المرحلة الأولى من مراحل التعليم والقاعدة الأساسية التي تبنى عليها المراحل الأخرى، فهو فرع من فروع النظام التعليمي يحتوي على جميع الأطفال ما بين السادسة والثانية عشر، على اختلاف ظروفهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، يكتسب التلاميذ في التعليم الابتدائي القواعد الأكاديمية الأساسية للتعلم مثل: القراءة والكتابة والحساب.

وتعبر المرحلة الابتدائية من الناحية الإجرائية عن مستوى السنة الرابعة ابتدائي التي يدرس بها التلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين (10-11) سنة، خلال الفصل الأول من العام الدراسي (2018-2019) بمنطقة (مسيف) في ولاية (المسيلة).

5- بعض الدراسات السابقة:

*دراسة معلم (2001): هدفت إلى معرفة أثر حفظ القرآن الكريم على تنمية مهارات الاستقبال اللغوي لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي بمدينة مكة المكرمة وتكونت عينة الدراسة من (50) تلميذة حافظة (مجموعة تجريبية) و(50) تلميذة غير حافظة (مجموعة ضابطة) من الصف السادس من المدارس العادية، وباستعمال اختبار الاستماع لمعرفة مهارات الاستماع لدى التلميذات، وبطاقة الملاحظة لقياس بعض مهارات الأداء في القراءة الجهرية لدى تلميذات العينة، توصلت الدراسة إلى نتائج مفادها تفوق تلميذات مدارس تحفيظ القرآن الكريم على أقرانهن بالمدارس العادية في أداء جميع المهارات المقیسة، وذلك بنسبة تتراوح بين (98%) و(99%)، كما تفوقت التلميذات الحافظات على أقرانهن في مهارات القراءة الجهرية.

*دراسة نطرش (2008): هدفت لمعرفة أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارة القراءة الجهرية لدى تلاميذ السنة الأولى ابتدائي في ولاية بجاية، حيث شملت العينة (18) تلميذاً، واعتمدت الباحثة على التسجيلات الصوتية وبطاقة ملاحظة للمهارات القرائية، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها وجود أثر لحفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات القراءة لدى تلاميذ السنة أولى ابتدائي، ووجود اختلاف في مادة القراءة بين التلاميذ الذين تلقوا حفظ القرآن الكريم والذين لم يسبق لهم أن تلقوا مثل هذا النوع من التعليم.

*دراسة الأسطل (2010): هدفت إلى التعرف على مستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس وعلاقته بتلاوة وحفظ القرآن الكريم، حيث تكونت عينة الدراسة من (120) طالبا وطالبة من طلبة الصف السادس في المدارس الحكومية والمدارس الخاصة في محافظة خان يونس للعام الدراسي (2009-2010)، واستخدمت الدراسة اختبار كتابي للتعرف على مدى إتقان طلبة الصف السادس للمهارات الكتابية وبطاقة ملاحظة للتعرف على مدى إتقان طلبة الصف السادس للمهارات القرائية التي سبق وأن درسوها.

وتوصلت لجملة من النتائج من أهمها وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين تلاوة وحفظ القرآن الكريم ومستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى بعض مهارات القراءة والكتابة بين متوسط درجات الطلاب الحافظين للقرآن الكريم، والطلاب غير الحافظين للقرآن الكريم، ولقد كانت الفروق لصالح الطلاب الحافظين للقرآن الكريم، علاوة على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى بعض مهارات القراءة والكتابة بين متوسط درجات الطالبات الحافظات للقرآن الكريم، ومتوسط درجات الطالبات غير الحافظات للقرآن الكريم، ولقد كانت الفروق لصالح الطالبات الحافظات للقرآن الكريم.

*دراسة بنت أشعري (2014): هدفت إلى الكشف عن طريقة تعليم مهارات القراءة من خلال القرآن الكريم؛ واستراتيجيات المعلمين لترقية هذه الكفاءة في المرحلة الابتدائية بمدرسة الإرشاد الإسلامية في سينغافورة، وتمثلت عينة الدراسة في طلاب الصف الثالث الابتدائي للعام الدراسي (2013-2014) والبالغ عددهم (58) طالبا واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التقويمي، والملاحظة والمقابلة كأدوات للدراسة وتوصلت النتائج إلى أن تعليم مهارات القراءة من خلال القرآن الكريم يتم باستخدام الطريقة الجزئية، التي تتضمن عرض صور حقيقية أو تمثيلية حول النص المراد دراسته ليستطيع التلاميذ الوصول إلى الموضوع الذي يتعلق بآيات القرآن الكريم، ثم تبدأ القراءة من طرف المعلم سطرا سطرا، واتباع التلاميذ قراءة مرة أو مرتين تكرارا بالجماعة، ثم تكليف المعلم القراء المجيدين بقراءة النص على نحو متقن، ثم يختم المعلم بالنقاشات حول موضوع النص المقروء، وأما الاستراتيجيات المستعملة من طرف المعلمين فتمثلت في: استراتيجية التنظيم، استراتيجية الإلقاء، واستراتيجية الإدارة، واقترحت الباحثة في نهاية الدراسة تطبيق طريقة تعليم القراءة من خلال القرآن الكريم في تعليم المواد الأخرى.

*دراسة بني ياسين (2016): هدفت إلى التعرف على مهارات اللغة العربية (القراءة، الكتابة، الاستماع، والمحادثة) من خلال القرآن الكريم، وكذا الألفاظ الدالة على المعرفة والفكر والوجدان، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي بالوقوف على الألفاظ ذات الصلة بمهارات اللغة في القرآن الكريم، وعلاقتها بالفكر والوجدان ومناقشتها، وتوصلت الدراسة إلى أن مجال المحادثة حاز على المرتبة الأولى بتكرار (2509)، ثم مجال مهارة الكتابة بتكرار (265)، ثم مجال مهارة الاستماع بتكرار (140) وأخيرا مجال مهارة القراءة بتكرار (117)، وتبين أن مجال مهارتي الإرسال (المحادثة والكتابة) قد تكرر أكثر من مجال مهارتي الاستقبال (الاستماع والقراءة) وتبين في مجال الفكر والوجدان أن مجال المعرفة والتفكير فيها قد حاز على المرتبة الأولى بتكرار بلغ (715)، أما مجال الوجدان فقد حاز على المرتبة الثانية بتكرار بلغ (126)، وكان من بين توصيات الدراسة ضرورة إجراء دراسة تكشف عن أثر القرآن الكريم في تحسين مهارات اللغة الأربعة، والمهارات الفرعية لكل مهارة.

*دراسة حمي وفارح (2016): التي هدفت إلى الكشف عن الفروق بين الحافظين وغير الحافظين للقرآن الكريم في تنمية التحصيل الدراسي لمادة اللغة العربية، لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط، حيث تكونت العينة من (320) تلميذا وتلميذة من متوسطات مدينة الوادي، واعتمدت على سجلات نتائجهم الدراسية، لتتوصل في النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل الدراسي لمادة اللغة العربية، بين التلاميذ الذين يحفظون القرآن الكريم والذين لا يحفظونه لصالح التلاميذ الحافظين إضافة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث الذين يحفظون القرآن الكريم في التحصيل الدراسي في اللغة العربية لصالح الإناث.

*دراسة علي (2016): التي تناولت إعجاز القرآن الكريم وأثره في تنمية مهارة القراءة لدى الناطقين بغير العربية، حيث اعتمدت على المنهج الوصفي واستخدمت المقابلة مع الخبراء والأساتذة المدرسين بمعهد اللغة العربية في جامعة إفريقيا العالمية وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا والذين بلغ عددهم (10) أساتذة، وكذا استبيان على

عينة من طلاب مركز اللغة العربية للناطقين بغيرها بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا وعدد من طالبات معهد اللغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية بلغ عددهم (17) طالبا وطالبة، وتوصلت الدراسة إلى أن حفظ القرآن الكريم يساعد على إتقان مهارة القراءة بصورة عامة، ومهارتي النطق والتعبير السليم بصورة خاصة، لكونه يساعد الناطقين بغير العربية على استخراج الحروف والأصوات من مخارجها ونطقها نطقا صحيحا كما يعينهم على زيادة الذخيرة اللغوية، وهذا ضرب من ضرب إعجاز القرآن الكريم وكان من بين مقترحات الدراسة إعداد منهج لتعليم اللغة العربية من خلال سور القرآن الكريم لغير الناطقين بها.

*دراسة المطيري والطبيخ (2016): هدفت إلى التعرف على أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات القراءة والتحصيل الدراسي لدى الطالبات الموهوبات في دولة الكويت من خلال تطبيق برنامج تدريبي على عينة قوامها (24) طالبة من الصفين الرابع والخامس، تم تقسيمها لمجموعتين ضابطة وتجريبية، وقد استخدمت الدراسة سجلات التحصيل الأكاديمي للطلبة واختبار المصفوفات المتتابعة الملونة، ومقياس لمهارات القراءة من إعداد الباحثين، وتوصلت في النتائج إلى وجود أثر إيجابي دال للبرنامج التدريبي القائم على حفظ القرآن الكريم على مهارات القراءة والتحصيل الدراسي للطالبات الموهوبات بالصفين الرابع والخامس.

*دراسة بن فردية والبار (2018): هدفت إلى البحث في العلاقة بين النص القرآني واللغة العربية من ناحية الحفظ والاحتواء، حيث استخدمت المنهج الوصفي وتوصلت إلى أن للقرآن الكريم أثرا كبيرا في اكتساب اللغة العربية وترقية أساليبها من خلال مستوياتها المختلفة (الصوتية والنحوية والدلالية والصرفية والمعجمية)، ومن خلال تنمية مهاراتها المتعددة (الاستماع والقراءة والكتابة والتحدث والحفظ)، علاوة على تحصيل الثروة اللغوية للمتعلم وزيادتها، واكتساب الفصاحة والبلاغة ما يمكنه من التأقلم مع المواقف التعليمية، وختتمت الدراسة بالتوصية إلى أن مستقبل اللغة العربية والحفاظ عليها متوقف على مدى ربطها في المناهج التربوية بالنص القرآني.

ثانيا: الجانب الميداني للدراسة

1- منهج الدراسة: إن المنهج أسلوب من أساليب التنظيم الفعالة الهادفة في البحث العلمي، وتوفره مهما كان نوعه شرط أساسي وضروري في الدراسة الجادة⁶، وفي الدراسة الحالية يعتبر المنهج "السببي المقارن" المنهج الأنسب لمعالجة متغيرات الدراسة، وذلك لكونه المنهج الذي يلاحظ فيه الباحث فروقا بين المجموعات في متغير ما ويحاول التعرف على العامل الرئيسي الذي أدى إلى هذا الاختلاف، حيث يطلق على هذا النوع من البحوث "ما بعد الواقع" أين تكون العلة والمعلول قد حدثا فعلا ويحاول الباحث دراستهما دراسة تراجعية.⁷

والدراسة الحالية تعالج دور الكتاتيب على مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ التعليم الابتدائي، ما يجعل المنهج السببي المقارن الأكثر ملاءمة لدراسة الفروق بين مجموعتي التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في مهارات القراءة الجهرية.

2- مجتمع وعينة الدراسة: يتمثل مجتمع الدراسة الحالية في تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي من المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في منطقة مسيف بولاية المسيلة والمسجلين للموسم الدراسي (2018-2019)، والبالغ عددهم (264) تلميذا وتلميذة موزعين على ستة (06) أقسام ضمن ثلاث (03) مدارس ابتدائية تتمثل في: مدرسة الشهيد زقار محمد، ومدرسة الشهيد حسني سعد، ومدرسة الشهيد حسني لخضر.

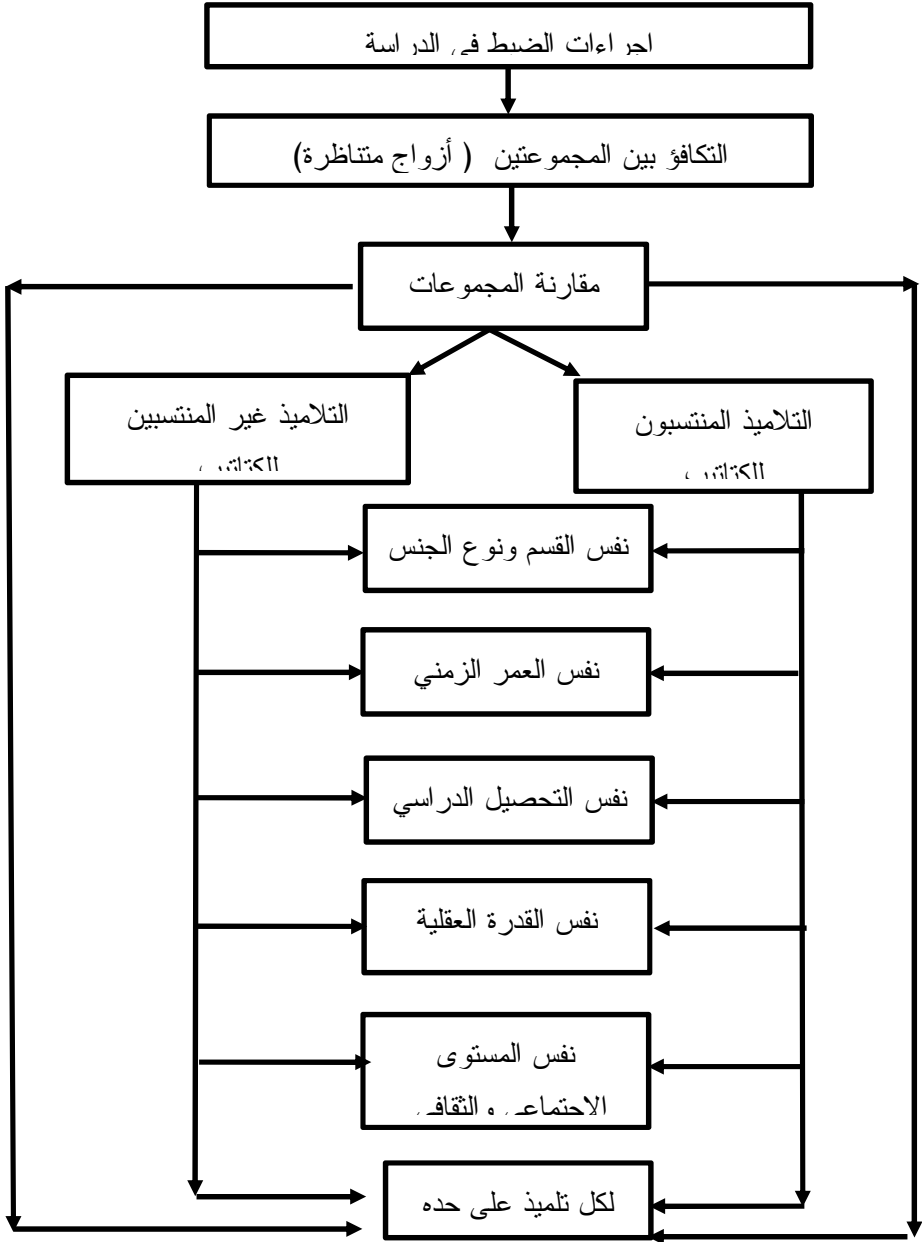
وتم اختيار أفراد عينة الدراسة بالطريقة القصدية بالنسبة للتلاميذ المنتسبين للكتاتيب والذين بلغ عددهم (47) تلميذا منهم (19) ذكور و(28) إناث، وبـنفس الطريقة تم اختيار مجموعة مكافئة من التلاميذ غير المنتسبين للكتاتيب، حيث بلغ عددهم (217) تلميذا منهم (101) ذكور و(116) إناث، حيث تم تبني الطريقة القصدية في اختيار العينة بغرض تحقيق إجراءات الضبط التي يستلزمها المنهج السببي المقارن في تكافؤ المجموعتين، والجدول رقم (01) يلخص خصائص مجتمع الدراسة حسب متغير الانتساب للكتاتيب:

جدول رقم (01): يبين خصائص مجتمع الدراسة حسب متغير الانتساب للكتاتيب

المجموع	الإناث	الذكور	المجموعات
47	28	19	المنتسبون للكتاتيب
217	116	101	غير المنتسبين للكتاتيب
264	144	120	المجموع الكلي

3- إجراءات الضبط: إن استخدام المنهج السببي المقارن يستلزم تنفيذ مجموعة من إجراءات الضبط لضمان تحقيق التكافؤ بين مجموعتي الدراسة، وهناك عدة أساليب يمكن استخدامها لضبط المتغيرات الخارجية، منها أسلوب "مطابقة الأفراد" الذي يقوم على التماثل أو التشابه الكبير بين أفراد مجموعتي الدراسة بالنسبة للمتغير الضابط وكذا أسلوب "مقارنة مجموعات متجانسة" الذي يقوم على المقارنة بين مجموعتي الدراسة في كل المتغيرات التي يعتقد أنها قد تؤثر على المتغير التابع، ويترتب على ذلك خفض عدد أفراد العينة الذين يؤثرون على تجانس المجموعتين.

وبهدف تحقيق التكافؤ بين تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب؛ تم المزاوجة بين مبدأي مطابقة الأفراد ومقارنة مجموعات متجانسة في تطبيق إجراءات الضبط المتعلقة بالمتغيرات الخارجية الموضحة في الشكل رقم (01) حيث بلغ العدد الهائي لعينة الدراسة (68) تلميذا وتلميذة؛ منهم (34) تلميذا منتسبا للكتاتيب و(34) تلميذا غير منتسب.



الشكل رقم (01): يمثل التكافؤ بين تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب

4- أدوات الدراسة: بهدف قياس مهارات القراءة الجهرية لدى أفراد عينة الدراسة؛ قامت الباحثة بإعداد اختبار تشخيصي لمهارات القراءة الجهرية وبطاقة ملاحظة الأداء؛ بالاعتماد على الأدب التربوي في هذا المجال من مثل كتابات (البصيص (2011)) وغيرها من الأطر النظرية التي تحدثت بإسهاب عن المهارات القرائية التي يتوجب على تلميذ التعليم الابتدائي تعلمها وإتقانها.

وكذا البحوث الميدانية والدراسات السابقة التي أجريت حول القراءة الجهرية التي صممت وأعدت اختبارات للقراءة الجهرية لدى تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي، مثل دراسة (العزاوي (2012))، (صادقي (2012))، (العلي (2015))، (شريف (2017)) (السهلي والهواري (2017))، و(دراسة قدي (2018))، حيث قامت الباحثة برصد المهارات المشتركة بين هذه الدراسات، واطلعت على كيفية صياغة فقرات بطاقة ملاحظة الأداء القرائي.

هذا علاوة على تفحص ما جاء في منهاج اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي (2016)؛ وكذا دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي (2018)، حيث تم تحديد طبيعة النصوص المناسبة لهذه السنة والمتمثلة في النصوص ذات الطابع الوصفي والتي لا يتجاوز عدد كلماتها (130) كلمة، كما حددت أهم مهارات القراءة الجهرية للسنة الرابعة ابتدائي من مثل جودة اللفظة، واحترام مواقع الوقف، والسرعة وغيرها.

4-1 بناء اختبار مهارات القراءة الجهرية: اختارت الباحثة نصوصاً قرائياً بعنوان "الكتاب خير جليس" غير مألوف لدى أفراد العينة، يتكون من (85) كلمة تحتوي على حروف الهجاء جميعها وموزعة على فقرتين، يهدف لقياس تسع (09) مهارات أساسية في القراءة الجهرية لدى تلميذ السنة الرابعة ابتدائي تمثلت في:

- نطق الأصوات من مخارجها الصحيحة.
- نطق الجمل والتراكيب في وحدات تامة.
- نطق الكلمات دون إبدال حرف من حروفها.

- نطق الكلمات دون حذف حرف من حروفها.
- نطق الكلمات دون إضافة حرف من حروفها.
- نطق الكلمات دون تكرار حرف من حروفها.
- إتقان الوقف عند اكتمال معنى الجملة.
- ضبط الكلمات ضبطاً صحيحاً أثناء النطق بها.
- قراءة النص بانطلاق وسرعة مناسبة.

وتم تصدير الاختبار بتعليمات للمعلم تبين له طريقة إجراء الاختبار، والأمور الواجب مراعاتها عند تطبيقه، وكذا تعليمات للتلميذ توضح له الهدف من الاختبار وما هو مطلوب منه أثناء القراءة.

4-2 تصميم بطاقة ملاحظة الأداء:

اعتمدت فيها الباحثة على تسجيلات الفيديو لأداء أفراد العينة في القراءة الجهرية للنص، ومن ثم تحليل جوانب الأداء لكل تلميذ في ضوء المهارات المحددة سابقاً وتكونت البطاقة من قائمة اشتملت على تسعة (09) فقرات تمثل المهارات المستهدفة ومقياس متدرج لتقدير الأداء في القراءة الجهرية وفق الصيغة الخماسية، حيث تتوزع درجات الاختبار على مدى ينحصر بين (9-45) درجة، ويتحدد دور المعلم أو المصحح بالملاحظة الدقيقة للأداء ووضع الدرجة المناسبة له في كل مهارة، بناء على عدد المرات التي يخطئ فيها التلميذ على النحو التالي:

☑ يحصل على (5) خمس درجات في المهارة إذا كانت القراءة خالية تماماً من الأخطاء.

☑ يحصل على (4) أربع درجات في المهارة إذا أخطأ مرة واحدة فقط.

☑ يحصل على (3) ثلاث درجات في المهارة إذا أخطأ مرتين.

☑ يحصل على (2) درجتين في المهارة إذا أخطأ ثلاث مرات.

☑ يحصل على (1) درجة واحدة في المهارة إذا أخطأ أكثر من ثلاث مرات.

4-3 صدق وثبات اختبار مهارات القراءة الجهرية:

بعد بناء اختبار مهارات القراءة الجهرية في صورته الأولى كما هي موضحة في الملحق رقم (01)، تم عرضه على مجموعة من المحكمين ذوي الخبرة في التعليم الابتدائي من مثل المعلمين، والأساتذة الجامعيين المتخصصين في المناهج وعلوم التربية والذين بلغ عددهم (15) محكما، بهدف إيداء رأيهم حول درجة ملائمة النص المقروء لمستوى السنة الرابعة ابتدائي، ووضوح تعليمات الاختبار وسلامة الصياغة بالنسبة لفقرات بطاقة الملاحظة، واقتراح التعديلات التي يرونها مناسبة، حيث أشاروا إلى صلاحية الأداة بعد إجراء بعض التعديلات اللغوية على فقرات بطاقة الملاحظة وكذا تبسيط الفقرات المركبة مثل الفقرة الثانية (02) من "نطق الجمل والتراكيب في وحدات تامة" إلى "نطق الجمل في وحدات تامة"، وكذا الفقرة التاسعة (09) من "قراءة النص بانطلاق وسرعة مناسبة" إلى "قراءة النص بسرعة مناسبة".

ثم تم التحقق من صدق وثبات الاختبار وبطاقة الملاحظة في البيئة المحلية من خلال تطبيقهما على عينة استطلاعية اختيرت بطريقة عشوائية بسيطة، وتكونت من (50) تلميذا وتلميذة من المدارس الابتدائية الثلاث بمدينة مسيف، من غير أفراد العينة الأساسية.

✓ صدق اختبار مهارات القراءة الجهرية: حيث تم احتساب صدق اختبار مهارات القراءة الجهرية عن طريق معامل الصدق التمييزي؛ وذلك من خلال المقارنة الطرفية بين متوسط درجات المجموعة الدنيا والعليا في الاختبار، وجاءت النتائج مبينة في الجدول رقم (02):

الجدول رقم (02): يبين نتائج صدق اختبار مهارات القراءة الجهرية

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية
الدنيا	14	16.14	4.75	26	22.174*	دالة
العليا	14	44.57	0.64		*	0.01

يتضح من الجدول رقم (02) أن قيمة اختبار (ت) بين متوسط درجات المجموعتين الدنيا والعليا على اختبار مهارات القراءة الجهرية تساوي (22.174) عند مستوى الدلالة (0.01) ودرجة الحرية (26)، وهي قيمة دالة إحصائيا ما يعني أن الفروق بين درجات المجموعتين هي فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة العليا، وبالتالي فاختبار مهارات القراءة الجهرية يتمتع بالصدق المطلوب.

✓ ثبات اختبار مهارات القراءة الجهرية: تم فحص ثبات اختبار مهارات القراءة الجهرية عن طريق حساب "معامل ثبات تقديرات الملاحظين"، وذلك من خلال حساب معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة الاستطلاعية لاثنتين من المعلمين اللذين قاما بتصحيح الاختبار، عن طريق مشاهدة أشرطة الفيديو للأداء القرائي للعينة، وكانت النتائج كما في الجدول رقم (03):

الجدول رقم (03): يبين نتائج ثبات اختبار مهارات القراءة الجهرية

الملاحظ	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الارتباط "بيرسون"	معامل الارتباط "سبيرمان"	الدلالة الإحصائية
الأول	50	32.88	11.94	**0.961	**0.902	دال 0.01
		33.94	11.35			
الثاني						

يبدو من خلال نتائج الجدول رقم (03) أن معامل الارتباط "بيرسون" بين الدرجات التي منحها الملاحظان لنفس العينة الاستطلاعية كانت قيمته (0.961) وبعد تصحيحه بمعادلة "سبيرمان براون" أصبحت قيمته (0.902) وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) ودرجة الحرية (49)، ما يدل على الارتباط القوي بين التصحيحين، وبالتالي فاختبار مهارات القراءة الجهرية يتمتع بالثبات المطلوب.

وبعد التحقق من صدق وثبات الاختبار؛ وإجراء التعديلات المقترحة من طرف المحكمين على النص المقروء وفقرات بطاقة الملاحظة؛ تم التوصل إلى الصورة النهائية لاختبار مهارات القراءة الجهرية كما هي مبينة في الملحق رقم (02)، لتطبيقها على العينة الأساسية للدراسة.

5- نتائج الدراسة: تنص فرضية الدراسة على وجود فروق دالة إحصائية في مهارات القراءة الجهرية بين تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب.

ولاختبار هذه الفرضية تم تطبيق اختبار مهارات القراءة الجهرية على مجموعتي التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب من السنة الرابعة ابتدائي، وتسجيل أدائهم القرائي على أشرطة فيديو ومن ثم تحليل هذا الأداء ومنح الدرجة المناسبة لكل مهارة من المهارات التسع على بطاقة الملاحظة، وبالإستعانة بحزمة التحليل الإحصائي (SPSS 22) تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل مجموعة وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول رقم (04):

الجدول رقم (04): يبين نتائج اختبار مهارات القراءة الجهرية

المجموعة	العدد	الحد الأدنى	الحد الأقصى	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري
المنتسبون للكتاتيب	34	15	45	41.24	5.74	0.99
غير المنتسبين للكتاتيب	34	7	45	28.15	11.08	1.90

يتضح من الجدول رقم (04) أن درجات مجموعة المنتسبين للكتاتيب تراوحت بين (15، 45) بمتوسط حسابي قيمته (41.24) وانحراف معياري قدره (5.74)، في حين تراوحت درجات مجموعة التلاميذ غير المنتسبين للكتاتيب بين (7، 45) بمتوسط حسابي قدره (28.15) وانحراف معياري (11.08)، وهوما يظهر التباين الكبير بين متوسطي درجات المجموعتين حيث يكاد متوسط درجات المنتسبين يساوي ضعف متوسط درجات غير المنتسبين للكتاتيب.

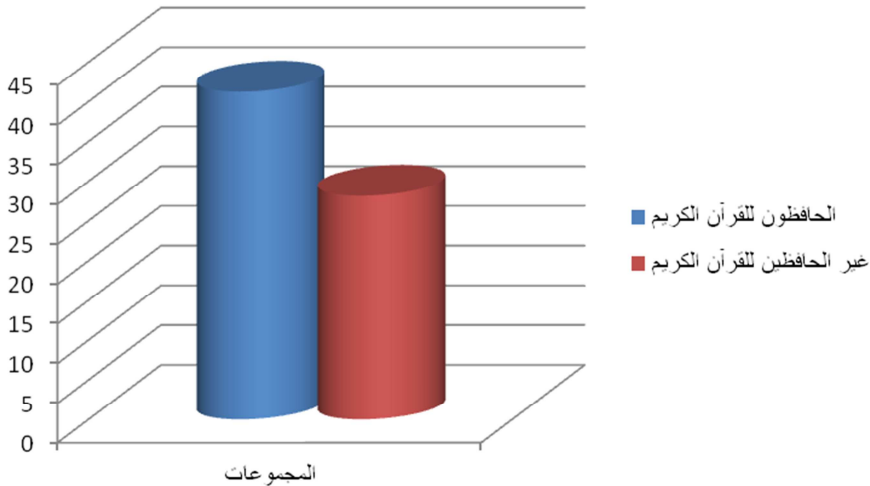
ولاختبار هذه النتيجة من الناحية الإحصائية تم استخدام اختبار (ت) لدلالة الفروق بين عينتين مستقلتين؛ للمقارنة بين متوسطي درجات مجموعة التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في اختبار مهارات القراءة الجهرية، وكانت النتائج على النحو المبين في الجدول رقم (05):

الجدول رقم (05): يبين دلالة الفروق لاختبار مهارات القراءة الجهرية

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية
الحافظون للقرآن الكريم	34	41.24	5.74	66	*6.112	دالة 0.01
غير الحافظين للقرآن الكريم	34	28.15	11.08			

يلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (05) أن قيمة اختبار (ت) تساوي (6.112) عند مستوى الدلالة (0.01) ودرجة الحرية (66) وهي قيمة دالة إحصائية، ما يعني وجود فروق حقيقية بين التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في مهارات القراءة الجهرية ولصالح التلاميذ المنتسبين، كما يوضحه المخطط البياني في الشكل رقم (02):

مهارات القراءة الجهرية



الشكل رقم (02): يبين الفروق بين مجموعتي الدراسة في مهارات القراءة الجهرية

يؤكد الشكل رقم (02) تفوق مجموعة التلاميذ المنتسبين للكتاتيب على أقرانهم غير المنتسبين في مهارات القراءة الجهرية كلها والتمثلة في: إخراج الأصوات من مخارجها الصحيحة ونطق الجمل في وحدات تامة والكلمات دون إبدال أو حذف أو إضافة أو تكرار أحد حروفها مع ضبطها ضبطا صحيحا، والقراءة بسرعة مناسبة مع إتقان الوقف عند اكتمال المعاني، وبالتالي فقد تحققت فرضية الدراسة.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بكون مجموعة التلاميذ المنتسبين للكتاتيب من أفراد العينة يحفظون ما لا يقل عن جزء من القرآن الكريم، ما يعني تمكنهم من قراءة الآيات بأحكام التلاوة، والتي تلعب دورا فاعلا في تهذيب وإتقان القراءة الجهرية، وهذا كونها تقوم في قواعدها على سلامة النطق، وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة وقراءة النص القرآني بتأن ومراعاة علامات الوقف، والمد والقصر والشدة والتتوين وغيرها من أحكام تلاوة القرآن الكريم.

وإتقان مهارات القراءة الجهرية تعتبر من أولويات التعليم الابتدائي، حيث يرى (زايد 2006)) أن التلميذ في هذه المرحلة يجب أن يصل لمرحلة التعرف التام على الحروف الهجائية حين يسمع أصواتها، وينطقها وفق مخارجها الصحيحة، ويتعرف على الحركات والسكون والشدة والتتوين، وهي ذاتها الكفاءات المطلوبة في ملمح التخرج من مرحلة التعليم الابتدائي التي ركز عليها المنهاج التربوي الجزائري، حيث حدد خصائص مهارات القراءة الجهرية في: جودة اللفظة، معالجة الأخطاء، احترام مواقع الوقف، استخدام النبرات الصوتية، السرعة، الجراءة، والإيقاع الموسيقي.

وفي حفظ القرآن الكريم وتعلمه طريق لتحقيق هذه الكفاءات، لما له من أثر بالغ في إجادة القراءة بصفة عامة ومهارات القراءة الجهرية بوجه خاص، وهو الأمر الذي أكدت عليه (رهام علي 2016)) حين أقرت أن حفظ القرآن الكريم يمكن غير الناطقين باللغة العربية من اكتساب ملكة لسانية عالية تساعدهم على تعلم اللغة العربية وأرجعت ذلك لكون القرآن الكريم نزل بلغة الضاد، لغة العرب التي اشتهرت بالفصاحة منذ القدم واستمدت قوتها من قوة القرآن الكريم وأزليته.

كما بين (الأسطل (2010)) أن حفظ القرآن الكريم له الأثر الكبير في تحقيق القراءة الصحيحة، حيث تتميز قراءة الحافظين بدرجة عالية من الدقة، والجرأة في الأداء، وعدم رهبتهم أثناء القراءة، لأن قراءة القرآن الكريم عززت عندهم روح التحدي، وعدم الارتباك والخوف أثناء القراءة أمام زملائهم، وهي المهارات المطلوبة في أداء تلاميذ التعليم الابتدائي حسب المناهج التربوية الرسمية كما ذكرنا آنفاً.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج جملة من الدراسات التي بحثت في أثر حفظ القرآن الكريم ودوره في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ التعليم الابتدائي، مثل دراسة (معلم (2001)) التي أجريت في مدينة مكة المكرمة على عينة قوامها (100) تلميذة وتوصلت إلى أن تلميذات الصف السادس الحافظات للقرآن الكريم متفوقات على زميلاتهن غير الحافظات في الأداء القرآني بنسبة تتراوح بين (98%) و(99%).

كما تتفق مع نتائج دراسة (لطرش (2008)) التي تم إجراؤها في مدينة بجاية على عينة قوامها (18) تلميذا وتلميذة، وتوصلت إلى وجود أثر لحفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ السنة الأولى ابتدائي، وكذا وجود اختلاف في مادة القراءة بين التلاميذ الذين تلقوا تعليماً قرآنياً خلال المرحلة التحضيرية، والذين لم يتلقوا مثل هذا النوع من التعليم.

وتتفق أيضاً مع نتائج دراسة (علي (2016)) التي أجريت على الناطقين بغير اللغة العربية في كل من جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا وجامعة إفريقيا العالمية، وبيّنت أن حفظ القرآن الكريم يساعد على إتقان مهارة القراءة بصورة عامة، ومهارة النطق السليم بصورة خاصة، لكونه يساعد الناطقين بغير العربية على استخراج الحروف والأصوات من مخارجها ونطقها نطقاً صحيحاً، وهذا ضرب من ضروب إعجاز القرآن الكريم.

خاتمة: تعتبر مهارات القراءة كفاءات عرضية ذات أهمية بالغة في المناهج التربوية لمرحلة التعليم الابتدائي بوجه خاص، والمراحل التعليمية اللاحقة بوجه عام لما لها من دور فعال في تحقيق أهداف التعليم وتجسيد غاياته، وبناء شخصية التلميذ وفق ملامح التخرج المنشود.

وفي العناية بحفظ القرآن الكريم وتعلمه آثارا تربوية جمة وجيلية تعود بالنفع على التلميذ روحا وجسدا وعقلا، وتثمر في نجاحه وتخطيه العقبات والعراقيل التي تعترض مسار تعلمه، وهوما بينته نتائج العديد من الدراسات المحلية والعربية، وأكد عليه الأدب النظري الذي أسهب في تعداد فوائد حفظ القرآن الكريم ومنافعه على الحافظين لكتاب الله.

هدفت الدراسة الحالية للبحث تحديدا في دور الكتاتيب في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، حيث أجريت الدراسة في منطقة (مسيف) بولاية (المسيلة) خلال الفصل الأول من العام الدراسي (2018-2019) على عينة قوامها (68) تلميذا وتلميذة منهم (34) تلميذا منتسبا للكتاتيب، و(34) تلميذا غير منتسب، تم استخدام المنهج السببي المقارن وتحقيق التكافؤ بين المجموعتين من خلال تطبيق جملة من إجراءات الضبط لبعض المتغيرات التي قد تؤثر على مهارات القراءة الجهرية، وتمثلت أساسا في: نوع الجنس والعمر الزمني والتحصيل الدراسي والقدرة العقلية العامة والمستوى الاجتماعي والثقافي للتلاميذ.

تم تصميم اختبار من طرف الباحثة لقياس مهارات القراءة الجهرية، وبعد إجراء التعديلات التي أوصى بها الأساتذة المحكمون؛ تم التحقق من صدق وثبات الاختبار في البيئة المحلية، ومن ثم تطبيقه على عينة الدراسة، لتسفر نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) بين التلاميذ المنتسبين وغير المنتسبين للكتاتيب في مهارات القراءة الجهرية، حيث بينت الفروق تفوق مجموعة التلاميذ المنتسبين، ما أثبت الأثر الإيجابي للكتاتيب على تنمية هذه المهارات.

جاءت هذه النتائج مؤيدة لنتائج العديد من الدراسات السابقة التي تطرقت لآثار حفظ القرآن الكريم على المهارات اللغوية ، ما يؤكد الحاجة الماسة للاعتناء بتدريس القرآن الكريم وتحفيظه للتلاميذ منذ السنوات الأولى في التعليم الابتدائي، واعتباره استراتيجية تعليمية وبنائية لقدرات التلميذ ومهاراته، وذلك من خلال تكريس فعاليته في المناهج الرسمية؛ وإعطائه الأولوية والمكانة التي تمكنه من تكوين جيل يتحلى بالفطنة والنباهة وفصاحة اللسان وصفاء الذهن، والقدرة على القراءة الصحيحة والتعبير السليم، وإعمال العقل والتركيز، وسعة التذكر والتفاعل مع المشكلات التي تعترضه خلال مشواره التعليمي والعملية، وفق خطوات منظمة ومدروسة توفر الجهد والوقت.

الملاحق:

الملحق رقم (01): الصورة الأولى لاختبار مهارات القراءة الجهرية وبطاقة

ملاحظة الأداء

بيانات التلميذ:

رقم التلميذ:	القسم:
الجنس:	السن:
المدرسة:	معدل الفصل 01:
الكتاب:	عدد أجزاء القرآن المحفوظة:

تعليمات الملاحظ (المعلم): عند تطبيق اختبار القراءة الجهرية واستخدام بطاقة

ملاحظة تقويم الأداء، ينبغي على المعلم مراعاة النقاط الآتية:

- يعتمد الاختبار على ملاحظة الأداء الشفوي، لذلك يلزم استخدام وسائل توثيق

لهذا الأداء، كالتسجيل الصوتي، أو تسجيل الفيديو...

- اختيار الوقت المناسب عند إجراء الاختبار وتطبيقه في بداية اليوم الدراسي.

- اختيار المكان المناسب لتطبيق الاختبار من حيث الهدوء ووضوح الرؤية والإضاءة الجيدة.
- توفير جو من الطمأنينة بين المعلم والتلميذ، كالترحيب والابتسام، وإظهار مشاعر الود، وما إلى ذلك مما يعزز ثقته بنفسه أثناء القراءة.
- يتم إجراء الاختبار بصورة فردية لكل تلميذ من التلاميذ.
- يراعي عامل الفهم القرائي ودوره في القراءة الجهرية، وعلى ذلك ينبغي منح التلميذ بعض الوقت لقراءة النص قراءة صامتة.
- عدم مقاطعة التلميذ أثناء القراءة، وإذا توقف عند كلمة ما يوجهه المعلم إلى متابعة القراءة من الكلمة التي تليها.
- يتم احتساب زمن قراءة التلميذ بالدقيقة والثانية لقياس مهارة السرعة في القراءة.
- يتم تقدير درجة الأداء من خلال النموذج المرفق مع بطاقة الملاحظة، والذي يصف أداء التلميذ على النحو الآتي:

- يحصل على (5) خمس درجات في المهارة إذا كانت القراءة خالية تماماً من الأخطاء.
- يحصل على (4) أربع درجات في المهارة إذا أخطأ في المهارة مرة واحدة فقط.
- يحصل على (3) ثلاث درجات في المهارة إذا أخطأ في المهارة مرتين.
- يحصل على (2) درجتين في المهارة إذا أخطأ في المهارة ثلاث مرات.
- يحصل على (1) درجة واحدة في المهارة إذا أخطأ في المهارة أكثر من ثلاث مرات.

تعليمات الملاحظ (التلميذ): عزيزي التلميذ: الهدف من قراءتك لهذا النص قياس مهاراتك في القراءة الجهرية بصوت عال، وليس له علاقة بتحصيلك أو درجاتك و عليك أن تقوم بما يلي:

- اقرأ النص قراءة صامتة أولاً لتأمل في معانيه وأفكاره.
- ابدأ القراءة حين يطلب المعلم منك، اقرأ بصوت واضح قدر الإمكان، وإذا توقفت عند كلمة اتركها وتابع قراءة باقي النص.

النص: الكتاب خير جليس، والمكتبة خير مكان يمُدُّ الإنسان بالمعرفة والثقافة وزيارة المكتبة مهمة لقضاء أوقات الفراغ في قراءة الكتب المفيدة، والبحث عن المعلومات، فهي مكان منظم، يشتمل على الكثير من الكتب، لعلماء ومفكرين وأدباء في مختلف العلوم والفنون والمعارف والثقافات.

إنَّ القراءة غذاء العقل وزاد الروح، ولن تكون إنساناً متطوِّراً العقل، نامي المعارف حتى تُكثِرَ من القراءة، فاقراً في كلِّ شيءٍ، ولا سيما الكتب التي تزيدك معرفة، قراءة واعية تتأمل فيها، وتتفهم ما تقرؤه، فتختار الكتب الجيدة، لتكون لك ذخيرة تعتمد عليها في مواقف الحياة.

بطاقة الملاحظة واستمارة تقويم الأداء في القراءة الجهرية

المهارة	جيد جداً	جيد	مقبول	ضعيف	ضعيف جداً	لم يؤد
	5 د	4 د	3 د	2 د	1 د	صفر
ينطق التلميذ الأصوات من مخارجها الصحيحة						
ينطق الجمل والتراكيب في وحدات تامة.						
ينطق الكلمات دون إبدال حرف من حروفها.						
ينطق الكلمات دون حذف حرف من حروفها.						

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

						ينطق الكلمات دون إضافة حرف من حروفها.
						ينطق الكلمات دون تكرار حرف من حروفها.
						يحسن الوقف عند اكتمال معنى الجملة.
						يضبط الكلمات ضبطا صحيحا أثناء النطق بها.
						يقرأ النص قراءة صحيحة بانطلاق وسرعة مناسبة.

الملحق رقم (02): الصورة النهائية لاختبار مهارات القراءة الجهرية وبطاقة

ملاحظة الأداء

بيانات التلميذ:

رقم التلميذ:	القسم:
الجنس:	السن:
المدرسة:	معدل الفصل 01:
الكتاب:	عدد أجزاء القرآن المحفوظة:

الإحالات:

¹وزارة التربية الوطنية (2016): الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية-مرحلة التعليم الابتدائي الجزائر.

²وزارة التربية الوطنية (2016): مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، الجزائر.

³عاشور، راتب قواسم والحوامدة، محمد فؤاد (2001): أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

⁴البصيص، حاتم حسين (2011): تنمية مهارات القراءة والكتابة -استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم، ط1، الهيئة السورية للكتاب، دمشق.

⁵الأسطل، أحمد رشاد مصطفى (2010): مستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس وعلاقته بتلاوة وحفظ القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

⁶برو، محمد (2014): الموجه في منهجية العلوم الاجتماعية، ط1، الأمل للطباعة والنشر التوزيع، الجزائر.

⁷أبوعلام، رجاء محمود (2007): مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط6، دار النشر الجامعات، مصر.

دور الكتاتيب في الارتقاء بالشخصية الوطنية الجزائرية

أ.د. شهرزاد بوشدوب

جامعة الجزائر 2

ملخص: استطاعت الجزائر افتكاك حريتها وعيش فرحة الانتصار بعد استعمار مرير دام لأكثر من قرن راح ضحيته أكثر من مليون ونصف مليون شهيد، وعلى الرغم من مرور (57) سنة من الاستقلال إلا أننا لا زلنا نعاني الكثير من مخلفاته ولعل أبرزها ما يتعلّق باللّغة رغم الجهود المبذولة آنذاك من قبل الزوايا والكتاتيب للحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية القائمة على العقيدة الإسلامية واللغة العربية. ليس هذا فقط وما يزيد الأمر تعقيدا ما نعيشه اليوم من تحديات لا حصر لها جرّاء المفرزات السلبية للعولمة التي تسعى هي الأخرى إلى فرض هيمنتها على المعمورة دون أخذها بعين الاعتبار لاختلافات الثقافية والدينية أو الاجتماعية وحتى الحدود الجغرافية ومنه نوبان لخصوصية الوطنية.

وأمام هذا الوضع الذي يزداد تعقيدا فنحن بأمسّ الحاجة إلى تضافر جهود جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية بما فيها الكتاتيب أمام الأجيال الحاضرة والقادمة بتحسينها من كلّ اختراق يمسّ ثوابت شخصيتها الوطنية.

وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة:

أولاً: التعرف على واقع ودور الكتاتيب والزوايا في مجابهة السياسة الاستعمارية

تجاه الشخصية الوطنية الجزائرية.

ثانياً: الكشف عن نتائج دراستين سابقتين إحداهما تناولت مدى إدراك عيّنة من

طلبة جامعة الجزائر 2 لثوابت هويتها الوطنية، أمّا الأخرى فركّزت البحث عن وجهة

نظر الطالب الأستاذ حول مدى إدراكه لمعنى العولمة وكيفية استخدامها لصالح الهوية

الوطنية الجزائرية.

ثالثاً: تقديم عدد من المقترحات نراها ضرورية بالنسبة للكتاتيب وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية للوصول إلى تحقيق رأس مال بشري مستتير معتزاً بشخصيته الوطنية الجزائرية قادراً على مجابهة تحديات العولمة.

1- مقدمة: إنّ الزائر للجزائر خاصة لمدنها الكبرى إلّا واستشعر حجم مخلفات الاستعمار إزاء اللغة العربية أحد أهم مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، فأول ما يلفت انتباهك الاستعمال الواسع للغة الفرنسية في واجهات المحلات التجارية وبالبنط العريض، ليس هذا فقط حتى في اللهجة العامية للجزائريين إلّا ووجدت كلمات باللغة الفرنسية حاضرة، وما يزيد الطين بلة هو حرص بعض أفراد المجتمع على التحدث بها فقط من أجل التباهي والتفاخر أمام الآخرين، كما تجدها أيضاً في الكثير من الوثائق الإدارية، ممّا يجعلك تظن في الكثير من الأحيان وكأنّها هي اللغة الرسمية للبلاد.

هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على السياسة الاستيطانية التي انتهجتها فرنسا لطمس الهوية الجزائرية ومن ثمّ تفكيك الوحدة الوطنية، فمنذ الثلاثينات ظهرت حملة منسقة ضد اللغة العربية وقد صرّح الجنرال "كاترو" بأنّ عشرين مدرسة فرنسية ستؤدّي إلى اختفاء اللغة العربية تماماً من الجزائر خلال عشرين سنة. ونادى وزير العدل "ريكار" وغيره بترجمة القرآن إلى الفرنسية وفرضها على الشعب وحذف كل ما يمت بصلة إلى النخوة القومية من القرآن وبمنع المسلمين من تعلّم العربية وطالب بعض الفرنسيين أيضاً بعدم الترخيص لأيّ معلّم ليعلم بالعربية إلّا بعد اجتياز امتحان خاص في الفرنسية وكذلك غلق حدود تونس حتّى لا يتسرّب إليها الراغبون في التعلّم بجامع الزيتونة (سعد الله، 2016، ص. 153). ووضعت أبجدية لاتينية للغة البربرية لإبعادها عن أختها العربية التي تعايشت معها واستعملت حروفها منذ أربعة عشر قرناً (سعد الله، 1996، ص. 207).

كما سعى المستعمر أيضاً إلى الإطاحة بنظام الإسلام فأسقط حكمه الذي كان قائماً في هذه البلاد ومنع علومه من التدريس وأغلق المدارس والمعاهد وحطّم الجامعات

وجعل المساجد تحت إشرافه مباشرة بعدما خرب أكثرها، ورجع بعضها كنائس وتكنات للجند، وضم إليه الدور وجميع الموقوفة المحبسة على الأيتام والفقراء والمساكين وأصبح هو المالك الشرعي لها والمتصرف فيها (العرباوي، 1982، ص. 115). وقد عدّها "توكفيل" Tocqueville في تقرير له سنة 1847 بقوله: «لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال [أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد حاجات الاحسان والتعليم العام] وذلك بأن حولناها جزئيا عن استعمالاتها السابقة وانقصنا المؤسسات الخيرية، وتركنا المدارس تتداعى، وبعثرنا الحلقات الدراسية. لقد انطفأت الأنوار من حولنا وتوقف انتقاء رجال الدين ورجال القانون، وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الاسلامي أشدّ يؤسا وأكثر فوضى وأكثر جهلا وأشدّ همجية بكثير ممّا كان عليه قبل أن يعرفنا» (أجرون، 1964 / 1982، ص. 36). في هذا الصدد يقول "غلاب" (1982): «كان المنظرون الاستعماريون يؤكّدون أن الاسلام واللغة العربية هما ركيزتا هذه الشخصية، فقد حاولوا أن يهتموا الركيزة الأولى عن طريق ما يسمّى بالسياسة البربرية، كما حاولوا أن يهتموا الركيزة الثانية بإحلال اللغة الأجنبية محلّ اللغة العربية للقضاء على الذاتية» (صحراوي، 2009، ص. 84).

جوبهت هذه السياسة الاستعمارية بالرفض فالكثير من العائلات الجزائرية قاطعت المدرسة الفرنسية مفضلة الأمية أو اللجوء إلى الزوايا خوفا من الاندماج، لذلك لم تتجاوز نسبة تمدرس الأهالي في حدود سنة 1941 إلا (5%) من أطوار الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية (مريوش، 2013، ص. 76). وقد عبّرت المؤرّخة الفرنسية "توران" Turin إلى ما آلت إليه السياسة اللغوية المنتهجة في قولها هذا: «ردّ المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة (1830-1850) يحدث مدارس فلا يجد لها تلاميذ» (دريال، 2014، ص. 432).

وبهذا باتت كل محاولات المستعمر الفرنسي لطمس الهوية الجزائرية بالفشل الذريع، فقد حافظت اللغة العربية على نفسها من خلال ثلاث قنوات: الأولى في المدارس القرآنية، والثانية هي الوعظ والارشاد في المساجد، أمّا الثالثة فهي انشاء

فرنسا مدارس ثانوية باللّسانين سنة 1850 مع التركيز طبعا على اللسان الفرنسي. وقد أسهمت هذه المدارس في تخرّج عدد من الجزائريين المختصين في الصحافة والتعليم والترجمة شكّلت جماعة النخبة معظم عددها، أمّا المدارس القرآنية والمساجد فنجحت في الاحتفاظ بالعربية حية رغم تواضعها وتخلف مستواها (المرجع السابق، ص. 431).

رغم كلّ ذلك علينا ألاّ نهمل ما تركه المستعمر الفرنسي وراءه إذا ما أردنا الحفاظ على ثوابت شخصيتنا الجزائرية القائمة على العروبة والاسلام وعلى استقرارنا ووحدة الوطنية. الأول يتمثّل في أنّها خلقت واقعا لغويا وثقافيا مركّبا بدليل منافسة اللّغة الفرنسية للّغة العربية الأم في العديد من المجالات، أمّا الثاني يتمثّل في بروز تيار بربري متطرف مدعوما من طرف فرنسا ودول أخرى لها مصلحة في زعزعة استقرار الجزائر يدعو إلى إقامة هوية بربرية معادية للعروبة والاسلام. وما يزيد الأمر تعقيدا ما نعيشه اليوم من مستجدّات العصر خصوصا ما يتعلّق بالعمولة التي تسعى هي الأخرى إلى تمييع الحدود وجعل العالم قرية كونية صغيرة يسهل السيطرة عليها في شتى مجالات الحياة. حيث يتمّ فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة والتي تزعم أنها سيّدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد (عبد المرزوك، 2008 ص. 191).

فإذا كانت فرنسا وكندا والاتحاد الأوروبي يخشون على هويّتهم أو ثقافتهم الوطنية من العمولة الثقافية الامريكية حيث أصدروا اجراءات وتشريعات وقائية للحدّ من تأثير العمولة على ثقافتهم المحلية، فإنّ العالم العربي والاسلامي لديه المسوغات ما يفوق ذلك بكثير (مساعدة والشريفين، 2010، ص. 257). فالخوف من الغزو الثقافي الأمريكي لم يقتصر على دول العالم الثالث التي توصف بأنها بلدانا نامية أو متنامية بل وجدناه يسيطر على دول كالليونان وفرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، وإذا

كان هذا هو موقف هذه الدول من العولمة، وهي دول تنتمي إلى نفس الحضارة التي تنتمي إليها الولايات المتحدة الأمريكية، فكيف تكون الحال مع شعوب العالم الثالث التي تختلف عن هذه الدول الغربية في الجوهر والكيان وقد تصل ثقافتها معها إلى حد التناقض (الزعيبي، 2017، ص. 260).

تأسيسا على ما سبق سنحاول من خلال هذه الورقة إبراز من جهة واقع ودور الكتاتيب والزوايا في الحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية أثناء الاستعمار الفرنسي، ومن جهة أخرى التعرف على دورها المأمول في مجابهة تحديات العولمة خاصة منها العولمة الثقافية من خلال بعض الاقتراحات، كما سنعرض بعض النتائج لدراسيتين سابقتين إحداهما تناولت مدى إدراك عينة من طلبة جامعة الجزائر 2 لثوابت هويتها الوطنية، أما الأخرى فركزت البحث عن وجهة نظر الطالب الأستاذ حول مدى إدراكه لمعنى العولمة وكيفية استخدامها لصالح الهوية الوطنية الجزائرية.

2- واقع ودور الكتاتيب والزوايا في مجابهة السياسة الاستعمارية تجاه الشخصية الوطنية الجزائرية: ارتبط التعليم القرآني واللغة العربية بالكتاتيب والزوايا منذ أن وطأ الاسلام أرض الجزائر، والكتاب وجمعها الكتاتيب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل وقد بينى الكتاب خصيصا لتعليم القرآن يبينه صاحبه احتباسا لله وطلبا لأجر الآخرة، كما قد يبينه المعلم أو يكتريه على مالكة ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ... والتعليم بالكتاب تعليم أولي ومنه ينتقل التلاميذ إلى الزوايا والمساجد لإنهاء دراستهم الثانوية (التجاني، 1983 ص. 17).

لذلك لم تكن الأمية سائدة في الأوساط الجزائرية قبل مصيبة الاحتلال سنة 1830 فكانت الكتاتيب وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة العربية الدينية الصالحة، فالاستعمار قد حطم أول ما حطم كل الكتاتيب القرآنية وألغى وحجر التعليم في المساجد التي دمر وهدم أكثرها (المدني، 1956، ص. 139-140). وفي هذا الصدد كتب "بوليسيبي دو رينود" Pellissier de Reynaud في عام

1836 يقول: «إنّ التعليم الأوّلي منتشر بينهم بقدر انتشاره عندنا على الأقل. ففي معظم مدارس القرى والبلديات مدارس للقراءة والكتابة، إنّ مصادر الأبنية الخاصة بالمساجد استنزفت بوجه خاص موارد التعليم الذي يلقي في المدارس والذي كان ينتمي إليه (2000) إلى (3000) فتى في كلّ ولاية، وكان (600) إلى (800) في كلّ ولاية يصلون إلى دراسة علوم الحقوق (الفقه) والشريعة ويحصلون على لقب علماء» (أجرون، 1964/1982، ص. 65). وللحدّ من نشاط المساجد والزوايا والكتاتيب قام الجيش الفرنسي بالاستيلاء فيما بين سنة 1830 و1832 على (55) ملكية تابعة لأوقاف مكة والمدينة وهي أملاك لمسلمين جزائريين حبسوها لصالح مكّة والمدينة كما حبسوا أملاكاً أخرى لصالح الزوايا وبعض المساجد وغيرها حسب ما ذكره وكيل مدينة الجزائر "بيشون" Pichon سنة 1831 (بقطاش، 2007، ص. 27). كما رأت الإدارة الاستعمارية خلال عام 1860 أنّه من المتعذّر التفكير في الاحتفاظ بالمباني المخصّصة للعبادة كلّها فقد كانت عديدة جدا عند حدوث الغزو (مخولوف 2014، ص. 253) وفي هذا الصدد يقول "رين" (Rinn 1884): «تهدف جهودنا للحدّ من التعليم القرآني واستبداله تدريجياً بمجانية التعليم أكثر عقلانية وأكثر ملاءمة وفوق كل هذا يكون أكثر فرنسيا» (عومري، 2017، ص. 135). لكن في حقيقة الأمر فهي كانت تهدف إلى مراقبة التعليم الديني والزوايا وحدّت المدارس القرآنية وأغلقت الكثير منها ممّا أدّى إلى قلة القضاء والأئمة والمعلّمين وانهايار مستوى اللغة والتعليم العربي كما راقبت رجال الدين والعلماء والفقهاء الأحرار وفرضت رقابة على أداء فريضة الحج وحدّته برخصة قلّما يحصل عليها الراغب في ذلك إلّا بتدخّل شخص أو البرلمان نفسه وذلك من أجل إحكام عزلة الجزائر وشعبها عن العالم الإسلامي (بوعزيز 2007، ص. 41). لأنّهم علموا أن لا بقاء للإسلام إلّا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، وأن لا تعليم له إلّا بتعليم لغته، فناصروا تعليمها العدا وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي والضم بالرخص، واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلّا على

أقل القليل (الصلابي، 2017، ص. 543). ولعلّ ذلك ما جعل " محمد فريد " الزعيم المصري حينما زار الجزائر سنة 1901 يحمل فرنسا مسؤوليتها الكاملة عن الحالة السيئة التي وجد عليها قطاع التعليم العربي بعدما كانت ربوع العلم أهلة بالطلاب وجوامع القطر الجزائري مليئة بالمعلمين والمتعلمين، ودور الكتب عامرة بالمؤلفات والمطالعين (مريوش، 2013، ص. 72).

لم تكثف الادارة الاستعمارية بالتضييق المالي على الكتاتيب، بل أخضعتها ومختلف المؤسسات التعليمية إلى الرقابة والتفتيش بموجب قانون 30 أكتوبر 1886 وأكد على ذلك المرسوم الوزاري 15 ديسمبر 1906 وتخضع للرقابة فيما يتعلّق النظافة والصرف الصحي والالتزامات المفروضة والمعلومات المقدّمة، كما للحاكم صلاحيات تحديد عددها، وبالتالي فإنشاء كتاب يتمّ بترخيص من الادارة الاستعمارية كما منعت من ممارسة عملها فترة التدريس في المدارس الفرنسية الموجهة للأهالي (عومري 2017، ص. 136) ليس هذا فقط حيث يضيف المرسوم الوزاري عام 1892 أنه يجب على المدرسة القرآنية أن تبعد على الأقل بثلاثة كيلومترات عن المدرسة العمومية وهذا سواء في المدن أم القرى (Slari-Tengour, 1998, p. 88).

فرغم كل تلك المضايقات وقلة الامكانيات لم يمنع أو يكفّ من عزيمة المعلمين من تقديم طلبات لفتح المدارس القرآنية (الكتاتيب) حيث عرفت بدءا من سنة 1930 نجاحا وتقدّما (المرجع السابق، ص. 89).

وفي هذا الصدد يقول "بن باديس": «فهمنا والله ما يراد بنا، وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية، أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزّمانا، وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، وإننا على يقين من أنّ العقاب وإن طال البلاء لنا، وأن النصر سيكون حليفنا، لأننا قد عرفنا إيماننا، وشاهدنا عيانا، أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهما» (أجقو 2015، ص. 411).

3— الدراسات السابقة: سنتعرف من خلال الدراسة الأولى على مدى إدراك عينة من طلبة جامعة الجزائر 2 لثوابت الهوية الوطنية، أما الثانية فسنكشف لنا كيفية استخدام العولمة لصالح الهوية الوطنية الجزائرية من وجهة نظر الطالب الأستاذ المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، واختيارنا لهذه الشريحة من المجتمع كان قصديا كونها تمثل صفوة المجتمع أو رأس المال البشري المؤهل الذي يعول عليه الكثير، وقد جاءت النتائج كما هو آت:

3-1 دراسة الهوية الوطنية الجزائرية في ظلّ مخلفات الاستعمار وتحديات العصر (بوشدوب، 2017): من بين أهداف هذه الدراسة هو محاولتها الكشف عن مدى إدراك طلبة جامعة الجزائر 2 لثوابت هويتها الوطنية ولتحقيق هذا الغرض طبق استبيان نصف موجّه على عينة قوامها (100) طالب وطالبة يدرسون بكلية العلوم الاجتماعية قسم علم النفس وذلك خلال شهر ماي من سنة 2016. وقد أسفرت النتائج إلى:

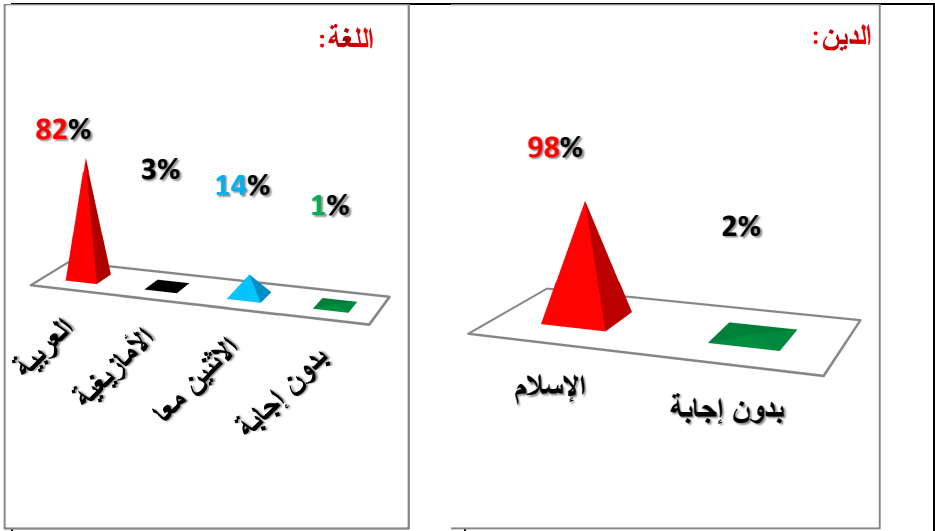
جدول رقم (1): يبيّن إدراك الطلبة لثوابت الهوية الوطنية الجزائرية.

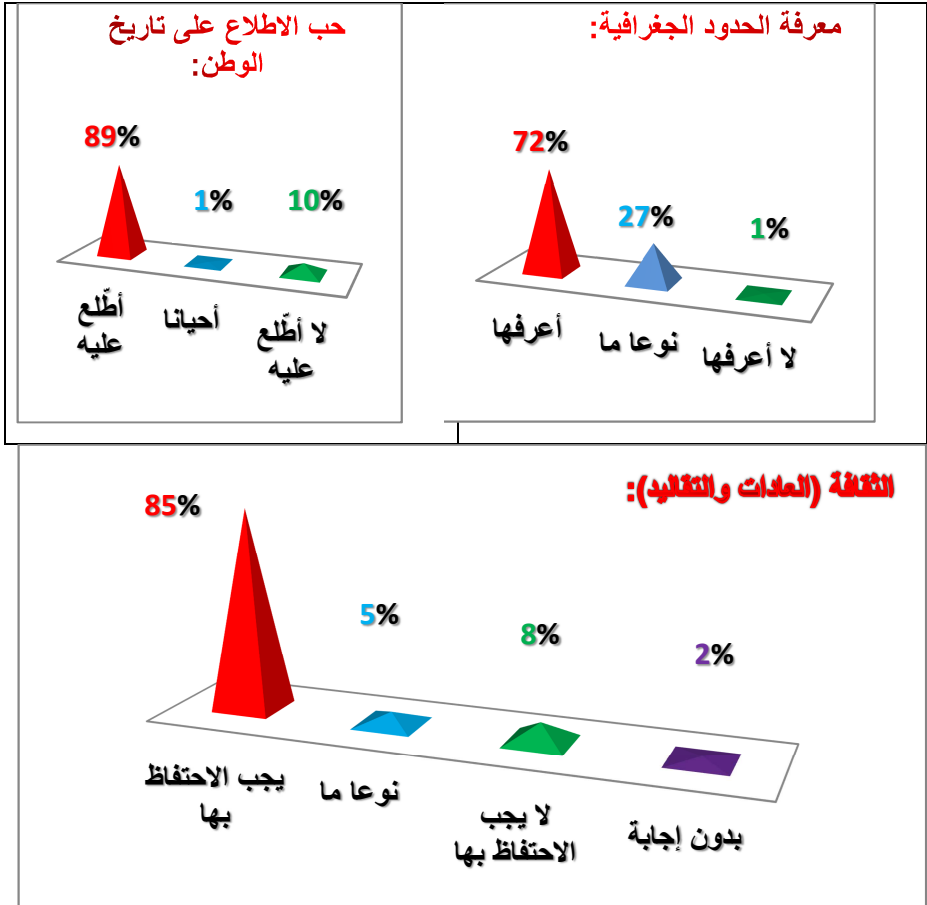
الدلالة الإحصائية	قيمة كا ² المحسوبة	درجة الحرية	التكرار المتوقع	%	التكرار الملاحظ	الاستجابات	ثوابت الهوية
دالة عند مستوى (α: 0,00 0)	177,20	3	25	82	82	العربية	اللغة
			25	3	3	الأمازيغية	
			25	14	14	الاثنين معا	
			25	1	1	بدون إجابة	
			100	100	100	المجموع	
دالة عند مستوى (α: 0,00 0)	92,16	1	50	98	98	الإسلام	الدين
			50	2	2	بدون إجابة	
			100	10	100	المجموع	
دالة عند مستوى (α: 0,00 0)			33,33	89	89	أطلع عليه	التاريخ
			33,33	1	1	أحيانا	

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

مستوى ($\alpha : 0,00$ 0)	140,66	2	33,33	10	10	لا أطلع عليه		الزمن والمكان
			100	100	100	المجموع		
دالة عند مستوى ($\alpha : 0,00$ 0)	77,42	2	33,33	72	72	أعرفها	الحدود الجغرافية	
			33,33	27	27	نوعا ما		
			33,33	1	1	لا أعرفها		
			100	100	100	المجموع		
دالة عند مستوى ($\alpha : 0,00$ 0)	192,72	3	25	85	85	يجب الاحتفاظ بها	الثقافة (العادات والتقاليد)	
			25	5	5	نوعا ما		
			25	8	8	لا يجب الاحتفاظ بها		
			25	2	2	بدون إجابة		
			100	100	100	المجموع		
						ع		

ولنتضح النتائج أكثر قمنا بتمثيلها بيانيا من خلال هذه الأشكال:





من خلال هذه النتائج يظهر أنّ هناك شبه إجماع لدى عينة الدراسة على جميع ثوابت الهوية الوطنية الجزائرية خاصة فيما يتعلّق بالدين حيث سجلنا نسبة (98%) من الطلبة يرون أنّ الدين الاسلامي هو الذي يمثل هويتهم الوطنية، كما وجدنا نسبة (89%) من الطلبة تحبّ الاطلاع على تاريخ وطنها، كما كشفت النتائج أيضا أنّ أغلبية الطلبة تؤكّد بضرورة الحفاظ على العادات والتقاليد كونها تمثل الثقافة الجزائرية وذلك بنسبة (85%)، أمّا فيما يتعلّق باللغة فقد أجمعت نسبة (82%) من الطلبة على أنّ اللّغة العربية هي التي تمثّل هويتها الوطنية، كما اسفرت النتائج أيضا إلى وجود نسبة (3%) من الطلبة لا تعتبر اللّغة العربية جزءا من هويتها الوطنية، نفس الشيء بالنسبة للعادات

والنقايد حيث وجدنا (8%) من الطلبة ترى بأنه يجب اقلع عنها لأنها عادات بالية ترمز للتخلف والرجعية، أما فيما يتعلّق بالتاريخ وجدنا (10%) من الطلبة ليس لديها أيّ اهتمام بتاريخ الوطن. هذه النسب المذكورة أعلاه رغم بساطتها إلاّ أنّها قابلة للارتفاع على المدى المتوسط أو البعيد أمام ما نعيشه اليوم من تحديات سوء على المستوى الداخلي أم الخارجي للوطن.

3-2 دراسة كفاءات استخدام العولمة لتعزيز الهوية الوطنية (بوشدوب ونعاب 2018): سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى إدراك الطالب الأستاذ لمعنى العولمة ومجالاتها، كذلك التعرف على مدى تقنّن الطالب الأستاذ لإيجابيات وسلبيات العولمة بشكل عام وعلى الهوية الوطنية بشكل خاص.

كما حاولت أيضا الوصول إلى كفاءات استغلال الجوانب الايجابية للعولمة لخدمة الهوية الوطنية مع تبيان السبل الكفيلة لحماية الناشئة من مفرزاتها السلبية. ولتحقيق أغراض الدراسة طبّق استبيان نصف موجّه عينة عرضية قوامها (120) طالب أستاذ من المدرسة العليا للأستاذة بالقبة ينحدرون من مختلف ولايات الوطن يصل عددها (30) ولاية، وذلك خلال شهر ماي من سنة 2018. وقد أسفرت النتائج العامة كما يلي:

جدول رقم (2): كفاءة توظيف الجوانب الايجابية للعولمة لخدمة الهوية الوطنية من

وجهة نظر عينة الدراسة.

الترار	%	كفاءة توظيف الجوانب الايجابية للعولمة لخدمة الهوية الوطنية.
15	12,5	التعريف بعناصر الهوية الوطنية مع إعطاء صورة إيجابية عنها.
9	7,5	الاستفادة من البلدان المتقدمة خصوصا فيما يتعلّق بالجانب الاقتصادي.
6	5	التعريف بجمال الوطن لدعم القطاع السياحي للوطن.
5	4,17	الاستغلال الجيد لتكنولوجيا المعلومات لصالح الوطن.
5	4,17	التحسيس عبر شبكات التواصل الاجتماعي بمخاطر العولمة على الوحدة الوطنية.

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

4,17	5	_____ التعريف بتاريخ الجزائر والثورة التحريرية.
3,33	4	_____ دعم اللغة العربية والدين الاسلامي.
3,33	4	_____ التبادل الثقافي والخبرات بين الدول.
1,67	2	_____ دعم وتعريف المنتجات المحلية بغرض تسويقها والرفع من الاقتصاد الوطني.
1,67	2	_____ التعاون بين الدول.

جدول (3): كيفية حماية الناشئة من المفزات السلبية للعولمة والحفاظ على الهوية

الوطنية من وجهة نظر عينة الدراسة.

الوطنية.	كيفية حماية الناشئة من المفزات السلبية للعولمة للحفاظ على الهوية	التكرار	%
_____ التوعية والتحسيس بمخاطر الاستهلاك السلبي للعولمة خاصة منها وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات.	54	54	45
_____ ترسيخ والتمسك أكثر بثوابت الهوية الوطنية.	17	17	14,17
_____ تربية الناشئة على الدين الاسلامي.	8	8	6,67
_____ تعزيز الشعور بالانتماء من خلال التعريف بالتاريخ الاسلامي والوطني والثورة التحريرية.	6	6	5
_____ المراقبة والمتابعة المستمرة للتلاميذ.	3	3	2,5
_____ إشراك الأولياء ووسائل الاعلام بغرض توعية الأبناء بمخاطر العولمة.	3	3	2,5
_____ إعادة النظر في المناهج التربوية بإدراج العولمة ومضامينها ضمن المقررات التربوية.	2	2	1,67

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من الحقائق لعل أبرزها وجود نسبة معتبرة من الطلبة الذين سيصبحون على المدى القريب أساتذة الغد لا يستطيعون إعطاء تعريف مقبول ولو جزئيا لمعنى العولمة وحثهم في ذلك أنهم ليسوا من طلبة العلوم الاجتماعية، كما أن الأمر لا يعنيهم حيث قدرت بـ (49,2%).

نفس الملاحظة فيما يتعلّق بالاقتراحات المرتبطة بكيفية توظيف الجوانب الايجابية للعلومة لفائدة الهوية الوطنية فلم يمكن سوى (39) طالب من بين (120) بتقديم عددا من الاقتراحات.

4— دور الكتاتيب في مجابهة تحديات العولمة (اقتراحات): للارتقاء

بالشخصية الوطنية الجزائرية القائمة على العروبة والدين الاسلامي لا بدّ الأخذ بعين الاعتبار وبجدية مخلفات الاستعمار بالإضافة إلى مستجدات العصر أبرزها ما يتعلّق بالعلومة التي تسعى على حدّ تعبير " ليلية": « إلى فرض متضمّناتها الثقافية والايديولوجية على هذا العالم العربي لتثبيت اكمال اخضاعه، وتبديد امكانياته الحضارية، إضافة إلى استغلال ثرواته المتنوّعة وضمان أن تكون لحظة الانتصار الغربي الحاضرة ليست لحظة أو فترة تاريخية مؤقتة ولكنها ينبغي أن تستقرّ على هذا النحو لتشكل طبيعة الزمن في جملته» (ليلة، 2012، ص. 20). لذلك ندعو الكتاتيب أخذ بعين الاعتبار والالتزام بهذه المقترحات:

- ✓ الاهتمام بتكوين معلّمي الكتاتيب بشكل دوري من أجل التفاعل مع المستجدات العلمية والتكنولوجية وتشجيعهم على استغلالها في العمل لأنها تزيد من تثبيت المعلومات لدى المتعلّمين؛
- ✓ ضرورة تكوين معلّمي الكتاتيب في مجال علم نفس النمو المعرفي والاجتماعي للطفل، وكذلك فيما يتعلّق بالاضطرابات السلوكية والأدائية وصعوبات التعلّم وكيفية التعامل معها؛
- ✓ ضرورة إظهار للعالم الخارجي انجازات الكتاتيب القديمة وأبان الثورة التحريرية والحديثة على الشبكة العنكبوتية؛
- ✓ ترسيخ الوعي بأهمية تقديس والغيرة على ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية القائمة على اللغة العربية والاسلام لدى المتعلّمين؛
- ✓ ترشيد المتعلّمين على حسن استغلال المستجدات العلمية والتكنولوجية لصالح ثوابت الشخصية الوطنية؛

- ✓ تذكير الناشئة بأعمال السلف الصالح (سواء كانت شخصيات دينية أم وطنية التي ناضلت من أجل الحفاظ على اللغة العربية والاسلام) بغية الاقتداء بهم؛
- ✓ ضرورة التذكير بأهمية اللغة العربية بالنسبة للقرآن الكريم فبدونها سيفقد هذا الأخير مضمونه وقوته الروحية؛
- ✓ انشاء صندوق للتبرعات لفائدة الكتاتيب ليكون سندا لها؛
- ✓ ضرورة أن تعمل الكتاتيب على إصدار مطويات أو ملصقات بصفة دورية بهدف التعريف والتذكير بأهميتها؛
- ✓ خلق موقع على الشبكة العنكبوتية للكتاتيب الموجودة في كامل التراب الوطني بهدف التعريف بها وفي نفس الوقت فتح المجال للتواصل وتبادل الخبرات بين معلّمي الكتاتيب؛
- ✓ تنظيم مسابقات لحفظ القرآن أو التعريف بشخصية دينية أو وطنية من السلف الصالح وتكريم الفائزين بجوائز رمزية مادية أو معنوية للتمييز بهدف تشجيع المتعلمين
- ✓ التنسيق بين الكتاتيب ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى لكي لا يجد المتعلم تناقضا بين ما يتعلمه في الكتاب والمدرسة مثلا.

— قائمة المراجع:

- 1— أجرون، شارل روبرت. (1982). *تاريخ الجزائر المعاصرة*. (عيسى عصفور مترجم) بيروت: عويدات. (العمل الأصلي نشر في 1964)،.
- 2— أجقو، علي. (2015). دور الكتاتيب القرآنية في تأصيل السلوك القرآني في حياة الشباب. *مجلة العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية*، (9)، 400-438.
- 3— التجاني، الطالب عبد الرحمان بن أحمد. (1983). *الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 4— الزعبي، خيام محمد. (2017). العولمة الثقافية وتآكل الهوية الوطنية، *مجلة قضايا سياسية، جامعة النهريين*، (47)، 255-302.
- 5— الصلابي، علي محمد. (2017). *كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: سيرة عبد الحميد بن باديس (ج2)*. لبنان: دار المعرفة.
- 6— المدني، أحمد توفيق. (1956). *هذه هي الجزائر*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- 7— بقطاش، خديجة. (2007). *الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871*. الجزائر: دحلب.
- 8— بوشدوب، شهرزاد ونعاب، أمال سارة. (2018، 14/15 نوفمبر). *كيفية استخدام العولمة لتعزيز الهوية الوطنية (من وجهة نظر الطالب الأستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة القبلة) أوراق وابحاث وتقارير مؤتمر العولمة وتنمية الموارد البشرية في الوطن العربي جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر*.
- 9— بوشدوب، شهرزاد. (2017، 4/6 تموز). *الهوية الوطنية الجزائرية في ظلّ مخلفات الاستعمار وتحديات العصر (دراسة ميدانية على طلبة جامعة الجزائر2)، المؤتمر التربوي الدولي التاسع المؤسسات التربوية والتحديات المعاصرة (قراءة واقعية ورؤى مستقبلية) جامعة الطفيلة التقنية الأردن، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، 55-62*.
<http://www.ijoe.org/v6/tafila.pdf>
- 10— بوعزيز، يحيى. (2007). *سياسة التسلّط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- 11— دربال، بلال. (جوان 2014). وظائف اللغة إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر: دراسة لسانية اجتماعية. *مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خيضر بسكرة،* (14/ 15) 419-443.
- 12— سعد الله، أبو القاسم. (1996). *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (ج 4)*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 13— سعد الله، أبو القاسم. (2016). *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (ج 5)*. الجزائر: عالم المعرفة.
- 14— صحراوي، عز الدين. (2009، جوان). اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية. *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة،* (5) 74-112.
- 15— عبد المرزوك، شاكرو. (2008). العولمة والمناهج الدراسية. *مجلة الفتح، جامعة* ديالى، (33)، 189-195.
- 16— عومري، عبد الحميد. (2017). الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914. رسالة دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة جيلالي ليايس.
- 17— ليلة، علي. (2012). الأمن القومي العربي في عصر العولمة: تفكيك المجتمع وإضعاف الهوية. القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية.
- 18— مخلوف، ساجية. (2014). التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله، رسالة دكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر 2.
- 19— مريوش، أحمد. (2013). دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. الجزائر: كنوز الحكمة.
- 20— مساعدة، وليد أحمد، والشريفين، عماد عبد الله. (2010). العولمة الثقافية: رؤية تربوية اسلامية. *مجلة الجامعة الاسلامية،* 18، (1)، 249-280.
- <http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/>
- 21—Slari-Tengour, O. (Septembre-Décembre 1998). Les écoles coraniques (1930- 1950) : Portée et Signification, *Insaniyat*, (6), 85- 95.

إسهام الكتاتيب في تلقين الأبعاد الدينية واللغوية وترسيخ سمة الانتماء للناشئة

أ. بوقفطان فتحي

جامعة مولود معمري تيزي-وزو

أ. ناجوي سهيلة

جامعة محمد بوضياف المسيلة

ملخص: تتمتع الكتاتيب بمكانة قيمة في مجتمعنا الجزائري؛ لأنها الملاذ الذي يتعلم فيه النشء القرآن الكريم، ومبادئ الدين وعلوم اللغة وكذا القراءة والخط وأسس الحساب، ومنه الرعاية العلمية والاجتماعية التي تضمن الإحاطة بالدين والقيم الأخلاقية، وغياب الكتاتيب يستدعي دق ناقوس الخطر؛ لأن من مميزات التعلم في الكتاتيب الاهتمام بالأدب الاجتماعية الصالحة لتكوين الشخصية السوية، وكذا اكتساب أفصح التراكيب اللغوية إثر حفظ القرآن، وإتقان قواعد النحو والصرف بحفظ الألفية ناهيك عن الزخم المفرداتي والسعي إلى محاربة الأمية، والحفاظ على الهوية العربية وتنمية ذكاء الفرد وتعزيز قدراته، وتعليم الحروف والحركات والسور القرآنية لذلك تعدّ الكتاتيب هي الحل الأنجع لحماية الأجيال الصاعدة، وصون هويتهم وثقافتهم الجزائرية العربية الإسلامية للحاق بالركب الحضاري العالمي.

ولهذا فإنّ هذه المداخلة ستحاول الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف يمكن الحفاظ على الكتاتيب لتحسين الأجيال الناشئة وتثبيت الثقافة الدينية

والكفاءة اللغوية لديهم؟

ولحصر لهذه الإشكالية، ستكون عناصر هذه المداخلة كالآتي:

1- الكتاتيب وأسباب نشأتها.

2- شروط معلم الكتاتيب ومكانته.

3- المتعلم وشروط انتمائه.

4- مكان الكتاتيب ومنهج الدراسة.

5- دور الكتاتيب وأهميتها.

1 - الكتاتيب وأسباب نشأتها

1-1- تعريف الكُتَّاب:

أ- لغة: جاء في لسان العرب في مادة: "كتب" «والكُتَّاب: موضع تعليم الكُتَّاب والجمع الكتاتيب والمكاتب، والكُتَّاب: سهم صغير مدور الرأس يتعلَّم به الصبي الرَّمي وبالثاء أيضا، والثاء في هذا الحرف أعلى من الثاء»¹ لذا فإن كلمة كُتَّاب هي مفرد للكتاتيب التي هي مكان تدريس القرآن وتعليم الصبيان.

ب- اصطلاحا: أما بالنسبة لمفهوم الكتاتيب اصطلاحيا، فإن «الكُتَّاب هو المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى، وتربيته الأساسية على يدي الطالب؛ أي الشيخ الذي يقوم بتلقي مبادئ القراءة والكتابة، مع تحفيظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، كما يطلق عليه أسماء عديدة كالجامع والشريعة والمحضر.... إلخ، أما هيكله عبارة عن حجرة واحدة أو حجرات ملتصقات بمسجد أو زاوية، كان يطلق على التلاميذ المجتمعين حول أستاذهم لتلقي العلم "حلقة"²، ومنه فإن الكتاتيب هي المدرسة الأولى للتلميذ قبل ولوجه للمدرسة الحكومية، وبها يتعلم أسس الكتابة والقراءة والدين.

إن الكُتَّاب وهو مكان تلقي العلم وتلقيه، وكذا حفظ القرآن والحديث ومبادئ الدين والأخلاق، وتعلم الأطفال للقراءة والكتابة، ويدير الكتاب معلم يسمى بعدة تسميات منها: المؤدب أو الفقيه أو الشيخ، وينوب عن المعلم إثر غيابه شخص يدعى بالعرف: وهو أذكى تلامذة المعلم. وعليه فإن الكتاتيب تسهم في غرس المبادئ الفاضلة³.

تعتبر الكتاتيب المنبر الأساس الذي يُستمد منه تعاليم الدين الإسلامي بكل فروعهِ وتشريعاته، فهو الحلقة الشاملة التي تمثل كل أسس وقواعد ومفاهيم القرآن الكريم والتي يرتوي منها كل مسلم.

1-2-أسباب نشأة الكتاتيب: لقد نشأت الكتاتيب مع بداية نشوء الدولة الإسلامية في القرن الثاني للهجري، حيث نجد بوادر ذلك في الرواية التي ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم، أن يجعل فداء بعض من أسرى بدر من الفقراء تعليم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة، فيطلق سراحه كمقابل لذلك، كما لم تقتصر دور الكتاتيب في تعليم الأطفال بل شمل الأميين من الكبار أيضا، فقد ذكر الإمام البخاري أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد تعلموا في كبر سنهم، كما انتشرت الكتاتيب أيضا في عهد عمر بن الخطاب الذي أمر بذهاب الأطفال إلى الكتاتيب والمساجد عدا يوم الجمعة، الذي يعد راحة لهم ولغيرهم ممن يشتغلون في دواوين الدولة، وكذا إلزام الكبار بالتعلم وذلك بسن قوانين صارمة بوضع من يختبر تعلم المارة من الناس ومن وُجد غير متعلم عليه الالتزام بالدراسة في الكتاتيب.⁴

كانت الكتاتيب أمرا مهما بعد مجيء الإسلام وضرورة ملحة؛ لأنها أسهمت في نشر تعاليم الدين الحنيف، وقضت على الأمية بتعليم الكتابة والقراءة وقبل كل هذا وذلك أسهمت في نشر الأخلاق الحميدة، والخصال النبيلة بين صفوف المتعلمين. لقد دعت الحاجة لإنشاء الكتاتيب حفاظا على نظافة المساجد، وهدوئها من شغب الأطفال، وقد كثر انتشارها في عهد الاستعمار الفرنسي؛ حماية للهوية الوطنية فهي رمز للتعليم القرآني.⁵

وكانت الكتاتيب تتسم بالترتيب والانضباط، الذي يفرضه المعلم على المتعلم لوصول الرسالة التعليمية وبلوغ الهدف المنشود من إنشائها.

كما لعبت الكتاتيب والمدارس القرآنية التي شيدتها جمعية العلماء الجزائريين بالجزائر دورا كبيرا في التصدي لحملات التجهيل وطمس الهوية الجزائرية والعربية والإسلامية التي كانت منتهجة من قبل الاحتلال الفرنسي، وذلك بفضل الجهود التي

كان يقوم بها الشيوخ والمعلمين في تثقيف الكبار وتعليم الأطفال اللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم، بإضافة إلى الآداب والأخلاق وما يتناسب مع العرف الجزائري مما أسهم في تكوين جيل واع ومسؤول استطاع أن يقف في وجه المستعمر الفرنسي وغطرسته وتفجير الثورة التحريرية

2- شروط معلم الكتاتيب ومكانته.

2-1- **شروط المعلم:** يتمتع المعلم في الكتاتيب بشخصية فذة تساعده في نجاح الأهداف العلمية للحلقة، وينبغي للمدرس أن تتوفر فيه جملة من الشروط الذاتية المتعلقة بالسلوك والأخلاق، كأن يكون ذا عقيدة إسلامية سليمة بحيث يلتزم بالفرائض والسنن ويجتنب المحرمات ويراقب جل تصرفاته، كما عليه توسيع مداركه، وأن يتصف بالحلم والتواضع، إذ على المعلم أن يتمسك بدوافع التدريس المتمثلة بالافتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ونشر القرآن وتعليمه⁶.

فالمعلم قدوة لتلاميذه لذا يجب أن يكون بأحسن صورة في نظرهم ليجعلوه مثلهم الأعلى.

كما عليه أن يتصف بشخصية واحدة داخل وخارج الحلقة، وأن يكون زاهد في الدنيا محافظا على وقته، بمساعدة الناس وعدم انتظار الشكر منهم أو مقابل مادي؛ لأن هذا ينقص من قيمته. وعليه أن يتصف بالرزانة وامتلاك نفسه عند الغضب وأن يحسن الجلوس وسط تلاميذه بوقار واحترام، كما يجب أن يلتزم المعلم بجملة من الشروط الشكلية: منها السلامة في النطق، وأن يكون حسن المظهر، نظيف البدن ملتزما بشروط اللباس الشرعي، مستخدما السواك والطيب، كما أن عليه أن تتوفر فيه عدة شروط مهنية، كإجادته للتلاوة وحفظه لقدر كبير من القرآن، واستعداده التام لمزاولة التدريس، وأن يعرف مستوى تلاميذه وشخصياتهم، وأن يكسب محبتهم بقوة شخصيته وطيبته، كما أن على المعلم أن يكون ملما بطرق التدريس وكيفية الإلقاء وكذا عليه تجنب الغياب، لذا وجب عليه أن يدخل للحلقة وهو مستعد نفسيا وجسديا وزمنيا وعلميا.⁷

ومنه فإن هذه الشروط واجب توفرها كي يحسن التحكم في سير أمور الحلقة وتعليم التلاميذ أحسن تعليم، وتنشئتهم على قيم وسلوكيات صالحة قصد تجسيدها في حياتهم اليومية.

2-2- مكانة المعلم: كما أن للمعلم مكانة اجتماعية تختلف باختلاف الزمن، ففي العهد الإسلامي كان له مكانة مميزة فهو المصلح التربوي ذو المكانة المرموقة والنسب المعروف، والملجأ الوحيد للمجتمع لتعليم أبنائهم أحسن تعليم، فأطلق عليه لقب: الشيخ، الرحلة، والإمام، والفقهاء، كما لا يخفى على ذي نظر أن درجة المعلم في الكتاتيب أقل مكانة من معلمي المساجد والفقهاء، نظرا لأنهم على قدر كبير من العلم والثقافة وعليه كان للإسلام دورا في الرفعة من مكانة المعلم من خلال تقديسه للعلم والعلماء والحث على طلب العلم، وأن المعلم بمثابة الرسول المبلغ للرسالة، كما اهتم الحكام والأمراء بشريحة العلماء ومنهم المعلمين وتنافسهم في ذلك، أما في العهد العثماني فبقيت مكانة المعلم كما هي رغم قلة التشجيع؛ لكن نظرا لصعوبة العيش وقلة الدخل الذي يتقاضاه نجد أن معظمهم قد بدأ يتخلى عن مهنة التعليم؛ لأنها لا تسد حاجاتهم وبالرغم من ذلك فإن المعلم كان محل تقدير الأهالي وتقنهم، فكانوا يلجؤون إليه عند الفتن والمشاكل: كمثل عبد العميد بن باديس وغيره، أما خلال الاستعمار الفرنسي تدهورت مكانة المعلم؛ لأنها حاربت المعلم ودمرت مراكز العلم بشتى أنواعها، أما بعد الاستقلال في مراحل الأولى فقد تحسنت أوضاع المعلم من علو مكانته ووضع المادي، ونال ألقابا أخرى منها سيدي، الشيخ، الطالب⁸.

تذبذبت مكانة معلم الكتاتيب بحسب الحقبة الزمنية، والحالة السياسية التاريخية وكذا ثقافة العصر، ورغم كل هذا فإن المعلم يبقى أهم عضو فاعل في إنتاج جيل واع مفعم بالاجتهاد وروح المسؤولية.

أما في المراحل الأخيرة فقد المعلم مكانته بسبب تدخل الدولة في شؤون التعليم وكذا في إعداد المحتوى وسن القوانين التي قيدت المعلم وأثرت على مكانته، فمن العوامل المؤثرة أيضا نجد أن التكوين التربوي للمعلم وعلاقته بطلبته، ومعرفة لخصائصهم

عامل مهم في ثبات مكانته، وكذا العوامل الاجتماعية من علاقات داخل الحلقة وخارجها، فهو مصلح اجتماعي إضافة إلى التأهيل الديني بغرس القيم داخل التلاميذ والتأهيل العلمي بثقته بنفسه إثر إتقانه للمادة العلمية، إضافة إلى التأهيل النفسي واتزانه كما أن من أسباب انحطاط مكانة المعلم أنه لم يعد المصدر الوحيد للمعرفة، فأصبحت تنافسه وسائل التكنولوجيا المتطورة.⁹

لقد أصبح المعلم بتقديم الأجيال وتطور الزمن والتكنولوجيا، مصدرا ثانويا في تلقي العلم، بحيث نافسته عدة أمور منها الانترنت والكتب الورقية والالكترونية والتعلم عن بعد من خلال الفيديوها، ومواقع التواصل الاجتماعي وما إلى ذلك

3- المتعلم وشروط انتمائه:

3-1- المتعلم: كانت الكتاتيب تضم ما بين عشرين إلى ثلاثين متعلما عموما بحسب المنطقة والكثافة السكانية، كما أن من النقاط الهامة الواجب تسليط الضوء عليها، هي السن المناسبة للمتعلم وأنها تدور حول سن الرابعة إلى السابعة.

«وينقل محمد أسعد طلس قوله لابن الحاج العبدري في هذا الموضوع فيقول: قال ابن الحاج العبدري: وينبغي له (أي المعلم) أن يتمثل السنة في الإقراء، ومن جملة ذلك أن السلف الماضيين رضي الله عنهم- إنما كانوا يقرئون أولادهم في سبع سنين؛ لأنه في تلك السن يؤمر الصبي بالصلاة وبالآداب الشرعية، فإذا كان الصبي في تلك السن فهو إذن غير محتاج إلى من يأتي به إلى المكتب»¹⁰.

ففي سن السابعة تماما يكون الولد قادرا على التعلم؛ لأن قدرته الاستيعابية أكبر وفهمه للأمور أوضح، وقدرته للحفظ أعمق مما هو عليه الطفل في سن الرابعة وما دون ذلك.

وقد كان الأولياء في الأرياف مثلا هم من يقومون بتنقيف البنات وتعليمها الصلاة والقرآن في المنزل؛ خشية الاختلاط بالذكور «فتعليم البنات أمور دينها مطلوب شرعا وهذا الإمام البخاري يروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: قالت النساء

للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»¹¹.

ومنه على البنت التعلم مثل الولد؛ لأن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فالعلم ليس حكراً على أحد دون الآخر

وكانت توجد بعض الكتاتيب والزوايا الخاصة بالفتيان والشباب من مختلف الأعمار يحفظون القرآن ويتدارسونه، وكان بعضهم يقيم في الزاوية أو المسجد حتى يتم حفظه ودراسته ومازالت بعض هذه الكتاتيب والزوايا تنشط في الجزائر إلى يومنا هذا كزاوية سيدي منصور بتيزي- وزو، والتي يتخرج منها المئات من حفظة القرآن الكريم سنوياً.

3-2 - شروط انتماء المتعلم: من شخصية المتعلم الخافية الأمانة والصدق والشجاعة وغيرهما، مما يكتسبه من أقرانه وأفراد مجتمعه ومعلمه¹² «الأخلاق في خلاصتها تحمل الرذيلة والفضيلة، ولا يتيسر الوصول إلى الفضيلة إلا بأمرين: التعليم والقوة، وإذا كانت القوة لها دورها الفعال في التأثير على المتعلمين، ينبغي بل يجب أن يشترط الصلاح في معلمي الكتاتيب»¹³.

يكمن صلاح الكتاتيب في صلاح المعلمين، فهم يمثلون الأخلاق الفاضلة التي يتربى عليها المتعلم، الذي يسير وفق خطى معلمه ويأخذ منه معظم خصاله وأفعاله وسلوكياته.

كما أن من وسائل التشجيع الاحتفال بالختمة؛ أي الوصول إلى سور معينة عند المعلم، وتقديم الهدايا للمتعلم والمعلم، ونظام مؤدبة لهم وهذا ينشر الحماس في التلاميذ الآخرين، أما أنواع العقاب والتأديب نجد منها المعنوي والمادي أيضاً: كالعبوس والتأنيب والتوبيخ والزجر أمام زملائه، وكذا الحرمان والضرب الخفيف أو استدعاء الولي¹⁴.

يعتبر عنصر التحفيز في العملية التعليمية من الأمور التي تشعل فتيل الحماس عند التلاميذ، والرغبة في الوصول والتميز والنجاح، وإسعاد الأهل والمعلم وقد كان أهل المتعلم كلما يحفظ حزباً أو جزءاً من القرآن الكريم تقام له مجموعة من الإكراميات

يأخذها للمدرسة القرآنية يأكلها مع أقرانه كبعض الأكل والأطباق الشعبية تشجيعا لما حققه من نجاح وتقدم في تحصيل القرآن وحفظه.

«أما رأي علماء النفس من المحدثين في العقاب، يلخصه سبنسر في رأيه التالي تحت عنوان: العقوبات التأديبية والجزاء الطبيعي فيقول: فلنكن الملاحظة الصادقة دليل المعلم في كشف هفوات الأطفال، قبل الشروع في اقترافها، وليكن النصح والتحذير والإرشاد كافيا في ترغيب الأبناء عنها وبعدهم منها، ولنكن المعصية سببا في فرض العقوبة، ولنكن العقوبة - بقدر الإمكان - وليدة المعصية، ولنكن العقوبة تتناسب لا مع الجرم فحسب، بل تتناسب كذلك مع طباع المذنب وظروف ارتكاب الذنب، أثر العقوبة المفروضة في تهذيب نفس المصيء، وليكن التنفيذ حازما لا تشوبه هواده أو تردد، فهذا نستطيع أن نرى في الجزاء الطبيعي البصير، المثل الأعلى للعقوبات التأديبية الزاجرة، والتي تساعد على نجاح التربية الخلقية»¹⁵.

على المعلم أن يفرض عقوبات على المتعلم تتناسب والخطأ الذي يقترفه؛ قصد تأديبه وتعليمه بأسلوب الترغيب والترهيب؛ كي لا يعود للطريق الخاطئ مجددا وأشهر طريقة للعقاب أذاك هي "الفلاحة" وهي ضرب المتعلم إذا ارتكب خطأ كبيرا من قبل الشيخ على مستوى سطح الأرجل بالعصا.

كما أن هناك من المتعلمين من يأتون من أماكن بعيدة للكتاب؛ قصد التعلم على اختلاف أعمارهم، فنكون لهم حقوق المبيت والإطعام والتعلم، وواجبات الطاعة والتأديب ومساعدة المعلم، كما يسهم أهالي القرية في إعطائهم بعضا من الطعام أو الثياب، وكذا عزيبتهم على مختلف المناسبات، فيقرأ المعلم وتلامذته بعض المدائح الدينية وتلاوة القرآن، كما يتولى التلاميذ غسل ملابسهم، أما عملهم اليومي فهو حفظ القرآن وبعض النصوص الفقهية أو القواعد والمدائح الدينية والمتون النحوية، والأحكام ومساعدة الفقيه في التعليم والآذان وإقامة الصلاة¹⁶.

على المتعلم أن يقوم بعدة واجبات تفرض عليه حين انتسابه للكتاتيب، وذلك في مقابل تمتعه بحقوقه، ولكي يسير على انضباط مع ما يقره برنامج الكتاتيب.

ومن أهم الوسائل التي كان يستعملها الطلبة والمتعلمين في الحفظ نجد:
أ- **اللوحة**: وهي عبارة عن قطعة مستطيلة من اللوح بها ثقب علوي يربط به خطي لتعليقها.

ب- **الحبر (الصمغ)**: وهو مادة يصنعها المتعلمون بحرق الصوف وخطها بالماء.
ت- **القلم**: وهو عبارة عن قصبه تشق طوليا وتبرى ليصبح لها رأس يكتب به بوضعه في الصمغ ثم يكتب به على اللوحة.
ث- **الصنصال**: وهو نوع من أنواع التربة لونه أزرق تصبغ به اللوحة أثناء الانتهاء من حفظها بخلطه مع الماء وطلائه عليها.

4- مكان الكتاتيب ومنهج الدراسة:

4-1- **مكان الكتاتيب**: كان منزل المعلم قديما هو مكان الدراسة؛ لكن بوجود المساجد تعددت أماكن التدريس فاتخذ معلمو الكتاتيب زوايا المساجد وبعض الغرف المحيطة بها مكانا للكتاتيب، مع الحرص على ملاحظة الطلاب وانضباطهم ومنعهم من العبث، وتلوين المسجد أو إزعاج المصلين، بحيث يجلس التلاميذ على الأرض المفروشة بالحصير، وفيها زير ماء أعد لشرب التلاميذ مع وجود أماكن لدورة المياه والوضوء، ومكان لتنظيف الألواح من الطين؛ قصد الكتابة فيها من جديد¹⁷.
كان مكان الكتاتيب مكانا بسيطا جدا مقارنة بعظمة الرسالة التي يريد إيلاؤها المعلم، لمختلف التلاميذ والأجيال التي تعلمت على يده، إلا أن بساطة المكان لم تمنع من تخريج علماء عظام من الكتاتيب.

4-2- **منهج الدراسة في الكتاتيب**: أما منهج الدراسة فكانت تبدأ من الفجر إلى الضحى، بحفظ الطفل الحروف الهجائية سماعا ثم يشرع في حفظ سورتها ويشكل كتابتها، ثم حفظ السور القصار ثم يستعين بالتكرار أمام معلمه؛ ليتأكد من سلامة نطقه ثم يقوم بكتابة ما حفظه على اللوح، ليعرضه على معلمه للتأكد من هيئة الحروف وسلامتها، ويتم تصحيح الأخطاء متبوعة بقراءة جماعية، ثم تليها مراجعة المكتوب عدة مرات حتى يتم حفظه، والعرض على المعلم بعد صلاة العصر غالبا، وهكذا يكرر

مع بقية السور حتى يختم القرآن الكريم ثم يعيد حفظه وكتابته، وهو ما يسمى بالسلكة، فيبدأ بسورة الفاتحة فالبقرة وهكذا وصولاً إلى سورة الناس، وتكون الكتابة بربع الحزب أو نصفه حسب قدرة التلميذ.¹⁸

لقد اعتمد المعلم في تلقينه أسلوب القراءة الجماعية والتكرير، بالحفظ والاستنكار والاطهار بوسائل شتى، والتطرق لعدة مواد ضرورية وهامة مبرمجة في منهاج خاص، وضعه المعلم للمتعلم؛ قصد تعليمه بأسلوب صحيح.

«ومن الوسائل التعليمية المعتمدة في الكتاتيب نجد: اللوح، الصلصال، القلم الدواة الصمغ، الهجائي»¹⁹، فللمتعلم لوازم بسيطة متوفرة في البيئة، تساعده في عملية التعلم بمختلف مناهجها وموادها. كما تدرس بهذه الكتاتيب عدة مواد مبرمجة للتلاميذ، نذكر منها باختصار:

أ- **الخط:** وهو معرفة التلاميذ للحروف الهجائية، مركبة ومنفصلة صوتاً وكتابة وبأسلوب وخط واضح وجميل.

ب- **الرسم:** إن رسم المصحف هو الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه، وللمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه حصرها علماء فن الرسم في ست قواعد، وهي: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل والفصل، والوصل، وما فيه قراءتان.

ج- **القراءات:** وهي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، فالكتاتيب تتبع في قراءتها رواية الإمام ورش عن الإمام نافع المدني.

ح- **التجويد:** وهو تلاوة القرآن بإعطاء الحروف حقها نطقاً، من حيث الترقيق والتخيم والمد وسلامة مخارج الحروف، كما أن للتجويد أنواعاً منها: الترتيل المتمثل في القراءة على مهل، وحذر وهو الإسراع في القراءة، وتدوير وهو التوسط بين المقامين.²⁰ «وقد نبه القرآن الكريم على هذا التجويد وأمر به فقال: "ورتل القرآن ترتيلاً"، وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال: بينه تبييناً، ولا

تنتشره نثر الدقل، الرقل، ولا تهده هد الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»²¹.

خ- **القواعد:** تدرس قواعد النحو والصرف والمتون النحوية بالكتاتيب، وقواعد الفرائض وكذا قواعد البلاغة والعروض، وقواعد الإملاء المتعلقة بالرسم القرآني وقواعد الحساب الذهني باقتضاب، أما التاريخ والجغرافيا فتذكران عرضا للتسليية فيذكر تراجم للشخصيات والوقائع والمواقع.

د- **الحفظ:** يكون بحفظ القرآن ثم الأحاديث، ثم أبياتا من بردة المديح، أو أبياتا من التجويد، أو الفقه، أو حفظ فقرات من الأجرومية والألفية، وطريقته بالسماع عن طريق التردد أي الحفظ والاستظهار، فيتم حفظ سطر أو جزء تلو الآخر حتى يصل إلى آخر آية، وهناك طريقة المحو بحيث يمحي المعلم بعض الكلمات، ليلفت انتباه التلميذ إلى اكتشافها ثم حفظها، فهناك من يحفظ عن طريق البصر بالقراءة الظاهرة الصامتة وهناك من يحفظ بالقراءة بالجهر بصوت عال، وهناك من يحفظ عن طريق الكتابة.

ذ- **السير:** كدراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسير الرسل الآخرين وكذا سير الصحابة، ونساء المؤمنين المذكورين في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
ر- **التوحيد والعبادات:** وهو دراسة صفات الخالق عز وجل، وكذا العبادات التي أمرنا بها للتقرب منه ونيل رضاه.²²

يتعلم التلميذ في الكتاتيب عدة مواد متنوعة متصلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إضافة إلى تعلم الكتابة ومنه القضاء على الجهل والامية.

5- دور الكتاتيب وأهميتها

5-1- **دور الكتاتيب:** للكتاتيب دور هام في تخريج جيل صالح نافع، يخدم نفسه وأمتة ووطنه، ومن هذه الأدوار العدة التي تقيد بها الكتاتيب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- تحفيظ القرآن وشرح علومه من تفسير وفقه وتعليم مبادئ وأسس الدين

الإسلامي؛

- 2- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة، والشخصية الوطنية الجزائرية؛
 - 3- ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة، والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛
 - 4- تعليم اللغة العربية وآدابها من نحو وبلاغة التي تعتبر إحدى ثوابت الأزمنة الجزائرية؛
 - 5- كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاء إبان فترة 132 سنة من الاستعمار الفرنسي»²³.
- تعمل الكتاتيب على إثراء معارف المتعلم، وتزويده بالثقافة الدينية والأخلاقية والاجتماعية، وتعمل على حفظ هويته الوطنية ولغته العربية.
- 2-5- أهمية الكتاتيب: للكتاتيب أهمية بالغة على الفرد المتعلم، لما لها من خصائص مهمة نجل أهمها فيما يلي:
 - 1- تربية الناشئة على قيم وأخلاق وضرورة احترام الآخر؛
 - 2- تثبيت مقومات الشخصية الوطنية، ومواجهة مظاهر التغريب والقيم التي تسربت مع الاستعمار؛
 - 3- حفظ اللغة العربية وتوثيق الرابط معها؛
 - 4- مقوم من مقومات النهوض المسند إلى التعليم»²⁴
- تسهم الكتاتيب في حفظ اللغة العربية والمتعلمين من اللحن، وتعلمهم لغة دينهم الحنيف وتنشئهم تنشئة صالحة؛
- 5- تسهم الكتاتيب في تنشئة الأجيال وتحفيظ القرآن والحديث، والقراءة والكتابة والحساب، والحفاظ على الهوية ومقومات الشخصية الجزائرية، فالكتاتيب تقوم بدور تربوي وتنمية شخصية المتعلمين، نفسيا واجتماعيا وتربويا وعقليا، بحيث تحضرهم للدخول إلى المدرسة²⁵؛

وعليه فالكتاتيب ذات أهمية بالغة في العملية التربوية، لما تقدمه من خدمات علمية ودينية للمتعلم.

6- تمسك النشء بالقرآن الكريم حفظا واستظهارا، وحسن تلاوة وفق قراءة نافعة والتعود على القراءة الجيدة يجعل التلميذ أكثر قدرة على حسن الحوار والإصغاء فتموا لديهم قيم التواصل مع الآخرين؛

7- تعويد النشء تدبر معاني القرآن الكريم والتعرف على أحكامه، استعدادا للفهم والتطبيق، فمن خلال هذا التدبر يكتسب التلميذ القيم الأخلاقية الإيجابية، التي تجعله عضوا فاعلا وصالحا في المجتمع»²⁶.

بالإضافة إلى تعلم الفرد القراءة والكتابة في الكتاتيب، يتعلم أيضا علوم دينه ودينه والقيم والمبادئ الحقة، التي يتصف بها أي مؤمن ينتمي لهذا الدين الإسلامي الجليل.

الخاتمة: لقد كان للكتاتيب دور بارز في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية من دين ولغة وتراث وعادات وتقاليده رغم محاولة الاستعمار الفرنسي القضاء عليها فرغم تقلص عدد الكتاتيب في الأقطار العربية عامة والجزائر خاصة واستبدال دورها بدور المؤسسات التربوية الحديثة إلا أنّ النتائج السابقة للتلاميذ المتفوقين في نتائج شهادة التعليم المتوسط والباكالوريا كشفت أنهم تتلمذوا أيضا في المساجد والكتاتيب وحفظوا القرآن الكريم بها، وعليه من خلال هذا البحث ندعو إلى إعادة الاعتبار للكتاتيب، وتفعيل نشاطها بالتنسيق مع المدارس التربوية في تعليم اللغة العربية الفصحى، والقرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وغرس القيم الفاضلة وتنشئتهم على أخلاق دينية حميدة، وذلك بعصرنتها واستثمار أجهزة ونتائج التكنولوجيا الحديثة في العملية التعليمية ورقمنتها وتنظيمها لمواكبة المؤسسات الوطنية الأخرى.

قائمة المراجع المعتمدة:

- ¹ لسان العرب، ابن منظور، مادة "كتب"، ج1، دار المعارف.
- ² تصيرة بن عومر، المدارس الحرة في الجزائر (1900-1962)، إشراف الأستاذ مبخوت بوداوية، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة مولاي طاهر سعيدة 2013، ص19.
- ³ ينظر: بكر اوي عبد العالي، مرشدي شريف، دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04، مخبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر 2، 2011، ص211.
- ⁴ ينظر: حسن عبد الغني أبو غدة، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، 1430هـ -2009م ص202، 201.
- ⁵ ينظر: عبد الحميد عومري، التعليم الإبتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880-1914)، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 8 ص258.
- ⁶ ينظر: المدارس والكتاتيب القرآنية، وقفات تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلامي 1417هـ ص 13.
- ⁷ ينظر: المرجع السابق، من ص 14 إلى ص22.
- ⁸ ينظر: دخان سارة ، صورة المعلم في المجتمع الجزائري - دراسة ميدانية في منطقة سطيف جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ماجستير ، 2015 من ص 96 إلى ص102.
- ⁹ ينظر: المرجع السابق، من ص 96 إلى ص102.
- ¹⁰ عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص21.
- ¹¹ المرجع نفسه ص 23.
- ¹² ينظر: المرجع نفسه، ص 24.
- ¹³ المرجع نفسه، ص25.
- ¹⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 26.
- ¹⁵ المرجع السابق، ص28، 29.

- ¹⁶المرجع نفسه، من ص 29 إلى ص 31.
- ¹⁷ينظر: عبد اللطيف بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط1: 1986/1406، ص45، 46
- ¹⁸ينظر: عمارة كريمة، حباس صافية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، دراسة ميدانية للمدرسة القرآنية بمدينة مستغانم، ماستر، تخصص علم الاجتماع التربوي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2017، ص14، 13.
- ¹⁹عيسى بن ناصر الدريبي، تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي "الكتاتيب القرآنية في المغرب نموذجا"، ص643.
- ²⁰ينظر: عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة، من ص44 إلى ص 50.
- ²¹المرجع السابق، ص51.
- ²²ينظر: المرجع نفسه، من ص 51 إلى 55.
- ²³مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية بالجزائر من منظور الدراسات النفسية التربوية المعاصرة، إنسانيات، عدد 14-15 ماي، ديسمبر 2001، وهران، ص 5.
- ²⁴عمارة كريمة، حباس صافية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، ص18، 17.
- ²⁵ينظر: المرجع نفسه ص 37.
- ²⁶المرجع نفسه ص 38.

واقع الكتاتيب الجزائرية وتحديات العولمة

د.اهـ. مريم محراب

جامعة الحاج لخضر باتنة 01

الملخص: تعد الكتاتيب أحد الأماكن والمراكز التي تسهم في نشر العلم والمعارف وكذا تحفيظ وتلقيق لقواعد اللغة العربية والقرآن الكريم للصبيان والمتمدرسين، وهي ظاهرة مرتبطة بالمجتمع العربي المسلم انتشرت بانتشار الإسلام، فوجدتها حاضرة منذ عقود وأزمنة تنتقل من جيل إلى جيل هدفها تكوين الناشئة على خلق صالح وتربية حسنة والحفاظ على تعاليم الإسلام والهوية الوطنية، ولقد عانت المجتمعات العربية المسلمة منذ القدم من الحروب والاستعمار الذي حاول المساس بهويتها ودينها الإسلامي والقضاء على لغتها العربية، فكانت الكتاتيب رادعا قويا لمحاربة أهداف الاستعمار بالحفاظ على سمات الشخصية العربية والإسلامية بين أفراد المجتمع.

لعب نظام الكتاتيب دورا هاما قديما وحديثا في الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري من الاضمحلال والزوال، ومع كل هذا فقطاع الكتاتيب أو التعليم التقليدي القديم اليوم يعاني من تحديات كبرى في ظل التطور التكنولوجي والعولمة ونشوء المدارس الحديثة وكذا عزوف التلاميذ بالدراسة فيها، ومنه تسعى ورقنتا البحثية التي جاءت بعنوان: "واقع الكتاتيب الجزائرية وتحديات العولمة" بالإجابة على عدة أسئلة نذكر منها:

_ مامفهوم الكتاتيب؟ ومامفهوم العولمة؟

_ مامدى أهمية ودور الكتاتيب وتأثيرها على الطفل؟

_ ماهي نظرة الواقع في خضم التطور التكنولوجي والانفتاح والعولمة لقطاع

الكتاتيب والمدارس القرآنية؟

_ ماهي أهم الطرق والوسائل الممكنة للحفاظ على قطاع الكتاتيب من الانقراض

إبان تطورات العصر الراهن؟

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب، المدرسة القرآنية، التكنولوجيا، العولمة.

مقدمة: يعتبر المجتمع الجزائري من بين المجتمعات التي تصطدم في كل يوم مع تحديات العولمة، هذه الأخيرة التي باتت كلمة العصر بامتياز، حيث إن المتنبع لقضايا القرن الواحد والعشرين يجد أن العولمة من الموضوعات التي شغلت اهتمام الباحثين والدارسين في كل ملتقى أو محفل علمي أو مقالات علمية منشورة، ومن مساعيها توحيد العالم في بوتقة ثقافية واحدة على حساب ثقافات الأمم الأخرى مما يؤدي إلى المساس بهوية الأفراد و ثقافتهم والتأثير على الوطن والدين والأسرة وعادات المجتمع وتقاليدهم والمدرسة والاعلام، وذلك عن طريق اجتياح الفكر الغربي للدول النامية والنقل الأعمى لثقافتهم والانسلاخ عن مبادئ المجتمع، وفي هذا الاطار ارتأينا أن نبحث عن واقع الكتاتيب الجزائرية اثر تحديات العولمة نتيجة أن الكتاتيب ولما لها من أهمية ودور في الحفاظ على الشخصية الوطنية للمجتمع الجزائري ابان زمن الاستعمار وبعد الاستقلال، فكان لزاما علينا في دراستنا هذه البحث عن واقع الكتاتيب في ظل الغزو التكنولوجي وزمن الانفتاح والعولمة.

أولاً: الكتاتيب (مفهومها ودورها وأثرها على الطفل): بدأت ظاهرة تعليم القرآن الكريم وتحفيظه مع ظهور الإسلام و بانتشار الفتوحات الإسلامية ولم يكن التعليم وقتها مقتصرًا على الأطفال وإنما حتى على الكبار وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى تعلم القرآن الكريم ونشره بقوله: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »، (1) كما أنه من مبادئ الدين الإسلامي نشر العلم ومحاربة الأمية لقوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾، (2) ومنه تأسست في كل بلدة إسلامية مدرسة دينية عنيت لتفسير الذكر الحكيم ورواية الحديث النبوي وتلقين الناس الفقه وشئون التشريع، وكان كثيرون من المتعلمين في هذه المدارس يحرصون على تدوين ما يسمعون، (3) وهذا ليثبت على اهتمام المسلمين في ذلك الوقت بالقراءة والكتابة وجرت هذه العادة بين المسلمين تنتقل من جيل إلى جيل لحفظ القرآن الكريم

والحديث الشريف لتصل إلى شمال أفريقيا وتصبح من إحدى ظواهر المجتمع الجزائري.

أ_ **الكتاتيب:** ومفردها كتاب، والكتاب: موضع الكتابة، والمكان الذي ينلقى فيه الصبيان العلم ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة، وتلقي مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية، وبعض العلوم الأخرى، ويدرس في الكتاب معلم يطلق عليه عدة أسماء منها: المعلم، المؤدب، الفقيه، الملا، المطوع، الشيخ وهو الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس⁽⁴⁾، وفي تعريف آخر للكتاتيب فإنها مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصبيان وقد تكون ملحقة بمسجد كبير⁽⁵⁾، ومنه تعد الكتاتيب إحدى المؤسسات التعليمية التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم للناشئة وللحديث النبوي وتعليم اللغة العربية والإملاء والحساب.

ب_ **دور وأثر الكتاتيب على الطفل:** أسهمت الكتاتيب طوال عقود من الزمن بأدوار مهمة تجسدت على أرض الواقع وكان لأثرها على الأفراد والأطفال في حاضرهم وحتى في مستقبلهم ومن بين هذه الأدوار نذكر منها:

دور ديني وأخلاقي:

- حفظ القرآن الكريم في قلوب الأطفال وانتشاره؛
- حفظ الدين الإسلامي وتأكيد الإيمان وتوحيد الله؛
- ترسيخ تعاليم الدين الإسلامي منذ الصغر؛
- تربية الأطفال الناشئة على أخلاق حسنة تحترم الكبار؛
- تكوين المواطن الصالح اثر تهذيب طباع الطفل؛
- الحث على الأعمال الصالحة؛
- احترام الوقت وإدراك قيمته؛
- اكتساب الثقة بالنفس للطفل؛
- الاهتمام بنظافة المتدربين لأنفسهم.

دور اجتماعي:

- الحد من ظاهرة العنف في المجتمع باتباع تعاليم الدين الإسلامي؛
- تحصين المجتمع زمن الاستعمار والحروب من عدم امكانية انسلاخه عن عاداته وتقاليده؛

➤ تكوين صداقات بين الأطفال فيما بينهم وبين المعلم.

دور علمي:

- حب العلم والتعليم؛
- اكتساب ملكة اللغة عن طريق تعليم اللغة العربية والكتابة والنطق الصحيح بها؛

➤ اكتساب القدرة على الفهم والحفظ الكثير؛

➤ تعلم الحساب وقواعد الإملاء والنحو والصرف؛

➤ القدرة على تعلم عدة علوم أخرى على غرار تعاليم الإسلام وتميزهم على

أقرانهم في الصف؛

➤ سعت إلى تخرج الكثير من المفكرين والعلماء الذين أسهموا في تنوير المجتمع

الإسلامي.

دور وطني:

➤ الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية (الدين، اللغة، الهوية، الثقافة)؛

➤ الحفاظ على وحدة الأمة؛

➤ ارث تاريخي ووطني.

ثانياً: الكتاتيب الجزائرية في ظل تحديات العولمة: ظهرت الكتاتيب الجزائرية

والتعليم القرآني مع بداية الفتوحات الإسلامية على شمال افريقيا اثر نشر تعاليم الإسلام

بين أفراد المجتمع الافريقي وتعليمهم ل اللغة العربية لفهم الدين الجديد، حيث يقول

(ابن خلدون) واصفا هذه الظاهرة بقوله: « كان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول

المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء

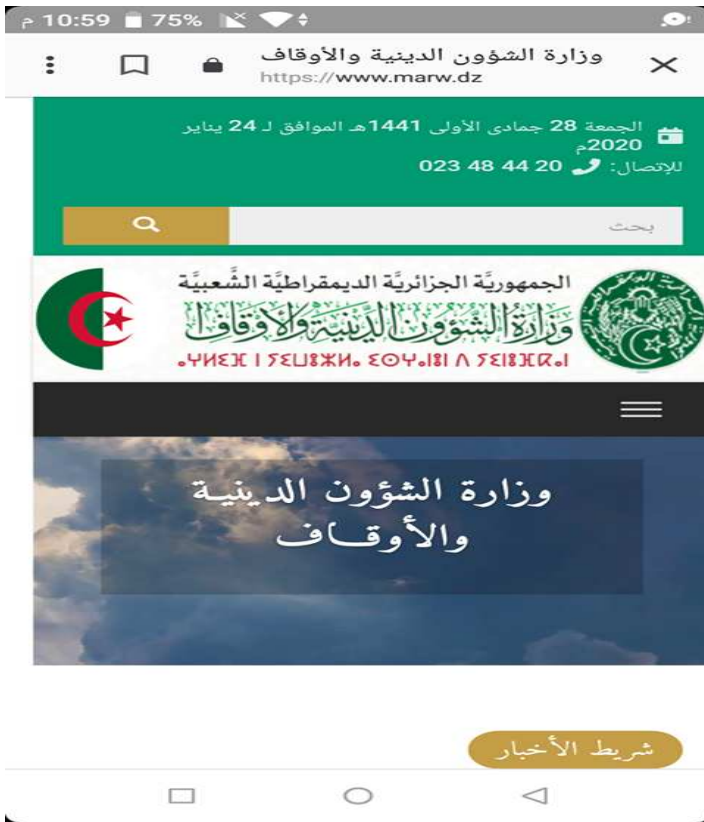
البربر، وبذلك تم اسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية» (6)، ومنه تم دخول القرآن الكريم إلى القطر الجزائري مع الفاتحين الأولين، وتلقاه الناس بالقول والحفظ، وأخذ الخلف عن السلف كاملا غير منقوص بسوره وآياته، وحروفه بل بخطه العثماني الخاص به، فتعلمه الصبيان حسب الطريقة التي تلقوه بها. (7)

ومع ذلك فقطاع الكتاتيب له دور كبير في الحفاظ على تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية اللغة الأم من الزوال والاندثار بين أفراد المجتمع الجزائري، زمن الاستعمار الفرنسي فقد سعى المحتل دائما إلى محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية عن طريق اصدار قانون فرنسة الشعب الجزائري والتضييق على المدارس القرآنية واستبدالها بمدارس فرنسية، يقول (لويس رين): « في مجال التعليم تهدف جهودنا منذ 1830م للحد من التعليم القرآني واستبداله تدريجيا بمجانية التعليم أكثر عقلانية وأكثر ملائمة وفوق كل هذا أكثر فرنسية» (8)، وهنا نلاحظ أن المستعمر الفرنسي كانت له مطامح سياسية تقضي على كل مقومات الشخصية الجزائرية بمحاربة تعليمها ودينها الإسلامي وتغيير أفكارها واستبدالها بفكر وثقافة المجتمع الفرنسي يقول (أحمد توفيق المدني) بهذا الصدد: « كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريًا بحتًا، لا يعترف باللغة العربية ولا يقيم لوجودها أي حساب، فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في جميع مراحل التعليم»، (9) وكل هذا جعل اللغة العربية في صراع دائم بينها وبين اللغة الفرنسية بين أفراد المجتمع الجزائري وسبب في ضعفهم وعدم قدرتهم على التواصل باللغة العربية ما أدى إلى انهيار اللغة العربية التي مازالت آثارها بارزة إلى يومنا هذا ومع ذلك لولا دور الكتاتيب في مواجهة السياسة الفرنسية لزالّت اللغة العربية كلياً من المجتمع الجزائري فالكتاتيب كانت إحدى الطرق المعينة في حفظ اللغة العربية والدين الإسلامي من الزوال، وقد عرف قطاع الكتاتيب انتشارا كبيرا زمن الاستعمار الفرنسي فبعضها مدارس حرة يتلقى المعلمون والشيوخ أجورهم من التلاميذ وبعضها في البيوت تعلم التلاميذ ويدفع أجور الشيوخ أولياء التلاميذ وبعضها تقع داخل المساجد ومع ذلك فقد حاولوا «تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم والاحتفاظ بنقاوتها

وطهارتها، ووقارها، وهذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة وأحيانا مجموعات من البيوت وقد تكتفت في عهد الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، كأسلوب لمواجهة سياسة التنصير والتمسيح والفرنسة وحماية الشخصية الجزائرية، ومقاومة سياسة التجهيل الفرنسية» (10).

بعد العودة إلى موقع وزارة الشؤون الدينية الجزائرية والبحث عن احصائها لعدد المدارس القرآنية في الجزائر نجد أن عدد المدارس القرآنية في 48 ولاية يتراوح 2360 مدرسة وهو عدد قليل مقارنة بمساحة الدولة الجزائرية وعدد أطفال الجزائر.

ننقر على الموقع الإلكتروني التالي: <https://www.marw.dz>





الرئيسية

حوصلة بناء المدارس القرآنية

الرقم	الولاية	العدد	عدد المدارس القرآنية	عدد المدارس القرآنية
		المدارس القرآنية	قبل 99	من 99 إلى 2013
1	أدرار	522	437	85
2	الشلف	37	28	9
3	الأغواط	206	101	105
4	أم البواقي	14	11	3
5	باتنة	26	3	23
6	بجاية	6	4	2
7	بمكزة	41	20	21
8	بشار	9	5	4
9	البلدية	71	26	45
10	البويرة	3	1	2
11	ثامنغت	79	63	16
12	تبسة	17	9	8
13	تلمسان	147	12	135
14	تيارات	12	0	12
15	تيزي وزو	4	0	4
16	الجزائر	34	16	18
17	الجلفة	6	1	5
18	جيجل	3	1	2
19	سطيف	15	6	9
20	سعيدة	140	81	59
21	سكيكدة	29	7	22
22	س بلعباس	21	16	5
23	عنابة	18	5	13
24	قلمة	11	6	5
25	قسنطينة	64	3	61
26	المدية	14	4	10
27	مستغانم	29	21	8
28	المسيلة	21	4	17

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف				
https://www.marw.dz				
22	7	29	سكيدة	21
5	16	21	س بلعباس	22
13	5	18	عناية	23
5	6	11	قائمة	24
61	3	64	قسنطينة	25
10	4	14	المدية	26
8	21	29	مستغانم	27
17	4	21	المسيلة	28
25	94	119	معسكر	29
9	14	23	ورقلة	30
19	20	39	وهران	31
1	2	3	البيض	32
6	4	10	ابليزي	33
12	13	25	ب بوعزيز	34
9	5	14	بومرداس	35
5	0	5	الطارف	36
2	3	5	تندوف	37
1	8	9	تسمسنت	38
21	0	21	الوادي	39
2	0	2	خنشلة	40
1	3	4	سوق أهراس	41
3	7	10	تيمازة	42
6	2	8	ميلة	43
2	9	11	عين الدفلى	44
16	3	19	النعامة	45
8	12	20	عين تموشنت	46
16	2	18	غرداية	47
143	253	396	غليزان	48
1015	1345	2360	المجموع	

فضاء الإمام

يستقبل من خلال هذا الفضاء جميع انتقالات السادة الأئمة وموظفي القطاع. بترقبنا كثيرا اتصالكم بنا

ومن خلال هذا الجدول نرى أن بعض الولايات عدد المدارس القرآنية فيها قليل جدا في حين بعض الولايات عدد المدارس القرآنية فيها لا بأس به كولاية غليزان وأدرار والأغواط، وهذا ما يجب أن تسعى إليه الدولة ووزارة الشؤون الدينية بتكثيف المدارس القرآنية وقطاع الكتاتيب في الولايات التي تكاد تنعدم من هذه المدارس، وكذا توعية وتحفيز المتدرسين على الانضمام إليها.

إن المتتبع لقضايا العصر الراهن وقطاع الكتاتيب يلاحظ تراجعاً شديداً لها في المجتمع الجزائري، ويعود هذا التراجع إلى التطور الذي وصل إليه العالم وبسبب الواقع الثقافي الذي وصلت له الجزائر، فكيف يمكن للمجتمع الجزائري إعادة النهوض بهذا القطاع وحمايته من الاندثار والزوال إبان تطورات العصر الراهن وزمن الانفتاح والعولمة والغزو التكنولوجي؟ وماذا نقصد بالعولمة؟ وما الفرق بين التعليم القرآني القديم قبل العولمة والتعليم القرآني المعاصر زمن العولمة؟

أ- مفهوم العولمة: شاع مصطلح العولمة وكثرت فيه التعاريف حتى صارت مختلف هذه التعاريف لا تتحد على مفهوم واحد، وسبب هذا الانتشار يعود إلى أنها قضية العصر الراهن كما أنها ظاهرة تلف أحوال العالم أجمع ولها من الإيجابيات والسلبيات على عدة مجتمعات، لذا حاول الباحثون والدارسون الخروج بمفهوم يجمع معنى العولمة وكان من الصعب إيجاد هذا المفهوم الجامع الذي يتقبله جماهير القراء والمتلقين وكذا تعدد أنواع العولمة ما سبب في عدم فهمها منها: العولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية، والعولمة السياسية وغيرها وسنحاول الآن إعطاء نظرة موجزة عن مفهوم العولمة.

العولمة في اللغة العربية ترجمة لكلمة "globaliization" في اللغة الإنجليزية وهي حديثة في اللغة العربية، وتعود في أصلها الاشتقاقي العربي إلى كلمة عالم وتعني تعميم الشيء ليصبح عالمياً أو نقله من حيز الخصوصية إلى مجال العمومية في مستواها الكوني.⁽¹¹⁾ وهناك تعريف آخر للعولمة بأنها: «ربط الثقافات المختلفة في أرجاء الكون كلها من خلال نظم مالية، واتصالية ومعلوماتية حتى تصبح المعمورة

قرية كونية واحدة ترتبط فيها المجتمعات المتباعدة جغرافيا من خلال الفضائيات والنظم الالكترونية (12)»، ومن خلال هذين التعريفين نرى أن السمة الأساسية للعولمة أنها تقوم بنشر وتعميم ثقافة أحد الشعوب على كل شعوب العالم ليصبح العالم قرية صغيرة كما تقوم بتقريب الثقافات وتوحيد المعايير العالمية عن طريق الاستعانة بالأنظمة الالكترونية محاولة منها بناء عالم موحد، وقد حاول (محمود عرابي) تلخيص ما تسببه العولمة لمختلف شعوب العالم بقوله: « وقد تمثل العولمة هيمنة لأنماط أو أساليب الحياة الغربية على الدول الأخرى، كما قد تمثل سيطرة لمصالح الدول الأقوى "دول المركز" على الدول الأقل قوة، حتى وإن لم تكن دولاً هامشية، كما يمكن أن تكون العولمة شكلاً جديداً لتكيف النظام الرأسمالي في ظروف العالم الراهنة وتعميقاً لهيمنتها الاستعمارية، وهي تعتمد على حرية السوق وضعف الدولة القومية أمام التقنية العالية للاتصالات والإعلام، وقد تمثل غزو ثقافة وافدة لثقافة محلية، أو اختراق ثقافي قد يكون به سمات ايجابية، وقد تؤدي إلى التخلي عن الهوية القومية، وشخصية الأمة لتصبح الأمة بلا جذور ثقافية... حيث تعكس الثقافة الوطنية صورة لتعايش الشعب وتفاعله مع بعضه في ظل أصول تاريخية، وظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة. (13)» ومنه نحن نحاول هاهنا أن نبرز أثر العولمة على قطاع الكتاتيب الجزائرية والتعليم القرآني.

ب_ العولمة والتعليم القرآني القديم:	ج_ العولمة والتعليم القرآني المعاصر:
الكتابة على اللوح الخشبي	الكتابة على السبورة الذكية،
أدوات الكتابة: الأقلام تصنع من القصب، المحاة من الصلصال، مواد نباتية للحبر	أدوات الكتابة: قلم الحبر السائل، المحاة قطنية
مصحف جامع	مصحف متجزئ بالأجزاء
قراءة القرآن أحيانا بدون ترتيب وتجويد	قراءة القرآن مرتلة ومجودة والاستعانة بالمسجل الصوتي
قرآن ورقي	قرآن ورقي، قرآن الكتروني
الدراسة بشكل عشوائي	الدراسة بشكل منظم

بناء متطور الجلوس على الأفرشة والزرابي، الجلوس على الكراسي تسجيل الجزء المحفوظ بتطبيقات الحواسيب كثرة الكتب وانتشارها منح الشهادات والجوائز لحافظ القرآن الكريم	بناء ركيك: بدون سقف أحيانا الجلوس على الحجارة والأرض مسح الجزء المحفوظ من القرآن قلة الكتب لفهم تعاليم الاسلام واللغة العربية عدم منح الشهادة لحافظ القرآن الكريم
---	---

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن العولمة والتطور التكنولوجي أسهم في تطور التعليم القرآني في قطاع الكتاتيب مقارنة بالماضي ولكن لا يعني هذا أن العولمة لها تأثيرات ايجابية فقط، ولكن لها أيضا تأثيرات سلبية من بينها:

➤ انشاء المدارس الحديثة والحاضنات والاستغناء عن المدارس القرآنية والكتاتيب.
➤ تفرغ الكتاتيب من التلاميذ نتيجة زحف التلاميذ في معظم أوقاتهم إلى المدارس الحديثة.

➤ تعليم القرآن في الكتاتيب وقت الاجازة الصيفية وليس طوال العام.

➤ موت الشيوخ وكبر سنهم.

➤ ظهور تطبيقات ووسائل تعليمية جديدة إلكترونية لحفظ القرآن تستغني عن

التسجيل بقطاع الكتاتيب.

➤ الاعتماد على الأقراص المضغوطة والانترنت لسماح القرآن الكريم وتعلمه

عبر أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة والحاسوب اللوحي.

➤ نقص مراكز تحفيظ القرآن الكريم ونقص أجور المعلمين مقارنة مع أعمال

أخرى قد تكسب أجورا أكبر.

➤ تعدد المذاهب الدينية ما يستدعي خوف الأسر على أطفالهم.

➤ شيوع الأفكار الغربية واتباع فئة المراهقين والشباب لها مما يسبب الانسلاخ

عن مبادئ المجتمع وتعاليم الدين الإسلامي ونقص الوازع الديني.

ومن هنا نلاحظ أن واقع الكتاتيب في الجزائر عانى من العولمة وتطورات العصر الراهن وفيه إمكانية زوالها إن لم تساير تطورات العصر، ونحن سنحاول إيجاد طرق ووسائل تسهم في الحفاظ على قطاع الكتاتيب في المجتمع الجزائري.

ثالثاً: طرق ووسائل الحفاظ على قطاع الكتاتيب:

➤ توعية الأسرة في تنشئة الطفل على حب تعلم القرآن الكريم والانضمام إلى الكتاتيب والمدارس القرآنية؛

➤ توعية أساتذة المدارس للتلاميذ بأهمية قطاع الكتاتيب وتحفيزهم لمداولته في العطل المدرسية؛

➤ تعزيز الاعلام الجزائري لقطاع الكتاتيب وتطويره؛

➤ اللقاء الخطب الدينية في المساجد لتوعية المجتمع على ضرورة الحفاظ على

قطاع الكتاتيب؛

➤ إنشاء مسابقات دينية تحفيزية تضم امتيازات وجوائز؛

➤ ضرورة اهتمام وزارة الشؤون الدينية وجمعية العلماء المسلمين بقطاع الكتاتيب وجعله يمثل جزءاً من الشخصية الوطنية ومن التراث الجزائري الذي لا يمكن الاستغناء عنه؛

➤ مراعاة مستوى معرفة المعلم أو المؤدب ومشروط عليه حفظ القرآن الكريم

كاملاً ومعرفة بتعاليم الدين الإسلامي ليسمح له تلقين التلاميذ؛

➤ مراعاة انشغالات المعلمين والمؤدبين وزيادة في أجورهم ما يحفظ جهودهم

وتعبهم المبذول؛

➤ إنشاء مرافق وقطاعات خاصة ذات بناء متطور يحفظ صحة ونفسية التلاميذ

بمراقبة الدولة؛

➤ مراعاة فارق العمر بين التلاميذ وعدم اختلاطهم بطريقة عشوائية قد تؤدي إلى

النفور من اكمال الدراسة في قطاع الكتاتيب؛

➤ مساندة قطاع الكتاتيب للطفل المعاصر وللعصر الراهن وذلك بتعزيز

التكنولوجيا لهذا القطاع؛

➤ استبدال الأدوات الدراسية القديمة كاللوح الخشبي والكتابة بالحبر أو الطباشير بألواح معاصرة. كالحاسوب اللوحي الذي يضم عدة تطبيقات للاستماع للقرآن الكريم عبر عدة قراءات؛

➤ انشاء برامج في الحاسوب تستمع لقراءة التلميذ وتكشف عن صحة وخطأ تجويده وترثيله للقرآن الكريم كأداة مساعدة للمعلم؛

➤ الاهتمام بنفسية المتدربين والتعاون بين المؤدبين والأطباء النفسانيين.

خاتمة: نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى ما يلي:

◀ تسعى الكتاتيب والمدارس القرآنية طوال عقود من الزمن إلى حفظ اللغة العربية والقرآن الكريم ووحدة الأمة الإسلامية؛

◀ ترسيخ قيم ومبادئ الدين الاسلامي بين أفراد المجتمع وتنشئة الأطفال على خلق ودين حسن وقويم؛

◀ القدرة على الحفظ والنطق والكتابة وتعلم عدة علوم اثر الدخول إلى قطاع

الكتاتيب؛

◀ اكتساب الثقافة الأصيلة واستمراريتها في المجتمع الإسلامي؛

◀ الحفاظ على تراث الشعب والشخصية الوطنية بالحفاظ على الكتاتيب؛

◀ تكوين مواطنين صالحين وعدم تقشي العدوان والعنف بين أفراد المجتمع؛

◀ اخراج علماء ومفكرين كبار تستفيد منهم الأمة؛

◀ أنت العولمة لتوحيد العالم في بوتقة ثقافية واحدة وذلك عن طريق طمس هوية

الآخر ما يستدعي دائما التصدي لتحديات العولمة؛

◀ ظهرت الكتاتيب الجزائرية قبل الاستعمار وزمن الاستعمار وبعد الاستقلال

وأسهمت في الحفاظ على هوية ومقومات الشخصية الوطنية من الزوال؛

◀ النهوض بقطاع الكتاتيب وتحدي العولمة والأخذ من إيجابيات التكنولوجيا من

أجل النهوض به.

الهوامش:

- (1) - ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج1، ص 67
- (2) - سورة العلق، آية: 1-5
- (3) - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ج2، دار المعارف، مصر ط7
1963، ص452
- (4) - عبد العالي بكري، شريف مرشدي، دور المدارس القرآنية- الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، ملتقى وطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، ع4، مخبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر2، 2011، ص211
- (5) - مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، ع4، 15-14 ماي-ديسمبر 2001، ص4
- (6) - المرجع نفسه، ص2
- (7) - المرجع نفسه، ص2
- (8) - عبد الحميد عومري، التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع8، ص262
- (9) - عز الدين صحراوي، اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، ع5، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2009، ص12
- (10) - عبد الحميد عومري، التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية ص258
- (11) - عمرو خاطر، العربية والعولمة (معالم الحاضر وأفاق المستقبل)، ط1، 2010 ص15
- (12) - محمد عمارة، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009، ص24
- (13) - محمود عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1 2006 ص6

جهود جمعية العلماء المسلمين في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للنشء من خلال الكتاتيب والمدارس القرآنية، مع اقتراح حلول عصرية لاسترجاع دورها في المجتمع. - دراسة ميدانية لبلدية إيليزي -.

أ. سامي عزيزي، جامعة أدرار

داه. عبد الرحيم بوريش، جامعة الجزائر 02

ملخص: قوام كل أمة هو "هويتها"، واللغة هي "مفتاح" الهوية أو مرتكزها، ومرّت بلادنا على حروب كثيرة ومتعدّدة من طرف الاستعمار العاشم، لكن بقيت محافظة على هويتها وقيمها ولغتها ودينها، ولعلّ أخطر حملة لمسح هذه الهوية كانت من طرف الاستعمار الفرنسي الذي لم يدّخر جهدا لهذه العملية القذرة، وهذا ممّا دفع بنا للبحث عن أسباب الحفاظ وبقاء الهوية العربية الإسلامية، فكان أكبر الأسباب بعد فضل الله سبحانه وتعالى، هي جمعية العلماء المسلمين، وذلك بإنشائها للكتاتيب وتعليمها الصغار، ولكن في العصر الحديث لاحظنا ابتعاد الكثير عنها وإغلاق العديد من الكتاتيب، وذلك دعوة للعصرنة وإتباعا للعلمة، فوددنا أنّ نقتراح في هذه الورقة البحثية طريقة عصرية في الجمع بين الكتاتيب والمدرسة وغيرها من المرافق الترفيحية الأخرى.

وضمن هذه المداخلة اقترح طريقة عصرية للحفاظ على دور الكتاتيب، وتفعيل وتنظيم دورها في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الهوية العربيّة، الكتاتيب، التربية التحضيرية، المجتمع العصرية.

المقدمة: اللّغة كائن حي يعترضها ما يعترض الكائنات الحية من مرض وصحة وحياة وموت، وقوة وضعف، ترتبط ارتباطا وثيقا بحاملها ومتكلّمها، وهي أساس نقل

العلوم والمعارف، تنتقل عبر الحضارات وتنتقل الحضارات عبرها، العديد من اللغات سادت وشادت وبعدها ماتت وفانت، ويذكر التاريخ الكثير من الأمثلة فأين اللغة السنسكريتية واليونانية واللاتينية...

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن: «اللغة كائن؛ لأنها تحيا على السنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير، واللغة العربية الجاهلية ليست بدعا من اللغات، فهي حلقة في سلسلة حلقات طويلة من التطور والتغير؛ أي: أنها لم تكن كما يتخيل بعض الناس بصورتها التي رويت لنا، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها»⁽¹⁾

فموت اللغات وانقراضها راجع إلى أسباب كثيرة منها بنية اللغة وطبيعتها التركيبية والصرفية والصوتية والنحوية، وسبب مهم يتمثل في الناطقين بهذه اللغة ومستعملها فإن هم ضعفوا ضعفت لغتهم وإن تطوروا وتزعموا قويت لغتهم. لكن ما رأيناه في عصرنا الحديث - وخاصة ما عانته الجزائر من استعمار غاشم وتجهيل كبير - عكس ما وصلت إليه بعض الأبحاث التي زعمت أن لغة القوي المنتصر تتأوش وتتصارع لغة الضعيف المنهزم وتمتد في محيطه، وتتساب تدريجيا في اقتصاده وإدارته وتعليمه وتوصل إليه المعرفة الجديدة، وفي نفس الوقت يتقلص نفوذ لغة المنهزم وتتخلى عن وظائفها، وتراجع إلى الوراء، وفي هذا ضعف قد يؤدي إلى الانقراض.

فالشعب الجزائري لا يزال عربي اللسان متمسك بهويته ودينه، رغم كل الضغوطات والسياسات اللغوية الاستعمارية التي طبقت عليها إلا أنه لم يركن لها ويعود الفضل بعد الله سبحانه إلى رجال جمعية العلماء المسلمين الذي سعوا بالغالي والنفيس لأجل الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري، والحفاظ على لغته، وتمثلت بعض جهودهم في إنشاء المدارس والكتاتيب القرآنية التي لها دور كبير للحفاظ على هوية النشء وتعليمهم، غير أنه في بداية القرن 21 قرن التكنولوجيا وطغيان العولمة تراجع دور الكتاتيب إن لم نقل انعدمت في أغلب مناطق الوطن.

لقد وددت من خلال هذه المقدمة السريعة أن تكون توطئة لهذه الورقة البحثية المتعلقة بإشكالية مهمة وهي؛ دور الكتاتيب في الحفاظ على هوية النشء، معتمداً المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه القضية. وذلك إيماناً مني بأن كثيراً من الدعوات إلى إصلاح العربية وتدريبها لتواكب العصر لم يكن الهدف منها الحقيقي الإصلاح أو التطوير إطلاقاً، وإنما كان الهدف منها النيل من اللغة العربية ومحاولة إعادتها وتجويف النشء من الهوية وإحلال ثقافات وافدة أجنبية، وهذا مع وجوب الاعتراف بوجود دعوات حقيقية تبنتها جهات مخلصه للغة العربية ولأهلها نيتها الارتقاء بها منها دعوات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- وللجواب عن هذه الإشكالية الرئيسة نرّج عن ثلاث إشكاليات جزئية، وهي:
- ما هو الدور الذي قام به ابن باديس وجمعيته لإعادة اللغة العربية إلى عرشها والحفاظ على الهوية على لسان كل جزائري وعقله وقلبه؟
 - هل حافظت الجزائر على الدور الذي قام به الإمام ابن باديس وجمعيته؟
 - ما أفضل الطرق العصرية للحفاظ على دور الكتاتيب، وتفعيل وتنظيم دورها في المجتمع؟

1/ الحالة الاجتماعية إبان الاستعمار: عاشت الجزائر تحت ظل أعتى استعمار مارس على شعبها أفسى أنواع العذاب وسلط عليها أشد العقوبات، فعمل على ربط الجزائر سياسياً واقتصادياً بفرنسا، وسلك بذلك سياسة التجهيل ومحاربة الدين الإسلامي، وغلق المدارس والمساجد ومحاربة المتقنين والتضييق عليهم، ومن أبشع هذه السياسات نلخصها في ما يلي:

- غلق المدارس الحرّة الإسلامية، ومصادرة أملاكها وأوقافها؛
- التضييق على الدعاة ومحاربة نشاطاتهم ومنع الدروس المسجدية وتعليم اللغة العربية، وتزوير التاريخ ونشر فكرة أن الجزائر ولاية فرنسية؛
- الإبادة الجماعية وإتباع سياسة الأرض المحروقة؛
- السعي للتصير وحملات التبشير.

«وكانت لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جهودا عظيمة في الحفاظ على هوية الشعب الجزائري، فقد أسهمت في بناء المساجد والمدارس، وإرسال البعثات إلى المشرق العربي لتعليم أبناء الجزائر في الجامعات، فكان لها عمل متواصل ونشاط مستمر في العناية بالتعليم العربي والإسلامي، بل لقائل أن يقول إنّ التعليم العربي الحر بمفهومه العصري هو الذي أنشأته وقادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برجالها وأبنائها، وأنصارها وأنها المهدي الذي نشأ وتربى فيه التعليم الإسلامي، واللغة العربية والوطنية الصادقة ومن هذه التنشئة استمدّ الشعب القوة التي قهرت العدو الغاصب وساقته إلى الهزائم والاندحار»⁽²⁾.

2/ جهود جمعية العلماء المسلمين: وقد كان منهج الجمعية في التعليم يقوم بمهمة مزدوجة، المهمة الأولى: تعليم مبادئ الدين والعربية، والمهمة الثانية مواجهة المسخ الاستعماري عن طريق منهج الإخلاء ثم الملء، أي بيان فساد المعلومات المشوهة التي أعطتها فرنسا للتلاميذ لتعيد الجمعية عبر مدارسها بعد تزويد المتعلم بمعلومات جديدة صحيحة ودقيقة عن أصله ودينه وهويته.

2-1/ في التصدي لسياسة تجهيل الناشئة:

إنّ الحالة السيئة التي كانت عليها اللغة العربية، وكان عليها المتمسكون والمتكلمون بهذه اللغة بسبب المضايقات التي كانت تسلط عليهم، وعلى المدارس والمساجد والزوايا التي تعلم اللغة العربية هي السبب الذي حرك اهتمام رجال الجمعية لأجل ترقية الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، والفكرية وتنمية الوعي الثقافي حركت هذه الأوضاع مشاعرهم وأدكت غيرتهم على الوطن فتصدّوا لمجاهة السياسة الاستعمارية، ومقاومة الأساليب التي انتهجتها، بوسائل عديدة وطرق متنوّعة، وتمثّلت جهود الجمعية خاصّة في الحفاظ وترسيخ الهوية في عقول و شخصية النشء والأطفال الجزائريين في أشكال متعدّدة منها:

• اهتمامها الكبير بالتعليم القرآني وخاصة الكتاتيب منه وقد جاء في بنودها في المادة 77: «تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدرّج في أهم

مراكز القطر، ويحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي والنحو والصرف وحفظ القرآن مع تفهيم مفرداته وضروريات الدين والأخلاق الإسلامية، وتختار من كتب التعليم أقربها للإفادة، وتأخذ الأساتذة بتنفيذ ذلك البرنامج على وجه الدقة»⁽³⁾.

• نشر العلم، وإنشاء المدارس لتعليم الناشئة، «أما المجال الآخر الذي نشط فيه العلماء ونجحوا فيه فهو نشر اللغة العربية والدفاع عنها، بالإضافة إلى أنهم طوّروا الصحافة وأسهموا في حركة الطباعة، وكلّها كانت مظاهر نهضة تعليمية وأدبية واضحة»

• إرسال البعثات العلمية إلى الجامعات الكبرى في المشرق وتونس، تحت كفالته وتأمينها، «فالجمعية فكرت في توجيه البعثات العلمية إلى المعاهد والجامعات في مختلف أقطار الأمة العربية والإسلامية، وكانت أول بعثة لها خارج نطاق المغرب العربي تلك التي أرسلتها إلى مصر، في عام 1951م، وقد ضمت حوالي 25 طالب وطالبة، توزعوا على مختلف أقسام كليات الآداب ودار العلوم، والكليات الأزهرية وبعض الثانويات في القاهرة»⁽⁴⁾، كما اهتمت الجمعية بالتعليم المسجدي، فلم يعد المسجد يقتصر دوره على الصلاة وإلقاء المواعظ وخطب الجمعة، فجعلت من المساجد مدار للتعليم، وذلك إدراكا منها بأن المسجد والتعليم في الإسلام مرتبطان وهو الذي كان عليه المسجد في الصدر الأول من الإسلام، فوضعت برامج واسعة لنشر التعليم الديني وتدريب العربية لكل الفئات: للصغار المبتدئين، ولل كبار والعمال والنساء واهتمت أيضا بالمتعلمين في المدارس الحكومية بتكميل معلوماتهم، فشيّدت لذلك المدارس والمعاهد.

2-2/ في إعادة اللغة العربية إلى عرشها والحفاظ عليها: تنبّهت الجمعية إلى خطر إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية، «لأنّ لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين؛ فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده؛ فليس كاللغة

نسب للعاطفة والكفرة حتى أن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء»⁽⁵⁾.

إنّ لتعليم اللغة العربية أهمية كبرى في الحفاظ على ثقافة الأمة وهويتها، وذلك لمكانة اللغة وأثرها العظيم في التواصل الثقافي بين الأجيال، فاللغة هي الخزانة التي تحفظ للأمة عقائدها الدينية، وتراثها الثقافي ونشاطاتها العلمية، وفيها صور الآمال والأمني للأجيال الناشئة، كما أنّ اللغة هي ذاكرة الإنسانية، وواسطة نقل الأفكار والمعارف من الآباء إلى الأبناء، ومن الأسلاف إلى الأخلاف، ولولاها لانقطعت الأجيال بعضها عن بعض⁽⁶⁾، سعت الجمعية إلى إرجاع اللغة العربية إلى عرشها والحفاظ عليها معتقدة «أنّ لغتها جزء من كيانها السياسي والديني، وشرط في بقائها وقد التقى على الكفاح في سبيلها الدين والسياسة، فلم يختلف لهما فيه رأي، ولم يفترق لهما قصد، وما هذا القرار بالذي يشفي من مرض، أو يوفّي بغرض»⁽⁷⁾.

وتعدّدت جهود وسبل الجمعية في الحفاظ على اللغة العربية، يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله واصفا تلك الجهود: «أما المجال الآخر الذي نشط فيه العلماء ونجحوا فيه فهو نشر العربية اللغة العربية والدفاع عنها، بالإضافة إلى أنّهم طوّروا الصحافة وأسهموا في حركة الطباعة، وكلّها كانت مظاهر لنهضة تعليمية وأدبية واضحة»⁽⁸⁾ ونذكر بعض هذه الجهود وترتيبها في عنصرين أساسيين:

2-2-1 / الجهود المبذولة في تعليم اللغة العربية: يلحظ كل قارئ للتاريخ الجزائري وشهادات الأعيان والمجاهدين، أنّ جمعية العلماء لم تأل جهدا في تعليم العربية، وتقديمها للناشئة والسعي لتطوير مناهجها وتيسيرها وحاربت كل سياسيات الاستعمار في مواجهتها، يقول الإمام ابن باديس في هذا الصدد: «قد فهمنا- والله- ما يراد بنا وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا، وسنمضي- بعون الله- في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا. وإننا على يقين من أن العقاب- وإن

طال البلاء- لنا وأن النصر سيكون حليفنا- لأننا قد عرفنا إيماننا، وشاهدنا عيانا، أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم كلهم على محاربتهما»⁽⁹⁾.

ويمكن تقسيم جهودها في خدمة تعليم اللغة العربية إلى عناصر مهمة منها:

- **توحيد التعليم وتنظيم شؤونه:** لقد سعت جمعية العلماء المسلمين إلى إعطاء أهمية بالغة للتعليم وشؤونه من خلال إعطاء بصمة متكاملة في هذا المجال الحساس وفي ظروف صعبة تقف دون ذلك، إلا أن أعضاء الجمعية كان لهم من الحرص ما جعلهم يوفقون في ذلك.

وهذا التوحيد للتعليم مس كافة شرائح المجتمع الجزائري؛ من أطفال صغار إلى فئة الشباب والكهول، إلى العجزة وال كبار في السن، وصولا إلى تعليم المرأة باعتبارها اللبنة الأولى في بناء الأسرة والمجتمع، وتدينها هو أساس ما يعتمد عليه في تربية الجيل.

كما نظمت شؤون هذا التعليم وتوحيده من خلال توحيد المناهج التعليمية في كل أنحاء القطر الجزائري، وتمثل ذلك في:

أ/ **تأسيس لجنة التعليم العليا:** لقد انتبه علماء الجمعية أثناء رئاسة البشير الإبراهيمي لها، إلى ضرورة إنشاء لجنة عليا تشرف على التعليم، وهي تنظيم شؤون التعليم وتوظيف المعلمين وتوزيعهم على المراكز التعليمية للبلاد، وتحدد رواتبهم، وطبقاتهم وتعييناتهم، وترقياتهم والكتب المقررة، وأوقات الراحة الفصلية والسبوعية... وعمل في هذه اللجنة عدد من مزدوجي اللغة مثل: إسماعيل العربي والحفناوي هالي وإبراهيم مزهودي، كما عمل فيها وحيديو اللغة (العربية) مثل: عبد القادر الياجوري، ومحمد خير الدين والعربي التبسي⁽¹⁰⁾.

وكان تأسيس هذه اللجنة سنة 1946م، واشتد عطاؤها حين انتقلت إلى قسنطينة وأشرف عليها الشيخ العربي التبسي واتخذت لها كاتبا دائما، واختير لها أكفأ الرجال يسوسونها، ولم يكن هؤلاء على انقطاع عن قيادة الجمعية، بل كانت خاضعة بالدرجة الأولى للشيخ البشير الإبراهيمي ثم العربي التبسي من بعده.

وكان لها مهام تربوية متنوعة تشارك بها في تطوير التعليم التابع لجمعية العلماء المسلمين حيث أصبحت تعقد بين وقت وآخر ملتقيات تربوية، تطرح فيها المشاكل التي تعترض طريق المعلمين من الناحية التربوية، ويدور حولها نقاش، يستفيد منه المعلمون الجدد، كما كانت تنشر دروسا نموذجية في المنشورات التي توزع على المدارس وجريدة البصائر، حتى يستفيد منها المعلمون في إعداد دروسهم⁽¹¹⁾.

ومما لا شك فيه أن جهود هذه اللجنة أسهمت إسهاما كبيرا في تطوير التعليم في الجزائر، وكانت فرعا مهما من الجمعية ساعد في تطوير وإثراء مقاصد الجمعية ودورها في ترقية المجتمع الجزائري.

ب/ التفتيش التربوي: وكان من نتائج اللجنة العليا للتعليم أن سعت في تكوين لجنة تعنى بالإشراف التربوي في مدارس جمعية العلماء المسلمين، حيث نظمت تفتيشا عاما وصارما وموزعا على جميع جهات الوطن، فبعد أن كثرت المدارس نظمت الجمعية التفتيش الجهوي وأوكلت تنفيذه إلى كبار المديرين الجهويين، الأكفاء⁽¹²⁾.

فكان التفتيش التربوي موازيا لعمل اللجنة العليا للتعليم، ومراقبا لمستوى التعليم في شتى محطاته وفئاته، مما زاد وأثرى في عملية التعليم وإنجاحه.

● **بناء المدارس والمعاهد:** لقد جاء بناء المدارس والمعاهد استجابة لحاجة ملحة عند أبناء الجزائريين الذين كثرت أعدادهم ولم يكتفوا بالتعليم الابتدائي فقط، وهو شأن شغل أعضاء الجمعية وحير بالهم، وذهب بهم الأمر إلى فكرة بناء معهد في مدينة قسنطينة، وهو «المعروف بمعهد ابن باديس، وهذا المعهد طور ثان في مواصلة الطلب العلمي، فقد كان ابن باديس يخطط لتكوين ما أسماه جامعة شعبية أو كلية تكون نواة لاستقبال الذين أنهوا دراستهم الابتدائية والمتوسطة، ثم يأخذ التعليم العربي مجراه في التطور نحو العالي»⁽¹³⁾.

وهذه الفكرة التي شغلت ابن باديس قد حققها خلفاؤه فأسسوا في قسنطينة (معهد عبد الحميد ابن باديس) سنة 1947م⁽¹⁴⁾، فهذا المعهد جاء بعد بناء مدارس عدة بنيت في شتى بقاع الوطن للتعليم الابتدائي والمتوسط.

• إرسال البعثات العلمية إلى المشرق: لم يكنف رئيس جمعية العلماء البشير الإبراهيمي بهذا الحيز من التعليم، بل تظن إلى أن عدد الراغبين في طلب العلم كان كبيرا، فقرر أن يوسع من التعليم من خلال البعثات التعليمية نحو الشرق، فقد «ربطوا معهد ابن باديس بالجامع الأعظم (الزيتونة) في تونس من حيث الامتحانات والبرامج والشهادات»⁽¹⁵⁾، وهي خطوة شجعت على تبيين فكرة إرسال البعثات إلى الجامعات المشرقية، «وكانت أول بعثة لها خارج المغرب العربي تلك التي أرسلتها إلى مصر في عام 1951م، وقد ضمت 25 طالبا وطالبة، توزعوا على مختلف أقسام كليات الآداب ودار العلوم، والكليات الأزهرية وبعض الثانويات في القاهرة»⁽¹⁶⁾.

كانت هذه أهم المحطات التي حققتها الجمعية في خدمة اللغة العربية، والحفاظ عليها في المجتمع الجزائري، الذي حاول الاستعمار الفرنسي طمس هويته وأحد أهم مقوماته وهما: دينه ولغته.

2 - 2 - 2 / جهود خاصة في خدمة اللغة العربية: سعى أعضاء الجمعية في خدمة اللغة العربية باعتبارها وعاء العلوم الإسلامية بالدرجة الأولى، لأن الهم الذي تحمله جمعية العلماء هو رفع الجهل عن الشعب الجزائري بتعليمه عقيدة السلف وتوحيد الله وعبادته، والسبيل إلى هذا هو العربية باعتبارها لغة القرآن والسنة، فيمكن أن نلخص هذه الجهود فيما يلي:

أ/التأليف: بدأ التأليف يشغل علماء الجمعية خاصة فيما يخص مناهج التعليم التي تتبناها الجمعية، منها التأليف في نظم المتون العلمية، وهي مادة محبوبة عند السلف في التعليم لسهولة حفظ النظم وسرعة استحضاره دون النثر، ومن ذلك نظم قطر الندي للشيخ نعيم النعيمي وقد استغل الشيخ قدرته على النظم على بحر الرجز فنظم متن ابن هشام تسهيلا لطلاب العربية، وكذلك مثله في الدرب ألف الشيخ الطيب المهاجي متن مبادئ الصرف، كما ألقت كتب في المقررات التعليمية وهذا يتطلب خبرة واسعة في المجال التربوي والتعليمي، ومن هؤلاء الشيخ موسى الأحمد نويوات بكتابه (الكافي علم العروض والقوافي) وتلاه أيضا مقرر الأدب العربي للصفوف الثانوية

للشيخ عبدالرحمن شيبان، لتدرك أن هذه التصانيف جاءت جامعة لمحطات التعليم اللغوي والأدبي للتلاميذ.

ب/ **العناية بفنون الأدب:** وتجلّى ذلك من خلال قوالب فنية أدبية شتى، منها فن المقال؛ الذي كان له دور مهم في جمعية العلماء المسلمين، فهو القالب الذائع عند الكثير من كتابها خاصة في جريدة البصائر والشهاب، وقد برع في فن المقالة الأدبية العلامة الأديب البشير الإبراهيمي وفيه يقول أبو القاسم سعد الله: «نعتقد أن أبرز من تخصص في المقالة الأدبية هو الشيخ البشير الإبراهيمي وأن أبرز من تفنن في المقالة السياسية هو أحمد توفيق المدني، وإن أشهر من كتب في المقالة الدينية هو الشيخ أحمد سحنون...»⁽¹⁷⁾، وكذلك اهتم علماء الجمعية بقرض الشعر باعتباره ديوانا للعرب وأحد أهم ما به تميز العرب على مر العصور، فكان ميدانا لإبراز البيان عندهم.

3/ تفعيل دور الكتاتيب وفق نظرة استشرافية للمدرسة الجزائرية

بلدية إيليزي - ولاية إيليزي - أئموذجا: ارتبط التعليم بالجزائر منذ القديم بتعليم اللغة العربية وفق برنامج تربوي يبدأ بتحفيظ القرآن الكريم، سواء في مدارس الحكومة أم المدارس الخيرية التي تسمى بالكتاتيب، فبعد أن كان التعليم منحصرا لكبار السن في المساجد أصبح بعد جهود الجمعية متاحا لكل الأعمار وللجنسين معا، وقال ابن باديس في هذا الشأن: «إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار»⁽¹⁸⁾.

فالكتاتيب هي جمع لكلمة كُتَّاب، تلك الكلمة التي تطلق على مكان أو فضاء واسع يكون بجوار المسجد غالباً، يُشرفُ فيه شيخُ الحيِّ أو إمامُ المسجد على تعليم الأطفال أساسيات القراءة والكتابة العربية والقرآن الكريم⁽¹⁹⁾.

ولا تقل أهمية الكتاتيب عن المدارس الحديثة، فبفضلها تنوّرت العقول في زمن الاستعمار وحورب بها الجهل، ومُحيت بها الأمية، ويمكن تلخيص «أهم أدوار الكتاب في القيام بالوظائف التالية:

1. تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي؛
2. المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية؛
3. ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية؛
4. تعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية؛
5. كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاء إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسي»⁽²⁰⁾.

3-1/ النظرية التربوية والتعليمية بين التربية التحضيرية والتعليم في الكتاتيب:

التربية التحضيرية: هي أقسام تهتم بتنشئة الطفل اجتماعيا وتربويا، عادة تستقبل الأطفال في سن الخامسة أي سنة قبل الدخول المدرسي وذلك لتهيئته للمرحلة الابتدائية، تعرف هذه الأقسام بالتربية التحضيرية، ويدرس فيها الأطفال في أقسام من المفروض أن تكون مهيأة لتناسب هذا النوع من التربية لكنها في الواقع إلى حد الآن أغلبها تماثل أقسام التعليم الابتدائي في تهيئتها.

وهو المكان الذي ينظر فيه إلى الطفل على أنه طفل وليس تلميذ، وهذه التربية امتداد واستمرارية للتربية الأسرية وما قبل المدرسة تعمل على تهيئة الطفل للالتحاق بالتعليم الإلزامي، وجدير بنا أن نشير إلى أن وزارة التربية الوطنية عملت على تعميم أقسام التربية التحضيرية ابتداء من عام 2008-2009 ليشمل كل أطفال 05 سنوات فما فوق.

وتهدف التربية التحضيرية إلى جملة من الأهداف نلخصها فيما يلي:

- 1) مساعدة الأطفال على تفتح طاقاتهم وقدراتهم؛

- (2) مساعدتهم على التعرف على بعض مكونات البيئة في شكلها البسيط؛
- (3) تحفيظهم سوراً من القرآن الكريم قصد تدريبهم على ملكة الحفظ؛
- (4) تحضيرهم للحياة الاجتماعية وذلك بتوفير للطفل فرص التعامل والتفاعل مع أقرانه وفي الوسط الذي يتعامل فيه؛
- (5) تدريبهم على ممارسة الأنشطة المتعددة كالقراءة والكتابة والحساب؛
- (6) تنمية الذوق الجمالي لديهم؛
- (7) إكسابهم عادات أخلاقية تدخل في إطار التعامل اليومي؛
- (8) إكسابهم عادات الترتيب والتصنيف حسب أنواع الأشياء وأشكالها؛
- (9) الوصول بهم إلى امتلاك القدرة على التعبير التلقائي عن مختلف الوضعيات وذلك من خلال تعاملهم مع أنواع الأشياء المتوفرة، تذكر مكان ترتيب الأشياء وتذكر مكان وجودها⁽²¹⁾.

البرنامج الأسبوعي للتربية التحضيرية:

في إحصائيات مسحت العديد من البرامج الأسبوعية لأقسام التحضيرية، لخصنا

حجم الساعات:

الحجم الساعي	النشاطات	المجالات
التواصل 6 سا	تعبير شفوي 5×30	اللغوي 6 سا
	تخطيط 3×20	
	ألعاب قرآنية 2×25	
	تربية مدنية 2×25	المدني 50 د
	تربية إسلامية 2×25	الإسلامي 50 د
العلمي 4 سا 30 د	حساب 1سا	الرياضي 3 سا
	هندسة 1سا	
	قياس 1سا	
	إيقاظ بيولوجي 30د	العلمي التكنولوجي

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

	إيقاظ فيزيائي 30د	1 سا 30د
	إيقاظ تكنولوجي 30د	
البدني والفني 6 سا	تربية بدنية 4×20	البدني 2 سا 35د
	ألعاب إيقاعية 3×25	
	موسيقى وإنشاد 4×25	الفني 3 سا 25د
	رسم وأشغال 65د	
	مسرح وتمثيل 2×20	
التنظيمي 4 سا 30د	الدخول والخروج 18×15	التنظيمي 4 سا 30د
21 ساعة	المجموع	
1 سا 30د	تنسيق تربيوي+ ندوة م+ ن	الأنشطة المكتملة
7 سا 30د	حراسة	
30 ساعة	المجموع الكلي	

نلاحظ أنّ طفل الأقسام التحضيرية يقضي ما قدره 30 ساعة أسبوعياً في المدرسة في ظل النقص الفادح لوسائل الترفيه ووسائل التعليم باللعب، بل في دراسة إحصائية على مواقع التواصل الاجتماعي face book، وجدنا أنّ ما يقارب 83 % من الأقسام يندم فيها ركنا الراحة واللعب، و 16 % من المدارس فقط تتوفر فيها قاعة لعب مفروشة أو ملعب مرمل أو مغطى بالعشب، فهل يُعقل أنّ طفل المدرسة التحضيرية يقضي 30 ساعة أسبوعياً في مكان أغلبه من الإسمنت وبين أربعة جدران؟

بل وأكثر من 50 % من أقسام التحضيرية لا تحتوي على تجهيزات خاصة بهذا الصنف من الأطفال (كراسي وطاولات ذات الحجم الصغير)، وبلغت نسبة خروج الأطفال في رحلات ترفيهية بالنسبة لأيام الدراسة الفعلية نسبة 1.5%، أي رحلة ترفيهية تقريبا كل 4 أشهر.

إنّ طفل المرحلة التحضيرية له مميزات خاصة به، كون نموه غير مكتمل، أغلب عضلاته في طريق النمو، تغلب الغضروف على هيكله العظمي، وجسوس الطفل

لساعات طويلة على كراسي أغلبها من اللوح والحطب، ويمكن ان تكون أكبر منه فلا يسند رجليه على الأرض، أو يظل واقفا لعدم تمكنه الجلوس عليها، بسبب له أضراراً جسيمة في بنيته الجسدية.

هذا بالنسبة للمّادي المتعلّق بقاعات التّدرّيس لأطفال التحضيري، أمّا ما يتعلّق بالمحتوى المعرفي والعلمي في برنامج التّدرّيس لمرحلة التّحضيرى فلا يتمشى مع الرؤية المستقبلية لمخرجات المدرسة الابتدائية، فالطفّل في هذه المرحلة يحتاج إلى ملئ خزّانه المعرفى ولا يتأتّى له ذلك إلا بالحفظ والتلقين، أمّا الدّعوة إلى استعمال منهج التّدرّيس بالكفاءات فليس بالمناسب، الكثير من المعلّمين ومنسوبي التربية يعتقد قاعدة **دعه يكتشف دعه يتعلّم**، فالسؤال المطروح ماذا يكتشف؟ في هذه السنّ وغالبية الأطفال لا يتقنون اللّغة ولا رصيد معرفى ولا لغوي عندهم.

إنّ أغلب أسباب تأخر اكتساب اللّغة التي تشير إليها الإحصائيات، عائدة إلى إهمال المرحلة الذهنية للطفّل واستثمارها في الحفظ، فنحن نلاحظ أنّ أطفال الشّناقطة هم أحفظ النّاس وهذا عائد إلى سبب مهم وهو تلقين العلوم والمعارف وتحفيظهم في مرحلة ما قبل المدرسة.

يُعرف عند الشّناقطة قاعدة **احفظ قفا ثم اعرف الله**، أي أوّل ما يبتدئ به الطالب والطفّل مساره التّعليمى بحفظ المعلّقات السّبع، وهي غريبة ألفاظها صعبة مخارجها وذلك كلّه لكي يكتسب الطّفّل القدرة على النّطق الجيّد وتنشيط ذاكرته.

برنامج التربية التحضيرية يفتقر إلى مواد الحفظ والتحفيز، فالحجم السّاعي للتربية الإسلامية هي 50 دقيقة أسبوعياً؟

في دراسة ميدانيّة قام بها بعض الباحثين توصّلت إلى أنّ: «عدد المعلمين الذين يرون أنّ نشاط الحساب مناسب لسن طفل التربية التحضيرية بلغ 41 بنسبة تقدر بـ 61.50% بينما بلغ عدد المعلمين الذين يرون أنّ نشاط القراءة هو الأنسب 49 معلم ومعلمة بنسبة 49.60% في حين بلغ عدد المعلمين الذين يرون أنّ نشاط التربية التشكيلية مناسب لسن طفل التربية التحضيرية 61 معلم ومعلمة بنسبة 30.75%

وبلغ عدد المعلمين الذين يرون أن نشاط التربية الإسلامية هو النشاط المناسب لسن طفل التربية التحضيرية 73 معلم و معلمة بنسبة تقدر بـ 12.90%» (22) وهذا يدل على أن أغلب المعلمين يركزون على تعديل السلوك أخلاقيا ودينيا قبل التعلم فالتربية الدينية السليمة تأتي في المرتبة الأولى و تعتبر القاعدة الأساسية لأن اكتساب الحساب والعلوم المختلفة لا يصلح إذا كان الطفل قليل التربية الدينية وقاعدته الأخلاقية مهترئة وفي ظل تغاني بعض الأطراف أن للمربي الحق في التعديل البيداغوجي بما يتناسب مع المرحلة، نجد بالموازاة تعسقات بعض المفتشين والمديرين بتطبيق البرنامج كما هو، يقول الشيخ أبو يعلى الزواوي في فضل وأهمية الحفظ: «أرى أن يجعل الأولاد المتعلمون طبقات على حسب الأسنان ثم على حسب الاستعداد والإدراك أي قسما قسما ويكون تعلم الصغار من سبعة أعوام إلى اثني عشرة سنة مقتصرًا على قراءة القرآن بإملاء وكتابة على قاعدتنا في الألواح من خشب أو قصدير أو (أوردواز) العناية بالحفظ وصناعته لأنه معراج وسلم إلى الأدب واللغة العربية فيتمادون إلى حد البلوغ مع قواعد عربية وسائل صرفية إلى دراسة الفقه والتوحيد والتفسير والتاريخ العام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والجغرافيا والإنشاء والحساب والفرائض والمعاني والبيان والمنطق إلى أن يبلغوا ثمانية عشر عاما من أعمارهم فيريدون سنة أو سنتين في الأصول والعلوم العالية ودراسة السياسة العامة الدولية فيمتحنون أثناء تلك المدة ويتخرج منهم أفراد يتولون الوظائف التعليمية وغيرها» (23) فالحفظ لازم في هذه المرحلة الذهبية للطفل.

3-2/ المقومات المؤسسية لبلدية إيليزي: بعد هذه التوطئة الهامة المتعلقة بالكتاتيب والتربية التحضيرية، نقدم اقتراحنا المتمثل في التوأمة الفعلية والتعاون الواقعي بين مؤسسات وزارة التربية والتعليم ووزارة الشؤون الدينية ووزارة الثقافة ووزارة الشباب والرياضة، ممثلين في إكمانيات بلدية إيليزي، راجين أن تُعمم على باقي المؤسسات النموذجية ثم دراسة النتائج والاحتياجات الخاصة ومحاولة تعميمها على المدارس الابتدائية.

أولاً: عدد أقسام التربية التحضيرية في بلدية إيليزي (مدارس المدينة والقريبة منها) (24).

تضم بلدية إيليزي 15 قسم للتحضيرية موزعة على 14 مدرسة

ثانياً: عدد الدارس القرآنية (أقسام تابعة للمؤسسة المسجدية).

18 قسم قرآني منتظم تابع للمؤسسة المسجدية.

ثالثاً: عدد المرافق الثقافية (المكتبة، دار الثقافة).

• دار الثقافة (عثمان بالي). * المكتبة البلدية.

• المكتبة الرئيسية. * المركز الثقافي الإسلامي.

رابعاً: عدد المرافق الرياضية: (قاعات اللعب، الملعب المعشوشب، المسابح).

• ديوان المركب المتعدد الرياضات لولاية إيليزي: ويضم المرافق

التالية:

1- ملعب 19 مارس 1962 إيليزي؛

2- المسبح النصف أولمبي مصطفى بن علية إيليزي؛

3- القاعة المتعددة الرياضات إيليزي.

• ديوان مؤسسات الشباب:

1- دار الشباب؛

2- بيت الشباب؛

3- القاعة المتعددة الخدمات؛

4- مخيم الشباب؛

5- المركب الرياض الجوّاري؛

6- حوالي 20 ملعب مغطى بالعشب.

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

المسافة بين المدرسة والمسجد بالتقريب	مرافق اللّعب القريبة من المدرسة	المدرسة المسجد
600 م	ملعب مغطى	العربي التّبسي
200م	2 ملعب مغطى	
500م	المركب الرياضي الجوارى.	خالد بن الوليد
200م	المركب الرياضي الجوارى.	عبد الحميد بن باديس
400م	المركب الرياضي الجوارى.	محمد فرحي
300م	ملعبين وحديقة ألعاب	زينب أم المساكين
550م	المركب الرياضي الجوارى.	طواهرية النعيمي
360م	المركب الرياضي الجوارى.	الخنساء
600م	ملعب مغطى بالعشب.	الأمير عبد القادر
200م	ملعب مغطى بالعشب.	محمد بوضياف
230م	ملعب مغطى بالعشب.	سنوسي أمينات
270م	ملعب مغطى بالعشب.	وانكربي أحمدون
100م	ملعب مغطى بالعشب.	الفلاح
350م	المركب الرياضي الجوارى.	جليلية لخضر
260م	المركب الرياضي الجوارى.	خمايس داهه
270م	المركب الرياضي الجوارى.	صلاح الدّين

جدول يوضّح المسافة بين المدرسة وأقرب مؤسسة مسجدية أو قاعة لعب (ملعب مسبح..). من إنجاز الباحثين.

قراءة للجدول نلاحظ أنّ أغلب المدارس قريبة من المؤسسة المسجديّة، وأنّ الفاصل بينها وبينه لا تتعدّى 600 متر، وكذلك وجود مرافق التّرفيه المتملّة في ملعب مغطى بالعشب، وفي بعضها ألعاب الأطفال.

إنّ الاستفادة الحقيقيّة من هذه المرافق يخلق لدى الطفل حافزيّة وداعيّة للتّعلم وكذلك الرّبط بين الواقع والمدرسة، فالطفّل الذي يدرس ساعتين في الكتاتيب (الأقسام

المسجدية) التي غالبها تتوفر على سجاد وطاولات مناسبة لأعمارهم، والتي تتميز بتزيين تربوي من معلّقات وصور تربوية وغيرها...، فيزاول خلال هذه المدّة أربع مواد كما بيّناها في الجدول أدناه.

خاتمة: إنّ الربط بين المؤسسة المسجدية ومختلف المرافق الترفيهية الأخرى التي فيها يتناول فيها الطفل باقي الأنشطة كالبعد التكنولوجي، ألعاب إيقاعية، البعد الفيزيائي تربية تشكيلية، مسرح، البعد البيولوجي، تربية موسيقية، فيه فوائد كثيرة منها:

- نقص في اليأس والفتور الناتج عن المكوث الطويل في أقسام التدريس؛
- الاشتراك الجيد بين التدريس القديم (التلقين) والتدريس الحديث (الكفاءات)؛
- المساعدة على النمو الطبيعي لعضلات الطفل، بحيث يضمن له سلامة الجلوس والرياضة والتحرك الصّحي؛

- تنمية مهارات الطفل السّماعية والقراءة والكتايبية والإدراكية؛
- اكتشاف القدرات الكامنة للطفل كالرّسم ومختلف الفنون ومعرفة ميولاته الرياضية؛

- تغيير جو التّعليم فالطفل الذي يغيّر من أماكن التّعليم من مدرسة إلى مسجد إلى مرافق التّرفيه يكتسب علاقات مميزة، ومهارات لا يكتسبها الطفل الذي يزاول دراسته في القاعات؛

- ومن النّاحية الاقتصادية: توفير قاعات التدريس في المدرسة واستغلالها للمستويات الأخرى.

- توفير مناصب شغل أخرى وذلك أنّ معلّم التحضيري يمكن له أن يدرس 40 تلميذا بدل 25 تلميذا، وفي المواد الأخرى فالمرافقون في مختلف المرافق الترفيهية هم من يتولّون تعليم الأطفال مختلف المواد وذلك تحت إشراف المربيّة أو المربي؛
- يكتسب الطفل مناعة هويّية قويّة ونظرة عصرية جيّدة، فبذلك استفدنا من التّعليم القديم وهو التّلقين بالروح والتّكرار ومزاولته بالتّعليم الحديث أي التدريس بالكفاءات.

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)

اقترح نموذج لبرنامج التربية التحضيرية في ظل الرؤية الاستشرافية والتوأمة بين مختلف المؤسسات.

الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	10-08 صباحا التعليم المسجدي	الفترة الصباحية
تعبير شفهي	تعبير شفهي	تعبير شفهي	تعبير شفهي	تعبير شفهي		
مبادئ القراءة والتخطيط	مبادئ القراءة والتخطيط	مبادئ القراءة والتخطيط	مبادئ القراءة والتخطيط	مبادئ القراءة والتخطيط		
قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن		
رياضيات	رياضيات	رياضيات	رياضيات	رياضيات		
التوجه إلى المدرسة لتناول وجبة الغداء					11 - 10	صباحا

رجوع الطفل إلى المنزل وأخذ الراحة اللازمة

الفترة المسائية	14-	تربية تشكيلية	تربية بدنية	خرجات ترفيهية أو تعليمية لمؤسسة من مؤسسات الدولة أو مؤسسات الترفيه حديقة الحيوانات.
	15.30 مساء	(رسم وتلوين وأناشيد) قاعة الأطفال بالمكتبة أو دار الثقافة.	الملعب أو قاعات اللعب أو السباحة.	

الإحالات

- ¹ - رمضان عبد التّواب، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس. مجلة المجمع ، السّنة 2001م ص109.
- ² - محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، سط، الجزائر، 1999م، ص15.
- ³ - محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ص88.
- ⁴ - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر 1981م، ص79.
- ⁵ - مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ - 2000م، ج3، ص25.
- ⁶ - يُنظر: معرف نايف محمود، خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها، ص31.
- ⁷ - البشير الإبراهيمي، الآثار، ج3/ص208.
- ⁸ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج10/ص25.
- ⁹ - عبد الحميد بن باديس، الآثار، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1417هـ - 1997م ج3/ص244.
- ¹⁰ - يُنظر: سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص255.
- ¹¹ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط1، ص212.
- ¹² - حماني، أحمد بن مسعود، محاضرات ومقالات الشيخ العلامة أحمد حماني، ج4 ص362.
- ¹³ - سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص263.
- ¹⁴ - نفسه، ج3، ص263.
- ¹⁵ - نفسه، ج3، ص263.
- ¹⁶ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص217.
- ¹⁷ - أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي للجزائر، ج10، ص441.
- ¹⁸ - رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ص79.
- ¹⁹ - يُنظر: https://islamsyria.com/site/show_articles/11784، الكتاتيب القرآنية، نشأتها ودورها في المجتمع المسلم، آسيا بن سلمونة.
- ²⁰ - زايد مصطفى، المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة، الجزائر، مجلة الثقافية، العدد 93، وزارة الثقافة و السياحة بالجزائر 1986، ص129.

²¹ - سعاد عباسي، التنشئة اللغوية لطفل ما قبل المدرسة، مجلة جسور المعرفة، المجلد 2، العدد 7

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/7459>. 147-135

²² - وفاء جوبر و زولخة حفاف، دور التربية التحضيرية في تحقيق الأهداف التربوية من خلال آراء معلمي الأقسام الابتدائية دراسة ميدانية بالمدارس الابتدائية ببلدية مقرة 2007/2008، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونى، ص169.

²³ - أبو يعلى الزواوي، تحقيق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، ط1، الجزائر، 2005م، ص152.

²⁴ - المصطلح المعمول به هو المدارس الحضرية والشبه حضرية والنائية، وإن كنا ننكر مثل هذه المصطلحات لما فيها من أثر سيء على الأطفال المتمدرسين والمعلمين العاملين فيه، فلا يمكن أن نطلق على طفل أو أستاذ يدرس بمنطقة شبه حضرية بطفل أو أستاذ المدرسة الشبه الحضرية، فوددنا تغييرها إلى مدارس المدينة، ومدارس القريبة من المدينة (الشبه حضرية) ومدارس البعيدة عن المدينة (النائية).

دور كتاتيب قرى الاوراس في تعليم اللغة العربية "قرية العامرة ولاية خنشلة نموذجا"

د. صحرة خميلي

جامعة باجي مختار، عنابة

مقدمة: مثلت الدور المتخصصة في تحفيظ القرآن الكريم (الكتاتيب) دورا متميزا في تكوين الخلفية القرآنية الإسلامية في عقول كثير من أبناء المجتمع في الدول الإسلامية لفترة من الزمان ليست بالقصيرة، وكانت تلك الكتاتيب قد انتشرت في كثير من ربوع دولة الإسلام من جنوب شرق آسيا عبر أندونيسيا وماليزيا ومملكة فطاني - سابقا - وغيرها مرورا بباكستان وأفغانستان ودول شمال آسيا.. إلى أقصى الغرب الإسلامي في المغرب وموريتانيا.. ثم الجنوب في جنوب السودان الصومال ووسط أفريقيا.. وغيرها.. ولقد وجهت كثير من المخططات الخبيثة المنظمة للقضاء على الآثار الإيجابية لتلك الكتاتيب في العالم الإسلامي. حتى أصبحت مؤسسة (الكتاب) - تلك المؤسسة الصغيرة العتيدة - مهددة بالانقراض التام بل والانقراض.. ونحن في السطور التالية نحاول معا لقاء نظرة عابرة على تلك الكتاتيب ودورها وكيف ينظر إليها.. من خلال (كتاتيب الاوراس نموذجا..)

مما سبق تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على نموذج حي لدور الكتاتيب في حفظ اللغة العربية في اوساط غير ناطقة بها. تم الاعتماد على المنهج التاريخي والوصفي لدراسة موضوع البحث، وهذا ما تقتضيه طبيعة الدراسة.

وعليه يطرح الاشكال التالي: ما هو دور كتاتيب القرى والمدائر بالأوراس في الحفاظ على اللغة العربية في المناطق المعزولة والنائية غير الناطقة باللغة العربية؟ للإجابة على الاشكالية اعلاه، تم تقسيم الموضوع على النحو التالي:

المبحث الاول: نبذة تاريخية عن قرية العامرة ومسجدها العتيق:

المطلب الاول: الموقع الجغرافي، والقيمة التاريخية:

المطلب الثاني: المدرسة الابتدائية والمسجد العتيق:

المبحث الثاني: كُتاب قرية العامرة:

المطلب الاول: خصائص التعليم الكُتابي

المطلب الاول: الطريقة التربوية بالكتاتيب القرآنية

المطلب الاول: شيوخ كُتاب المسجد العتيق.

المبحث الثالث: توثيق فوتوغرافي لكُتاب قرية العامرة ودعوة للتجديد

المطلب الاول: صور تاريخية توثيقية

المطلب الثاني: من خريجي كُتاب قرية العامرة

المبحث الاول: نبذة تاريخية عن قرية العامرة ومسجدها العتيق:

ويتم بحث الموقع الجغرافي والقيمة التاريخية واهم مؤسستين في القرية:

المطلب الاول: الموقع الجغرافي، والقيمة التاريخية:

تعتبر قرية (العامرة) ⁽¹⁾ من القرى الأثرية التابعة حاليا للمقاطعة الادارية ششار بولاية خنشلة، وهي من اولى القرى تشييدا بشمال إفريقيا نظرا للحصانة الطبيعية لموقعها، وتاريخها المديد حسب عديد المراجع الفرنسية من اهمها ما كتبه الصحفي الفرنسي (يوجين ريفيلود) (الميلاد 1851/01/30، الوفاة 1935/11/28) ⁽²⁾. كانت ولا تزال قبلة لزوار اجانب ومغتربين، نظرا لما تمتاز به من مناطق ذات تاريخ عريق بدءا من التاريخ الروماني، من اشهرها قلعة (تيزغرارين Tizigrarine) وقلعة (كنترو) التي كانت معقلا للقائد الروماني (بلبار بن علناس)، ومن المناطق كذلك جبل (بامروس) الشامخ وقلعة (ياطوس) بمدخل القرية إضافة الى اثار رومانية منتشرة بالقرية هنا وهناك، نذكر منها منطقة (هنشير الرماد) دون ان ننسى تلك الصخرة المشكلة لخريطة الجزائر ⁽³⁾ وقد تم اكتشافها من طرف صحفي زار القرية. وكذا مصدر حياة القرية عبر التاريخ واد (بني بلبار Oued Beni Barbar) ⁽⁴⁾، كما ان

مناظرها الخلابة جلها على ضفاف وادي بني بلبار⁽⁵⁾. خاصة مدخل القرية المتواجد بها اشجار الكاليتوس من زمن الاحتلال الفرنسي.

اما عن التاريخ الثوري للقرية فالعامرة كانت تسمى بالأوراس الثاني نظير ما قدمته من تضحيات لتحمي الجزائر، فقد ضحت العامرة ب 64 شهيدا من بينهم 4 نساء وكانت معقلا للقائد (عباس لغور) رفقة 700 جندي مجاهد لهذا ذاقت القرية ويلات الاحتلال بسبب ما قدمته للثورة التحريرية، وتفتخر العامرة بشهيدها البطل (يوسفي عبد المجيد) وهو اول من اعدم بالمقصلة بالأوراس.

وحاليا ونظرا للظروف الصعبة التي مرت بها القرية تناقص عدد سكانها بالنزوح الى مدن الولاية بسبب نقص متطلبات العيش من الدراسة ومناصب الشغل والإدارة لكن يزورها اهلها من حين لآخر خاصة في العطل والمناسبات لهذا بقيت محافظة على عاداتها وتقاليدها والان يقطن قرية العامرة حوالي 40 عائلة⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: المدرسة الابتدائية والمسجد العتيق:

الفرع الاول: المدرسة الابتدائية الشهيد علي خميلي (علي او الطاهر)⁽⁷⁾:

تعتبر مدرسة العامرة من اولى اربع مدارس بولاية خنشلة، الى جانب مدرسة قرية (خيران) وقرية (بابار) وقرية (تبردة)، وقد كانت تسمى المدرسة المختلطة. شُيِّدت مدرسة العامرة ايان الاحتلال، وقد تم حرقها من طرف المجاهدين لان المحتل كان يتمركز بقواته فيها إضافة الى جعلها محتشدا لأهل القرية، وتم ترميمها من طرف كبار ومشايخ القرية من اموالهم الخاصة، وبعد الاستقلال، وعين بها اول مدرس التحق من معهد باتنة وهو الشيخ (بوطبة عبد المجيد)⁽⁸⁾ في 10 اكتوبر 1965 وقد وفر له أهل القرية ما امكن، فكان يدرس حوالي 50 طفل و بنت، يجلسون على حصائر الحلفة، وقد تم اقتناء صبورة للكتابة فيما بعد . وقد تخرج من هاته المدرسة إطارات منهم ضباط بالجيش ومنهم محامون ورجال قضاء وأساتذة في الجامعات والمعاهد وكذا إطارات في مناصب عليا.....الخ.

الفرع الثاني: المسجد العتيق بقرية العامرة:

تم تشييد المسجد في القرن السابع عشر⁽⁹⁾ من طرف اهل القرية الاوائل الذين نزلوا القرية وشيدوها بعد ما كانوا يسكنون قلاع تيزغرايين⁽¹⁰⁾، وقد تم جمع حجارة البناء من ضفاف واد المعلوم، وهو مسجد مشيد بالحجارة الخالصة 100٪ وبطرق تقليدية وصمد اكثر من قرن وعشرين سنة ثم بدأ التجديد فيه، اما عن مشايخ المسجد فكانوا اولى اهل العلم بالمنطقة وقد درسوا القرآن وعلوم الدين الى كافة قرى واد بجر فكانوا ينتقلون الى قرى مجاورة لتدريس اهلها، ومن ابرز هؤلاء المشايخ هم فرقة (السوياغ) الذين كانوا حاملي القرآن، ويتوارثون ذلك. كما انه يذكر مشايخ القرية الان ان هذا المسجد كان مركز تجنيد للثورة بقيادة الشيخ عباس لغرور. ومما لا شك فيه ان المسجد احتاج الى توسعة وترميمات، فقد تم إعادة صب سقفه بالإسمنت الصلب سنة 1988م واستبدال اعمدة اشجار العرعار التي كانت تحمله، وكذا ترميم المأذنة وزيادة علوها سنة 1995 اما توسعة قاعة الصلاة كانت سنة 2010 من طرف الجمعية الدينية للمسجد. وكان المسجد منذ نشأته يحافظ على تدريس القرآن للأطفال وحتى الكبار بالطرق التقليدية مثل اللوحة والمداد (السمق) والكتابة بأقلام القصب والصلصال للمحو. وكان مشايخنا يلقون دروسا للمصلين عن كيفية اداء الصلاة والوضوء ودروس شاملة عن الفقه والشريعة الى غير ذلك، اما عن حلقات تدارس القرآن فمزال يحافظ عليها الى يومنا هذا.

ويعتبر المسجد العتيق بالقرية محافظا الى الآن على اغلب تقاليد الدينية ويسهر عليه شباب متطوع من إمامته الى نظافته، وبمساعدة الشيخين (فارسي عبد الناصر) و(بوترعة يحي)، وهما على قيد الحياة الى الآن حفظهما الله.

ومقارنة بمساجد القرى المجاورة فإن المسجد العتيق بالعامرة يعتبر قبلة للمصلين خاصة ايام الجمعة والمناسبات كالأعياد، ومما يزيده شرفا هو المحافظة على صلاة التراويح اثناء الشهر المبارك وهو مالا يتميز به باقي مساجد القرى المجاورة لنقص المصلين او عدم إيجاد المتطوعين، اما مسجد العامرة وهي شهادة لله لم تتقطع به هاته

الصلوات منذ إنشائه الى يومنا هذا (11). وقد تم ذكر المسجد في وسائل الإعلام والجرائد العام الماضي بعد ختم القرآن ليلة 27 من رمضان وتنظيم مسابقة قرآنية للأطفال تم فيها توزيع الجوائز عليهم والحلويات، اضافة الى تكريم المتطوعين به من طرف الجمعية الدينية، كما تم تكريم النساء اللواتي صلين التراويح على مدار الشهر الفضيل.

المبحث الثاني: كُتاب قرية العامرة:

الكُتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب، والجمع كتاتيب (12) واستعمل أحيانا ابن سحنون كلمة "مكتب" عوض لفظة "كتاب"، ويظهر أن كلمة كتاب يقابلها في مناطق أخرى كلمات "كالمسيد" في الجزائر العاصمة... الخ، الكتاتيب مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ وتعليم القرآن الكريم للصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير.

وقال ابن باديس في هذا الشأن: "إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار إلى الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الإنتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار" (13)

المطلب الاول: خصائص التعليم الكُتابي:

يتميز التعليم الكُتابي بعدة خصائص تميزه عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة ويمكن إيجاز أهمها فيما يلي :

- إمكانية التعليم الكُتابي لجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة؛
- شعبية التعليم الكُتابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛
- التعليم الكُتابي لا يتطلب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط؛
- إن التعليم الكُتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها

-ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفعالية؛

-إن التعليم الكتابي نابغ من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

-ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛

-إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحه، والحبر المحلي وأدوات المحو... الخ هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئـة المحلية؛

-إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، لأن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحماة وحفظـة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية⁽¹⁴⁾.

المطلب الثاني: الطريقة التعليمية بالكتاتيب القرآنية:

يشير الدكتور تركي رايح إلى الطرق المستعملة قائلًا: "...تسود في الزوايا والمساجد طريقة الحفظ والتلقين... فالمعلم هو الذي يشرح، وهو الذي يحل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات"⁽¹⁵⁾.

وفي هذا الصدد يشير ابن خلدون قائلًا: فأما أهل المغرب فمذهبهم في الوالدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله⁽¹⁶⁾.

وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أم الكتاتيب هو حلقة الدرس، حيث يجلس المعلم ويتجمع حوله مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلم يستند إلى نص مكتوب، بل يعتمد هو الآخر على ذاكرته في إلقاء دروسه، وسرعان ما بدأ في استخدام المذكرات حاليا، ومن هذا المنطلق صار الإملاء والاستملاء أسلوبا له قواعده المحددة من طرف المعلمين⁽¹⁷⁾.

وكانت مدة الدراسة في الكتاب تستمر إلى خمس سنوات تقريبا إلا أن نظام التعليم الإسلامي لا يضمن للتلميذ مرحلة متوسطة أو مرحلة سابقة لمرحلة التعليم بالمسجد

وعلى التلميذ الراغب بعد تخرجه من الكتاب الاستمرار في التعليم أن يبحث لنفسه حلقة بالمسجد أو مقعدا بالمدارس تعده للدراسات المتقدمة غير أن أغلب التلاميذ يقع اختيارهم على حرفة أو صنعة.

الفرع الاول: أسلوب المعلم في تعليم أبجدية اللغة العربية:

إن معلم الكتاب يستخدم عدة طرق تتكامل فيما بينها في تعليم ابجدية اللغة العربية، فهو يبدأ بتقديم الحروف للتلميذ، وذلك على النحو التالي⁽¹⁸⁾.

الحرف	النطق	تحفيظ للترسيخ	الحرف	النطق	تحفيظ للترسيخ
أ	ألف	لا شيء عليه - لا ينقط	م	ميم	لا شيء عليه
ب	باء	نقطة من تحت أسفل	ن	نون	نقطة من فوق
ث	تاء	اثنين من فوق	ص	صاد	لا شيء عليه
ت	تاء	ثلاثة من فوق	ض	ضاد	نقطة من فوق
ج	جيم	نقطة من تحت	ع	عين	لا شيء عليه
ح	حاء	لا شيء عليه	غ	غين	نقطة من فوق
خ	خاء	نقطة من فوق	ف	فاء	نقطة من فوق
د	دال	لا شيء عليه	ق	قاف	اثنين من فوق
ذ	ذال	نقطة من فوق	س	سين	لا شيء عليه
ر	راء	لا شيء عليه	ش	شين	ثلاثة من فوق
ز	زاي	نقطة من فوق	و	واو	لا شيء عليه
ط	طاء	لا شيء عليه	هـ	هاء	لا شيء عليه
ظ	ظاء	نقطة من فوق	لا	لام	لا شيء عليه
ك	كاف	لا شيء عليه	ي	ياء	نقطتين من تحت
ل	لام	لا شيء عليه	ء	همزة	لا شيء عليه

الفرع الثاني: عرض الطريقة العلمية في التعليم بالكتاب: عندما يحضر التلميذ لأول مرة إلى الكتاب يقدم له الشيخ⁽¹⁹⁾ لوحة ويسجل فيها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة، ثم يبدأ المعلم في تلقين التلميذ هذه السورة جملة ليحفظها سماعا بدون تهجئة وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلا يمحوها بماء طاهر ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها في الشمس أو قرب النار لتجف، ثم تسطر بقلم الرصاص، ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين وبالسمع وهكذا صعدا مع المصحف⁽²⁰⁾.

أما حروف الهجاء فتبقى مسجلة في تلك الجهة من اللوحة لمدة أشهر حتى يحفظها التلميذ عن ظهر قلب، يحفظها أولا بأسمائها: ألف، باء، تاء... ياء، همزة. ثم ينتقل التلميذ إلى نطقها هكذا باللغة العامية: "ألف ما ينطقش"، الباء وحدة من تحت... الخ. ثم ينتقل التلميذ إلى معرفة صور الحروف وأشكالها، ومعرفة وجه الشبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها التلميذ كل يوم وينطق بها هكذا: الألف كالعصا، الجيم كالمخطاف، وهكذا حتى آخر حرف.

وبعد هذا كله ينتقل التلميذ إلى معرفة كيفية النطق بالحروف وللطفل سور من القرآن الكريم في جهة من اللوح، ثم تأتي مرحلة ثانية تتمثل في كتابة المعلم سطورا من القرآن في جهة من اللوح وعلى التلميذ أن يمر بقلمه الغليظ على ما كتبه المعلم⁽²¹⁾ ثم تأتي المرحلة الثالثة: يكتب المعلم سطورا ويترك سطورا فارغا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه معلمه في السطر الأعلى محاكيا إياه والقصد من هذه المرحلة الأولية يتمثل في تدريب التلميذ على حسن إمساك القلم والتحكم فيه صعودا ونزولا ومشيا به إلى الأمام وإلى الخلف ورفع له للتقريب وهكذا.

أما المرحلة الرابعة فيأتي دور التهجي يهجي التلميذ الكلمة التي يملئها عليه المعلم فيعدد حروفها، ويرجع عند كل حرف يريد كتابته إلى الحروف الهجاء المرسومة في اللوحة، ويسجل الحرف المعني بصورته وحركته وينقطه إن كان يحمل نقطة وهكذا.

المطلب الثالث: شيوخ كتاب مسجد العامرة العتيق:

كُتِبَ المسجد العتيق، عبارة عن غرفة جنوب المسجد مستطيل الشكل⁽²²⁾ جزء منها للبنات وجزء للذكور، يأتي الشيخ لصلاة الفجر وبعدها يبقى في المسجد حتى الساعة السابعة صباحا يأتي الاطفال الطلاب⁽²³⁾ للكُتَاب وبعد القاء التحية يبدأ الشيخ بالتلقين والمراجعة لما فات كما هو مذكور اعلاه، فمن حفظ السورة يغادر لمحو اللوح وبعد فتح المدرسة يغادر ايضا من بدأ وقت دراسته، وينتهي الشيخ على الساعة العاشرة صباحا.

وجاء في التراث الشفوي لأجدادنا ان الشيوخ قدموا الى قرية العامرة من وادي سوف وحنقة سيدي ناجي (بسكرة)، لما علموا من كرم اهلها وحبهم لتعليم القران لأبنائهم، حيث يمنحون الارض واشجار الزيتون والبيوت واضاحي العيد لمعلمي القران ويقدرونهم، وكثير منهم تزوج من القرية، وبعد ان تعلم ابناء القرية القران تولوا هم هذه المهمة وحرصوا عليها وتوارثوها، بل اصبح منهم من يذهب الى القرى الاكثر توغلا في الجبال ويعلمونهم دينهم ويحفظونهم القران.

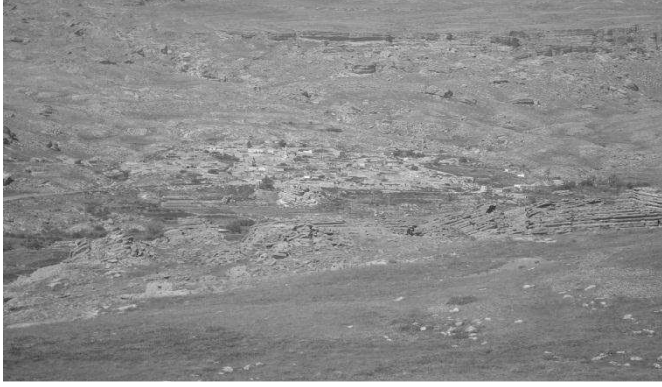
واما المشايخ مدرسي القران بالترتيب منذ سنة 1930 ومنهم من كان إمام بالمسجد

كذلك هم:

- سيدي عبد الله حميدي مدرس قرآن
- سيدي يوسف سايجي مدرس قرآن
- سيدي الميهوب سايجي مدرس + إمام
- سيدي العربي حميدي مدرس + إمام
- سيدي الطيب حميدي مدرس قرآن هؤلاء المشايخ الخمسة قبل الاستقلال
- الشيخ خالفة السبتي إمام متطوع
- سيدي العايش بن عبد الله يطوس مدرس قرآن + إمام منذ 1973 سنة الى غاية 1995 تاريخ الوفاة 2007.
- الشيخ بوترة محمد إمام.

- سيدي العيد سايحي مدرس قرآن + إمام تاريخ الوفاة سنة 2015
 - سيدي السعيد سايحي مدرس بنات
 - الشيخ جابر عبد الحميد مدرس قرآن تاريخ الوفاة 2006
 - سي صالح حمزاوي مدرس بنات تاريخ الوفاة
 - الشيخ فارسي نصر إمام متطوع على قيد الحياة.
 - الشيخ موسى ركاب إمام
 - الاخ جابر عماد مدرس قرآن + مقيم لصلاة التراويح
 - الشيخ الاستاذ خميلي يوسف بن دحمان إمام متطوع
 - * أما هؤلاء فهم متطوعين إلى يومنا هذا
 - الشيخ يحيى بن لمين بوترة
 - الشيخ عبد الغاني بوترة
 - الشيخ عبد الواحد بن بلقاسم جبنون
 - الشيخ ميلود بن علي ياطوس.
 - الشيخ عماد بن محمد العيد جابر إمام متطوع حاليا + مدرس قرآن + مقيم لصلاة التراويح
- رحم الله من مات من مشايخنا الأفاضل ورزق من بقى حيا بركة في العمر.
- المبحث الثالث: توثيق فوتوغرافي لكتاب قرية العامرة ودعوة للتجديد:**
- كان وما زال مسجد العامر العتيق منارة في عتمة الريف والمناطق الجبلية النائية ووجهة لا يمكن لمطلع ان يجحد الدور الكبير له كمؤسسة مجتمعية تحارب التهميش والاندثار.

المطلب الاول: صور توثيقية لقرية العامرة ومسجدها العتيق:



قرية العامرة (صور هاوي 2009/03/19)



قرية العامرة (صور هاوي 2009/03/19)



وادي بني بليار ومن اسمائه واد بجر، واد المعلوم،

-والواد الأخضر (صور هاوي 2008/10/30) الصخرة المشككة لخريطة
الجزائر بقرية العامرة (صور هاوي 2010/10/23)



-مسجد العامرة العتيق (من صفحة القرية العامرة نيوز

<https://www.facebook.com/shihab07imab>

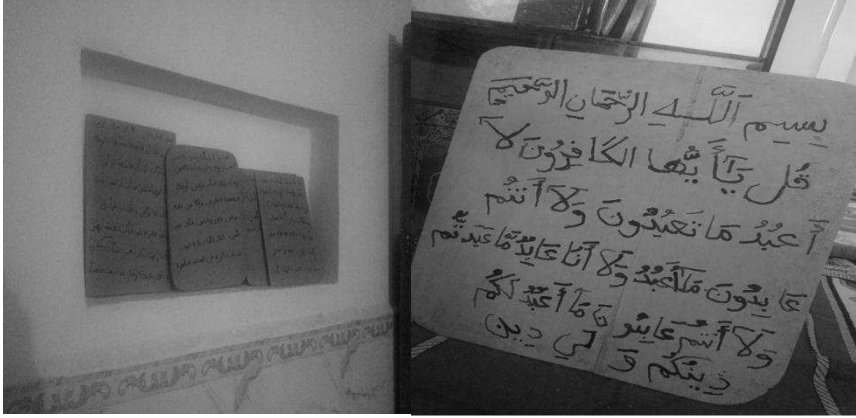
-المدرسة الابتدائية الشهيد خميلي علي.



المسجد العتيق رمضان 1439هـ (صور هاوي)



الصورة 1-2 الكتاب اوقاعة التعليم التاريخية (صورة هاوي) وتم تجهيزها احسن من السابق.



الصورة 1-2 لوح التعليم في كتاب المسجد العتيق (تعليم الاطفال في العطلة الصيفية شهر اوت 2019)



ويتواصل التعليم رغم كل شيء (تعليم الاطفال في العطلة الصيفية شهر اوت 2019)



الشيخ عبد الناصر فارسي بن احمد امام المسجد، متطوع لأعوام مديدة والقائم

على

شؤنه والحافظ لتاريخ القرية.



صورة 1-2-3 من حفل تكريم صغار الحُفَاط 27 رمضان 1439هـ



الصورة على اليمين- الشيخ عماد بن العيد جابر الامام المتطوع حاليا، والمشرف على تدريس الاطفال والقائم على حفل التكريم.
الصورة على اليسار: تكريم المساهمين و اباء الاوائل من الحفاظ، 27 رمضان 1439هـ.

المطلب الثاني: من خريجي كتاب قرية العامرة:

الفرع الاول: اول مهندس تنقيب في الجزائر:

بوترعة بلقاسم Bouteraa Belkacem ، ولد في 1934/07/30 في العامرة بـداء مشواره التعليمي بكتاب مسجد العامرة العتيق ثم انتقلت عائلته الى قسنطينة اين درس في الابتدائية ثم في الزيتونة بتونس ثم الثانوية في الكويت ثم في جامعه الجيوفيزياء البتروكيمياوية في بوخارست في رومانيا، في 1965 كان أول مهندس في الجيوفيزياء عمل في مؤسسة سوناطراك. المتوفي في 1991/11/28 رحمه الله.

الملتقى الوطني (الكتاتيب ودورها في الرفاه اللغوي)



الفرع الثاني: اول شهيد بالمقصلة في الأوراس:

الشهيد يوسف عبد المجيد ابن قرية العامرة





الخاتمة: ان المتابع لتاريخ قرية العامرة الحافل ودور مسجدها العتيق في تحفيظ القران واللغة العربية لأجيال عديدة ومنارة للمناطق الاكثر عزلة، ودور شيوخ القرية البالغ في تعليم السكان، بل والهجرة وترك الاهل من اجل تعليم القران واللغة العربية، يستحق ان يذكرها التاريخ العربي والاسلامي.

التوصيات:

- تسجيل قرية العامرة من طرف وزارة الثقافة ضمن التراث الوطني؛
- احياء الكتاتيب وتدعيمها من المجلس الاسلامي الاعلى والمجلس الاعلى للغة العربية؛
- احصاء الكتاتيب الفاعلة عبر التراب الوطني، ودمجها مع برامج محو الامية بالتعاون مع الديوان الوطني لمحو الامية ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

المصادر والمراجع:

- بن سحنون محمد، آداب المعلمين. - الجزائر، مطبعة ش. و. ن. ت، 1972.
- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. - الجزائر، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.
- تراري مختارية، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد خاص 2001 .
- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية. - الجزائر، الطبعة الأولى، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع.
- ابن خلدون، المقدمة، مصر، مطبعة محمد عاطف، بدون تاريخ..
- زائد مصطفى، المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة. - الجزائر، مجلة ثقافية العدد 93 شعبان - رمضان 1406، ماي-جوان 1986.
- بن أحمد التيجاني عبد الرحمن، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977 - الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
- عبد الناصر فارسي بن احمد، تاريخ القرية ومسجد العمارة العتيق، مقابلة مصورة على الرابط: <https://www.facebook.com/watch/?v=1002593989868046>
- تاريخ الاطلاع 2019/12/25، التاسعة مساء.
- تصريحات الامام المتطوع بالمسجد العتيق الشيخ عماد جابر بن العيد.
- EUGENE REVEILLAUD , UNE EXCURSION AU SAHARA ALGERIEN ET TUNISIEN ANGLE DU NORD-EST DJEBEL-CHECHAR — KHANGA-SIDINADGI NIGRINE — LE DJERID ET LES GRANDS CHOTTS (MER INTÉRIEURE LA VALLÉE DES BENI-BARBAR LIBRAIRIE FISCHBACHER ,1888,p162.
- Leo Africanus, Robert Brown, John Pory, The History and Description of Africa (Cambridge University Press, 3 Jun. 2010).

الهوامش:

¹(<https://mapcarta.com/fr/N1551221217>)

Type : village

Lieu : Algérie, Afrique du Nord, Afrique

Latitude : 34,9264° ou 34° 55' 35,1" nord

Longitude : 7,034° ou 7° 2' 2,5" est

Open Street Map ID : node 1551221217

Aussi connu sous les noms

العامة : arabe

2) (EUGENE REVEILLAUD , UNE EXCURSION AU SAHARA ALGÉRIEN ET TUNISIEN ANGLE DU NORD-EST DJEBEL-CHECHA R — KHANGA-SIDI-NADGI NÉGRINE — LE DJERID ET LES GRANDS CHOTTS (MER INTÉRIEURE LA VALLÉE DES BENI-BARBAR , LIBRAIRIE FISCHBACHER ,1888,p162.

⁽³⁾ انظر التوثيق الفوتوغرافي.

4) (Leo Africanus, Robert Brown, John Pory, The History and Description of Africa (Cambridge University Press, 3 Jun. 2010) p201

⁽⁵⁾ المعروف أيضا بواد بجر والواد الاخضر والواد المعلوم.

⁽⁶⁾ احصاء امام القرية اعتمادا على زكاة الفطر.

⁽⁷⁾ الشهيد خميلي علي بن الطاهر قصة استشهاده عظيمة جدا روتها شاهدة عيان مع بعض

السكان، فارسي جازية بنت احمد(ام الباحثة) التي كانت ترعى الخرفان لحظة استشهاده.

⁽⁸⁾ مزال الشيخ حفظه الله على قيد الحياة ويسكن في مدينة بسكرة، وقد زاره إمام القرية في بيته

ووثق قصته مع قرية العامة ومدرستها.

⁽⁹⁾ عبد الناصر فارسي بن احمد، تاريخ القرية ومسجد العامة العتيق، مقابلة مصورة على

الـرابط: <https://www.facebook.com/watch/?v=1002593989868046> تاريخ

الاطلاع 2019/12/25، التاسعة مساء.

⁽¹⁰⁾ EUGENE REVEILLAU, op.cit.p.191، كذلك انظر التوثيق الفوتوغرافي .

⁽¹¹⁾ تصريحات الامام المتطوع بالمسجد العتيق الشيخ عماد جابر بن العيد.

⁽¹²⁾ بن سحنون محمد، آداب المعلمين. - الجزائر، مطبعة ش. و. ن. ت، 1972 ص.64.

- (13) رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر - الجزائر الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981، ص.79.
- (14) تراري مختارية، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، المجلة الجزائرية في الأثنوبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد خاص 2001، ص57-66 .
- (15) تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية. - الجزائر، الطبعة الأولى، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع. - ص.236.
- (16) ابن خلدون، المقدمة، مصر، مطبعة محمد عاطف، بدون تاريخ، ص.416.
- (17) تراري مختارية، المرجع نفسه.
- (18) زائد مصطفى، المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة. - الجزائر، مجلة ثقافية العدد 93 شعبان - رمضان 1406، ماي-جوان 1986، ص.ص. 125-129.
- (19) المصطلح المستخدم في قرية العامرة هو "سيدي"
- (20) طريقة التصحيح تكون بكشط الحرف او الكلمة الخطأ بنصف شفرة حلاقة او قطعة زجاج او اي اداة حادة.
- (21) ابن أحمد التيجاني عبد الرحمن، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977 الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص.ص.37-38.
- (22) انظر التوثيق الفوغرافي.
- (23) ويطلق عليهم مصطلح (إقداشن بالشاوية).

الأنظمة الثقافية ومركزية الكتاتيب في تركيز عامل التأثير والتأثر الاجتماعي الأصيل

د. لوت زينب

المدرسة العليا للأساتذة، مستغانم

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب-القرآن-الثقافة-الذاكرة-الحفظ-اللغة-الألفاظ-
المناسبات- المجتمع-الجماعة.

مقدمة: تنتمي الكتاتيب لعامل التواصل الاجتماعي الديني والتاريخي لفكرة الوعي الأخلاقي والثقافي نحو أصالة المجتمع، وترسيخ قيم الانماء التراثي بالمعاصرة كالفعل اللغوي في تمائلات الصوت وخصائصه وتحفيز الذاكرة على الاستيعاب السريع وتنشيط خلايا الدماغ حيث تمارس الحركة الصوتية أثرا للصورة المتكاملة بين اللغة ومعجم المفردات الدالة عن القيم المثلى ذات التأثير المباشر، في محور تأصيل الوحدة الفكرية والشعورية نحو المواطنة والهوية والتسامي الديني للاستمرارية العميقة والمتجذرة بنموذج الكتاتيب الذي يمنح تصورا لروح الجماعة والأخلاق والنفس السامية لإنسانيتها المتجذرة بالحضارة المثلى.

1- **نظام الكتاتيب التربوية والدينية في ترسيخ صورة المجتمع:** يتصل المجتمع بصورة عقيدته ومنهجية القيم المترسبة عنها، كما تتباين الظواهر الاجتماعية في نشوء هذه السلوكيات بالتربية وترسيخ نبوءاتها وتطلعاتها لأفراد تنتمي فيهم صورة الأخلاق بمقاييس المعاملة والتعامل، الانتماء ونمو روافد الإصلاح والبناء، لذلك كانت ضرورة تلقين العلوم من غايات رجال الأمة المحفزين وتنتمي الكتاتيب لأحد المعالم الحضارية المخصصة للتعلم التربوي والعلمي والمعرفي والنفسي.

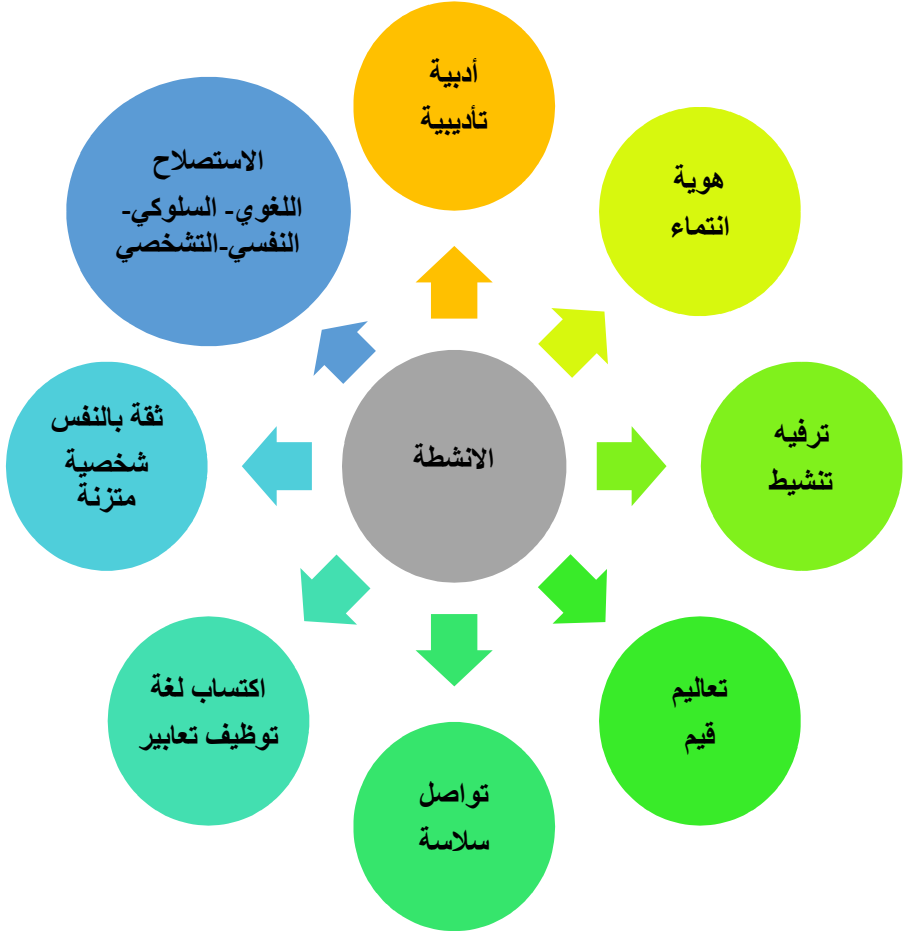
تشكل المرجعيات اللغوية المكتسبة عبر الكتاتيب أداة طيعة في تنمية جيل متقن ثقافة تحوي هويته وشروط حضارته وأساليب التعايش لما تتمرس عليه هذا النوع من

المدارس بالعلوم التقليدية والعقلية بمختلف تقنيات للتعلم والتأديب ويكسوها الاجتماع والمودة وحسن التعامل والتدريب على التركيز والنباهة في استقطاب المعرفة وتداولها ويمكن تعريفها: "الكتاتيب ومفردتها كُتاب، والكتاب هو موضع الكتابة، والمكان الذي يتلقى فيه الصبيان العلم، ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة، وتلقى مبادئ الدين الإسلامي، واللغة العربية وبعض العلوم الأخرى، ويدير الكتاب معلم يطلق عليه: المعلم، المؤدب، الفقيه، الملا، المطوع، وهو الرجل الصالح، الذي يوظف نفسه لخدمة الناس ويشترط فيه عدة شروط من أهمها:- رسوخ العقيدة الإسلامية لديه- الإمام بالمواد التي يدرسها، مراعاة ميول وحاجات الأطفال ومعاملتهم بالإحسان والتأطيف، وإلى جانب المؤدب يوجد شخص يسمى العريف، وهو بمثابة أحد كبار الصبية النابهين، يشرف على زملائه في فترة غياب المؤدب ولا يقتصر دور المؤدب على تعليم الأطفال القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وغيرها بل يحرص على تنشئتهم النشأة الصالحة ويغرس في نفوسهم الأخلاق الحميدة والمبادئ الفاضلة.(محمد باي بلعالم: 2005، ص.216)¹ تعد أخلاق التعلم من أهم مرتكزات القضايا التي تركز عليها الكتاتيب: بالتأديب- المعاملة الحسنة- التأطيف- التقفه- التعاون- التلاحم- التماسك- توحيد الفكر-...فتصبح هوية الملمح الحضاري أكثر وضوحاً ورسوخاً واستقراراً في نفوس المتعلمين، كما يهدف الكتاب للشمولية الفكرية والتأزر ويهذب الأذهان على التفكير والتأمل، كما يندمج الأفراد في معطيات خدمة المجتمع والانشغال بالواجبات التي تحرص عليها فئات المتعلمين والمدرسين كمجال من مجالات نشوء الكتاتيب لخدمة مصالح الأمة والرفع من حضرها الحضاري عبر هويتها وسلوكها العلمي وارتباطها الدائم بآثارها المعرفية الأصيلة والمتأصلة للعلوم بالمبادئ والقيم الكبرى ولهذا أضحت مركزية تعليمها التربوي والسلوكي والمعرفي تخاطب العقل بالطرائق المثلى لوسطه الوجودي.

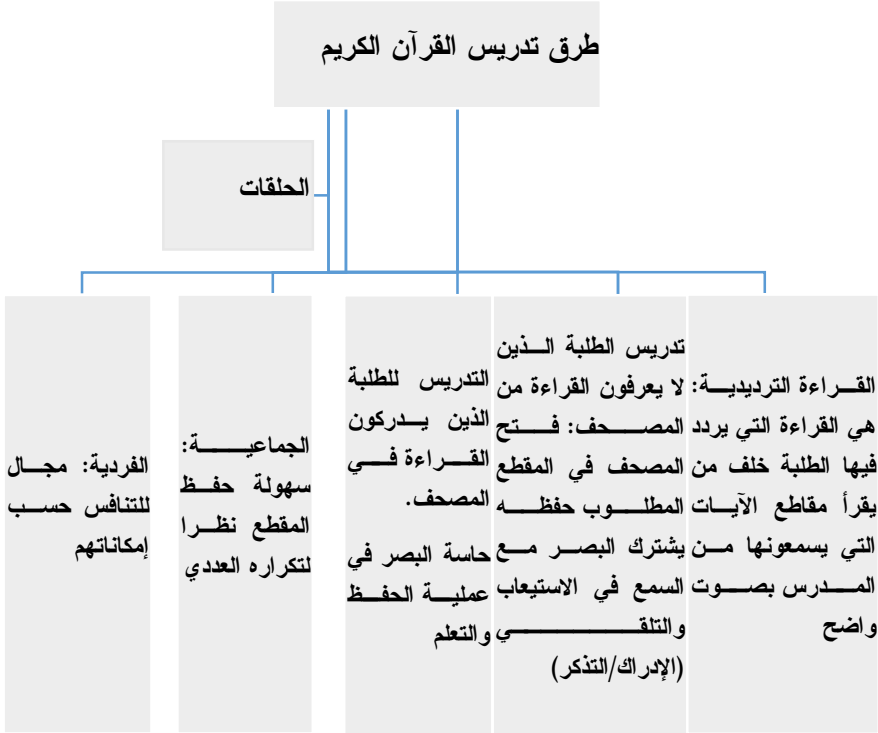
كما للكتاتيب أنشطة تتوزع بأنظمة متداولة توضح أهدافها من خلال مجموعة من

التوافقات بين المستفيدين والمؤطرين تكمن " أهداف الأنشطة:

- 1- تبصير المستفيدين من النشاط بمفاهيم الدين وتعاليمه، غرس المحبة له والانتفاء إليه؛
- 2- إصلاح قلوب وسلوك المستفيدين من النشاط على ضوء تعاليم القرآن الكريم وأحكامه؛
- 3- التعاون مع أولياء أمور الطلبة في استصلاح المنزل وتكوين بيئة إسلامية ملتزمة بأداب الإسلام داخله؛
- 4- إعطاء الحلقة مكانة جيدة في مجتمعنا عن طريق إسهامها بما يمكنها من جهد في استصلاحه وخدمته؛
- 5- الترويج على الطلبة وإدخال السرور عليهم ونزع الرتابة والسأم من نفوسهم.² تعد الآداب التي يمنحها الكتاب من اهم ما يمكن تمثله:



وتعتمد الكتاتيب على منهج في التواصل المعرفي وطرق تدريس القرآن الكريم
تمارس مجموعة من الظواهر أهمها:

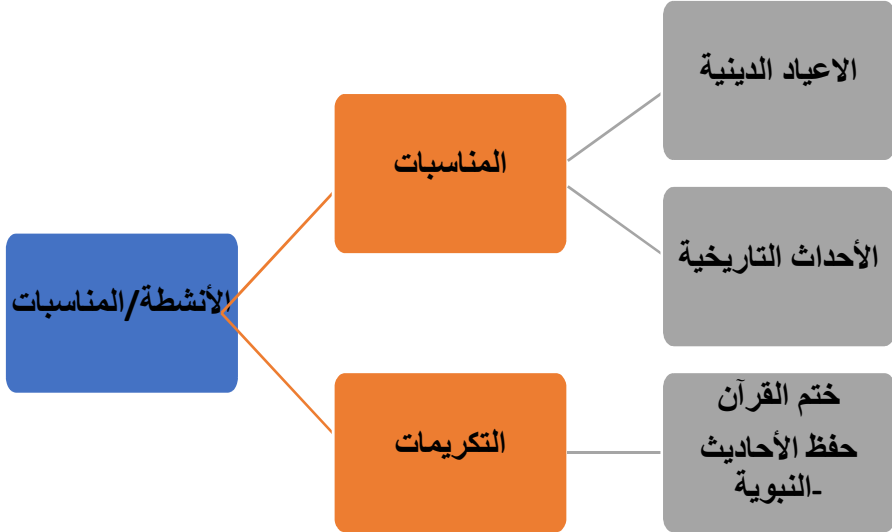


2- أثر الحفظ القرآني في تنشيط الدماغ الإنساني: تمكن القرآن الكريم منذ نزوله بإعجاز اللسان العربي ببيانه وصوره وبلاغة آياته، وتصوير الأحاسيس الداخلية التي يضمها الإنسان كالحزن والجزع والفرح والأمل....، ونقل في سوره ما اندثر في الحضارات وما ظهر، كما حمل الخطاب القرآني بينة إقناع العقل وقوة الإدراك بالتمثيل و التشبيه والترميز و التوصيف المتقن منح الدماغ الإنساني نشاطا اعجازياً "فكان القرآن المعجزة القاهرة، المعجزة في البيان وهو غذاء للعقل العربي، وصقل لذهنية الإنسان العربي جذبه إليه فإذا سمع آية طار لها فرحاً وتأثر شجاء ورقة، وملئت أذنه رنة وصدى من موسيقى خاصة هيمنت على نفس الانسان العربي"³ اتساع الخيال الذهني من خلال تدبر معانيه والتوسع في مدركاته، كما للتوازن الصوتي الذي يندرج في التلاوة عامل مهم في بلورة مزايا التركيز، وتحسين المستوى اللغوي عبر مخارج

الحروف وصفاتها يمارس نموذجاً مهماً في إدراك مهارات التفكير والتمعن والتدقيق في ماهيات الخواص الحسية وهي بدورها تمنح للدماغ قدرة على تنشيط الذاكرة" اعتبر القرآن علم خاص بذاته، فلا يسمح بتلاوة القرآن الا ضمن شروط صوتية ولفظية صارمة ويسمى علم تلاوة القرآن أو علم التجويد. وأول شيء على الطالب فعله هو ترديد ما يقوله المعلم بدقة شديدة والتي تتطلب اخراج الحروف من الفم والحلق واللسان بشكل دقيق، بعدها يقوم الطالب بكتابة الآيات التي حفظها على لوح (...). وكيفية نطق الكلمات فإن ذلك يحفز منطقة temporal lobe وهي المنطقة القريبة من hippocampus والتي تعتبر منطقة تعزيز الذاكرة، وهي نفس المنطقة التي يتم تنشيطها خلال الاستماع الى الموسيقى وهي نفس المنطقة التي لها علاقة بكتابة الكلمات، وهي المنطقة المسؤولة عن اهلية الشخص لتعلم مهارات جديدة، وبمقدار ما يكون تحفيز هذه المنطقة بمقدار ما تزداد قدرة الانسان على الحفظ والتعلم وقوة الذاكرة. كما ان parietal lobes لها دور اندماجي بكل هذه النشاطات العقلية وهي المنطقة التي تتعامل مع القراءة والكتابة والكلام وهي المنطقة المسؤولة عن حل المعادلات الرياضية والمنطق، وهي المنطقة المسؤولة عن التغني واللحن حين يقرأ القرآن وهي المسؤولة عن الابصار الفراغي وفهم تعابير الوجه.⁴ لذلك يحمل القرآن الكريم اعجازا علميا على جميع المستويات حيث يحسن في مستوى اشتغال الدماغ ويقوي الذاكرة ويحفز النشاطات العقلية فيكفل لها التركيز والتمعن، ويعزز قدرات النشاط الفكري (استنباط- تحليل-برهنة-استدلال-جدل-منطق-فلسفة-تاريخ..). كما دعم القرآن أهميته على العقل الذي شمل ظواهره وتفسيره وتحليل الأصول النحوية والبلاغية خدمة لتجديد الخطاب اللغوي، واستمرارية إعجازه في جميع الميادين والتدبر في آيات القرآن الكريم استبطن في منطق الوجود وماهية التواجد لقوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة) وهذا ما يأتي من

كلام إلهي يسن شريعة إنسانية، ويبصر الناس نحو فهم حقائق الأمور وأسرار النفس وكذلك يصبح القلب موطن الإحساس بقيمة المضمرة والظاهر، ليكون مع اكتمال العقل في فتح خزائن المعنى ودلالاته لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج) ولأن الكتاتيب كمؤسسة تعليمية خاصة تترك أهمية القرآن الكريم في تنشيط خلايا الدماغ، من خلال التلاوة والحفظ والترديد، تسعى لبلورة مجال خصب في أداء مهامها وتوسيع مجالاتها كالتفسير والتدبر ومقاربة منطق الكلام وفلسفة البرهان على مبادئ إيمانية تخدم العقل الاجتماعي.

- **النشاطات والمناسبات الثقافية في الكتاتيب والقيم المترسبة:** تعددت المناسبات التي تحتفي فيها الكتاتيب بإحياء المراسم المتداولة في الأعياد والمناسبات والاحتفاء بالطلبة المتفوقين وتحفيزهم بالجوائز والمراتب، ما يدفعهم للتنافس والبحث عن تنمية مؤهلاتهم، كون الكتاتيب أقرب للمجتمع مكانة وقيمة حيث يعد مكاناً مقدساً، يشمل ويوازي الأحداث اليومية للأفراد ما يدعوهم لتقدير مكانته وتقديس معالمه ومهامه.



- البنية الاجتماعية الناتجة عن دور الكتاتيب نحو المواطنة والهوية: تتركب البنية الاجتماعية من مؤشر القيم المترسبة عبر التقاطع الديني والوطني واللغوي، كما يتمرس المتعلمون على التواصل الإيجابي والتعامل التوافق الفكري والعاطفي، "لقد اهتم الكتاب بتدريس الأطفال الصغار القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب والحفظ والاملاء، و اهتم المسجد بحلقات الدرس التي يعقدها العلماء لطلابهم وغيرهم، في الدراسات الإسلامية المتخصصة كالدراسات القرآنية من تفسير وتجويد علوم الحديث والتوحيد والفقه وأصوله، و النحو والأدب والبلاغة، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وغير ذلك"⁵ هذه الحلقات التي يعقدها المفكرون مع طلابهم تثير غاية مهمة في تعزيز التعلم وبلوغ حقائق التدبر في مدركات الكون ومكوناته، كما يحظى المدرسون باحترام وإجلال متناهي مما يخرس سُبُل الأخلاقية في تواصل واحترام منابع العلم وحاملي العلوم، كما يتخصص الطلاب بمختلف جوانب المعرفة (النحو- الصرف- الفقه- التاريخ- السير- البلاغة...) فأضحى للكتاب مكانة وارتقاء بين الأزمنة بعدما فتحت في الماضي لمحاربة الأمية و الجهل توسعت جهودها نحو حماية هوية الحضارة ومرجعياتها.

تتوسع معالم الكتاتيب مع الزمن لترسخ وجودها واهميتها من خلال تطوير اهتماماته بالحاجات الاجتماعية والرؤية المعاصرة للعلوم فتعددت مهامها في توجيه المتعلمين ومرافقة تعليمهم المعاصر محافظة على النمط الإسلامي "يتم تدريس القرآن الكريم مع المواد الأخرى مثل السنة، والحديث والتوحيد، والسيرة وغيرها، وقد أدخلت بعض المدارس القرآنية المواد الحديثة مثل الرياضيات (....) والحقيقة لم تعد الحياة المعاصرة تعتمد على تلاوة وحفظ المتون فقط، بل تجاوزت ذلك إلى أهمية التفسير الصحيح المعقول لمظاهر الحياة اليومية المعقدة، وتعليلها أو تحليلها بصورة منطقية حتى يتسنى للمسلم ان يعيش حياة سعيدة متطورة بتطور الأزمنة والامكنة مع البقاء على النمط الإسلامي وثقافته في حياة الفرد والمجتمع المسلم"⁶ فالكتاتيب هي مكانٌ للتواصل بين المتعلمين فكرياً وروحياً حيث يصبح التواجد في وضعيات

مختلفة (الحلقات-الصفوف-الندوات-الثانويات-الأفواج...) اشتغال نفسي سلوكي على مدى التعاون والتكافل ومحاولة التكامل المعرفي، تكفل للفرد بتعزيز أوصل القيم الاجتماعية والنشوء الديني الورع في احترام أصول الإسلام وأصالته وانفتاحه الثقافي بتهديب الطباع (الاحتفالات- العمل التطوعي-التعايش- السلمية) وهي فطرة تنمو مع الصفات التي يغرسها الكتاب في نفوس متعلميه من (احترام- وقار-طاعة-خوف الله-الالتزام بالأداب-...) كصفات متعددة تكفلها هذه الأماكن التي يقدها المجتمع منذ نبوغها على زرع منابت العلم والمعرفة وأصالة الفكر والتفكير لحضارة أكثر رقياً بوعيا وتوجهها.

المراجع:

- ¹ - بكر اوي عبد العالي، مرشدي شريف (المركز الجامعي غليزان)، دور المدارس القرآنية - الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني في الحد من ظاهرة العنف مخبر الوقاية والأغنوميا، جامعة الجزائر2، 07-08 ديسمبر 2011م، ص.211
- ² - المدارس و الكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلام الرياض السعودية، 1417هـ، ص.161
- ³ - نعمة هادي الساعدي، القرآن و العقلية العربية، دار الهدى، إيران، ط/1، (1464 هـ ق-1386 هـ ش)، ص.32
- ⁴ - http://ishrakat.com/article-desc_14/01/2020
- ⁵ - عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط/1، 1406هـ، 1986م، ص.09
- ⁶ - عيسى الحاج زيدي، المدارس القرآنية ودورها في بناء الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا (زنجبار نموذجا) من اعمال المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودورة في بناء الحضارة الإنسانية جامعة إفريقيا العالمية، المركز الإسلامي الإفريقي، الكتاب الثاني 17ديسمبر 2011م ص.18

دور حفظ القرآن الكريم في اكتساب الملكة اللغوية لدى أطفال "مرحلة التعليم الابتدائي" مقارنة ميدانية السنة الأولى أنموذجاً"

أ. أسماء بن سليمان

جامعة يحي فارس بالمدينة

ملخص المداخلة: تعتبر اللغة العربية من اللغات الأكثر مرونة وقبولاً للدراسة والبحث وقد اكتسبت أهمية كبيرة نظراً لارتباطها بكلام الله المُعجز (القرآن الكريم) الذي يُعتبر السند الأساس للطفل في المراحل الأولى من اكتسابه للغة، حيث يحتوي هذا الكنز الثمين على معارف وعلوم وحقائق كثيرة مما جعل حفظته يتدبرون في ألفاظه ومعانيه، ومنهم المتعلمين في المرحلة الأولى لأن عقولهم لا تزال صافية، فهم كالصفحة البيضاء، لذا حرص السلف الصالح على تعليمهم كتاب الله حيث أنشأت الكتاتيب والزوايا والمدارس والمساجد وحلقات تعليم القرآن الكريم في المساجد إضافة إلى الدعم الكبير الذي يتلقاه هؤلاء من أوليائهم، كل هاته الأقطاب مُجمعة هدفها واحد وهو العمل على إكساب ملكة اللغة لهذا الطفل، فيتمكن من معرفة الأصوات والكلمات ثم الجُمْل وقراءة السور القرآنية ثم حفظها وتكرارها كل هذا يساعده على معرفة لغته الأم وهي اللغة العربية، وهذا كله خدمة لها التي يسعى باحثوها للنهوض بها إلى أرقى وأسمى مستوى فكيف وهي لغة نزل بها خير كلام الله سبحانه وتعالى. ومن هنا يمكن أن نتساءل: ما دور الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية في اكتساب المتعلم مهارات اللغة العربية؟ وما أثر ذلك على سلوكه داخل المجتمع؟ كل هذا وأكثر سنحاول الإجابة عنه في مداخلتنا إن شاء الله، وفي الأخير تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الملكة اللغوية، الاكتساب

intervention: Summary of the The Arabic language is considered one of the most flexible and acceptable languages for study and research, and it has gained great importance due to its association with

the miraculous word of God (the Noble Qur'an), which is considered the basis for the child in the early stages of his acquisition of the language, as this precious treasure contains many knowledge, sciences and facts that made him memorize Words and meanings, and among them are those who are educated in the first stage because their minds are still pure, they are like the white page, so the righteous predecessors were keen on teaching them the Book of God, where the battalions, angles, schools, mosques and the teaching of the Noble Qur'an were established in mosques in addition to the great support that He met these of their guardians, all of these poles combined, one goal is to work to provide the queen of the language to this child, so he can learn the sounds and words and then the sentences and read the Quranic fence and then memorize and repeat all of this helps him to know his mother tongue which is the Arabic language, and this is all service to him that he seeks Its researchers to advance it to the highest and highest level, so how is it a language in which the best words of God Almighty revealed. From here we can ask: What is the role of the writers, angles and Quranic schools in the learner acquiring Arabic language skills? What is the impact of this on his behavior within the community?

Key words: The Noble Qur'an, the linguistic queen, acquisition

تمهيد: تعدّ اللغة العربية التي نزل بها خير كلام الله على سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام فهي زخر كبير للمتعلم في المرحلة الأولى من تعليم وبحيث يعرف مكونات لغته عن طريق حفظه للقرآن الكريم وسوره من خلال ذهابه للمساجد

والزوايا التي تعد الملجأ الأول له، وبعدها ينتقل إلى السنة الأولى ابتدائي وهذا هو موضوعنا في هاته الدراسة سنتعرف على هاته النقاط:

تعريف القرآن الكريم، تعريف الاكتساب، الملكة اللغوية عند ابن خلدون، عند عبد الرحمان الحاج صالح، آليات تحصيل الملكة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي.

1- تعريف القرآن الكريم:

أ/ لغة: «التنزيل العزيز وقرأت الشيء قرأنا: جمعته وضمته بَعْضَهُ إلى بعض...القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يُؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن...وسمي القرآن لأنه جمع القصص والآيات والسور بعضها إلى بعض»¹

ب/ اصطلاحاً: القرآن هو «كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه»² يعني هذا أن القرآن الكريم نزل على النبي عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام، وقد حُفظ بالكتابة وكتبت المصاحف في عهد عثمان بن عفان كما جعل الله تعالى لكتابه هذا قابلية كبيرة لحفظه.

2- تعريف الاكتساب:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب مادة كسب: «الكَسْبُ: طلب الرزق، وأصله الجمع. كَسَبَ يَكْسِبُ كَسْبًا، وَتَكَسَّبَ وَاكْتَسَبَ... وَاكْتَسَبَ تَصَرَّفَ واجتهد قال ابن جني: قوله تعالى: "لهما كسبت وعليها ما اكتسبت" سورة البقرة الآية 286»³ ويتحدّد عند ابن فارس في مُعجم مقاييس اللغة: «الكاف والسين والباء أصلٌ صحيح وهو يَدُلُّ على ابتغاء وطلب وإصابة. فالكسب من ذلك. ويقال كَسَبَ أَهْلُهُ خَيْرًا وَكَسَبَتِ الرَّجُلَ مَالًا فَكَسَبَهُ»⁴

ب/ اصطلاحاً: يعرفه حسن شحاته بأنه: «زيادة أفكار الفرد أو معلوماته، أو تعلمه أنماطاً جديدة للاستجابة، أو غير استجابته القديمة، كما تُعنى نمواً في مهارة التعلم أو

النضج أو كليهما. والمكتسب هو: وصف للخصائص والاستجابات غير الفطرية التي يتعلمها الإنسان بالخبرة»⁵

واكتساب اللغة يكون بطريقة غير مباشرة أي يكون بشكل تلقائي من بيئة المتعلم.

3- تعريف الملكة اللغوية:

لغة/ يقول ابن منظور في مادة (م ل ك) في باب الكاف فصل الميم: «الملك هو الله تعالى، وتقدس مُلْكك... ويقال: فلان حسنُ المَلَكَةِ إذا كان حسنُ الصُّنْعِ إلى ممالِكِه والحديث: حُسْنُ المَلَكَةِ نماء»⁶

3- الملكة اللغوية عند ابن خلدون: كما نجد هذا المصطلح مُستعملا عند العلامة

ابن خلدون عند حديثه عن قضايا اللسان وبالضبط في الفصل الخامس والأربعين "علوم اللسان العربي (اللغة، النحو، البيان، الأدب) فيقول عن اللغة: «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة في العضو الفاعل لها وهو اللسان»⁷

يعني هذا أن ابن خلدون يرى أن اللغة موجودة عند كل مجتمع، وأشار إلى أن الملكة متعلقة باللغة فأى شخص يُتقن لغته الأم جيدا تصبح له ملكة وهو ما وُجد عن العربي بالسليقة.

كما يشير أن الذي يستطيع التعبير عن مقاصده ومعاني الكلام متعلق بتمام أو نقصان الملكة فيقول: «اعلم أن اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها»⁸

كما أعطى للاستعمال أهمية بالغة حيث يقول: «إنّ ملكة هذا اللسان في صناعة العربيّة ومستغنية عنها في التعليم»⁹

لأن الصناعة هي المعرفة العلمية لقوانين هاته الملكة ونقصد بالصناعة قد يعرف الإنسان صنعة وحرفة ما نظريا لكن لا يستطيع تطبيقها، وليست الملكة في حدّ نفسها أو ما يسمى بالمعرفة العملية.

والملكة تخضع لشروط معينة حيث يقول ابن خلدون: «والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأنَّ الفعل يقع أولاً وتعودُ منه للذات صفةً، ثم تتكرر فتكون حالاً. ومعنى الحال أنَّها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة»¹⁰ يعني هذا أنَّ الملكة تكون عادة حتى تصير عند المتعلم صفة تتكرر ثم حالاً تتكرر إلى أن تصبح ملكة.

4- مفهوم الملكة عند عبد الرحمان الحاج صالح: لقد تطرق عبد الرحمان الحاج

صالح للملكة اللغوية عند حديثه عن حصول الملكة عند الطفل المتعلم التي يكتسبها هذا الأخير في مراحل التعليم الأولى يقول الحاج صالح في هذا الصدد:

1/ «إنَّ ما يحاول الطفل اكتسابه من العمليات الكلامية هو النطق بما تدركه أذنه من الأصوات اللغوية. أي يُسمع صراحاً له علاقة بأحواله الجسمية. أما في هذه الحالة فإنَّه يردد صوته ويرجعه على شكل لهللة وهديل متواصل يحدث فيهما أصواتاً مقطعة شبيهة بالمخارج اللغوية الحقيقية، وإن كانت محدودة العدد، ويوفِّق الطفل شيئاً فشيئاً في إحداثها بجعله بدون ما شعور منه نفسه وحركاته اللفظية خاضعة لحاسة سمعه»¹¹

يعني هذا أنَّ الطفل يكتسب اللغة الأم من خلال سمعه للأصوات الموجودة في الخارج حيث يؤكد هنا الحاج صالح أثر السمع في اكتساب الملكة.

2/ «قبل أن ينتهي الطفل من اكتساب أهمَّ المخارج التي تحتوي عليها لغة أبويه يظهر على لسانه لأول مرة (وعمره ما بين 15 و20 شهراً) كلام لا يفهمه إلا أقرباؤه وهو ما يسمى بالمناعة أو الإلغاء وسيطول استعماله لهذه المناعة إلى أن يبلغ ثلاثة أعوام من عمره، تقريباً، ويبدأ في هذه المرحلة بإحداث ألفاظ تتألف من حرفين متحركين فقط، وهي ألفاظ غير ثابتة في لغة الراشدين طبعاً، بل هي في الحقيقة هدير أكثر مما هي كلام وتجري عنده مجرى الجمل المفيدة عند غيره. ثم يشرع بعد مدة في ضمَّ هذه الكلمات، وليس بينها أي رابط من الروابط اللفظية ولا يدخل فيها أية أداة من الأدوات النحوية التي يستعملها الراشد»¹²

يُمكن القول أن الطفل يبدأ نمو مهارته اللغوية في مرحلة المناغاة وبعدها يكون فيها تدرج إلى أن يقوم بتأليف بين الأصوات والألفاظ.

3/ «ينقطن الطفل شيئاً فشيئاً في أثناء نموّه الفكريّ اللغويّ إلى وجود علاقات من نوع آخر غير الدلالية وغير النقطعية، وهي العلاقات البنوية التي تربط بين الحروف وتنشأ منها الكلم فيما بينها فينشأ منها الكلام»¹³

وفي هاته المرحلة يُمكن للطفل الربط بين الحروف التي ينشأ بواسطتها الكلم وبهذا يشير الحاج صالح إلى مرحلتين من تعليم اللغة: «1- مرحلة يكتسب فيها المتعلم تدريجياً الملكة اللغوية الأساسية أيّ القدرة على التعبير السليم العفوي.

2- مرحلة يكتسب فيها المهارة على التعبير البليغ»¹⁴

في هاته الحالة يجب على المتعلم أن يكتسب مهارة التعبير بواسطة الكلمات وبعدها الربط بين الكلمات والجمل والحصول على تعبير فني بليغ.

وهنا لا بد على المعلم من امتلاكه للملكة اللغوية التي يحاول غرس مبادئها لدى متعلميه وكذا الاطلاع على مستجدات البحث اللساني الحديث من طرائق ومناهج.....

أما مفهوم الملكة عند نعوم "شومسكي" صاحب النظرية التوليدية التحويلية تقوم على الكفاية اللغوية وهي القدرة على إنتاج الجمل والأداء اللغوي وهو تبليغ هاته القدرة يعني الاستعمال، الكلام. ويرى صاحب النظرية وهو يتفق مع "عبد الرحمان الحاج صالح" في أن الطفل يولد وهو مزود بقدرة فطرية تؤهله لاكتساب اللغة.

5- آليات تحصيل الملكة اللغوية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي:

مصادر التحصيل اللغوي:

أ/ المساجد والزوايا: لقد أثبتت العديد من الدراسات أن لحفظ القرآن الكريم أثراً على تحصيل التلاميذ لبعض المواد كاللغة العربية والتربية الإسلامية خصوصاً في مرحلة التعليم الابتدائي فهو يعمل على: «الاستنباط والاستنتاج للأحكام القرآنية والصلة بين آيات القرآن الكريم، كما ينمي مهارات التعبير وسلامة الأسلوب واتساع

الثقافة... وأن هناك علاقة إيجابية بين حفظ تلاميذ الابتدائي للقرآن الكريم وتلاوته ومستواهم في مهارة القراءة الجهرية والقراءة الصامتة وفهم المقروء... إن حفظ القرآن الكريم وتلاوته له علاقة بالكتابة أيضا، وليس فقط بالقراءة... بل و يتعدى الأمر لأن يقتصر أثر حفظ القرآن الكريم على القراءة والكتابة ليتجاوز ذلك إلى الإملاء أيضا»¹⁵ إضافة إلى تكوينه للعديد من المهارات عند التلاميذ هي فصاحة اللسان وتقوية الحفظ والتذوق الأدبي والثروة اللغوية وإكساب السلوك الديني.

وقد أكد ابن خلدون شعارا من شعائر الدين وقد عمل به المسلمون من قبل حيث يقول: «أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه، يكون من حال ما ينبنى عليه»¹⁶

ويرى ابن خلدون بأنه من الضرورة تحفيظ القرآن للمتعم في السنوات الأولى من تعليمه لأن في هاته الفترة تكون القدرة في نشاط وفاعلية، أما قضية الحفظ فإن الطفل يستطيع حفظ السور مثلا الفاتحة وبهذا يشكل له الحفظ ذخيرة لغوية تساعد الطفل على النمو اللغوي بشرط أن يكون المحفوظ مرتبطا بموقف أو الكائنات الحية: «أن يفهم الطفل ما سيحفظه قبل أن يحفظ، وما خفي من المعاني يقرب للطفل، ويا حبذا لو عرف مناسبة الآية أو الآيات. ألا يكون معظم ما يحفظه مما يصور العقاب والموت وما بعده من عذاب وشقاء، فالطفل قادم إلى الحياة وليس موشكا على تركها ومن الأصوب أن ترتبط الآيات التي يحفظها على دعم فكرة حب الله»¹⁷

لكن هناك شيء مهم وهو لا بد من مراعاة طاقة واستعداد الطفل للحفظ، فيجب أن لا نرهقه ويقوم المعلم في المدرسة القرآنية بتحفيظ متعلميه وذلك بأن: «يقرأ الآيات قراءة نموذجية مرة أخرى ويتبعه التلاميذ فيقرأون واحدا بعد واحد، حتى يتقنوا التلاوة.

إظهار حروف الفلقة وهي القاف، والطاء، والباء، والدال، والجيم، وإظهار حروف الحلق وهي الهمزة، والهاء والعين، والغين، والحاء، والخاء، عقب التنوين... وضرورة التسكين حيث الوقف والتحريك الدائم في غيره»¹⁸

خاتمة: إنّ الأهمية التعليمية للغة تتضح لنا من خلال تاريخ الأمم التي سادت حتى ملكت وضعفت حتى انمحت، وكانت مرآة تعكس وجودها فارتقت بريقها وضَعفت بضعفها، فاللغة كمظهر اجتماعي يخضع للنشوء والارتقاء واللغة العربية تُحاول قطع مراحل متقدمة في بحوثها ودراساتها بواسطة أبنائها والقرآن (لسان الإسلام الناطق) هو الذي حفظها من الضياع، فلا بد أن يحرص الفرد في المجتمع المعلم لوحدته والمدرسة..... على حفظه ونقله للأجيال بالتعبد والتلاوة والتعلم والحفظ في الصدور والسطور.

الملاحق:



أَطِيعُ وَالِدَيْ

أَلَا حِطُّ وَأَعْبَرُ



أَسْتَنْجِعُ

أَطِيعُ أَبِي وَأُمِّي لِأَنَّهُمَا رَبِّيَانِي وَتَعِبَا مِنِّي أَجْلِي .
أَتَحَدَّثُ مَعَ وَالِدَيْ بِأَدَبٍ .

أَحْفَظُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وَقُلْ رَبِّ إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْإِنشِرَارِ آيَةُ ٥٥

موقع
المراسلة الإلكتروني
www.eddirasa.com



قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي، المقامة، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ، 1427، 2007.
- 2- أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية، عماد بن سيف بن عبد الرحمان العبد اللطيف، ط01، دار التغيير، 1435هـ، 2014م.
- 3- بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، 2012.
- 4- علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ط01، 1414هـ، 1993هـ، الصبان، دمشق.
- 5- لسان العرب، ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دط، دبت، دار صادر، بيروت، ج01.
- 6- معجم المصطلحات التربوية النفسية، حسن شحاته، زينب النجار، ط01، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، رمضان، 1424هـ، أكتوبر 2003م.
- 7- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن زكريا) تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، مجمع العربي الاسلامي محمد الداية، 1399هـ 1979، ج05.
- 8- مقدمة ابن خلدون، طبعة الشعب، القاهرة.

الهوامش:

- 1- لسان العرب، ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، د.ط، د.ت، دار صادر بيروت، ج01، ص128، 129.
- 2 - علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ط01، 1414هـ، 1993هـ، الصبان، دمشق، ص10.
- 3 - لسان العرب ابن منظور، (مرجع سابق)، ج01، ص716، 717.
- 4- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن زكريا) تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، مجمع العربي الاسلامي محمد الذاية 1399هـ، 1979، ج05 ص179.
- 5 - معجم المصطلحات التربوية النفسية، حسن شحاته، زينب النجار، ط01، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، رمضان، 1424هـ، أكتوبر 2003م، ص286.
- 6 - لسان العرب ابن منظور، (مرجع سابق)، ج10، ص491، 493.
- 7 - ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي، المقدمة، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، ، 1427، 2007، ص598.
- 8 - المرجع نفسه، ص607.
- 9 - المرجع نفسه، ص612.
- 10 - المرجع نفسه، ص607.
- 11 - بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، 2012 ص215.
- 12 - المرجع نفسه، ص216.
- 13 - المرجع نفسه، ص217.
- 14 - المرجع نفسه، ص225.
- 15 - أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية، عماد بن سيف بن عبد الرحمان العبد اللطيف، ط01، دار التغيير، 1435هـ، 2014م، ص35، 38.
- 16 - مقدمة ابن خلدون، طبعة الشعب، القاهرة، ص505.
- 17 - أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية، عماد بن سيف بن عبد الرحمان العبد اللطيف، (مرجع سابق)، ص461.
- 18 - المرجع نفسه، ص467.

مرونة اللغة العربية بين أصالة الكتاتيب والاستعمال الرقمي

داه. حياة كاسي

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

الملخص: ترجع أهمية اللغة العربية إلى ما تؤديه من دور مهم في حياة الفرد والمجتمع فهي وسيلة الاتصال وإدراك الحاجات وتحصيل المآرب ، كما أنها وسيلة التعبير عن الآمال والآلام والعواطف ، ووسيلة تسجيل للثقافة ونقلها من بين الأجيال كما أنها وسيلة تحصيل المعرفة وأداة التعليم والتعلم، ولما كانت كذلك فإن الإنسان لا يولد متكلماً بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه، وتعد الكتاتيب المقوم الأول للسان، وذروة الفصاحة والبيان وتساعد الفرد على حفظ قواعد اللغة العربية، فيؤثر في سلوك أبنائه وطرائق تفكيره، كما تكتسب اللغة عبر الوسائط الرقمية المتعددة من حواسيب وشابكات إلكترونية، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال التالي: ما دور الكتاتيب في اكتساب اللغة العربية، وما تأثير الوسائل التكنولوجية عليها؟

تعد اللغة العربية من أقدم اللغات الحية على وجه الأرض على اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة فاللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، نبتت من أرض واحدة وإن " اللغة العربية اختارها الله لتكون وعاء لكتابه الخالد (القرآن الكريم) ولا شك أنها لغة تتربع على عرش الألسنة واللغات وتلك مفخرة لنا نحن العرب أهل الفكر والثقافات شريين وغربيين"¹.

ويقول عبد الوهاب عزام: "العربية لغة كاملة محببة عجيبة تكاد تصور ألفاظها مشاهدة الطبيعة، وتمثل كلماتها خطوات النفوس وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ كأنما كلماتها خطوات الضمير، ونبضات القلوب، ونبرات الحياة"².

لذا فلغتنا العربية تحل مكانة كبيرة في نظر المستشرقين المنصفين: يقول المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيوس) عن اللغة العربية: " وباستطاعة العرب أن

يفأخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له³.

ويقول المستشرق الأمريكي (وليم ورل): "إن اللغة العربية تملك من اللين والمرونة ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي"⁴.

وبعد فتلك شهادات عربية وأجنبية بحق اللغة العربية، "وليس هناك من لغة تحمل اللغة العربية من سعة أفاق رحبة، وهذا عنصر من عناصر ديمومتها وعالميتها"⁵

1- مرونة اللغة العربية: تكتسب اللغة العربية مفردات وفيرة، وكل مرادف ذو دلالة جديدة، فالأسد له أسماء كثيرة ولكل واحد منها معنى يختص به، وما من حيوان أو جماد أو نبات إلا وله الكثير من الأسماء والصفات، مما يدل على غنى هذه اللغة الرائعة و"لأنواع الحزن والأسى معان متعددة، ولليوم الآخر - على سبيل المثال - أكثر من ثمانين اسما، عددها ابن قيم الجوزية"⁶

قال الشافعي: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثره ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالألسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فرق علم كل واحد منهم، ذهب عليه الشيء منها"⁷.

2- مفهوم الكتاتيب:

أ- **التعريف اللغوي:** جاء في لسان العرب لابن منظور المكتب والكتاب موضع تعلم الكتاب، وجمع كتاب كتاتيب، والمكتب موضع التعليم القرآني "⁸

ب- **التعريف الاصطلاحي:** المقصود بالكتاب أو الكتاتيب "المدارس المخصصة لحفظ القرآن، والتي غالباً ما تكون ملحقة بأحد المساجد، وهي عبارة عن قاعات صغيرة كثيراً ما تكتظ بأطفال لهم أعمار متفاوتة، يجلسون على الأرض أمام معلمهم

الشيخ أو الطالب ويقرؤون القرآن بهدف حفظه إما من المصحف أو لوحة خشبية وغالبا ما يكتب الطفل على سورة بأكملها أو عدة آيات من القرآن الكريم، ثم يكرر قراءتها حتى يحفظها عن ظهر قلب ثم يستظهر ما حفظه أمام شيخه (معلمه) الذي يؤشر له بالحفظ، وإذا وافق الشيخ على الحفظ ذهب الطفل (التلميذ) ومحي لوحه استعداد لحفظ آيات أخرى، وهكذا يتم الحفظ حيث تحدث منافسة بين الأطفال في الحفظ، ويتفاوتون في ذلك حسب استعداداتهم وظروفهم النفسية والاجتماعية⁹

3- نشأة الكتاتيب: انطلق العمل بفكرة إنشاء الكتاتيب في وقت مبكر في تاريخ الإسلام، وذلك في السنة الثانية من الهجرة النبوية ونشوء الدولة الإسلامية، وهذا ما توضحه الرواية المشهورة التي فيها: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل فداء بعض الأسرى بدر ممن لا مال لهم، أن يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة فيخلى سبيله فكان ممن تعلم منهم زيد بن ثابت وأصاف (ابن كثير): أن غلاما من هؤلاء المتعلمين جاء إلى أمة يبكي فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضربني معلمي¹⁰

ولم يقتصر هذا التعليم الابتدائي الأساسي في الكتاتيب على الغلمان الصغار، بل اتسعت هذه الفكرة لتشمل الكبار من الرجال الأميين، ويدل على ذلك ما هو مروى عن (عبد الله بن العاص) أن النبي ﷺ أمره أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبنا محسنا¹¹

ويؤكد هذا ما قاله (عبادة بن الصامت) "علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن¹²

وذكر الكتابي "أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يسلمون شيوفا وكهولا وأحداثا، وكانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنن¹³

وبعد انطلاق فكرة التعليم الابتدائي وتعليم الكبار في العهد النبوي، توسع العمل بذلك في عهد (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، مما يدل على هذا: أن أطفال الكتّاب في المدينة النبوية خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميس، لاستقبال أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب (ض) عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير

على الأقدام - في الذهاب والإياب - عناء شديد، فأشار (عمر بن الخطاب) (ض) ألا يذهب الأطفال إلى الكتاب في يوم الجمعة التالي، ليستريحوا مما نالهم، وصار الأمر بعد ذلك عادة متبّعة، في أن يكون يوم الجمعة يوم راحة وإجازة، ليس للأطفال الكتاتيب وحدهم، بل لسواهم من المشتغلين في دواوين الدولة وإدارتها..¹⁴

4- **طرق ومناهج التعليم في الكتاتيب:** كانت طريقة التعليم في الكتاتيب، يبدأ الطفل حفظ الحروف الهجائية سماعا ثم يشرع في حفظ سورتها ويشكل كتابتها: فإن أحكم الطفل حفظ الحروف مرتبة وأدرك شكلها وصورتها، يشرع في حفظ قصار الصور¹⁵.

فالطفل في كل مرة يردد ما سمعه ولا يكتب ما سمع حتى يتحقق معلمه من صحة نطقه على الوجه الصحيح، والشأن أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد حفظه وحين يفرغ التلميذ من كتابة القدر الذي أذن له فيه معلمه، ثم يسلم اللوح لمعلمه ليراجع هيئة الحروف ويتأكد من سلامة كتابتها وغالبا يكون التصحيح متبوعا بقراءة جماعية من قبل المعلم ليتذكر التلميذ ما سمعه من قبل.

فإن فرغ التلميذ من كتابة اللوح وتصحيحه، يأخذ له مكان مع أقرانه ليراجع فيه المكتوب عدة مرات حتى يحفظه، ويكون العرض على المعلم بعد صلاة العصر غالبا. فإن أحكم التلميذ قراءة ما كتبه وعرضه على معلمه عرضا جيدا، أذن له معلمه من محو اللوح ليكتب في صباح اليوم الثاني لوحا آخر وهكذا في ذلك حتى يختم القرآن الكريم.

ودار "منهج التعليم في الكتاتيب بعدة برامج فيبدأ في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر تحديدا إلى وقت الضحى لعرض المكتوب واستظهاره بالنسبة للكبار، وكتابة الجديد بالنسبة للصغار"¹⁶.

وعند الضحى استراحة لتناول فطور الصباح بعد محو الألواح، ثم بعد ذلك يكتب اللوح الجديد ليراجع كتابته إلى ما بعد صلاة العصر، فأن حفظه وبقي له متنسح من الوقت راجع ما سبق.

وبعد صلاة الفجر حتى إشراق الضحى يعيد التلميذ حفظ ما كتبه بالأمس، حتى يثبتته ليعرضه على معلمه ثم يمحيه وهكذا حتى يختم القرآن كله.

فإذا " ختم القرآن الكريم حفظا وكتابة، يرجع مرة أخرى إلى حفظه وكتابته، وهو ما يسمى (بالسلكة)¹⁷

فيبدأ بسورة الفاتحة، فالبقرة، فال عمران، وهكذا إلى سورة الناس، وتكون الكتابة "ربع الحزب أو نصفه حسب استعداد التلميذ وذكائه وقدرته على الحفظ، وتتكرر السلكات حتى يحفظه حفظا جيدا"¹⁸

5- **خصائص التعليم الكتابي:** يتميز التعليم الكتابي بعدة خصائص تميزه عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة، ويمكن إيجازه أهمها فيما يلي¹⁹:

1- إمكانية التعليم الكتابي بجميع أفراد الفئات الاجتماعية بما فيها الغنية والفقيرة؛
2- شعبية التعليم الكتابي، معناه أن هذا التعليم مرتبط بمناطق ظهور التجمعات السكانية مهما كان مستواها الاقتصادي؛

3- التعليم الكتابي لا يتطلب نفقات تسيير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط؛

4- إن التعليم الكتابي عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها؛

5- ارتكاز هذا النوع من التعليم على اتجاهات نفسية دينية لدى المعلم وهذه الاتجاهات توفر جوا خالصا للعمل والفاعلية؛

6- إن التعليم الكتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية؛

7- ارتباط التعليم الكتابي في نشأته وتطوره بالمجتمعات العربية الإسلامية، حيث كان الكتاب وسيلة حيوية من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛

8- إن الوسائل التربوية المستخدمة كاللوحه، والحبر المحلي، وأدوات المحو... الخ، هي أدوات زهيدة التكاليف، يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛

9- إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا لأن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجملاء وحماة حفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية. كان الهدف من إنشاء الكتاتيب قد تمثل في تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة وحفظ تعليم الأطفال القرآن الكريم.

تعتبر المدرسة القرآنية مؤسسة من مؤسسات الناشئة الاجتماعية ولها دور مهم في تربية النشء، ولذلك أعطت المدرسة القرآنية الدور الرفيع في توسيع مدارك الأطفال وتعليم تعاليم دينهم وتجعل منهم زيادة على كونهم متعلمين وحفظة القرآن.

التقدم التكنولوجي الكثير الذي يعرفه العالم اليوم، أصبح يفرض إضافة جديدة للعملية التعليمية التربوية عامة، بما يدعى بأساس التكنولوجي في تصميم المناهج التربوية، وهو يشير استخدام التطبيقات التكنولوجية وللإفادة منها في إدارة وتنظيم العملية التعليمية.

لقد أصبح للمدرسة بفضل تكنولوجيا المعلومات "محاكاة الواقع الخارجي داخل أسوار المدرسة، بعد أن توافرت للطالب وسائل عديدة للتواصل المباشر مع مصادر المعرفة، ولقد قلت حاجتنا لأن نجزئ ونبسّط ونختزل واقع الحياة، فيمكننا الآن تمثيل هذا الواقع داخل قاعات دروسنا"²⁰ إذا كسرت تكنولوجيا المعلومات احتكار المدرسة مهمة نقل المعرفة، ولم يعد التعليم هو المرادف للتعليم العفوي بل ظهر التعليم الإلكتروني elearining ليصبح وسيلة نظامية لتوصيل الأفكار.

وردمن تعريفات في المعاجم المعاصرة، **التعلم** أن تحصل أو تكسب معرفة عن موضوع، أو مهارة عن طريق الدراسة أو الخبرة أو التعليم، أما **التعليم** فقد ورد عنه في المعاجم أنه: مساعدة شخص ما على أن يتعلم كيف يؤدي شيئا ما، أو تقديم تعليمات أو التوجيه في دراسة شيء ما، أو التزويد بالمعرفة"²¹ فمهمة التعليم تقتصر على استعمال الوسائل المتواضع عليها قديما في الوصول إلى المعنى.

6- **تعريف التعليم الإلكتروني:** قال (هورتن Horton - 2003) المفهوم الشامل للتعليم الإلكتروني بأنه أي استخدام لتقنية الويب والانترنت لإحداث التعلم، وعرفه الموسى أنه طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشابكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة، ورسومات وآليات بحث، ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الشبكة العالمية للمعلومات سواء كان من بعد أم في الفصل الدراسي " ²² فالمقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة ، ويعرفه حسن زيتون (2004) بأنه : "تقديم محتوى تعليمي إلكتروني عبر الوسائط المعتمدة على الحاسب وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى في المكان والوقت والسرعة التي تناسبه وكذلك التفاعل مع المعلم وكذا إمكانية إتمام هذا التعلم في الوقت والمكان والسرعة التي تناسب ظروفه وقدراته فضلا عن إمكانية إدارة هذا التعلم إلكترونيا " ²³ ومن خلال هذه التعريفات يعد تعريف حسن زيتون من أفضل وأبسط التعريفات.

- **التعليم المبرمج :** هو تعليم ذاتي يسعى فيه إلى وضع ضوابط على عملية التعليم وبذلك التحكم في مجالات الخبرة التعليمية وتحديدها بعناية وترتيب تتابعها في مهارة ودقة بحيث يقوم الطالب عن طريقها بتعليم نفسه بنفسه، واكتشاف أخطائه وتصحيحها حتى يتعلم ويصل المتعلم إلى المستوى المناسب من الأداء" ²⁴ حقق التعليم المبرمج سرعة تعلمه وفقا لما لديه من خبرات ومهارات مما أصبح يطلق عليه التعليم عن بعد والذي يتعلم فيه الطالب في أي مكان دون الحاجة لوجود المدرسين بصفة دائمة.

7- أنواع التعلم الإلكتروني:

أ- **التعلم الإلكتروني المتزامن: synchronous e- learning** : هو التعلم الذي يحتاج إلى ضرورة وجود المتعلمين والمعلم في نفس الوقت حتى تتوافر عملية التفاعل المباشر بينهم، كأن يتبادلا الإنسان الحوار من خلال المحادثة، أو تلقي الدروس من خلال الفصول الافتراضية " ²⁵ يتميز التعليم الإلكتروني بحضور الطرفين المعلم والمتعلم.

ب- **التعلم المدمج: blended learning**: هو التعلم الذي يستخدم فيه وسائل اتصال متصلة معاً لتعلم مادة معينة وقد تتضمن هذه الوسائل مزيجاً من الإلقاء المباشر في قاعة المحاضرات والتواصل عبر الإنترنت والتعلم الذاتي²⁶ يمكن القول أن التعلم المدمج يشترط التواصل بالإنترنت.

8- **خصائص التعليم الإلكتروني**: ينفرد التعليم الإلكتروني عن غيره من أنماط التعليم التقليدي ببعض السمات الخاصة أو الخصائص المتعلقة بطبيعته وفلسفته والتي يمكن عرضها فيما يلي:

- الكونية: حيث إمكانية الوصول إليه في أي وقت ومن أي مكان، ودون حواجز والتمثلة في ربط شبكة الإنترنت العالمية

- التفاعلية: حيث التفاعل بين محتوى المادة العلمية والمستفيدين من طلبة ومتعلمين والتعامل مع أجزاء المادة العلمية والانتقال المباشر من جزئية إلى أخرى

الفردية: حيث يتوافق وحاجات كل متعلم، ويلبي رغباته، ويتماشى مع مستواه العلمي، مما يسمح بالتقدم في البرنامج أو التعلم وفقاً لسرعة التعلم عند كل فرد²⁷

ومن أبرز محركات التعلم الإلكتروني الاتصال بمدارس إلكترونية، البريد الإلكتروني برمجيات عرض المعلومات المحوسبة

9- **رقمنة تعليمية اللغة العربية**: تعمل وزارة التربية الوطنية حالياً على اختيار

السيورات الرقمية التفاعلية في بعض المؤسسات التعليمية النموذجية وذلك في إطار "رقمنة القطاع في الوقت الذي يستفيد كل²¹ تلميذ في التعليم الثانوي بحاسوب، وذلك

في إطار رقمنة القطاع وإنشاء مخابر الإعلام الآلي، حيث من المرتقب أن تستسلم المؤسسات التعليمية 26819 حاسوب"²⁸ وكان الهدف من وراء ذلك منح الفرصة

لكل تلميذ من استعمال الحاسوب والاستفادة من خدماته، وأوضحت وزارة التربية أنها تطمح إلى تيسير العمل البيداغوجي والإداري، وإنجاز دروس متعددة الوسائط على

شبكة الإنترنت والأفراس المضغوطة، وتعمل وزارة التربية الوطنية على "إعداد برامج تعليمية تكنولوجيا الإعلام والاتصال في التربية، واستعمالها في مختلف الأطوار

التعليمية، بالإضافة إلى تكوين الأساتذة ومساعدتهم على تطبيقها، كما سيتم العمل على الإسهام في نشر المحتويات الإعلامية المتعددة الوسائط أو كل تطبيقات الإعلام الآلي²⁹ فالوصول إلى عالم الرقمنة يتطلب جهود كل من المختصين والمتعلمين في مجال الحوسبة وأيضا يحتاج إلى دعم المسيرين.

ويمكن استخدام الحاسوب لتدريس اللغة العربية في المجالات التالية:

1- **الاستيعاب:** هناك بعض البرمجيات المصممة بحيث يظهر نص على الشاشة ويولي ذلك أسئلة موضوعية من نوع ملئ الفراغ أو صح أو خطأ، أو اختيار من متعدد أو يسأل عن كلمة من النص.

2- **معالجة النصوص:** هنا يقوم البرنامج بتحديد جملة من النص ثم يقوم بترتيبها عشوائيا، ويطلب من المتعلم إعادة بناء الجملة بشكلها الصحيح، أو يمكن عرض نص وقد حذفت منه بعض الكلمات ويطلب من المتعلم كتابة الكلمات المناسبة في كل مكان أو اختيار الكلمة المناسبة من ضمن قائمة تظهر على الشاشة.

3- **سرعة القراءة:** يمكن تطوير مهارة الطلبة في القراءة السريعة، وتجنب القراءة كلمة - كلمة - باستخدام برمجيات خاصة يستخدم عنصر التوقيت فيها، حيث يتم عرض النص على الشاشة لفترة زمنية محددة وبعدها يختفي النص وتظهر أسئلة ليجيب عليها الطالب.

4- **الكتابة:** تستخدم برامج معالجة النصوص في الكتابة، حيث تمنح المتعلم الحرية في معالجة النص كالتصحیح الفوري والتدقيق الإملائي، والترجمة، واستخدام مختلف أنواع الخط، وحفظ الصفحات وإمكانية تعديل الكلمات وتبديلها وتنسيقها وكذلك التحكم بالفقرات³⁰.

بالإضافة إلى ذلك هناك بعض البرامج الحاسوبية التي ظهرت لتعليم قواعد اللغة العربية كأقسام الكلام، وإعراب الجمل واستخلاص لجذور، وتصريف الأفعال واشتقاقه ويمتاز استخدام الحاسوب في التعليم بميزات عدة منها: "توفير فرص كافية للمتعلم للعمل بسرعه، وقدراته الخاصة مما يكسبه بعض مزايا تفريد التعليم وتزويد المتعلم

بتغذية راجعة فورية، التشويق والمرونة باستخدامه بالمكان والزمان والكيفية المناسبة للمتعلم، الاسهام بزيادة ثقة المتعلم بنفسه، وتنمية المفاهيم الإيجابية للذات".³¹

10- **عملية التعليم عن بعد:** لقد عرفت الشبكة العالمية لتبادل المعلومات انتشارا سريعا فانقا لتولد مواقع التواصل الاجتماعي، ويعتبر "الفيسبوك" أحد هذه المواقع وأصبح وسيلة بالغة الأهمية بالنسبة للطلبة والأساتذة لتختصر عليهم الجهد والوقت وأيضا لسهولة الولوج إليها، ومن أهم الفوائد المحققة:

1. التعاون في أداء الواجب المدرسي؛
2. إعطاء صور توضيحية عن الرسوم والخرائط؛
3. يمكن الطالب من التواصل مع الأستاذ بغية طرح الأسئلة وتبادل الحوار؛
4. يمكن الطالب من الحصول على نماذج الامتحانات ليسهل عليه المراجعة.

كما تتضمن شبكات التواصل الاجتماعي مخاطر من أهمها:

- التعرض قضاء وقت طويل جدا على الإنترنت، وعدم الموازنة بين الأنشطة المختلفة.

- لمحتوى غير لائق.

لذا لا بد أن يكون أولياء الأمر على يقين بأن التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت لن يؤدي إلى حدوث نوع من التواصل غير المسموح به، لما قد يتسبب به من ضرر بالغ في حياة الأطفال".³²

ولكي يصبح دور المعلم مهما في توجيه طلابه الوجهة الصحيحة للاستفادة

القصوى من التكنولوجيا على المعلم أن يقوم بما يلي :

- أن يعمل على تحويل غرفة الصف الخاصة به من مكان يتم فيه انتقال المعلومات بشكل ثابت وفي اتجاه واحد من المعلم إلى الطالب إلى بيئة تعلم تمتاز بالديناميكية وتتمحور حول الطالب حيث يقوم الطلاب مع رفقاتهم على شكل مجموعات في كل صفوفهم وكذلك مع صفوف أخرى.

- أن يطور فهما عمليا حول صفات واحتياجات الطلاب المتعلمين.

- أن يتبع مهارات تدريسية تأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات والتوقعات المتنوعة والمتباينة للمتعلمين.

- أن يطور فهما عمليا لتكنولوجيا التعليم مع استمرار تركيزه على الدور التعليمي الشخصي له .

- أن يعمل بكفاءة كمرشد وموجه حاذق للمحتوى التعليمي".³³

ومما لا شك فيه هو أن دور المعلم سوف يبقى للأبد وسوف يصبح أكثر صعوبة من السابق، لأن المعلم هو جوهر العملية التعليمية لذا يجب عليه أن يكون منفتحاً على كل جديد وبمرونة تمكنه من الإبداع والابتكار، ليكون قادراً على مجابهة التحديات والوقوف أمام متطلبات العصر وتحدياته وما يسمى بالعولمة وما تشكله من تحد ثقافي واجتماعي واقتصادي.

ومن خلال ذلك يمكن أن نجمل دور المعلم في عصر التقنيات بالمجالات الأربعة

التالية:"³⁴



1. تصميم للنظام التعليم ؛
2. توظيف التكنولوجيا ؛
3. تشجيع التفاعل بين الطلاب ؛
4. تطوير التعلم الذاتي عند الطلاب؛

5. المعلم موصل ومطور تعليمي ؛
 6. المعلم مشرف وموجه تربوي؛
- تطورت تقنيات التعليم خلال العقد الماضي بشكل سريع. وأصبح على المعلم أن يستخدم تكنولوجيا المعدات والأجهزة بفاعلية عند تقديم التعليم وهناك على الأقل خمس تقنيات يمكن للمعلم أن يستخدمها وهي:³⁵
1. المواد المطبوعة مثل: البرامج التعليمية، ودليل الدروس، والمقررات الدراسية
 2. التكنولوجيا المعتمدة على الصوت تكنولوجيا السمعيات (مثل) الأشرطة والبث الإذاعي، التلفونات.
 3. الرسوم الإلكترونية: اللوحة الإلكترونية، الفاكس.
 4. تكنولوجيا الفيديو مثل: التلفزيون التربوي، التلفزيون العادي، الفيديو المتفاعل وأشرطة الفيديو، أقراص الفيديو.
 5. الحاسوب وشبكاته، مثل الحاسوب التعليمي، مناقشات البريد الإلكتروني شبكة الإنترنت ومناقشات الفيديو الرقمي.
- وإذا أردنا لتربية تحقيق نتائج قيمة ومواكبتها للتطور التكنولوجي علينا أن نهتم ب:
- التهيئة الاجتماعية لدى أفراد المجتمع لتقبل هذا النوع من التعليم.
 - ضرورة إسهام الدروس في تصميم وإعداد هذا النوع من العلم.
 - وضع برامج لتدريس الطلاب والمدرسين والإداريين للاستفادة من تكنولوجيا المعلومات المعاصرة.
- تستج أن الكتاتيب (النموذج التقليدي)، مؤسسة تربوية وتعليمية، تعد كقاعدة تحضيرية للطفل قبل دخوله الرسمي للمدرسة، تعمل على إعداده نفسيا وتربويا لذلك نجد من الآباء والأمهات من اختار الكتاتيب مؤسسة الأمة الأصلية كقاعدة تربوية أساسية، ينطلق منها أطفالهم وفضلوها على غيرها من المؤسسات التربوية رغم إمكاناتها المحدودة وبساطة وسائلها، لهذا تعد المكان الرحيب لتحفيظ كتاب الله وتعليم القراءات فتخرج فيها كوكبة من العلماء.

قائمة المصادر والمراجع :

1. جلاش برون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تحقيق عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت، 1994.
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، دار المغرب الإسلامي ط01، لبنان 36.
3. أسيا لحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري العدد 07، 2007، تيزي وزو .
4. تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية للتوزيع ط01 2006، الجزائر.
5. جعفر يايوش، رقمنة تعليمية اللغة العربية في الوسط الجامعي قسم اللغة العربية جامعة مستغانم أتمودجا /07 /05 /2013.
6. حسن عبد الغني أبو غدة، وقف الكتاتيب (مدارس التعليم الابتدائي)، الجامعة الإسلامية 201، 2009.
7. خالد الجريسي، الألوكة، شبكة فكرية وثقافية، <http://www.alukah.net>
8. صفية بن زينة، دور الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغة العربية، جامعة حسبية بن بوعلي الشلف.
9. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 63، 07، 2008.
10. عبد الله الشافعي، الرسالة، مكتبة الحلبي، ط01، 1940، مصر.
11. لاري ماجد، دليل أولياء الأمور لاستخدام الفيسبوك.
12. محمد الشمري، التعليم الإلكتروني أنواعه وخصائصه، 2012/09/12.
13. محمد الفرماوي، العلم وطرق التدريس في ظل تقنيات التعليم الحديثة، جامعة عين الشمس السويس، 2009.
14. محمود السيد، التمكين للغة العربية آفاق وحلول، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 83، 2008 .
15. ميساء أحمد أبو شنب، تكنولوجيا تعلم اللغة العربية، إشراف الجبار الألوسي، منكرة الماجستير، الأكاديمية المفتوحة الدانمرك، ص66

16. نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 1994.
17. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلو في التفكير (إشكالية العنف والمصطلح) مدونة الأفراد الجزائرية، العدد 05، 2007.
18. يحيى بوعزيز، المساجد التقيية في الغرب الجزائري، منشورات APP، ط01 الجزائر.
19. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار النهضة، دت، مصر.

الإحالات:

- 1- ينظر: علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار النهضة، دت، مصر، ص 244.
- 2- عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 63، 2008، ص 07.
- 3- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 245.
- 4- محمود السيد، التمكين للغة العربية أفاق وحلول، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 83، 2008، ص 309.
- 5- مقومات العالمية في اللغة
- 6- خالد الجريسي، الألوكة، شبكة فكرية وثقافية، <http://www.alukah.net>
- 7- عبد الله الشافعي، الرسالة، مكتبة الحلبي، ط01، 1940، مصر، ص 42.
- 8- أسيا لحوسي رحوي، وضع التعليم غداة الاحتلال الفرنسي، جامعة مولود معمري العدد 07، 2007، تيزي وزو ص 73.
- 9- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ظاهرة الغلو في التفكير (إشكالية العنف والمصطلح) مدونة الأفراد الجزائرية، العدد 05، 2007، ص 57.
- 10- حسن عبد الغني أبو غدة، وقف الكتاتيب (مدارس التعليم الابتدائي)، الجامعة الإسلامية، 2009، ص 201.
- 11- المرجع نفسه، ص 201.
- 12- المرجع نفسه، ص 201.
- 13- المرجع نفسه، ص 203.
- 14- المرجع نفسه، ص 203.
- 15- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، دار المغرب الإسلامي، ط01، لبنان، ص 36.
- 16- المرجع نفسه، ص 39.
- 17- يحيى بوعزيز، المساجد النقية في الغرب الجزائري، منشورات APP، ط01، الجزائر ص15.
- 18- نفس المرجع، ص40.
- 19- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مطبعة الشركة الوطنية للتوزيع ط01، 2006، الجزائر، ص 236.
- 20- نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 1994، ص 381

- 21 - جلاش بروان، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تحقيق عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت 1994، ص29
- 22- محمد الشمري، التعليم الإلكتروني أنواعه وخصائصه، 2012/09/12، ص04
- 23- نفس المرجع، ص 05
- 24- محمد الفرماوي، العلم وطرق التدريس في ظل تقنيات التعليم الحديثة، جامعة عين الشمس السويس، 2009، ص12
- 25- محمد الشمري، التعليم الإلكتروني أنواعه وخصائصه، ص 07
- 26- نفس المرجع، ص 08
- 27- نفس المرجع، ص09
- 28- جعفر يابوش، رقمنة تعليمية اللغة العربية في الوسط الجامعي قسم اللغة العربية جامعة مستغانم أنموذجا 2013 /05 /07، ص 12
- 29- نفس المرجع ، ص 13
- 30- صفية بن زينة، دور الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغة العربية ، جامعة حسبية بن بوعلي الشلف ص14
- 31- ميساء أحمد أبو شنب ، تكنولوجيا تعلم اللغة العربية، إشراف الجبار الأوسي، مذكرة الماجستير الأكاديمية المفتوحة الدانمرك، ص66
- 32- لاري ماجد، دليل أولياء الأمور لاستخدام الفيسبوك، ص، 4
- 33- محمد الفرماوي، العلم وطرق التدريس في ظل تقنيات التعليم الحديثة، ص14
- 34- نفس المرجع، ص 15
- 35- نفس المرجع، ص 16

المسار التربوي لجمعية العلماء المسلمين من خلال جهود الكتاتيب وأثرها في تقويم سلوك الطفل الجزائري علما وأدبا

داه. بن مسعود قدور
جامعة ابن خلدون، تيارت

للإصلاح بوادر ونوافذ عديدة، تسعى لطمس معالم التخلف والجهل في ثنايا فئات المجتمع في مسارها التربوي، بيد أن الأمر يزداد فعالية وتحقيقاً لأثر إيجابي، إذا أيقن بوجود السبل والطرائق الكفيلة لنشر الوعي وأداء هذه الرسالة، أمام هذا المعترك الحساس وجدت الكتاتيب وانتشرت في ربوع وأرجاء الوطن إبان فترة الاستعمار الغاشم، فكانت بحق هذه الكتاتيب من خير السبل وأجدرها لتحقيق رسالة العلم والتربية إذ إن الغاية كملت بفضل نخبة من الأئمة والمدرسين فكانوا بحق صفوة الأغلبية الساحقة من الشعب، الذين سخرتهم الجمعية لأداء هذه المهمة النبيلة، فكيف تمكنت جمعية العلماء من بسط ونشر نهج الكتاتيب على فكر الطفل الجزائري بالرغم من حضور سطوة المستعمر في إقضاء الجهل ومحاربة كل بواذر التعلم والتربية؟

انه بالأحرى -في نظرنا- قبل تجلية جهود الكتاتيب في أولى الخطوات لترسيخ مبدأ التعليم والإرشاد، يستحسن نشر بعض المفاهيم في ذهن القارئ وهو يتابع تلك الجهود وان يقتنع بالمبدأ العام الذي تحوزه الكتاتيب في مفهومها ونشأتها وخصائصها من ثمة يمكن إدراك قيمة هذه المؤسسات التي تبدو صغيرة في منشأتها لكنها عظيمة في أهدافها وقيمتها العلمية، فما هي الكتاتيب لفظاً ومعنى؟

مفاهيم عامة للكتاتيب: لا يخلو أي لفظ من معنى يحمله مقصود لغاية، ذلك شأن كلمة كتب المكونة من حروف الكاف والتاء والباء، وأصل المعنى الذي يحمله معنى كتب هو الجمع، فالكتابة ما هي إلا مجموعة من الحروف التي جمعت من أجل أن تشكل لفظة ثم جملة ثم نصاً، فالكتاتيب إن لم يكن غايتها إلا الجمع، فليس لها غاية

أخرى غير ذلك، من أجل هذا الغرض جاءت الكتاتيب لتجمع عددا من الأطفال أو التلاميذ في مكان واحد لتسمو بهم بعد عدد من الأيام أو الشهور للوصول إلى مرتبة راقية قد تضع ذلك التلميذ بسبب صبره وقساوة العيش داخل الكتاتيب، في مكان قد يجلسه بين أعيان القوم وربما حتى ملوكها أو حكامها.

وردت هذه اللفظة في المعاجم بعدة معاني، ففي معجم المنجد في اللغة والإعلام صيغت لقصدها بقول: "الكتاب ج كتاتيب، جمع كاتب، موضع التعليم".¹

أما في أمهات المعاجم، وردت الكلمة في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة كتب بقوله: "والكتاب موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والكتاب الصبيان"² إن المفهوم اللغوي يظل حبيس معنى محدود، بيد أن معنى الكتاتيب تشمل دلالة واسعة، فما هي الكتاتيب عند أهل الإقراء والتجربة؟

يعرف إبراهيم ساسي الكتاتيب بقوله: "الكتاتيب جمع كتاب وهو موضع التعليم ويطلق عليها اسم المحاضر أو الجوامع لأنها تكون مرتبطة بجامع الصلاة، أي المسجد وهي نوعان:

1. كتاتيب قرآنية حرة تابعة لبعض الزوايا أو مدارس يشرف عليها بعض الشيوخ والمعلمين بدعم من أهل الإحسان أو بعض الأوقاف.
2. كتاتيب قرآنية تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وغالبا ما تكون قريبة من المسجد أو ملتصقة به.³

يتبين من خلال هذا التعريف أن للكتاتيب شأنًا ومرتبة في المجتمع، خاصة إذا أدركنا أن من ورائها أهل خبرة سواء من المهمة التعليمية أم مهمة التسيير المالي والإداري، ويركز كمال قادة في تعريفه للكتاتيب على المهمة التي تؤديها بحيث يقول: "الكتاتيب هي عبارة عن حلق منظمة في المساجد لتعليم القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة وتلقين الأطفال الصغار الدين الإسلامي الحنيف، وهي جزء من حياة الناس في المجتمع الجزائري التي ارتبطت بواقعهم الديني والثقافي"⁴ ففي هذا التعريف إحاطة بالأدوار والرسالة المنوطة للكتاتيب في المجتمع الجزائري، وقريبا من هذا

المفهوم يذكر عبد اللطيف بن دهيش معنى للكتاتيب إذ يقول: "الكتاب جمعه كتاتيب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة وهو من المؤسسات التعليمية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتنقيف الصغار، وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة"⁵ فهذا التعريف أيضا لا يخرج عن الغاية النبيلة لهذه المؤسسات وهي التعليم بالدرجة الأولى، ولا بأس أن نختم هذه المفاهيم بقول أبي القاسم سعد الله (رحمه الله) رائد الفكر التاريخي في الجزائر إذ يقول في الكتاتيب: "الكتاب جمع كتاتيب أو المكتب كما يسمى أحيانا. وكان يطلق عليه ولا سيما في العاصمة، اسم المسيد" وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد"⁶ لقد استقرت نظرة أبي القاسم إلى الكتاتيب أن الأصل فيها هو المسجد في حد ذاته، بعد هذه الطائفة من التعاريف للكتاتيب يتجلى للقارئ دون ريب أن المؤسسة الصغيرة وهي الكتاب، ما هي إلا مكان له علاقة دائمة بالمسجد هدفه تعليم كتاب الله للناشئة دون الكبار.

إنه حقيق بنا أن ننظر ولو بحيز مختصر في ماضي هذه الكتاتيب، كيف نشأت وما هي ذاكرتها العريقة في تاريخ الجزائر حتى نتمكن من الولوج داخل هذه الكتاتيب ونعرف نشاطها وأهدافها بمعونة الرجال الذين لم يبخلوا بجهودهم للمحافظة على هذا الإرث الثقافي الإسلامي.

نشأة الكتاتيب وتاريخها في التراب الجزائري: لم تكن الكتاتيب وليدة عهد معاصر بل لها جذور عميقة في تاريخنا العريق، فمنهم من يرى أن الكتاتيب لها نشأة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين "نشأت في عصر مبكر وهي من أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي بعد المسجد"⁷

لقد وصلت إلينا الكتاتيب بهذا الشكل، بيد أنه يهمنا تتبع نشأة الكتاتيب في ترابنا بحيث إن البحث في بلدان العرب عن الكتاتيب يقتضي دراسة أخرى مستقلة.

إن رجال التاريخ يجمعون على أن الكتاتيب بدأت نشأتها منذ العهد العثماني، وقد شارك الجميع في تطوير الكتاتيب "وكانوا من جميع طبقات المجتمع، فالبشوات والبايات والموظفون السامون كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة العلمية

والخيرية⁸، بحيث بدت هذه الجهود وأنت أكلها على نطاق وصعيد متناسق مع المساجد لعبت المؤسسات الدينية من كتاتيب وزوايا ومساجد دورا رياديا في الإمساك بزمام أمر التعليم في الجزائر في العهد العثماني، ولولاها لما حصل ذلك الجيل من الجزائريين من المعارف ما أتاح للبلاد استمرارها الثقافي وامتدادها الحضاري⁹ وكان للكتاتيب جو من الحرية وإطار من الاستقلالية، إلى أن حلت مرحلة الاستعمار الفرنسي للتضييق على نشاط الكتاتيب والحد من انتشارها، لقد بادرت فرنسا لترجمة التعسف وذلك بإصدار القوانين الجائرة مثل "قانون شوتان الصادر في 8 مارس 1938 الذي اعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر وان كل من يعلم اللغة العربية بدون إذن أو ترخيص من السلطات الفرنسية يتعرض للسجن ولا تعطى هذه الرخصة إلا لبعض الكتاتيب كإسماح بالتعليم من الألواح الخشبية لا غير¹⁰ وقبل وفود الاستعمار كان التلاميذ ينظمون إلى الكتاتيب بكل حرية، لكن بعدها أصبح ذلك غير متاح "قبول كل الطلبة المتوافدين من المدارس الحرة والزوايا والكتاتيب غير التابعة نظاميا للجمعية شرط اجتياز اختبار انتقائي"¹¹ رغم كل القيود والحصار الذي فرضه الاستعمار على التعليم والعبادة والوعي والإرشاد، إلا أن طموح الشعب الجزائري وسريان روح التحرر في عروقه لم يثن العزيمة في مزاولة نشاط الكتاتيب، خاصة إذا علمنا أن هذا النشاط أطرته نخبة من العلماء والمربين وعلى رأسهم العلامة الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

نشاط الجمعية ودورها في تربية الناشئة عن طريق الكتاتيب: سخر الله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للكتاتيب إبان مرحلة الاستعمار، فكانت بمثابة المصباح المنير والمدد المعين لأداء الرسالة المنوطة بها "فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤمن بنشر الإصلاح الديني والفكري، لا يمكن أن يتخذ سبيله إلى عقول الناس إلا إذا كان مصحوبا بالتعليم، ومن هنا كان فتح مدارس عربية حرة في مختلف المدن والقرى الجزائرية"¹².

لقد استرجعت هذه المقامات الشامخة -أقصد الكتاتيب - هيبتها بفضل رجالها الأشاوس وقد قيض الله لها إمام الجمعية ورائدها عبد الحميد بن باديس يقول: "إن التعليم المسجدي من قسنطينة كان قاصرا على الكبار ولم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية فلما يسر لي الله الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من جملة دروسي تعليم الصغار في الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم، فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار¹³.

لم ترنكز الجمعية على جهود رجل واحد أو اثنين بل تعدت إلى كل أعضاء الجمعية للمشاركة في تنوير التلاميذ ونشر العلم عن طريق الكتاتيب حيث "فتح الامام ابراهيم بيوض بيته لمعهد الحياة سنة 21 ماي 1925 والتحق بهذا المعهد حتى الأجانب من طلاب بلاد تونس، ليبيا، السنغال، مالي"¹⁴، وعلى نفس النهج "كان ابراهيم المسعدي من منطقة الجلفة بمسعد يدرس التلاميذ بمسكنه الفقه وعلم الحديث سنة 1934"¹⁵

خلقت هذه الطريقة أي استغلال البيوت الخاصة لعدد من التلاميذ تنافسا كبيرا وإقبالا كثيفا، قصد تلقينهم مبادئ الإسلام " جاء بعد العلامة سيدي أحمد بن مالك (ت1952م) نجله الشيخ عبد القادر بن مالك فتح مع أبيه مدرسة قرآنية في منطقة أبلسية"¹⁶

هذه الجهود المتسلسلة ظهرت بصماتها وتلاحقت الكتاتيب عبر التراب الوطني لما رأوا من نتائج عظيمة وإيجابية على أبناء المسلمين خاصة في السنوات الأولى من طفولتهم، "في إحصاءات نشرت سنة 1851 أن الكتاتيب 851 مدرسة يتردد عليها تقريبا عشرة آلاف تلميذ"¹⁷

يلاحظ أن عدد المدارس كان أكثر من التلاميذ، لكن بعد سنوات عديدة تغير الوضع فتقلص عدد المدارس وتضاعف عدد التلاميذ، حيث "بلغ عدد المدارس والتلاميذ والمعلمين سنة 1955 حوالي 400 مدرسة يقصدها حوالي 75 ألف تلميذ بين الذكور والإناث يدرس بها 700 معلم"¹⁸

شاركت المناطق الجنوبية بما لديها من مدارس وأبناء في العملية التعليمية رغم صعوبة المناخ والظروف ففي منطقة توات وبمناسبة التحاق الطفل بالكتاب القرآني يقام حفل عظيم وتصنع مائدة تشتمل على التمر واللبن والحريرة والخبز الرقيق المحلى بالمأدوم بالسمن اللذيذ، يدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلامذة المدرسة القرآنية¹⁹

المناهج التعليمية للكتاتيب والوسائل المادية المعتمدة: لا تحظى الكتاتيب بوسائل مادية مناسبة للمهام المنوطة إليها، ورغم ذلك كانت نتائجها على الصعيد الوطني جد مؤثرة ونافعة، فإذا نظرنا إلى هيكلها القاعدية فلا تحتوي الكتاتيب على منشآت متينة ومهياة لأدوارها، "غالبا ما يشمل الكتاب على أربع حجرات، واحدة لتعليم الصبيان والثانية سكن للطلبة الأفارقة والثالثة للصلاة والرابعة للمؤونة والأدوات الضرورية زد على ذلك أن هناك مرافق للوضوء والوقود والطبخ وغيرها ومثل هذه الكتاتيب توجد بكثرة بنواحي ندرومة منها كتاب أولاد عباس الحوانات مسيردة²⁰ وحين لا توجد هيئة حكومية خاصة تشرف على بناء وتشيد الكتاتيب، يتولى البناء أسر في بيوتها، حيث كان الكتاب غالبا "عبارة عن حجرة أو دكان في الأصل أو جناح في مسجد بل إن بعض الواقفين كان يكتفي بفتح غرفة في منزله على الشارع، ويجعلها كتابا للأطفال... وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء، وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه²¹ وعموما فالكتاتيب لا تقتضي هياكل معقدة أو كبيرة لتجسيد مرافقها، بل تباشر مهامها وتكيف مع غالب الظروف المادية والنفسية، أما من حيث الدعم المادي تتبنى الكتاتيب القرآنية سمة خاصة بالنظر إلى مواردها المالية والجانب التدبيرى، ذات تمويل مستقل عن دعم الدولة²² فتكتفي بدخل غير مستقر تارة يغني الجميع وتارة يقصي الغالبية، لكن ذلك لا يثني عزيمة التلاميذ ولا المدرسين في مواصلة مهامهم.

طرائق التدريس والتعليم: يصعب إيجاد طريقة موحدة ليسلكها غالبية الكتاتيب، إذ أن "كل مسلم تقريبا يعرف طريقة حفظ القرآن التقليدية عند الأطفال الجامع في المدن

الشريعة في البادية واللوحة وقلم القصب ودواة سمخ والطين والجلوس مربع ورفع الأصوات بالقرآن عند الحفظ به والتنافس على الحفظ بين الأطفال، ثم الختم والاحتفال به في المنزل وأخيرا التخرج كطالب والقرآن في الصدر كما يقولون²³ فكل كتاب يتطلع إلى طريقة تناسبه في التعليم "إن برامج التعليم القرآني في أغلب الكتاتيب يعتمد على تحفيظ القرآن فحسب، ولعل النبيه من المعلمين من يذيل ألواح تلاميذه بأبيات من متون الفقه"²⁴

إن لكل كتاب نموذجا في التعليم والتفنين، فإن المسعى لكسب الدرجات يمر عبر خطوات ليست سهلة عند بعض الطلبة، فمثلا في منطقة توات التي سلف ذكرها فإن "الحروف الهجائية في هاته المنطقة تتمشى على نمط الحروف المستعملة في المغرب التي تقدم فيها الراء الزاي أيضا، الظاء، الكاف، اللام، الميم، النون.. الخ وبالنسبة للفاء فإنها تنقط من أسفلها أما القاف فإنها تنقط من أعلاها نقطة واحدة"²⁵ هذا عن النموذج في الكتابة أما مراحل التعليم فهناك "عطلة المولد النبوي الشريف فهي أسبوع واحد بعد ليلة المولد ومن العوايد أيضا تخطيط ألواح صغار الطلبة من طرف معلمهم تخطيطا يسمى العرفات بمناسبة عطلة العيدين الفطر والأضحى"²⁶ ويشارك أيضا أفراد آخرون في الجنوب وبالأحرى الهضاب "يشرف الشيخ بلقاسم كيرد لعدة سنوات على معهد الدعاة (شبه الكتاتيب) بالأغواط هذه المدرسة تعتمد طريقة لتحفيظ القرآن في مدة لا تتجاوز تسعة أشهر وتحفظ ثلاثة متون في الفقه والنحو"²⁷ كل النتائج مترتبة على نشاط الكتاتيب منوط بمدى مكانة المعلم وقدرته في ترغيب التلاميذ للقرآن وتحفيزهم على التحصيل ويتم "ترغيب المدرس طلبتهم بالأجور العظيمة التي جاءت بذكرها النصوص والتي تنتظر حافظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وتذكيرهم لما أعده الله تعالى من ثواب على تلاوة القرآن وتكرار قاعات"²⁸ وهناك وسائل عديدة يمكن أن يعتمدها المعلم لتحفيز والتشجيع منها:²⁹

- تمكين التلميذ من القراءة أمام زملائه كنموذج للقراءة الحسنة؛
- إيلاغ ولي أمره بجودة حفظه؛

- إعطاؤه بعض الجوائز أمام زملائه؛
 - منحه شهادة معتبرة؛
 - ترشيحه لزيارة أو نزهة لمكان مفضل.
- ختاما لما ذكر سالفًا فإن الكتاتيب بالرغم من التطور العلمي الذي غزا المعمورة تظل شامخة فاعلة ببركة ألواحها العتيقة، بمدادها الأسود الدافق ترسم به آيات لكلام الله جل وعز، يحتضنها براعم تتلو من القرآن ما يشفي الصدور، كل ذلك تحت رعاية رجال عرفوا الله حق المعرفة، ولا أبلغ إذا عزوت هذه الشهادة إلى الأمام القدير العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأمثاله من الشيخ بيوض، البشير الأبراهيمي العربي التبسي، مبارك الملي، وغيرهم من أولئك الذين صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

الإحالات:

- 1- معجم المنجد في اللغة والأعلام، مجموعة من المؤلفين، دار المشرق، ط1، دار المشرق بيروت، 2005، مادة كتب.
- 2- ابن مطور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، مادة (كتب)
- 3- إبراهيم ساسي، الكتاتيب القرآنية بين الواقع والمأمول (دراسة تحليلية)، مجلة البصائر جمعيلة العلماء المسلمين الجزائريين، ع195، جوان 2004، ص09.
- 4- كمال قادة، القراءة والإقراء في العصر الحديث، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع5 أكتوبر 2015، ص07.
- 5- عبد اللطيف عبد دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مطبعة النهضة ط1986، مكة المكرمة، ص11
- 6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، (1830-1500)، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان، ط1، 1998، ص276
- 7- كمال قادة، المرجع السابق، ص10
- 8- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص277.
- 9- صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني دراسة في الواقع والمعطيات مجلة الذاكر، عدد11، جوان 2018، جامعة عين الدفلى
- 10- محمد ليام، جمعية العلماء ودورها في خدمة الدين والوطن، مجلة البصائر، الجزائر ع445 جوان 2009، ص18
- 11- المرجع السابق
- 12- مولود عويمر، مدارس ومعاهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة البصائر الجزائر ع545، ماي 2011، ص14
- 13- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981، ص79
- 14- سليمان أبو ربيع، معهد الحياة ورسالته، مجلة البصائر، عدد116، نوفمبر 2001.
- 15- حفناوي بن عامر غول، جمعية العلماء المسلمين ودورها في التعليم الحر بمنطقة أولاد نايل مجلة البصائر عدد459، سبتمبر 2009، ص17

- 16- إبراهيم محمد علي ابن ساسي، جهود علماء الهقار في نشر التعليم القرآني والشريعة مجلة البصائر، ع459، سبتمبر2009، ص10
- 17- عباس صافية، المؤسسات الدينية والتحصيل الدراسي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم2016، ص12 رسالة الماستر علم الاجتماع
- 18- مولود عويمر، المرجع السابق
- 19- بلعالم محمد باي، لمحات عن كيفية التعليم بمنطقة توات، مجلة البصائر ع44، أبريل 2001 ص07
- 20- بن أحمد التيجاني عبد الرحمن، الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 لى سنة 1977 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص13
- 21- كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاثة في الجزائر، التأسيس والتطور (1850-1951) ماجستير تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة ص277
- 22- مختاري تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في منظور الدراسة النفسية والتربوية المعاصرة مجلة الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية العدد7، وهران
- 23- عباس صافية، المرجع السابق.
- 24- إبراهيم ساسي، المرجع السابق.
- 25- الشيخ بلعالم محمد باي، المرجع السابق، ص7
- 26- المرجع السابق.
- 27- إبراهيم ساسي، المرجع السابق.
- 28- المرجع السابق.
- 29- المرجع السابق.

إسهامات الكتاتيب القرآنية في صياغة خطاب الهوية الوطنية

د. صليحة بردي

جامعة خميس مليانة

تعد الهوية الوطنية مطلباً استراتيجياً يتدخل بقوة في تشكيل الكينونة الجماعية للأفراد، وإذا كنا نطرح سؤال الفرد فإننا دون شك نطرح سؤال الهوية التي يحمل ذلك في سياق المسألة ذاتها، والهوية هويات - إن جاز لنا هذا التوصيف - بحكم التراكم النوعي لدى الأفراد ديناً، وتاريخاً، ومجتمعاً، وبما أن الهوية بوصفها خطاباً تتأسس مروراً بعنبة التصور والممارسة فإن هناك جملة من العوامل الفاعلة التي تتحكم في صياغتها، وتوجيهها؛ منها ما يعرف بالكتاتيب القرآنية؛ فأى إسهامات يمكن أن نسجل لها في هذا الباب؟.

مفهوم الكتاب: ورد في التحديد الدلالي للفظه "كتاب" أنه: «موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والمكاتب»¹؛ أي المكان الذي يتلقى فيه طالب العلم المعرفة حول الكتابة؛ ولهذا سمي الكتاب بمعنى موضع الكتابة.

وقد اتخذ الكتاب عدة مسميات؛ فبالإضافة إلى المكتب «كان يطلق عليه، ولا سيما في العاصمة، اسم "مسيد"؛ وهو بدون شك محرّف من تصغير كلمة مسجد»².

أما عن موقع الكتاب بالنظر إلى موقع المسجد فإن «الكتاب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد، أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل، وقد بينى الكتاب خصيصاً لتعليم القرآن، يبينه صاحبه احتساباً لله، وطلباً لأجر الآخرة، كما قد يبينه المعلم، أو يكتريه على مالكة؛ ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ»³.

معنى هذا أن إنشاء الكتاب في الجزائر لم يكن يتم بشكل نظامي تنص عليه الدولة كما أنها لم تتعهد بشكل مباشر، وإنما يرجع الفضل في انتشاره الواسع إلى جهود الأفراد، من رجال المساجد وغيرهم.

وبحكم ارتباط الدرس اللغوي بالدرس القرآني، كانت «الكتاتيب القرآنية تبنى بمحاذاة المسجد»⁴، بما أن القرآن الكريم يمثل قاسما مشتركا بين المدرسين؛ ذلك أننا لا نفسر كلام المولى عز وجل إلا بمكاشفة مباحث اللسان العربي الذي نزل به.

وقد يتخذ الكتاب شكلا آخر؛ حيث يتشكل في الغالب من «حجرة واحدة أو حجرتين مفتوحتين على بعضهما، يضمّ في صفوفه من (10) إلى (20) ولدا وبناتا وبحكم الانتشار الواسع للكتاتيب فإن نسبة حفظ القرآن الكريم تشكّل أغلب الجزائريين وخصوصا في الأرياف»⁵.

أما عن الفئة العمرية التي كان يستهدفها الكتاب فـ «عادة ما يتراوح عدد مرعيه ما بين (15) و(20) طفلا، يواصلون الدراسة به من (3) إلى (4) سنوات، أما من يرغب في مواصلة الدراسة فيبقى لسنوات أخرى من أجل تعلم، وحفظ القرآن كله»⁶.

معنى هذا أن البقاء في الكتاب لا يرتبط بسن معين، بل يخضع أولا لمشيشة الأبناء وآبائهم؛ حيث يمكن للطفل الاستمرار في التردد عليه؛ طلبا للمزيد من العلم بكتاب الله تبارك وتعالى، وحتى لا ينقطع عن حفظه، واستظهاره.

ولا ينحصر دور الكتاب في تحفيظ القرآن الكريم واستظهاره بل يتعداه إلى كونه «المكان الذي يتلقى فيه الصبيان العلم، ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة، وتلقى مبادئ الدين الإسلامي، واللغة العربية، وبعض العلوم الأخرى»⁷.

وهذه المعارف الدينية واللغوية، وغيرها التي يتلقاها الطفل في مرحلة عمرية فتية تمثل الأرضية الأولى التي ينطلق منها في رسم مساره العلمي مستقبلا، وفي السياق ذاته تعمل على ترسيم ملامح الهوية الوطنية لديه؛ بما تصدره له من خصائص وسمات من شأنها أن تعزز روح الانتماء إلى الوطن لديه.

وبالنظر إلى الإسهامات الجليلة التي يقدمها الكتاب فإن الفضل الأكبر في ذلك يعود إلى المعلم؛ حيث «يدير الكتاب معلم يطلق عليه عدة أسماء منها: المعلم المؤدب الفقيه، الملا، المطوع، الشيخ، وهو الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس ويشترط فيه عدة شروط من أهمها: -رسوخ العقيدة الإسلامية لديه- الإلمام بالمواد

التي يدرسها، مراعاة ميول وحاجات الأطفال، ومعاملتهم بالإحسان والتلطّف وإلى جانب المؤدّب يوجد شخص آخر يسمى العريف، وهو بمثابة أحد كبار الصبية النابهين، يشرف على زملائه في فترة غياب المؤدّب، ولا يقتصر دور المؤدّب على تعليم الأطفال القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة وغيرها، بل يحرص على تنشئتهم النشأة الصالحة، ويغرس في نفوسهم الأخلاق الحميدة، والمبادئ الفاضلة»⁸.

إن تأديب الأطفال ليس بالعمل الهين بالنظر إلى أهمية الموقف الذي يترتب عنه لاحقا؛ فطفل اليوم هو رجل المستقبل؛ ولهذا فإن الإعداد النموذجي له يمثل رهانا يتحكم في مصائر الأوطان، وكذا مستقبلها.

أما من حيث الشكل والمحتوى فإن الكتاب يتصف «ببساطة أثائه، كأن يُفرش بالحصير المصنوع من الحلفاء، يجتمع هناك التلاميذ حول المعلم في شكل حلقة دائرية أو نصف دائرة، أو في شكل مربع ناقص ضلع ...، هذا في أحسن الأحوال أما في الغالب فكان فراشه التراب»⁹.

إن المظهر المتواضع الذي اتسمت به الكتاتيب القرآنية لم يقف حائلا أمام الأدوار القيّمة التي كانت تؤديها؛ إذ «لم يكن الكتاب منذ ظهوره حتى الآن مؤثنا بفاخر الفرش وإنما أثائه عبارة عن حصر مصنوعة من الحلفاء أو التّوم، ومجموعة من الألواح الخشبية، وأقلام من قصب، وكمية من الصلصال والصبغ، وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة مصاحف، وبعض الكتب الفقهية، والنحوية والصرفية والسير، وغيرها»¹⁰.

وإذا كانت الكتاتيب على اختلاف فيما بينها انتقالاتا من موضع لآخر، فإنها تشترك في بساطة المظهر، بما في ذلك الأثاث، والأدوات المستعملة في تلقين التلاميذ.

ومع ذلك استطاعت إعداد أجيال من الشعب إعدادا دينيا، وتربويا، واجتماعيا شكل علامة فارقة في تاريخ الجزائر الثقافي، خاصة في الفترتين العثمانية والاستعمارية

وكذلك في أيامنا بالقياس إلى هذا المد المتسارع من تأثير الثقافات الأجنبية الذي يكاد يقطع أبناء الوطن من هويتهم.

خصائص التعليم في الكتاتيب القرآنية: يتميز التعليم في الكتاتيب القرآنية بجملة من

الخصائص راح يخرج بها عن دائرة المؤسسات التعليمية الحديثة، متمثلة في¹¹:

- إمكانية التعليم متاحة لجميع أبناء الفئات الاجتماعية؛
 - شعبية التعليم وارتباطه بمناطق التجمعات السكانية؛
 - مجانية التعليم فهو لا يتطلب نفقات تسيير كبيرة، وإنما يتسم بطابعه الاقتصادي من حيث التكاليف المادية الخاصة بالتجهيز والتخطيط؛
 - تركز التعليم بمرافقته الجماعات الرعوية أكثر من غيرها؛
 - انتهاج المعلم في هذا النوع من التعليم المنهج النفسي والديني الذي من شأنه توفير الجو المناسب للعمل التربوي؛
 - استجابة التعليم لحاجات المجتمع المحلي، فهو نتاج مبادرات شعبية؛
 - ارتباط التعليم في نشأته وتطوره بالمجتمع الإسلامي، كونه من أهم وسائل تحفيظ القرآن الكريم؛
 - استخدام وسائل تربوية متواضعة يمكن العثور عليها في البيئة المحلية؛ كاللوحه والحبر وأدوات المحو... الخ.
- دوافع الدرس في الكتاتيب القرآنية: تعددت دوافع الدرس في الكتاب، غير أنها تصدر عن مشكاة واحدة ألا وهي خدمة الدين الإسلامي، وكل ما يتصل به من مباحث علما وخلقاً، وهي تتمثل أساساً في¹²:
- نشر القرآن الكريم وتحصيل الأجر العظيم في تعليم القرآن الكريم؛
 - الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين من السلف الصالح والأئمة.

ولم يقتصر نشاط الكتاب على الدرس فحسب بل كانت له أنشطة أخرى تنقيفية وترفيهية مصاحبة لعملية التعلم والتعليم، سعيًا منه للرفي بالجوانب الإيمانية والتربوية للطلبة في حياتهم الاجتماعية، وقد تمثلت مقاصده في هذا الباب في الآتي¹³:

- التبصير بمفاهيم الدين وتعليمه، والترغيب فيه، وتعزيز الشعور بالانتماء إليه
- إصلاح القلب والسلوك باتباع تعاليم القرآن وأحكامه؛
- التعاون مع أولياء أمور الطلبة في إصلاح واستحداث بيئة إسلامية ملتزمة بأداب الإسلام؛
- إصلاح حال المجتمع وخدمته بإشراكه في نشاط الكتاب، وجعله طرفًا مستهدفًا فيه.

سؤال الهوية: جاء في تعريف الهوية في معجم التعريفات أنها «الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق؛ اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق»¹⁴؛ بمعنى أنها الكل الذي يشتمل على حقائق الذات في وجودها الحاضر والغائب، والكائن والممكن. ويأتي لفظ الهوية بمعان ثلاثة ورد ذكرها في معجم الكليات؛ متمثلة في: «التشخص، والتشخص نفسه، والوجود الخارجي، قال بعضهم: ما به الشيء هو؛ هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتًا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية، وقد يسمى ما به الشيء هو؛ هو ماهية إذا كان كليا كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئيًا كحقيقة زيد، وحقيقة إذا لم يعتبر كليته وجزئيته فالهويتان متلازمتان صدقًا، والماهية بالاعتبار الثاني أخص من الأول والحقيقة بالعكس، وقال بعضهم: الأمر المتعل من حيث إنه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأغيار يسمى هوية، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى ذاتًا، ثم الأحق باسم الهوية من كان وجود ذاته من نفسها وهو المسمى بواجب الوجود المستلزم للقدم والبقاء»¹⁵.

هوية الشيء أن يتحقق بذاته؛ أي بمكوناتها ومحمولها الدال عليها، والماهية أعم من ذلك؛ أي من الهوية، وإثبات الذات في الواقع حقيقة، وهويتها تكمن في تميزها عن غيرها، ووجودها المستقل بذاتها.

والهوية في المعجم الفلسفي لفظ يقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Identité)، وفي اللغة الإنجليزية لفظ (Identity)، ويفيد معنى «حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات»¹⁶؛ التي تتحقق بمقدار هذا التميز.

أما الهوية في اتصالها بالثوابت فإنها «مبدأ يعبر عن ضرورة منطقية تقضي بأن يكون كل معنى يتصور على أنه عين ذاته، فلا يتغير بحال، وما هو صادق دائما وفي مختلف الأحوال، والموجود هو ذاته دائما، فلا يختلط به غيره، ولا يلتبس به ما ليس منه، ويسمى "مبدأ وحدة الذات"»¹⁷.

ومن استعمالات لفظ الهوية، إطلاقه في الدلالة على الديمومة والثبات؛ إذ «تستعمل (الهوية) للإشارة إلى المبدأ الدائم، الذي يسمح للفرد بأن يبقى (هو، هو) وأن يستمر في كائنه" عبر وجوده السردي، على الرغم من التغيرات التي يسببها أو يعانیه»¹⁸.

إن الذات تستمد هويتها من ذاتها؛ بوصفها فردا، وهي تستمد حضورها من الثوابت التي تشتمل عليها، وتستكين إليها، خاصة ما تعلق بمظهرها الحقيقي الدائم في وجودها الذي يمنحها اختلافها وتفردها عن كل ما هو ليس منها، بغض النظر عن التغيرات الطارئة عليها.

والهوية في تعبيرها عن الذات على أساس التماثل تستند إلى مجموع الخصائص المشتركة بينها «ولكن لما كان الواقع المادي يعتريه تغير مستمر فإنه لا يمكن أن تكون هناك موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة على ذاتها، حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية، والهوية متعينة وليست مجردة؛ أي أنها تحتوي على تمايزات كامنة وتناقضات تحملها خلال عملية التطور التي ترجع إلى شروط معينة، ويتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا، ومن ناحية أخرى فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها (بهدف تصنيفها مثلا)؛ وهذا يعني أن الهوية

ترتبط ارتباطا لا يمكن فصله بالتمييز، كما أنها نسبية، وكل هوية للأشياء مؤقتة وانتقالية، بينما تطورها وتغيرها مطلقان»¹⁹.

هناك تصنيف عام للهوية يشمل ذواتا مختلفة في الفرع (الفروق الفردية الناتجة عن التطور الخاضع لشروط معينة)، ومنقفة في الأصل الذي يشملها، ويمنحها تميزها وانبعائها المستمر.

أما الهوية من حيث اتصالها الوثيق بالسند الاجتماعي الذي يؤطرها، فإنها تظهر بكل وضوح «علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما، أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة، وجميع الأحوال؛ فهي تتعلق بكون شخص ما، أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصا، أو شيئا آخر، وقد يمكن اعتبار الهوية خيالا، يراد منه أن يضيف نمودجا، أو سردا منتظما على التعقيد الفعلي والطبيعة الفيضة لكل من العالمين النفسي والاجتماعي، ويرتكز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة، في مقابل التعدد، والكثرة، والاستمرار، في مقابل التغيير والتحول»²⁰.

تحمل الذات آثار هويتها، وهي ذاتها الهوية التي تشترك فيها مع أفراد الجماعة التي تنتمي إليها، ووجودها مرهون باستمرار هذه الكينونة الدالة عليها لدى هؤلاء الأفراد/الذوات، ومهما اتسع هامش التعدد، والتنوع، والتغير، والاستمرار، فإن الهوية تبقى دائما التوصيف العام الذي يحتوي هذا الهامش دون الالتفات إلى السلطة التي يتمتع بها، ولا يمكنه التخلي عن وصايتها.

إن هذه الوصاية تمتلك مؤشرات الدلالة على الهوية الجمعية في انطلاقها من سمات الذوات الفردية التي تتحدد انطلاقا من قوانين الانتماء للمجموع الاجتماعي وفي هذا السياق لأبد من الإشارة إلى «إن مبادئ الوحدة والاستمرارية قد وضعت في الصدارة، وعمل منطق الهوية لصالح الكمال والتماسك في ضوء العلاقة بما صار يُعرف على أنه الذات الجمعية؛ أولا: تمّ تصور الجماعة بوصفها كيانا منسجما متجانسا، وأمة ذات جوهر مشترك، أنكر تعقيدها الداخلي وتشعبها؛ إذ كانت الصور

الغالبية تنتمي إلى عائلة قومية، وجسد واحد، ودم مشترك، ووطن للجميع، وثانيا: كانت الجماعة تريد المحافظة على ثقافتها، وتراثها، وذكرياتها، وقيمها، وطابعها وبالذات على فرادتها، عبر الزمن، وتكرر واقعية التغير والانقطاع التاريخيين؛ فأضيفت قيمة إيجابية على الاستمرارية بين الأجيال، والقوة الأخلاقية للتراث»²¹.

تحدد الهوية بمدى الالتزام بمبادئ الوحدة والاستمرار، وهي تتأشد الكمال والتماسك، والانسجام في صياغة النماذج التي تعنيها في إطار الجماعة إذا ما حافظت على تراثها، وثقافتها، وتاريخها، وغير ذلك مما يحفظ استمرارها، وأصالتها واختلافها عن غيرها، ولا يمكن الحديث عن هوية وطنية خارج هذا التصور.

الكتاتيب القرآنية ودورها في تعزيز الهوية الوطنية: ترجع الحركة الدينية والثقافية للكتاتيب القرآنية إلى زمن حديث العهد بالإسلام؛ فـ «قد عاش الكتاب على بساطته دهورا طويلا في الإسلام، يمثل بين معالمه معهد التعليم الابتدائي والثانوي أحيانا، وهو محل رعاية القادة والمفكرين، وعناية العلماء العاملين، وقد قام بمهمة تربوية عظيمة حيث نجده في كل درب، وفي كل قبيلة، وفي كل حي، وكان يؤمه جل الأطفال تقريبا ليحفظوا بعض السور من القرآن، ومبادئ في العبادات، بجانب القراءة والكتابة وبهذا يكون الكتاب أعطى صورة حية للثقافة العامة التي كانت منتشرة آنذاك، وعدّ من المعالم ذات المصلحة العمومية، يشارك الأمة في حياتها القومية، فإذا مات عالم جليل أفاد العباد بعلومه، أو رئيس قبيلة نفع البلاد بأرائه وأعماله، أو أمير عادل أنصف في أحكامه، أغلقت الكتاتيب أبوابها، وعطلّ الصبيان دراستهم يوم دفنه؛ مشاركة في المصاب العمومي، وإظهارا للتأسي، وإجلالا لخدمة الصالح العام»²².

أدت الكتاتيب القرآنية أدوارا رائدة بمعنية غيرها من مراكز الإشعاع الثقافي خاصة الزوايا، فلا «لا يختلف اثنان في أن هذه المؤسسات قد أدت دورا هاما كشريك اجتماعي، ثقافي، حضاري في الأمة منذ بزوغ فجر الإسلام»²³.

تمثلت هذه الشراكة الاجتماعية، والثقافية، والحضارية في طبيعة التدخل الذي مارسته هذه المؤسسات؛ من حيث التنوع في الطرح، والتعدد في المقاصد، فلم تكن

متخصصة في الدين وحده، أو العلم وحده بل تعدتهما إلى كل ما يتصل بتكوين الإنسان، وبناء شخصيته، وتحديد هويته.

ولا تكاد تختلف الأدوار الثقافية للكتاتيب القرآنية عما كانت عليه في أول أيامها غير أننا نسجل احتفاء القادة، وأهل الفكر بها آنذاك؛ كونها كانت تمثل بديلا استراتيجيا لمراكز التعليم الرسمية التي ظهرت لاحقا بعد مرور عقود من الزمن.

أما عن المضامين التربوية التي كانت معتمدة في الكتاب فلا تكاد نسجل اختلافا كبيرا بين ذلك الزمن وزماننا؛ حيث كانت «تقدم فيه للأطفال مبادئ القراءة، والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله، أو أجزاء منه، إضافة إلى بعض مبادئ الفقه»²⁴؛ في حدود ما يخدم فهم كتاب الله، ويعزز حضوره في ضمائر الصغار، إضافة إلى «بعض مبادئ الحساب»²⁵.

وإذا كانت الكتاتيب عنيت بأداء كل هذه المهام الجسام، فإن سبيلها إلى ذلك لم يكن إلا القيام بـ «الدور التعليمي التربوي الذي يؤسس على معارف علمية من علوم شرعية، ولغوية، وعلمية»²⁶.

ذلك أن ثلاثية الدين، واللغة، والعلم، وما يتصل بها من خطاب معرفي إن اجتمعت لطالبها، تسنى له امتلاك وجوده الفاعل ضمن السيرورة الثقافية للمجتمع الإسلامي. وقد شهدت الجزائر في تاريخها الحديث اهتماما منقطع النظير بالمراكز الدينية بما في ذلك الكتاتيب القرآنية، وما تقدمه من إسهامات في حقل التعليم التقليدي؛ حيث «يعد الكتاب من المؤسسات التعليمية التربوية الأولى التي كانت أساس التعليم العربي التقليدي بالجزائر، فهو المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة، والكتابة وأولويات المعرفة العمومية»²⁷.

ووجود هذا النوع من التعليم على مر محطات حاسمة في تاريخ الجزائر الثقافي يحلينا إلى طبيعة الذهنية الجزائرية؛ فهي لا تحتل الفراغ المعرفي بأي شكل من الأشكال، وهذا ما دفعها إلى الاحتفاء بالتعليم العربي التقليدي.

ومن مظاهر الاحتفاء بهذا التعليم حضوره القوي في الساحة الجزائرية أريافا ومدنا؛ فقد شهدت الجزائر انتشارا واسعا للكتاتيب القرآنية، فلا تكاد تخلو منها حاضرة، أو قرية، وقد كانت تعرف باسم "المسيد" في الجزائر الوسطى، أما المدرس فيها فتختلف تسميته من منطقة لأخرى؛ فهو الطالب، أو الفقيه، أو الشيخ، وهي تأتي على شكل بيت منفرد، أو مجمع من البيوت، مع اختلاف في الحجم والشكل، غالبا ما يعتمد إلى تأسيسها حفظة القرآن الكريم؛ طلبا للرزق، وهي تتخذ من حصائر الحلفاء وعسف النخيل، والزرابي المصنوعة من جلود الأنعام فرشاً لها في فصل الشتاء، كما توجد بها ألواح، ومحابير، وأقلام من القصب، وإيناء لمحو الألواح وقطع من الصلصال²⁸.

لعبت الكتاتيب القرآنية دورا بارزا في نشر القرآن الكريم في أوساط الشعب، كما أسهمت في غرس تعاليمه في قلوب الأجيال الجزائرية على مر أربعة عشر قرنا وأكثر، كما أنها كانت بمثابة الوسيط الفعلي لتعليم اللغة العربية، وتلقين مبادئ العقيدة الإسلامية، وترسيخ الأخلاق الحميدة، وقد امتد تأثيرها ليشمل مختلف شرائح المجتمع الجزائري²⁹.

وكانت الكتاتيب القرآنية تفتح أبوابها للأطفال الجزائريين في سن مبكر؛ خاصة في الرابعة من عمرهم، وكانوا يقصدونها لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحروف الهجائية والقراءة، والكتابة، وقواعد اللغة العربية، فضلا عن التعرف على مبادئ الدين الإسلامي، واكتساب الخلق الحسن، وذلك قبل التحاقهم بمؤسسات التعليم العام³⁰. إن شيوع الكتاتيب وانتشارها قد ارتبط أساسا بالقيمة الدينية لها بوصفها من أبرز مراكز الإشعاع الإسلامي، فضلا عن القيم العلمية والتربوية التي تحملها، والأدوار الثقافية التي تؤديها في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية.

أما عن منهجية التعليم المعتمدة في الكتاتيب القرآنية فقد تمثلت في التأقن والاستظهار؛ وهما من أبرز متعلقات التأديب في التعليم التقليدي؛ حيث «كان الكتاب يركز على قراءة القرآن، وكتابته، ولفظه، واستظهاره على ألواح الخشب ولم تكن

هناك طريقة تدريس غير الاستظهار، كما لم تكن هناك مواقيت محددة للتعليم؛ أي استعمال الزمن، وإنما الطالب (المعلم) هو الذي يحدد وقت التدريس...، ومما يميز كثرة الإقبال على هذه المؤسسة التعليمية هو مكانتها الاجتماعية، وما حظيت به من احترام وتقدير من طرف الشعب الجزائري؛ بحيث كان لها دور فعال متمثل في التعليم الديني للأطفال الصغار والحرص على حفظ القرآن، ولها وظيفة أخلاقية وعلمية»³¹.

وبالنظر إلى المكانة التي بلغها الكتاب في التصور الاجتماعي الجزائري يمكن تفسير هذا الواقع بالنظر إلى الرسالة الدينية التي اقترنت به، إلى جانب الأدوار الأخلاقية والمعرفية التي كانت تؤديها الكتاتيب، ولهذا تعامل معها المجتمع على أنها طرف لا بد منه في تربية الأبناء.

وكان لها أثر عميق في رسم ملامح الحياة الثقافية الجزائرية بحجة أنه «لم تكن الأمية سائدة في الأوساط الجزائرية، قبل مصيبة الاحتلال سنة (1830)، فكانت الكتاتيب (3000)، وكانت المساجد، والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة العربية الدينية الصالحة»³².

وفي زمن الاحتلال لم يكن الكتاب بمعزل عن الواقع التاريخي العصيب الذي عاشته الجزائر، فقد كانت مهددة في هويتها، بسبب سياسة التجهيل التي انتهجتها السلطة الاستعمارية في حربها ضد الجزائر، ولهذا واصل أداء الرسالة التي حملها على عاتقه منذ العهد العثماني؛ إذ «ظل الكتاب خلال الفترة العثمانية والفرنسية كمؤسسة تعليمية محافظا على اللغة العربية، والثقافة الجزائرية الإسلامية في مستوى لا بأس به، واستطاع القيام بدور فعال في نشر العلم، ومحاربة الأمية في زمن غاب فيه التنظيم الرسمي للتعليم الجزائري، وإهمال الإدارة الفرنسية له، ورغم تصديدها لهذا النوع من التعليم، ومحاربتها له بشتى الوسائل، إلا أنه استمر في نشر رسالته التربوية التعليمية بالجزائر»³³.

لقد تعاضم دور الكتاتيب القرآنية في تحفيظ كتاب الله عز وجل، فضلا عن تحفيظ المتون في مختلف علوم الفقه واللغة، خاصة في الفترة الاستعمارية بالرغم من كل

الضغوطات، والعراقيل التي واجهتها، إلا أنها تمكنت من الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية، كما تصدت لحمالات الطمس، والتجهيل والتنصير ما استطاعت.

وقد استمرت الكتاتيب في أداء رسالتها الدينية والتربوية، وبحكم مكانة القرآن الكريم في نفوس الجزائريين لم يكن الأهالي يترددون ولو لحظة في إرسال أبنائهم إليها؛ طلبا للعلم والمعرفة في دينهم وديارهم.

وكان من أبرز مظاهر تضيق الخناق على الكتاتيب القرآنية في ممارسة نشاطها اتخاذ تدابير جائرة في حقها؛ «فإنشاء كتاب يتم بترخيص من الإدارة الاستعمارية كما منعت من ممارسة عملها فترة التدريس في المدارس الفرنسية الموجهة للأهالي»³⁴.

شدد المستعمر الخناق على الكتاتيب القرآنية، فلم يسمح لها بمزاولة نشاطها ومزاومة المدرسة الفرنسية التي كانت تفتح أبوابها لقلّة قليلة من الأطفال الجزائريين (أبناء الأعيان، والوجهاء)، ومع فقر أصحاب الكتاتيب من الطلبة، والمشايخ إلا أنهم واجهوا الواقع الاستعماري؛ بتكثيف الجهود في الحفاظ على القرآن الكريم، والطابع العربي الإسلامي³⁵.

وبالرغم من الإمكانيات المحدودة للكتاتيب إلا أنها تحدّت المستعمر في مساعيه ولهذا استشعر خطرهما على مخططاته، وخشي مزاحمتها التعليم الفرنسي الذي لم يكن متاحا لجميع أبناء الأهالي، فما كان منه إلا أن حاربها بشدة.

ولولا الإسهامات الجليّة التي كانت تقدمها الكتاتيب القرآنية في تعليم أبناء الشعب دينهم، وخلقهم، ولغتهم لما سجلنا هذا الموقف المعارض من السلطة الفرنسية لهذه المراكز التعليمية التقليدية على بساطتها مقارنة بحدّثة المدارس التعليمية الرسمية.

ولا نكاد نسجل اختلافاً باتنا بين الكتاتيب القرآنية في هذا المسعى، ما دام الانشغال الوطني واحداً، وهذا ما حملها على السير في ركاب النضال من أجل الحفاظ على هوية الوطن قبل هوية الأفراد؛ ولهذا فـ «إن المؤسسات الدينية؛ ممثلة في الكتاتيب والزوايا، والحل بالجنوب الجزائري لا تقل أهمية عن سليلتها في الشمال، فقد أدت

دورا لا يستهان به؛ من تثبيت العقيدة الصحيحة، والدفاع عن الدين الإسلامي بخاصة أثناء الاحتلال الفرنسي، ووقفت سدا منيعا أمام البعثات التنصيرية هذه الكتاتيب والزوايا، والحل أمها شيوخ كانوا سرجا يُقتدى بهم، وهو عدد معتبر؛ إذ إنك لتلفي في كل قرية عشرات الكتاتيب، والزوايا...»³⁶.

إن الحفاظ على العقيدة الإسلامية، والعمل على ترسيخ دعائمها في المجتمع ليعد مظهرا من مظاهر صياغة خطاب الهوية الوطنية؛ كونه قائم أساسا على جملة من الثوابت المشتركة بين أبناء الوطن، وهذا توصيف ينطبق بطبيعة الحال على الدين الإسلامي.

إنه الصراع من أجل البقاء، والاستمرار، وإثبات الهوية، ولهذا شارك فيه الجميع بما في ذلك الكتاتيب القرآنية؛ حيث «كانت ذلك الحصن المنيع الذي تحطمت على أسواره كل محاولات طمس الشخصية الدينية والوطنية؛ بالمحافظة على اللغة العربية»³⁷؛ كونها واحدة من مقومات الشخصية الوطنية التي من شأنها التحكم بمقايير الوعي، والتفكير لدى الفرد الجزائري.

وقد استمدت هذه المؤسسات الدينية مكانتها في الوعي الاجتماعي الوطني من آثار نشاطها، الماثلة في سلوك الناشئة؛ من هذا المدخل كانت الكتاتيب القرآنية «القاعدة الأساسية لبث روح العلم في نفسية التلميذ»³⁸؛ وما أوجها إلى ذلك، فحاجة النفس إلى روح العلم من أقدم الحاجات؛ كونها لا تستدل على تفاصيل هويتها إلا بإدراكها لذاتها إدراكا تحتكم فيه إلى طروحات العلم، وتصورات المعرفة.

هكذا سعت الكتاتيب جاهدة لتلبية نداء كتاب الله، وسنة نبيه؛ بطلب العلم وتعليمه لذا كان الكتاب من «المؤسسات التعليمية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتثقيف الصغار، وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة..»³⁹.

وبالرغم من التعليم الابتدائي المحدود الذي كانت الكتاتيب تؤمنه للصغار إلا أنها تمكنت بواسطته من وضع اللبنة الأساسية لتكوينهم الفكري؛ حيث «اهتم الكتاب

بتدريس الأطفال الصغار القرآن الكريم، والقراءة، والكتابة، والحساب، والحفظ والإملاء»⁴⁰.

إن هذه المعارف لم تكن بسيطة، أو سطحية، أقله بالنسبة للفئة العمرية التي تتفاعل وإياها، فضلا عن المهارات التي يكتسبها الطفل بواسطة هذا النمط من التعليم؛ متمثلة في: والفهم، والحفظ، وحسن الاستعمال، وغيرها.

نستشف مما تقدم أنه بالرغم من المظهر المتواضع للكتاتيب القرآنية إلا أنها قد اضطلعت بأداء مهام جسام؛ حيث استطاعت تحقيق إسهامات جلية في تخريج الطلبة وحفظ القرآن الكريم، واستقطاب رجال العلم، والحفاظ على الهوية الوطنية على امتداد عقود من الزمن.

الهوامش:

- ¹ - الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، (د.ت.ط)، ص699.
- ² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، (1830-1500)، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص276.
- ³ - الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1988 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص17.
- ⁴ - الصديق حاج أحمد، الكتاتيب القرآنية بتوات (ولاية أدرار) ودورها في احتضان الدرس اللغوي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج 03، ع1، جانفي 2010، ص314.
- ⁵ - عزة حسين، التعليم العربي في الجزائر إبان ثورة التحرير 1954-1962، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، الجزائر، 2012-2013، ص16.
- ⁶ - بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، مج1، ع2، 30 جوان 2008 ص137.
- ⁷ - بكر اوي عبد العالي ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، مخبر الوقاية والأرغوميا، ع4، جامعة الجزائر 2، 7-8 ديسمبر 2011، ص211.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص211.
- ⁹ - دليلة شاري، الطرق الميسرة في تدريس اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية في توات إشراف د. بغداد بلية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج12، ع1، ديسمبر 2019 ص243.
- ¹⁰ - الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1988 مرجع سابق، ص17.
- ¹¹ - مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصر، إنسانيات - المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، <https://journals.openedition.org/insaniyat/9664#tocfrom1n4>

- ¹² - المدارس والكتاتيب القرآنية - وقفات تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلامي الرياض المملكة العربية السعودية، 1417هـ، ص14.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص161.
- ¹⁴ - العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (816هـ-1413م)، معجم التعريفات - قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة، مصر، (د.ت.ط)، ص 216.
- ¹⁵ - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (1094هـ-1683م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخه خطية وأعدّه للطبع ووضع فهرسه عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت لبنان 1419هـ-1998م، ص961.
- ¹⁶ - مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر 1403هـ-1983م، ص208.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص168.
- ¹⁸ - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني/ سوشبريس، بيروت، لبنان/ المغرب، ط1، 1405هـ-1985، ص225.
- ¹⁹ - لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، إشراف روزنتال ويودين، تر. سمير كرم، مرجعة صادق حلال العظم وجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، ص565.
- ²⁰ - بينيت (طوني) وغروسبيرغ (لورانس) وموريس (ميغان)، مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر. سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، أيلول (سبتمبر) 2010، ص700-701.
- ²¹ - المرجع نفسه، ص701-702.
- ²² - الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1988 مرجع سابق، ص18.
- ²³ - محمد السعيد بن سعد، الكتاتيب والزوايا والحل بالجنوب الجزائري (تديكت ولهقار أنموذجا)، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع2، جوان 2012، ص232.

- 24- دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني - رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري قديم، إشراف الاستاذ الدكتور عبد الرحمن تبرماسين، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر، 1435/1436هـ-2014/2015م، ص21.
- 25- بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق ص137.
- 26- محمد السعيد بن سعد، الكتاتيب والزوايا والحل بالجنوب الجزائري (تديكنت ولهقار أنموذجا)، مرجع سابق، ص236.
- 27- آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، ع7، ديسمبر 2011، ص73.
- 28- ينظر: يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1، منشورات ANEP الجزائر 2004، ص15-16.
- وأيضاً: أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص48-49.
- 29- المرجع نفسه، ص 15-16.
- 30- المرجع نفسه، ص 15-16.
- 31- آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق ص73.
- 32- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر 2001 ص139.
- 33- آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق ص74.
- 34- عبد الحميد عومري، التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880-1914)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع8، ص263.
- 35- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 15-18.
- 36- محمد السعيد بن سعد، الكتاتيب والزوايا والحل بالجنوب الجزائري (تديكنت ولهقار أنموذجا)، مرجع سابق، ص242-243.
- 37- بكر اوي عبد العالي ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، مرجع سابق، ص212.

- ³⁸ - عبد الحميد عومري، التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880-1914)، مرجع سابق، ص263.
- ³⁹ - عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1986، ص11.
- ⁴⁰ - المرجع نفسه، ص9.

أهمية الكتاتيب في غرس أسس الدين ومبادئ اللغة العربية

د. عبد القادر بوزياني

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

مقدمة: ارتبطت حركية التعليم بالجزائر منذ عهد قديم بتعليمية اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في مؤسسات خاصة تشرف عليها السلطة الحاكمة أحيانا ويتولى تسييرها وتمويلها في أحيان كثيرة خواص من أهل الخير والصلاح، وتنسب أحيانا أخرى إلى الزوايا ورجال الدين.

وقد مثلت هذه المؤسسات بنظماها وبرامجها البيداغوجية والمعرفية تراثا علميا ما يزال جزء كبير منه في طي النسيان.

وتشكل هذه الظاهرة التعليمية التعليم في (الكتاتيب والزوايا) حقلا خصبا لدراسة تعليمية حفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية، ومناهج وطرق التدريس في الجزائر عبر التاريخ، القائمة أصلا على التأقن والحفظ مسلكا ومنهجيا بيداغوجيا، نتناوله من زاوية بحثية معاصرة، معتمدين في ذلك على بعض المقولات التربوية والنفسية المستمدة من الدراسات النظرية والتطبيقية، والتي تفسر فعل التدريس الكلاسيكي في الكتاتيب والزوايا، وأهميته في تكوين ملكة الحفظ لدى الطفل، والحفاظ على تواتر النص القرآني بين الأجيال حفظا شفاهيا وكتابة.

ولقد تم دخول القرآن الكريم إلى المغرب العربي والجزائر مع الفاتحين الأولين وتلقاه الناس بالقول والحفظ، وأخذ الناس محبة وعبادة وأجرا، فتمكنوا منه ويسر لهم حفظه، وسوره وآياته، وحروفه، حروف نورانية تشع وتنفي النفوس، فنقبله الصبيان برحب صدر وسعة قلب، فكان لهم ما أرادوا.

وللقرآن الكريم خط خاص به يجب أن يكتب حسبما صرح به العلماء في فن الرسم ورجال التوحيد والقراء، إذ وضعوا لذلك قواعد مضبوطة كقواعد اللغة وأحكام ثابتة كأحكام الفقه، فلا يتخاطاها أحد، ولا يسمح بتغييرها قط. فهو كتاب مقدس مصون من الله. فاحترامه واجبن وحفظه شرف وخير عميم.

وقد أسهم قطاع الكتاتيب في الجزائر على إيراز نخبة متميزة من العلماء العاملين نبغوا في حقل الدين وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فكان لهم السبق في تأسيس الزوايا ومراكز الإشعاع العلمي والديني التي ظهرت في تلمسان وتيهارت وبجاية وقسنطينة وأدرار والأغواط وغيرها من بلاد الجزائر الواسعة المباركة.

وتكمن إشكالية هذه الورقة البحثية في دور الكتاتيب وأهميتها في المحافظة على تربية الناشئة تربية دينية أصيلة، وعلى طابع الهوية والثقافة الإسلامية، واللسان العربي الصحيح، في ظل العولمة والغزو التكنولوجي والمعرفي، وفي ظل وسائل التواصل الاجتماعي التي قطعت أواصر الترابط الاجتماعي والثقافي والتربوي.

والهدف من وراء هذا البحث هو تحقيق غاية نبيلة وسد منع لحماية أبنائنا من أنواع أفكار التطرف الديني، والحفاظ عليهم من الانزلاقات في أحضان الجماعات المتطرفة باسم الدين الإسلامي البرئ براءة الذئب من دم يوسف، والبحث عن آليات وميكانزمات تسد الاختلال الفكري في ظل العولمة والتطور التكنولوجي، وتحيين الكتاتيب بمعطيات العصر...

من هذا المنطلق تأتي أهمية هذا الموضوع المعنون ب: أهمية الكتاتيب في غرس أسس الدين ومبادئ اللغة والهوية والثقافة الإسلامية. تندرج تحته العناصر الآتية: مصطلحات أساسية المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية، المساجد، الزوايا الكتاتيب القرآنية، الكتاتيب في الزمن الأول، حالة الكتاتيب في المغرب العربي خصائص التعليم الكتابي، طريقة التعليم في الكتاتيب، منهج التعليم في الكتاتيب وأقع الكتاتيب اليوم، النتائج المتوصل إليها.

فما هي إذن المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية؟
مصطلحات أساسية.

المؤسسات التربوية القديمة للمدرسة القرآنية: المؤسسات التربوية هي الأماكن المباركة التي تقدم فيها دروس حفظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، وهناك من تقدم مواد أخرى كالرياضيات وكانت تسميها مواضيع الحساب، والفقه، والسيرة النبوية الشريف، وتدرس الأحاديث النبوية، فهي تقدم برنامجا صالحا في التعليم وتخريج طلاب متمكنين من ناصية اللغة العربية وتقديم دروس في المساجد وتعليم التلاميذ حفظ القرآن في الكتاتيب والمساجد والزوايا.

ظهر هذا النوع من التعليم في بلاد المغرب العربي أواخر القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث قام هذا الأخير ببعث عشرة فقهاء أهل علم وفضل، فقاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام⁽¹⁾.

يقول ابن خلدون في هذا الموضوع: «وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة. ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، وبذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية»⁽²⁾.

وشملت المؤسسات التربوية القديمة كلا من الكتاتيب والمساجد والرابطات والمكتبات العمومية والخاصة، وقصور الأمراء، ودور العلماء، وحتى الدكاكين... الخ⁽³⁾.

1. **المساجد:**

المسجد: هو مدرسة لتعليم الناس القرآن والكتابة وتحفيظهم كتاب الله، لجميع أطوارهم صغارا وكبارا، ومكان للعبادة، ودراسة شؤون الدولة الإسلامية مركز إعلامي للإسلام، و ملجأ لمن لا ملجأ له⁽⁴⁾.

الزوايا: الزاوية مركز إشعاع علمي هدفه حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية، والمحافظة على القيم والأخلاق النبيلة، وهو بيت واسع أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضلاء، ومكان يلجأ إليه الضيوف والفقراء، وعابر سبيل

وحتى أنها كانت ملاجئ للمجاهدين والفتانين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد فرنسا⁽⁵⁾.

الكتاتيب القرآنية: الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب⁽⁶⁾، ونجد ابن سحنون يستعمل كلمة "مكتب" عوض لفظة "كتاب" في بعض الأحيان، ويظهر أن كلمة كتاب يقابلها في مناطق أخرى كلمات "كالمسيد" في الجزائر العاصمة. وغربها، والكتاتيب مراكز إشعاع علمي تطلق على مكان أو فضاء واسع يكون بجوار المسجد غالباً، يُشرفُ عليه شيخُ الحيِّ أو إمامُ المسجد هدفه تعليم القرآن الكريم وحفظه وتعليم قواعد اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي وأخلاقه للصغار والشباب الذي له رغبة في ذلك.

وقال ابن باديس في هذا الشأن: "إن التعليم المسجدي في قسنطينة كان قاصراً على الكبار ولم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية، فلما يسر لي الله الإنتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من جملة دروسي تعليم صغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم فكان ذلك أول عهد للناس بتعليم الصغار"⁽⁷⁾.

الكتاتيب في الزمن الأول: إننا إذا ما رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلم الأول لأصحابه، يحنّهم على طلب العلم ويُقرئهم القرآن الكريم، ثم كان يُقرئ بعضهم بعضاً، ويحثُّ كلَّ واحدٍ منهم على تعلّم القراءة والكتابة، بل إنه صلى الله عليه وسلم جعل التعليم مساوياً للحرية، حيث جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لا مال لهم أن يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة فيخلى سبيلهُ، فكان ممن تعلّم منهم زيد بن ثابت رضي الله عنه⁽⁸⁾، وكانت هذه الحادثة نقطة نشوء الكتاتيب في التاريخ الإسلامي، وقد استمر نظام تعليم القراءة والكتابة بأمر النبي ﷺ ثم الخلفاء من بعده، روي عن عبد الله بن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ - أمره أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتباً محسناً⁽⁹⁾.

وكان الأطفال في الكتاتيب يُعلّمون احترام اللغة العربية، خاصةً إذا كتبوا في ألواحهم آيات من القرآن الكريم، أو أحاديث النبي؛ فقد قيل لأُنس بن مالك الصحابي الجليل (ت93هـ): "كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة:

أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قال أنس: كان المؤدب له أجانة⁽¹⁰⁾ وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته (بترتيبه) ماء طاهراً، فيصبونه فيها، فيمحون به ألواحهم. قال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف. قلت: أفترى أن يلعط⁽¹¹⁾؟ قال: لا بأس به، ولا يُمسح بالرجل، ويُمسح بالمنديل وما أشبهه. قلت: فما ترى فيما يكتب الصبيان في الكتاب من المسائل؟ قال: أما ما كان من ذكر الله فلا يمحوه برجله، ولا بأس أن يمحو غير ذلك مما ليس في القرآن⁽¹²⁾.

فهذه الصورة الرائعة تعبر أصدق تعبير عما كان في نفوس أبناء ذلك العصر من احترام للحرف العربي عندما يكتب به الوحي الإلهي، فيختارون الماء الطاهر لمسحه ويحفرون له في الأرض ويصبونه لينشف⁽¹³⁾.

وقد استمرّ التعليم بالكتاتيب مدى الأزمنة والعصور في كل المجتمعات الإسلامية خاصةً في البوادي والقرى، فهذه الكتاتيب مع بساطتها وضيق مساحتها -عادةً- إلا أن لها دوراً مهماً في محو الأمية وربط المتعلّمين بكتاب الله، وتثوير عقولهم وصقل أسنتهم منذ الصغر، وممن اشتهروا في تاريخنا الإسلامي بالتعليم في الكتاتيب التابعي المقرئ أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي وقيس بن سعد، وعطاء بن رباح والكميت الشاعر، وعبد الحميد كاتب بني أمية، والإمام الزهري والأعمش والحجاج بن يوسف الثقفي⁽¹⁴⁾، والضحاك بن مزاحم أنه كان مؤدباً للصبيان في أحد كتاتيب الكوفة، وكان لديه ثلاثة آلاف صبي⁽¹⁵⁾! وأسد بن الفرات فاتح صفليّة، وغيرهم كثير ومنهم من كان يعلم الصبيان أول النهار والبنات في آخره.

وقد تعلم كثير من كبار الفقهاء والعلماء في الكتاتيب في صغرهم، فيحكي الإمام الشافعي عن مرحلة الكتاب في صغره، فيقول: "كنت يتيمًا في حجر أمي، فدفعني في الكتاب، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكننتُ أجالس العلماء⁽¹⁶⁾".

ونلاحظ من الأسماء المذكورة أنّ الكتاتيب في الزمن الأوّل كان يقوم عليها علماء كبار، حيث كان الأطفال ينهلون منهم شيئاً من العلوم الإسلاميّة إضافة إلى القرآن الكريم، وهذا ما افتقدته الكتاتيب في العصور اللاحقة.

حالة الكتاتيب في المغرب العربي: الكتاب مؤسسة من المؤسسات التعليمية القديمة في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة.

تختلف مساحة الكتاتيب من كتاب إلى آخر وغالبا ما يشتمل الكتاب على أربعة حجرات، واحدة لتعليم الصبيان والثانية سكن للطلبة الأفاقين، والثالثة للصلاة والرابعة للمؤونة والأدوات الضرورية، زد على ذلك أن هناك مرافق للوضوء، والوقود والطبخ وغيرها ومثل هذه الكتاتيب توجد بكثرة بناحي ندرومة منها كتاب أولاد العباس الحوانات، مسيردة،... والتي لا زالت قائمة لحد الآن، يمكن للزائر ان يشاهدها عن كئب(17).

ويوجد الكتاب على العموم ضمن أحد المنازل بالحي، أو ملحقا بأحد المساجد وكان يبني الكتاب شخص احتسابا لمرضاة الله، أو قد يكتريه معلم عن صاحبه ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ، وفيما يخص تجهيز الكتاب، فعادة ما يجلس التلميذ على حصائر مصنوعة من الديس، أو على مقاعد خشبية هي عبارة عن لوحات من الخشب المتصل والمستطيلة الشكل والتي لا تكاد ترتفع إلا بسننترات على سطح الأرض.

إلا أن متطلبات التطور المستمر أدى إلى تغيير طراً على الكتاب يتعلّق الأمر باستخدام مواد البناء الحديثة والتي بدأت تشق طريقها للتأثير بشكل أو بآخر على تخطيط وبناء الكتاب.

وكان لوظيفة الكتاب خدمة كلام القرآن الكريم وحفظه ونقله في الصدور بين الأجيال حتى وصل إلينا كاملا مصونا من الله سبحانه وتعالى، زيادة إلى تعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي.

ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة الدينية العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية، والمحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، والانتماء إلى الأمة الإسلامية والهوية الوطنية الجزائرية.

بالإضافة إلى تعليم قواعد اللغة العربية ومبادئها وأساسياتها فهي لغة القرآن الكريم بامتياز، تمشي معه وتخدمه وهو كذلك يعطي لها الاستمرارية والبقاء في هذا الوجود. وهي إحدى ثوابت الأمة الجزائرية. وخصوصا الفترة الاستعمارية الفرنسية⁽¹⁸⁾ التي عملت كل ما في وسعها ومخططاتها الشيطانية على طمس اللغة العربية وإيادة المعلمين والمتعلمين، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

خصائص التعليم الكتابي: يتميز التعليم الكتابي بعدة خصائص عن بقية المؤسسات التعليمية الحديثة، تكمن في: التعليم الكتابي نابع من حاجات المجتمع المحلي، فهو بذلك نتاج مبادرات شعبية. يكون لجميع أفراد المجتمع الغني والفقير على السواء، عاش برفقة الجماعات الرعوية، وهذه ميزة فريدة من نوعها.

لا يتطلب نفقات تسبير هامة، فهو بذلك اقتصادي من ناحية التكاليف المادية ومن حيث التجهيز والتخطيط.

إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا أن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحماة وحفظ القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية.

يشير الدكتور تركي رابح إلى الطرق المستعملة قائلا: «...تسود في الزوايا والمساجد طريقة الحفظ والتلقين... فالمعلم هو الذي يشرح، وهو الذي يحل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات».

وفي هذا الصدد يشير ابن خلدون قائلا: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الوردان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله...»⁽¹⁹⁾.

وكان مظهر التربية الإسلامية التدريسية سواء في المساجد أم الكتاتيب هو حلقة الدرس، حيث يجلس المعلم ويتجمع حوله مجموعة من التلاميذ، ولم يكن المعلم يستند إلى نص مكتوب، بل يعتمد هو الآخر على ذاكرته في إلقاء دروسه، وسرعان ما بدأ في استخدام المذكرات حالياً، ومن هذا المنطلق صار الإملاء والإستملاء أسلوباً له قواعده المحددة من طرف المعلمين⁽²⁰⁾.

وكانت مدة الدراسة في الكتاب تستمر إلى خمس سنوات تقريباً إلا أن نظام التعليم الإسلامي لا يضمن للتلميذ مرحلة متوسطة أو مرحلة سابقة لمرحلة لمرحلة التعليم بالمسجد، وعلى التلميذ الراغب بعد تخرجه من الكتاب الاستمرار في التعليم أن يبحث لنفسه حلقة بالمسجد أو مقعداً بالمدارس تعده للدراسات المتقدمة غير أن أغلب التلاميذ يقع اختيارهم على حرفة أو صناعة.

يستعمل التعليم الكتابي وسائل تربوية بسيطة تتمثل في اللوحة، والحبر المحلي (المداد المصنوع من السمغ)، وأدوات المحو تكمن في الصلصال (الطين)، وهي أدوات محلية تؤخذ من الطبيعة زهيدة التكاليف.

وقت الدراسة: تبدأ الدراسة بعد صلاة الصبح عند شروق الشمس، كل يوم عدا يوم الجمعة غالباً، فهي تحدد بعلامات طبيعية، تختلف من منطقة إلى أخرى، وتستمر إلى وقت أذان العصر⁽²¹⁾.

وقت الراحة: وأما بالنسبة لوقت الراحة فهو ضروري للصبية والمتعلمين، اهتم بها المعلمون منذ زمن بعيد رافة بالطلاب، وذلك لما يتلقاه الطلاب من عناء جراء الحفظ والقراءة، وقد حدد عند وقت الغداء، أو عند أوقات الصلاة (الظهر والعصر)، فهذا ابن الحاج العبدري - وهو من علماء المالكية بفاس في بلاد المغرب (ت 737هـ) يقول: «إن ذلك مستحب، لقوله: "رَوَّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ"⁽²²⁾. فإذا استراحوا يومين في الجمعة⁽²³⁾ نشطوا لباقيها»⁽²⁴⁾. وهناك عطل تفرض نفسها أيام الأعياد وحالات المرض، والرياح والعواصف والبرد والمطر الشديد.

وإذا تغيب المعلم لشغل طارئ «فعلية أن يستأجر للصبيان من يكون فيهم بمثل كفايته إذا لم تطل مدة ذلك... كذلك إن هو سافر فأقام من يوفيههم كفايته لهم، إن كان سفرًا لا بد منه، قريبًا اليوم واليومين وما أشبههما، فيستخف ذلك إن شاء الله وأما إن بُعد أو خيف بعد القريب لما يعرض في الأسفار من الحوادث، فلا يصلح له ذلك»⁽²⁵⁾.

طريقة التعليم في الكتاتيب: عندما يحضر التلميذ لأول مرة إلى الكتاب يقدم له الفقيه⁽²⁶⁾ لوحة ويسجل فيها حروف الهجاء العربية في جهة واحدة، أما الجهة الثانية فيسجل عليها سورة الفاتحة، ثم يبدأ المعلم في تلقين التلميذ هذه السورة جملة ليحفظها سماعا بدون تهجئة وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلا يمحوها بماء طاهر ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها في الشمس أو قرب النار لتتشف، ثم تسطر بقلم الرصاص، ويكتب المعلم سورة الناس للحفظ بالتلقين وبالسماع وهكذا صعدا مع المصحف.

أما حروف الهجاء فتبقى مسجلة في تلك الجهة من اللوحة لمدة أشهر حتى يحفظها التلميذ عن ظهر قلب، يحفظها أولا بأسمائها: ألف، باء، تاء... ياء، همزة. ثم ينتقل التلميذ إلى نطقها هكذا باللغة العامية: "ألف ما ينطقش"، الباء وحدة من تحت... الخ. ثم ينتقل التلميذ إلى معرفة سور الحروف وأشكالها، ومعرفة وجه الشبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها التلميذ كل يوم وينطق بها هكذا: الألف كالعصا، الجيم كالمخطف، وهكذا حتى آخر حرف.

وبعد هذا كله ينتقل التلميذ إلى معرفة كيفية النطق بالحروف وللطفل سور من القرآن الكريم في جهة من اللوح، ثم تأتي مرحلة ثانية تتمثل في كتابة المعلم سطورا من القرآن في جهة من اللوح وعلى التلميذ أن يمر بقلمه الغليظ على ما كتبه المعلم⁽²⁷⁾.

ثم تأتي المرحلة الثالثة: يكتب المعلم سطورا ويترك سطورا فارغا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه معلمه في السطر الأعلى محاكيا إياه والقصد من هذه المرحلة الأولية يتمثل في

تدريب التلميذ على حسن إمساك القلم والتحكم فيه صعودا ونزولا ومشيا به إلى الأمام وإلى الخلف ورفعته للتقريب وهكذا.

أما المرحلة الرابعة فيأتي دور التهجي يهجي التلميذ الكلمة التي يملئها عليه المعلم فيعدد حروفها، ويرجع عند كل حرف يريد كتابته إلى حروف الهجاء المرسومة في اللوحة، ويسجل الحرف المعني بصورته وحركته وينقطه إن كان يحمل نقطة وهكذا. وخالصة القول أن الطريقة التربوية التعليمية التي كانت متبعة في الكتاتيب هي قديمة وجدت مع وجود هذه المؤسسات، وبالرغم من أن هذه الطريقة لها ما يعاب عليها إلا أننا لا يجب أن ننكر مدى فعاليتها في شتى المجالات: الخلفية الاجتماعية التحفظية ومحو الأمية... الخ.

والنقد القائل بأن الطريقة المتبعة في هذه المؤسسات الدينية قد أهملت بصفة كاملة نفسية الطفل من حيث قدراته العقلية واستعداداته وميولاته لا يجد له الآن مبررا قاطعا في ذلك لأن معظم الكتاتيب الحالية وخاصة بعد ظهور علم النفس واستقلاله عن الفلسفة، أصبحت تنظر إلى الطفل على أنه ينفرد بشخصيته التي تميزه عن الآخر، وإن أهملت الحقبة الزمنية القديمة التي عاشتها الكتاتيب نفسية الطفل ذلك عيب العصر كله.

منهج التعليم في الكتاتيب: لقد كان للكتاتيب القرآنية أعظم الأثر في التاريخ الإسلامي، وما زالت إلى اليوم تحافظ على لغة أبنائنا في ظل الإهمال الحكومي للغة العربية والاهتمام المبالغ فيه باللغات الأجنبية، وما زال لها الدور الأكبر في تعليم عامة الناس مبادئ الدين والوضوء والصلاة؛ إذ أهملت الحكومات العربية والإسلامية هذا الواجب، وكذلك الحال في كثير من الدول الإفريقية والآسيوية فما زال الكتاب هو الرابط الأهم بين الطفل المسلم ودينه، ففيه يتعلم الأطفال الوضوء والصلاة والحروف العربية وقراءة القرآن وأركان الإيمان والإسلام، ولكن هذا لا يعني أبداً أن نغفل عن العمل على تصويب هذه الكتاتيب ودفعها للمزيد من العطاء... وسأشير إلى بعض النقاط التي تحتاج منا عناية وتصويبا.

أولاً: ممّا ينبغي إدراكه؛ أنّ أهمّ دورٍ للكتاتيبِ القرآنيّة هو ربطُ الطفل بالقرآن الكريم، وتربيته على الخلق والعملِ الصالح، والحفاظ على اللغة العربيّة والهويّة الإسلاميّة في المجتمع، وهذا لا يتأتّى إلا بالرجوع إلى المنهج الذي سار عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، فسيوخُ الكتاتيب هم أنفسهم عليهم أن يتخذوا القرآن الكريم منهاج حياةٍ ومشروعٍ عمُرٍ، وعلينا أن نبذلَّ جهدنا في تعريف المعلمين عظم الأمانة التي يحملونها وأن حفظ القرآن ليس في حفظ حروفه فقط، ولكن بالعمل والتخلق به، قال العلامة المغربيّ فريد الأنصاريّ رحمه الله: (إنّ الحفظ هو الذي مارسه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، حيث كانوا يتلقون خمس آيات أو عشرًا فيدخلون في مكابدة حقائقها الإيمانية ما شاء الله.. وإنّ الذي لا يُكابِد منزلة الإخلاص ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلّق بمقام توحيد الله في كل شيء رغبا ورهبا لا يمكن أن يُعتبر حافظا لسورة الإخلاص.. ثمّ إنّ الذي لا تلتهب مواجيدُه بأشواق التهجّد لا يكون من أهل سورة المزمّل..)⁽²⁸⁾، فلا بدّ للشيخ من أن يكون مربيا قدوةً لطلابه، منتبها لأخلاقهم، فلا يليق بمن يحفظ القرآن أن يسبّ ويتكلّم بالكلام الفاحش، أو يجلس يحفظ القرآن، فإذا أذن المؤذن للصلاة خرج يلهو ويلعب ولا يصلي كما يحدث في بعض الكتاتيب، وهنا يكون واجب المعلم ألا يركّز على التحفيظ فقط، بل يجب أن يكون هدفه تكوين شخصية متزنة تجمع بين الحفظ وجمالية السلوك.

ثانياً: وممّا ينبغي الانتباه له هو عدم اللجوء إلى العقوبات العنيفة التي تتفرّ الطلاب من حفظ القرآن، فكانت العقوبة عنيفة لبعض التلاميذ العدوانيين والذين يقومون بتصرفات غير لائقة بحلقة الحفظ، فيضطر المعلم عقابهم حتى يعيدهم إلى سكة الحفظ والطاعة والاستسلام لكل أوامر المعلم واحترامه واحترام زملائه، فيعاقب بعقوبة تسمى (الفرقة) وهي أن جلس التلميذ على الحصير ثم يرفع رجليه قليلا ويختار لذلك المعلم طالبيين قويين حتى يتحكموا في ضبطه وعدم حركته ويضعون عصا تحت رجليه وأخرى فوقها بعدها يبدأ المعلم بضربه أسفل الرجلين بعصا من الزيتون تكون رقيقة وطرية، حتى يستسلم ويطلب العفو وعدم القيام بفعلته، وأنه يتفرغ لحفظ القرآن، وإذا

سمع أبوه بهذه العقوبة سيسلط عليه عقوبة أخرى على أنه طالب غير راض بالدراسة وحفظ القرآن ليس صعبا وإنما هو ميسرٌ من عند الله، فيجبُ التيسير والتسهيلُ في تحفيظه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ سورة القمر: آية 17 فينبغي بسطُ يد الرحمة للمتعلمين -خاصة الصغار منهم- وتشجيعهم على قراءة القرآن وحفظه، ولا يقولنَّ إنسانٌ إنَّ ابني سبسي ما قرأ وحفظ فما فائدة الاستدامة في هذه الكتاتيب؟ فإنَّ الإنسانَ وإن كان يحفظ القرآن وينسى، فإنَّ عليه أن يستمرَّ لأنَّ القرآن يشتغلُ في داخله من حيث لا يشعر، فمعَ مرورِ الوقت سيظهرُ قلبه ويهدبُ سلوكه يقول فريد الأنصاري رحمه الله: (وإنَّ أحقَّ ما توهبُ له الأعمارُ كتابُ الله، وفي مثلِ بليغ أن نملة انطلقت في طريقها عاقدة عزيمتها على حج بيت الله من أقصى الأرض فقبل لها: (كيف تدركين الحج وإنما أنت نملة؟ إنك ستمتوتين قطعاً قبل الوصول) قالت: (إذن أموتُ على تلك الطريق) (29)، فالشاهدُ من هذا المثل أن يُكرسَ الإنسانُ حياته لكتابِ الله لا يكلِّ ولا يملُّ ولا ييأس، ليرضى الله عنه ويفتح عليه من أسرار القرآن الكريم، أو يأتيه أجله وهو على ذلك.

ثالثاً: كما يجب أن تضمَّ الكتاتيب دائماً جناحاً للبنات، للحرص على تخريج الفتاة القرآنية المتشعبة بأخلاق القرآن الكريم، وإني لأعلم في بلادنا بلاد المغرب شيخاً جليلاً كرس حياته لتحفيظ البنات صغاراً وكباراً منذ أربعين سنة في كتاب متواضع جانبَ مسجدٍ، ولقد رأيته يتردد على الكتاب صباحاً ومساءً كل يومٍ ولم يشك قطُّ كل تلك السنين من تعبٍ أو بُعد الطريق، يدرسه بالألواح والمصاحف حيثُ يجلسُ الصبيان الصغار لأقل من عشر سنوات في الأمام والبنات والنساء في الخلف ويحفظ المتميزات منهنَّ بعض المتون العلمية بعد تمكنهنَّ من القراءة والكتابة، وقد تخرجت على يديه مئات الحافظات والمربيَّات الطاهرات.

رابعاً: يستحبُّ للشيخ المعلم أن يستخدم السبورة لشرح بعض قواعد التجويد، أو لشرح الآيات، مراعاة للفروق الفردية، ولا يتمُّ الاقتصار على التلقين، ففي بالِ الطفل اليوم كثيرٌ مما يُشغله ويحتاجُ إلى مزيدٍ من جذب اهتمامه والعناية به.

خامساً: خلقُ جوٍّ من الراحة النفسية للطلاب بإشعارهم بالأمان وعدم ترهيبهم وفي المقابل تحسيسهم بعظمة القرآن الكريم وعدم ترك المجال لهم للاستهانة بالحفظ أو بحرمة القرآن الكريم.

سادساً: ربطُ شراكاتٍ مع الجمعيات الإسلامية أو مع مؤسسات الأوقاف لتنظيم مسابقاتٍ وتحفيز الحافظين والحافظات وتكريم أصحاب الأخلاق الحسنة. كان التعلُّم في الكتاب يأخذ معظم نهار الطالب من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر أو العصر عدا يوم الجمعة غالباً، ويختلفُ منهجُ التعليم من كتاب إلى آخر حسب بيئة المُلقِّن ومستوى ثقافته، حيث يجلس المعلم على الأرض مواجهًا طلابه ويتجمّع التلاميذ المبتدئون على مسافةٍ قريبةٍ من الشيخ المعلم، ويقوم مساعدٌ له من الطلبة المتميزين بإرشادهم، وغالبًا ما يعتمد التحفيظ على وسائل معروفة من ألواح خشبيةٍ وأقلام.

أول ما يبدأ به الطالب في الكتاب هو تعلم الحروف والكتابة والقراءة عن طريق الشيخ أو عن طريق مساعديه، ثم يلقنه الشيخ القرآن الكريم إلى أن يتعلّم ويصبح ماهراً يكتبُ لوحةً بيده، ويلزمهمُ الشيخ باستظهار القديم قبل الجديد من المحفوظ، ولا يسمحُ بالخطأ فيه، فإن أخطأ يكلفه بإعادته مرّات ومرّات حتى يستظهره، وقد يعاقبه إن أخطأ.

كانت عقوبات شيخ الكتاب نظاماً متعارفاً في الكتاتيب، ولكنها قد تكون قاسيةً في بعض الأحيان، حتى إن منها ما كان سبباً في انفصال العديد من الطلبة عن التعلّم وحفظ القرآن، ومنها ما ترك آثاره السلبية في نفوس كثير من الحفظة، كما لا ينكر أحدُ الآثار الإيجابية للعقوبات حينما توضع في موضعها وبمقدارها الصحيح.

أمّا استراحة الطلاب والمعلمين؛ فقد كانت يوم الجمعة، وكانت بداية ذلك في عصر الخلافة الراشدة استناداً إلى ما روي أن أطفال الكتاب في المدينة المنورة خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميسٍ لاستقبال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير على الأقدام عناءٌ شديداً، فأشار

عمر أُلّا يذهب الأطفال إلى الكتّاب في يوم الجمعة التالي ليستريحوا ممّا نالهم⁽³⁰⁾ وصار الأمر بعد ذلك عادةً متبّعةً في أن يكون يومُ الجمعة يومَ راحةٍ وإجازة.

وقد خرّجت تلك الكتاتيب حُفَاطًا وقُراء وعلماء كبار في الماضي، ورغم انتشار التعليم الأكاديمي فقد كان طلاب الكتاتيب متميّزين في المدارس لحذق فهمهم وتوقّد ذاكرتهم بسبب أخذهم القرآن الكريم غصًا طريًا منذ نعومة أظفارهم، إلّا أن دورها قلّ في الأزمنة الأخيرة وضُعفت وظيفتها، لأنّها لم ترَ اهتمامًا ولا تطويرًا في منهجها إضافةً إلى انتشار المدارس الحكوميّة.

ومختصر الكلام؛ يجب الاهتمام بكلّ الوسائل التي تُسهّم في نشر ثقافة حفظ كتاب الله تعالى بين الناس، ويبقى أهمّ شيءٍ في ذلك كلّهُ أن يحمل الشيخُ أو المعلّم رسالةً وهدفًا في تعليمه لكتاب الله تعالى، وبيتغي بذلك وجه الله خالصًا له، مربيًا طلابه على أخلاق القرآن الكريم.

واقع الكتاتيب اليوم: واقع الكتاتيب اليوم يندى له الجبين، لغزو الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، والتطور العلمي والتكنولوجي، لقد همش دوره، واتهم بتخريج التطرف وأوكار للجماعات المتطرفة، واهتم المجتمع بالمدرسة والتعليم الرسميّ محلّها إن عدم إدراك أهميّة الكتاتيب القرآنية ودورها في الحفاظ على الدين واللغة من قبل بعض المجتمعات يُهدّد مستقبلها، ممّا يوجب علينا التعريف الدائم بدورها في المجتمع والحرص على دعم مسيرتها. ولكنها ما زالت مستمرةً في معظم المجتمعات الإسلاميّة في فترة الإجازة الصيفيّة أو بعد العودة من المدرسة، ومع كلّ التهميش والمضايقات التي تُحاصرها فما زالت قائمةً بفضل الله، وقد اتخذت بعض القوى المتنفذة في العالم من هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، حجةً للضغط على الدول الإسلاميّة لإجبارها على إغلاق كثير من كتاتيب تعليم القرآن الكريم، كما حدث في باكستان وأفغانستان وغيرها من الدول بحجة أن هذه الكتاتيب تخرّج المتطرفين والإرهابيين، وقد وجدت بعض الحكومات العلمانيّة المتطرفة في ذلك الوقت في التوجه الأمريكي حجةً للتضييق على الكتاتيب والمدارس الإسلاميّة من خلال إغلاقها أو

التدخل في شؤونها وبرامجها الداخلية كما فعل نظام الأسد في سوريا عقب حربي أفغانستان والعراق.

رغم ما هو معلومٌ للجميع من إيجابيات هذه الكتاتيب فإنها لا تخلو من بعض المآخذ، منها:

- أن بعض المعلمين لا يهتمّ بمن تحت يده بمقدار ما يهتمّ بما يجني منهم من رزق زهيدٍ سواء من أئمة مساجد أم سواهم، وبعضهم منطوِّعون لا ينالون مقابل عملهم أجرًا مما يُشغلهم عن التفرّغ التام للتعليم؛

- ضعفُ التكوين العلمي والمنهجي للشيخ المعلم، فأغلبهم لا يزيدون على حفظ القرآن الكريم، دون إلمامٍ بعلوم اللغة أو التفسير، مما يقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وفهمه، وبين الحفظ والسلوك؛

- قصورُ البرنامج التعليمي فيها عن الحفاظ على شخصية الياقعين في مواجهة دعوات التطرّف والعلوّ التي تستغلّ حماس طلاب القرآن لخدمة الإسلام؛ إذ تقوم بتوجيه بعضهم إلى خدمة أهدافها الشريرة، كما فعلت داعش في سوريا والعراق؛

- ومن سلبيات الكتاتيب قديمًا وحديثًا الاهتمام بتحفيظ الذكور دون الإناث في أغلب الأحيان؛

- عدم الاهتمام بطرق التعليم الحديثة، التي تتناسب أكثر مع تركيبة الطفل في عصرنا، وما فيها من وسائل التحفيز التي تحبّب الطالب بكتاب الله، وتجعله يتردّد على الكتاب بفرحٍ وشغفٍ.

خاتمة: إن الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المظهر الخارجي، إلا لأن الطريقة التربوية التعليمية بها عرفت نجاحا كبيرا، وخير دليل على ذلك ظهور العلماء الإجلاء وحماة وحفظة القرآن الكريم، قد تلقوا تعليما بهذه المؤسسة الدينية.

لقد أسهمت الكتاتيب القرآنية في الحفاظ على استمرارية القرآن الكريم ونقله حفظًا وشفاهة بين الأجيال، وتعليم اللغة العربية التي تعتبر إحدى ثوابت الأمة الجزائرية.

والمحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة والشخصية الوطنية الجزائرية، وعلى الهوية الإسلامية. كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الاستيلاء إبان فترة 130 سنة من الاستعمار الفرنسي، وضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية.

وأهم دور للكتاتيب القرآنية هو ربط الطفل بالقرآن الكريم، وتربيته على الخلق والعمل الصالح، والحفاظ على اللغة العربية والهوية الإسلامية في المجتمع. وقد اهتم النبي ﷺ بتعليم الأطفال والشباب، إذ أمر أسرى المشركين عقب غزوة بدر، أن يُعلم كل واحد منهم "عشرة من الغلمان الكتابة، ويخلى سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمة الأنصار.

وقد خرّجت تلك الكتاتيب حُفَاطًا وقُراء وعلماء كبار في الماضي، ورغم انتشار التعليم الأكاديمي فقد كان طلاب الكتاتيب متميزين في المدارس لحذق فهمهم وتوقّد ذاكرتهم بسبب أخذهم القرآن الكريم غصًا طريًا منذ نعومة أظفارهم وكان للكتاتيب دورًا مهمًا في محو الأمية وربط المتعلمين بكتاب الله، وتبوير عقولهم وصل أسنتهم منذ الصغر.

ولقد اشتهر في تاريخنا الإسلامي بالتعليم في الكتاتيب التابعي المقرئ أبو عبد الرحمن السلميّ الكوفي وقيس بن سعد، وعطاء بن رباح والكميت الشاعر، وعبد الحميد كاتب بني أمية، والإمام الزهري والأعمش والحجاج بن يوسف النقفي، وأسد بن الفرات فاتح صقلية، وغيرهم كثير.

وتعد الكتاتيب القرآنية إشعاعًا ثقافيًا مهمًا في المجتمع المسلم، فهي تُسهّم في حفظ القرآن الكريم والحفاظ على اللغة العربية ونشر العلم، والأخلاق والقيم الإسلامية، فإذا عمّت وانتشرت هذه الكتاتيب في المجتمعات؛ فسيكثر الخير والنفع والفضيلة ببركة القرآن الكريم، وينشأ جيلٌ قرآنيٌّ يحفظُ عرى الإسلام، فمن أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معًا فعليه بالقرآن، فيه عزُّ الدين والدنيا والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. ابن أحمد التيجاني، عبد الرحمن : الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977. - الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
2. ابن خلدون : المقدمة. - مصر، مطبعة محمد عاطف، بدون تاريخ.
3. ابن سحنون، محمد : آداب المعلمين، مطبعة ش. و. ن. ت، الجزائر، 1972.
4. الإمام الشافعي، الرسالة، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1938م.
5. بوفلجة، غياث : التربية و متطلباتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
6. تركي، رايح : التعليم القومي والشخصية الوطنية، الطبعة الأولى، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر.
7. حسن حسني عبد الوهاب، مقدمة كتاب آداب المعلمين ص57، وعلي بن نايف الشحود: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل.
8. حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص185.
9. رايح، تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. الجزائر الطبعة الثالثة.
10. زايد، مصطفى، المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة، مجلة الثقافية، العدد 93، وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، 1986.
11. الزركلي، الأعلام ج/2.
12. زغلول، راغب محمد النجار، أزمة التعليم المعاصر، نظرة إسلامية، مكتبة الفلاح الطبعة الأولى 1980.
13. الصفي: الوافي بالوفيات، ج/11.
14. العبيدي التوزري، إبراهيم : تاريخ التربية بتونس. - تونس، الشركة الوطنية للنشر.
15. فريد الانصاري، رسالات القرآن تقديم عبد الناصر المقرئ ص 13 دار السلام للطباعة والنشر /الطبعة 1 / القاهرة 2010.
16. محمد بن سحنون، آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب ص 148 دار الكتب الشرقية تونس.

17. محمد عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي ج 2 ص 48 الطبعة الثانية.

18. مسند الشهاب القضاعي، والأصبهاني، حلية الأولياء 104/3، ويشهد له حديث: "يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ". مسلم: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة... (2750).

الهوامش:

¹ - بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن : الكتاتيب القرآنية بندرومة من سنة 1900 إلى 1977.- الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983. - ص.13.

² - زغلول، راغب محمد النجار : أزمة التعليم المعاصر - نظرة إسلامية، مكتبة الفلاح الطبعة الأولى 1980، الكويت. - ص. 176.

³ - العبيدي التوزري، إبراهيم : تاريخ التربية بتونس.- تونس، الشركة الوطنية للنشر - ب ت - ص. 97.

⁴ - زغلول، راغب محمد النجار : أزمة التعليم المعاصر - نظرة إسلامية، مكتبة الفلاح الطبعة الأولى 1980، الكويت. - ص. 176..

⁵ - بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن : المرجع السابق الذكر.- ص. 80.

⁶ - بن سحنون، محمد : آداب المعلمين.- الجزائر، مطبعة ش. و. ن. ت، 1972. ص.64.

⁷ - رابح، تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر. الجزائر الطبعة الثالثة.

⁸ - رابح، تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر. الجزائر الطبعة الثالثة.

⁹ - رابح، تركي : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر. الجزائر الطبعة الثالثة.

¹⁰ - إناء من فخار يُوضع فيه الماء.

¹¹ - يلعط أي يلحس، ولعل المراد هنا انطباع الأحبار على الأيدي أو الأرجل.

¹² - ابن سحنون: آداب المعلمين ص40، 41.

¹³ - يراجع: أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة ص281.

- 14 - الحجاج بن يوسف الثقفي: هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (40-95هـ / 660-714م)، قائد، داهية، خطيب. ولاء عبد الملك مكة والمدينة والطائف ثم العراق. ولد ونشأ في الطائف، وتوفي بواسط (بين الكوفة والبصرة). انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات 236/11-241، والزركلي: الأعلام 2/168.
- 15 - الذهبي: العبر 1/94.
- 16 - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 74/58.
- 17 - بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن: المرجع السابق. - ص.ص 19-20.
- 18 - زايد، مصطفى: المؤسسات التربوية القديمة في الجلفة. - الجزائر، مجلة الثقافية، العدد 93، وزارة الثقافة و السياحة بالجزائر 1986. - ص.129..
- 19 - ابن خلدون: المقدمة. - مصر، مطبعة محمد عاطف، بدون تاريخ. - ص.416.
- 20 - السمعاني: كتاب الاملاء والاستملاء. - حرره ماركس فايز، 1952
- 21 - حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص185.
- 22 - مسند الشهاب القضاعي (629)، والأصبهاني: حلية الأولياء 104/3، ويشهد له حديث: "يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ". مسلم: كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة... (2750).
- 23 - يقصد في الأسبوع.
- 24 - ابن الحاج العبدري: المدخل 2/321.
- 25 - حسن حسني عبد الوهاب: مقدمة كتاب آداب المعلمين ص57، وعلي بن نايف الشحود: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ص38.
- 26 - الفقيه لغة من كان شديد الفهم، عالما ذكيا و العالم بالفقه.
- 27 - بن أحمد التيجاني، عبد الرحمن: المرجع السابق. - ص.ص 37-38.
- 28 - هذه رسالات القرآن فريد الانصاري، تقديم عبد الناصر المقرئ ص 13 دار السلام للطباعة والنشر / الطبعة 1 / القاهرة 2010.
- 29 - هذه رسالات القرآن ص 17.
- 30 - التراتيب الإلهية 294.

أثر المدارس القرآنية في تنمية الملكة اللغوية لدى الطفل "دراسة ميدانية بمدرسة دار الحديث القرآنية تلمسان"

د. فاطمة سعدي

م. ب. ت. ل. ع. وحدة البحث تلمسان

إن للكتاتيب والمدارس القرآنية أهمية كبيرة في التنشئة اللغوية للطفل ما قبل المدرسة، والتي تصب جل اهتمامها للعناية بهذه الشريحة التي تعتبر أساس بناء المجتمع، وتعتبر التنشئة اللغوية السليمة للأطفال حقا مشروعاً تضمنه جميع المواثيق القانونية، ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تبيان الدور الفعال التي تقوم به المدارس القرآنية في تهيئة الطفل لمرحلة التعليم، وتعليم الطفل أبجديات اللغة العربية وتقويم النطق الصحيح للحروف وإدراك مخارجها وتكون هذه التنشئة اللغوية للطفل انطلاقاً من الأسرة وهي النواة الأولى التي يعيش فيها الطفل، وصولاً إلى الكتاتيب والمدارس القرآنية وأقسام التعليم التحضيري التابعة للمساجد، وهذا ما تطرقنا له من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في مدرسة دار الحديث القرآنية بمدينة تلمسان كما هو مفصل في الورقة البحثية الكاملة.

الإشكالية: ما دور المدارس القرآنية في تنمية المهارات اللغوية للطفل بمرحلة ما

قبل التمدريس؟

- كيف تسهم الكتاتيب المدارس القرآنية في التنشئة اللغوية لطفل ما قبل التمدريس؟

الكلمات المفتاحية: التنشئة اللغوية، الكتاتيب، المدرسة القرآنية، المهارات اللغوية.

تعريف المدرسة القرآنية: هي مؤسسة دينية تعليمية تابعة لوزارة الشؤون الدينية

يلتحق بها أفراد من مختلف الأعمار، وتتباين فيها مستويات التعلم، وتدرّس باقي

العلوم الشرعية المساعدة على فهم معاني الألفاظ القرآنية وروح الشريعة الإسلامية.¹

- كما يعرفها أبو القاسم سعد الله "أقل وحدة في التعليم الابتدائي" وكانت هذه المؤسسات تعلم وتربي الأطفال على هدي القواعد الإسلامية وعلى حفظ النمط الاجتماعي المحدد وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتسهم أيضا في إعطاء قسط من المعارف التي تساعد على بناء وإنماء منظومة ثقافية ودينية في المجتمع إلى جانب ذلك كانت المدارس تعد شعبا متخصصا لا يوجد فيه إلا عدد قليل من الأميين إضافة إلى حفظ القرآن كما أن تكرار التعليم فيها يمرن اللسان على الفصاحة والقراءة ثم الكتابة من خلال الاعتياء بالخط.²

وظائف المدرسة القرآنية:

- 1- تهذيب سلوك الطفل وتربيته على المواقف الأخلاقية النابعة من حضارتنا الإسلامية؛
- 2- تدريبهم على حفظ أجزاء من القرآن وتسميعهم قصصا أخلاقية تدعوهم إلى تهذيب السلوك؛
- 3- تدريبهم على الحوار البسيط مع تعليمهم النطق الصحيح والسلام وتعليمهم الفصاحة والبلاغة في المخاطبة والحوار؛
- 4- تعليمهم فنون الخط العربي الأصيل؛
- 5- تهيئتهم للتعليم الرسمي؛
- 6- تساعد الأطفال على تفتح طاقاتهم وقدراتهم وإبداعاتهم وذلك بتدريب حواسهم وتكوين المهارات العقلية لديهم.³

إثراء الرصيد اللغوي: يكتسب قارئ القرآن رصيذا لغويا ثريا، فترتقي ملكته في البلاغة عن غيره، فيكون كلامه في نظمه ونثره أحسن وأصفى طلاقة وفصاحة لغوية احسن من الذين يدرسون القرآن الكريم، "والثروة اللغوية ذات أهمية كبرى في اكتساب الملكة اللسانية، بل في غيرها فهي تساعد المرأ على فهم كثير مما يقرأ أو يسمع مما يحفظه إلى سرعة القراءة وإلى الحديث بطلاقة، كما يساعده على الحديث عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، والتويع بين المترادفات ليعبر عن المواقف باللفظ المناسب له

كما تمنحه الثروة اللغوية قدرة فائقة على التفكير، وعلى التعبير عما في النفس من مشاعر وأحاسيس ورؤى وأفكار، وتمده بقدرة على التأثير والاقناع فضلا عما في الثروة اللغوية من تنشيط الابداع وتحفيز على التواصل والتفاعل مع الآخرين واستتطاق آرائهم وأفكارهم واكتساب خبراتهم⁴

إن غياب الثروة اللغوية بضعفها أو انعدامها ينتج عنه آثار سلبية على الأفراد حيث يتسبب ذلك في ضيق الأفق الثقافي والفكري لديهم، فتضمحل إبداعاتهم وتضطرب شخصياتهم، فيؤدي بهم ذلك إلى عزلة اجتماعية⁵.

دور حفظ القرآن في تنمية مهارات الاستماع: لقد ارتبطت مهارة الاستماع منذ القدم بتعليم القرآن الاستماع إليه، التدبر في معانيه، التكرار، الحفظ، في المساجد والزوايا والمدارس القرآنية، لاكتساب اللغة البليغة الفصيحة، "لغة القرآن الكريم" للقرآن الكريم أثر كبير في تنمية وتطوير مهارة الاستماع وبالجمال فنون اللغة العربية ككل - مهاراتها - الاستماع والقراءة والكلام والكتابة، ولذلك سيتم التطرق إلى بيان أثر القرآن الكريم في تنمية كل مهارة من هذه المهارات على حدة. فالاستماع الجيد له أهمية بالغة في رفع مستويات المتعلمين الفكرية واللغوية، فبه يتم استقبال أكبر كم من المعلومات والأفكار والمعارف، وبالتالي تخزينها في الدماغ وتحليلها وتركيبها وفهمها ونقدها والحكم عليها وتقويمها فالاستماع ينجم عنه تحصيل مستوى معرفي عال وتكوين ثروة لغوية هائلة **مصطلحات**، وكل ذلك يتحقق بالاستماع الجيد، أي الاستماع إلى الأمور المهمة التي تفيد المتعلمين في مختلف المجالات.

إن الاستماع إلى القرآن الكريم يجعل المتعلم قادرا على الانصات الجيد يعي وينتقي الأمور والقضايا التي يستمع إليها والتي تعود عليه بالفائدة، كما يصبح متعلما ماهرا في الاستماع فتمو لديه هذه المهارة بشكل تدريجي، من خلال إنصاته للحروف المنطوقة بطريقة سليمة مما يجعل نطقه للأصوات من مخارجها نطقا سليما، وبالتالي الكلمات والعبارات ينتج كلمات وعبارات سليمة وصحيحة، فيكتسب بذلك فصاحة اللسان وقوته، لكون القرآن الكريم فصيحاً بليغاً قوياً، بالإضافة إلى ذلك تخزن لديه أنقى

الكلمات والآيات التي يستشهد ويبرهن ويثبت بها رأيه، فتعلو منزلته وتتمو مهاراته اللغوية ويرقى مستواه الفكري والأخلاقي وبذلك يظهر عليه أثر القرآن الكريم من عند استماعه وإنصاته إليه.⁶

مهارة الكتابة وعلاقتها بالقرآن الكريم، يمكننا إجمالها في النقاط التالية:

أ- مهارة الضبط النحوي للقرآن، لتحقيق الغاية من الإعراب في الكشف عن المعاني النحوية، وإزالة اللبس الذي يحصل عند القراءة لما كتب بغير الضبط.
ب- مهارة الضبط الصرفي للألفاظ لإزالة الابهام ورفع الإشكال، وبخاصة في الألفاظ التي يقع فيها اللبس إذا فقد الضبط.

ت- مهارة الرسم الإملائي الصحيح: لقد أثبتت جل الدراسات تفوق الذين يحفظون القرآن في مهارة الرسم الإملائي الصحيح، ويعود السبب في إتقان مهارة الإملاء لمن يحفظ كتاب الله إلى أن كثرة النظر والقراءة للقرآن ما يؤدي إلى رسوخ رسم الكلمات في الذهن، فحين يحتاج إليها في الكتابة يتذكر رسمها كما جاءت في المصحف الكريم.⁷

دور القرآن في تثبيت مهارة القراءة: القراءة هي نشاط فكري يقوم على انتقال الذهن من الحروف والأشكال التي تقع تحت الأنظار إلى الأصوات والألفاظ التي تدل عليها وترمز إليها وعندما يتقدم التلميذ في القراءة يمكنه أن يدرك مداولات الألفاظ ومعانيها في ذهنه دون صوت أو تحريك شفثيه.⁸

الدراسة الميدانية:

عينة الدراسة: أقيمت الدراسة بمدرسة لدار الحديث القرآنية، حيث تعاملنا مع الاطفال المسجلين في نفس المدرسة والمداومين على الدراسة فيها. كما تعدت الدراسة إلى دراسة أربع حالات من خارج مدرسة دار الحديث ينتمون إلى مدارس قرآنية مختلفة.

دار الحديث: هي واحدة من أشهر مدارس جمعية علماء المسلمين الجزائريين بناها الإمام محمد بشير الإبراهيمي بمعونة أهالي تلمسان، افتتحها الإمام عبد الحمد بن بديس

استعمال الزمن للسنة الدراسية: 2018/2019.

التوقيت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس
الفترة الصباحية					
08:00 / 09:00	تربية بدنية/مراجعة في مادة التربية الأخلاقية				
09:00 / 09:30	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن
09:30 / 10:00	أخلاق "قصة"	أخلاق "قصة"	أخلاق "قصة"	أخلاق "قصة"	أخلاق "قصة"
10:00 / 10:30	استراحة وأخذ للمجة				
10:30 / 10:45	نشيد				
10:45 / 11:20	محادثة	تربية رياضية	قراءة/كتابة	تربية رياضية	كتابة
11:20 / 11:30	الاستعداد للخروج				

الفترة المسائية

14:00/13:00	نشاط "رسم، تلوين، عجين"
14:30/14:00	مراجعة القرآن الكريم
15:00/14:30	تطبيقات "لغة/تربية رياضية"
15:30/15:00	استراحة 10د وأخذ للمجة 10د
15:45/15:30	نشيد
16:20/15:45	ملاحظة المحيط/قصة ترفيهية
16:30/16:20	إستعداد إلى الخروج

محتوى البرنامج التعليمي لأطفال ما قبل المدرسة بدار الحديث مادة القرآن الكريم

السورة	المدة الزمنية
سورة الفاتحة	أسبوعين أو أكثر
سورة الناس	أسبوعين
سورة الفلق	أسبوعين
سورة الإخلاص	أسبوع + مراجعة عامة
سورة المسد	أسبوعين
آية الكرسي	3 أسابيع
سورة النصر	أسبوعين
سورة الكافرون	أسبوعين
سورة الكوثر	أسبوع + مراجعة
سورة الماعون	أسبوعين
سورة الفيل	أسبوعين
سورة الهمزة	أسبوعين
سورة العصر	أسبوع + مراجعة عامة

مادة الأخلاق:

دعاء/حديث	شرح الدعاء أو الحديث
دعاء الانشراح	"رب اشرح لي صدري....."
دعاء الصباح	أصبحنا وأصبح الملك لله
دعاء طلب العلم	من سلك طريقا....
دعاء النوم	"باسمك اللهم أموت وأحيا"
حديث النظافة	قال رسول الله ﷺ "إنّ الإسلام..."
حديث آداب الأكل	قال رسول الله ﷺ "سم الله وكل..."
دعاء ما قبل الأكل	"اللهم بارك لنا...."
دعاء ما بعد الأكل	"الحمد لله الذي أطعنا...."

دعاء الدخول والخروج من البيت	بسم الله توكلت على الله.... "بسم الله ولجنا...."
دعاء الدخول والخروج ما الخلاء	اللهم إني أعوذ....."
آية بر الوالدين	قال تعالى "وقضى ربك...."
داء المغفرة- دعاء الحسنات- حديث الرحمة- حديث حسن الجوار- تشميت العاطس- الباقيات الصالحات.	

برنامج تنمية مهارة المحادثة نذكر منها:

- الدرس 1: التمييز بين المذكر والمؤنث هذا/هذه
 الدرس 02: التعرف على أفراد الأسرة من؟!/من هذا؟ من هذه؟.
 التعرف على المدرسة "القسم-المكتب-الساحة-المعلم-المعلمة-الأدوات
 4- التمييز بين المذكر والمؤنث باستعمال الضمائر: هو، هي...
 5- دراسة الاتجاهات: فوق، تحت، أعلى، أسفل، أمام، وراء.
 6- دراسة الاتجاهات يمين / يسار.
 7: توظيف جمل بسيطة باستعمال الضمائر انا- أنت- أنت- هو....

برنامج لغة قراءة وكتابة.

- الشروع في دراسة الحروف: تحفيظ الحروف الهجائية يوميا.
 أ- ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر-ز-س-ش-ص-ض-ط-ظ-ع-غ-ف-ق-ك-ل-م-ن-ه-و-ي.
 تحفظ نشيد القرآن.
 دراسة الحروف بحركاتها الثلاث ووضعياتها الثلاث.
 ملاحظة: الطريقة المتبعة هي قراءة الكلمة ثم استخراج الحرف وإدراكه ثم كتابته على الألواح عدة مرات ثم الكتابة على الكراس.

نتائج دراسة بعض الحالات الأولى يدرس بالمدرسة القرآنية والثانية لا يدرس في

المدرسة القرآنية

المهارات اللغوية	درس بالمدرسة القرآنية	لم يدرس بالمدرسة القرآنية
مهارة الاستماع	يعزز التركيز أثناء الاستماع والانتباه إلى مخارج الحروف استيعاب "الرسالة /الهدف" بعد شرح الكلمات الصعبة من طرف الشيخ حسب طلب المتعلم لإدراك الهدف من الأحداث الواردة في السورة. إدراك العلاقة بين معاني الآيات السابقة واللاحقة. التدريب على القراءات القرآنية مثل رواية ورش ورواية حفص مثلا يعزز مهارة وحسن الاستملاء الجيد.	لا يحسن الاستماع ومشتت الدهن والأفكار
مهارة التحدث	إخراج الأصوات بإتقان في لفظها خاصة إذا كان الحفظ مرفقا بالتجويد. امتلاك معجم لغوي من القرآن الكريم وتوظيفه حسب المواقف المختلفة التي يمر بها. يملك فصاحة وطلاقة لغوية في أثناء تحدثه. تصحيح النطق السليم للكثير من الحروف والمفردات. تدريب الجهاز الصوتي على النطق الصحيح مثل الحروف القوية الظاء والضعيفة والضاد	لايستطيع التحدث بطلاقة. لا يحسن التعبير عن أفكاره. يخطئ بين المفردات. لاينطق الحروف بشكل جيد
مهارة القراءة	التفاعل مع النص المقروء وفهمه. للقرآن الكريم دور كبير في تنمية مهارة القراءة "الجهرية والصامتة" القراءة بسرعة وبدون عقد. احترام علامات الوقف والاستفهام والتعجب....الخ	بطيء في القراءة الجهرية والصامتة. يعاني من عدة صعوبات لغوية خاصة في بداية التعلم سنة أولى من مرحلة التعليم

<p>الإبتدائي. يعاني من التأأة. لا يحترم علامات الوقف.</p>	<p>احترام ضبط النص المقروء.</p>	
<p>لا يجيد الكتابة. يرتكب العديد من الأخطاء الإملائية</p>	<p>يحسن رسم الحروف وضبطها الإملائي ماعدا بعض الكلمات التي يختلف رسمها بين القرآن والنص العادي. يمتلك القدرة للتمييز بين الألفاظ المتشابهة أو المتقاربة في حروفها.</p>	<p>مهارة الكتابة</p>

خاتمة: لا شك أن المهارات اللغوية مرتبطة ببعضها البعض، والقرآن الكريم يعد رصيذا زاخرا لتنمية الرصيد اللغوي للمتعلم، وهو بمثابة المصدر للمصطلحات التي يتعلمها لاسيما إذا سمعها من مقرئ يجيد القراءة فتقع في نفسه وقعا حسنا وتترسخ المفردة لديه، كما يساعده على التمييز بين الأصوات المتشابهة.

يساعد حفظ القرآن على تنمية الفصاحة والطلاقة اللغوية للمتعلم، كما يساعده على تعلم الحروف بحركاتها ونطقها السليم، كما يفتح له مجالاً للتعبير الهادف عن أفكاره مستندا على المصطلحات الواردة في القرآن الكريم.

يساعد القرآن الكريم على تعلم الحروف الهجائية العربية برسمها الصحيح والسليم من الأخطاء.

- حفظ القرآن بقراءته المتعددة يفتح للمتعلم التدبر في معاني النصوص وفهم معانيها.

- إن لبرنامج التربية الإسلامية دورا فعالا من حيث غرس القيم الأخلاقية في نفوس الأطفال وتعديل سلوكياتهم وتوجيه أفكارهم نحو التخلق بأحسن وأفضل الأخلاق التي أمرنا بها المولى تبارك وتعالى وأوصانا بها سيد المرسلين المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- جاء برنامج التربية الإسلامية في دار الحديث برنامجا شاملا ومتنوعا تعددت فيه الوسائل والأهداف فبالإضافة إلى غرس القيم الأخلاقية فهو يزود المتعلمين بمختلف

الخبرات والمهارات لتكوّن منهم رجالاً في المستقبل يعتمدون على أنفسهم ويساعدون بعضهم البعض ويتكاتفون من أجل النهوض بالأمة نهضة قوية.

- والنتائج المحصل عليها من خلال الدراسة الميدانية الدليل القاطع على هذا المجهود الكبير والرسالة النبيلة التي تؤديها مدرسة دار الحديث القرآنية حيث تعتبر نموذجاً رائعاً ينبغي الاقتداء به، فالقيم الأخلاقية التي اكتسبها المتعلم من خلال حفظه للقرآن الكريم جعلت منه متعلماً متميزاً من جميع النواحي.

الإحالات:

- ¹ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ج1، دار الدعوة، القاهرة، 2010، 281.
- ² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي "ق14/10" ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص:277.
- ³ - مسعودة عطاء الله:التعليم القرآني في الطور التمهيدي، مجلة رسالة المسجد العدد04 النسخة السابعة 2009/1430، ص: 77.
- ⁴ - يوسف العليوي، أثر تعلم القرآن الكريم في اكتساب الملكات اللسانية، ص:15، نقلا عن صورية العيادي مقال نشر في مجلة الاحياء، العدد20، 2017.
- ⁵ - صورية العيادي، من آثار تعلم القرآن الكريم في تنمية الملكة اللغوية، مجلة الاحياء العدد:20 ص، 483.
- ⁶ - رحاب شرموطي، أثر القرآن الكريم في تنمية المهارات اللغوية، المدرسة القرآنية، جامعة أحمد بن بلة، 2019 ص:52.
- ⁷ - عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي، أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية المهارات اللغوية، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، ص:22/21.
- ⁸ - فهد خليل زايد، استراتيجيات القراءة الحديثة، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان 2006، ص:09.
- ⁹ - محمد بومشرة، حياة دار الحديث العامرة تلمسان، مطبعة مزوار، ط:01، 2013 ص:25.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية



إعلان عن جائزة المجلس للغة العربية 2022

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم (جائزة المجلس للغة العربية لسنة 2022) التي تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية والإبداعية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها.

1 . شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية؛
- أن تتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية؛
- أن يكون العمل موثقاً وأصيلاً، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية؛
- أن يكون العمل المقدم لا يتجاوز خمسمائة (500) صفحة (مكتوبة بخط simplified arabic حجم 14)؛
- ألا يكون العمل قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية؛
- ألا يكون العمل قد نُشر، ويُصحب بتصريح شريفي، يحمل من موقع المجلس؛
- أن يندرج العمل في أحد المجالات المذكورة أدناه؛

- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا ترد الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز؛
- لا يحقّ للحائز على جائزة المجلس للغة العربية، أن يتقدم بعمل آخر إلا بعد مرور دورتين من حصوله عليها.

- تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم؛ مكوّنة من ذوي الاختصاص والذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

2 - مبلغ الجائزة: حدّد مبلغ الجائزة بـ 2.000.000 دج، يوزّع بمقدار 500.000 دج لكلّ مجال من المجالات الأربعة التالية:

- 1/ 2 - جائزة المجلس في علوم اللسان.
- 2/ 2 - جائزة المجلس في برمجيات الدّعم باللغة العربية.
- 3/ 2 - جائزة المجلس في التّرجمة إلى العربية.
- 4/ 2 - جائزة المجلس في وسائل الإعلام والاتّصال والتّواصل الاجتماعيّ باللغة العربية.

في حالة وجود جائزتين: استحقاقية- تشجيعية؛ يوزّع المبلغ الماليّ في كلّ مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربية على النحو التالي:

- 70% لجائزة الاستحقاق؛
 - 30% للجائزة التشجيعية.
- وفي حالة حجب جائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التحكيم أن تقترح جائزة تشجيعية، تقطعتها من المجال المحجوب إلى مجال آخر، على ألاّ تتجاوز قيمتها 50% من مبلغ الجائزة الثانية.

- تنشر الأعمال الفائزة، ضمن منشورات المجلس باستثناء الجائزة التشجيعية التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربية، ومجلة معالم للترجمة؛ للتداول بشأن إمكانية نشرها في عدد من أعدادهما.

- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس ملكاً للمجلس، إلا أنّه يمكن لمؤلّفها استعادة حقوقه بعد انقضاء ثلاث (03) سنوات من نشر العمل.

3. طلب الترشح: يتكوّن طلب الترشح للجائزة من الوثائق الآتية:

- طلب خطي؛
- تصريح شرعيّ بعدم نشر هذا العمل، يحمل من موقع المجلس؛
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أو رخصة السياقة)؛
- السيرة العلميّة للمشارك؛
- نسختين/02 من البحث المقدم لنيل الجائزة:
- ❖ النسخة الأولى / مسجّلة على قرص؛
- ❖ والنسخة الثانية / توجّه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4. للتذكير؛ إنّ باب الترشح مفتوح إلى غاية 31 مارس 2022.

للاستفسار: الاتّصال بالروابط: الهاتف: 09 07 23 021 /

021 23 88 99.

البريد الإلكتروني: jaizamajeless2022@gmail.com

5 — يوجّه ملف الترشح إلى العنوان الآتي:

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.

أوص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

(جائزة المجلس للغة العربيّة 2022).

تم إخراج وطبع ب :

EL INMA الإنماء

للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر
ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الإلكتروني: inma.book@yahoo.com

